بسم الله الرحمن الرحيم

أبيات في الفرج للسهيلي[1]:

رواها عنه ابن دحية، وقال: ما يُسْأَلُ اللهُ بها في حاجة إلا قضاها، وهي:

يَا مَـنْ يَـرىٰ مَـا فِي الـضَّمِيرِ ويَـسمَعُ ... أَنْــتَ المُعَــدُّ لِكُــلِّ مَــا يُتَوَقَّــعُ
يَــا مَــــنْ يُرجَّــىٰ للــشَّدَائِدِ كُلِّهَــا ... يَـا مَـنْ إِلَيْــهِ الـمُــشْتكَىٰ والمَفْـزَعُ
يَـا مَـنْ خَــزَائِنُ رِزْقِـهِ فِي قَـوْلِ كُـنْ ... أُمْـــنُنْ فَـــإِنَّ الخَـيْرَ عِنْـدَكَ أَجْمَـعُ
مَـا لِي سِـوَىٰ قَرْعِــي لِبَابِـكَ حِيلَـةٌ ... فَلَـــئِنْ رُدِدْتُ فَــأَيَّ بَــابٍ أَقْــرَعُ
مَـا لِي سِـوَىٰ فَقْـرِي إِلَيْـكَ وَسِـيلَةٌ ... وَبِالافْتِقَــارِ إِلَيْــكَ فَقْــرِيَ أَدْفَــعُ
مَنْ ذَا الَّـذِي أَدْعُـو وأَهْتِـفُ باسْــمِهِ ... إِنْ كَـانَ فَـضْلُكَ عَـنْ فَقِـيرِكَ يُمْنَـعُ
حَاشَـا لِمَجْـدِك أَنْ تُقَـنِّطَ عَاصِـيًا ... الْفَـضْلُ أَجْـزَلُ وَالمَوَاهِـبُ أَوسَـعُ

(1) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد، (ت: 581هـ) صاحب الروض الأُنُفِ – تفسير سيرة ابن هشام.

مقدمة الطبعة الثالثة:

الحمد لله حمدا يليق بجلاله، ويتناسب مع عظمته، عـدد خلقـه، ورضى نفـسه، وزنـة عرشه، ومداد كلماته. والصلاة والسلام على البشير النذير، والسراج المنـير، محمـد وآلـه الغر الميامين. **هذه** سيرة سيد ولد آدم محمد بن عبدالله بن عبـدالمطلب بـن هاشـم إمـام النبيين، وخاتم المرسلين مستخلصة من آيات القرآن الكريم، ومن مئات الـسير وكتـب التاريخ والحديث القديم منها والحديث، وما كتبه المستـشرقون، ومـن تـأثر مـن كتـاب المـسلمين بـنهجهم فـأنكر المعجـزات أو تأولهـا، ومـن أغـرق في سرد المعجـزات والإرهاصات ، واستوعبنا الشيعي والـسني، فمخـضنا الكـل مخـض اللـبن، فأخرجنـا الزُّبْدَ، وفحصناه فحص الناقد المجرب المجـد، **يلمـس** القـارئ ذلـك في مـا رقـم مـن التعقيبات والتنبيهات والهوامش؛ لأنـا نريـدها سـيرة عاليـة تـستحق أن تـترجم بكـل اللغات؛ لأن صاحبها أرسله الله رحمة للعالمين ﴿شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[الأحزاب:45-46] للعرب والعجـم، والإنـس والجـن؛ فهـو الرحمة المهداة؛ ولأنا أبرزنا جوانب عظمته ﷺ كإنسان شديد التواضع، يتدفق رحمة وحبا للغير، حتى الهرة يصغي لها الإناء لتشرب، ويعزز فعله بقوله: «في كل كبد حَـرَّاءَ أجـر»، و«الراحمون يرحمهم الراحمن»، و«أحبكم إلى الله أنفعكم لخلقه». **هذه** الموهبة نشأت معـه منذ الصبا بفطرته بصفاء نفسه، ونقاء روحه، وتأديب الله له؛ إذ قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»، ناهيك عن تقلبه في أحضان عظماء العرب كرما ونبلا وخيرا عبـدالمطلب، وأبي طالب، **وما** جده هاشم الذي أطعم الحجيج حتى الوحش والطير، وهشم الثريد لقومـه عنه ببعيد، ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام:124]، **وما** كان للأمانة والصدق أن يشيعا عنه، ويعرف بالصادق الأمين لولا أنه من طينة زكية مباركة، وأسرة بالغة العراقـة في مكارم الأخلاق وكرم الطباع.

إن التقاط الأحجار الكريمة من معدن هذا النبي الكريم الذي لا يصلح إلا له قول الشاعر:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

يقتضي الغوص، واستخراج الدر طريا من أصدافه، ثم تقديم السيرة الزكية في قالب بهي، يمتاز بلغة رصينة، وعبارات عذبة سهلة، وحشد الفوائد، واقتناص الشوارد بأوجز العبارات؛ فخير الكلام ما قل ودل؛ فهي حصيلة سنوات، وجهد محققين ثقات.

عشنا مع نبينا الأعظم وحبيبنا الكريم المعظم محمد ﷺ: ولادته ﷺ، ورضاعته، ويتمه، وكفالته، وشبابه، وكدحه، ومثابرته، وزواجه، ومشاركة أهله وقومه، ثم حب الخلوة، ثم إكرام الله له بالنبوة، وظهور شمس الرسالة، ثم السابقين إليه، ودعوته السرية، ثم الجهرية، والمعاناة، والآلام، وحماية أبي طالب، وعام الحزن، وخروجه إلى الطائف، والإسراء، ثم ثمرة إبلاغ العرب في المواسم والمناهل بدين الإسلام، ودخول طلائع الأوس والخزرج في الإسلام، وبيعة العقبة الأولى، والثانية، ثم الهجرة الكبرى، وبداية تأسيس الدولة، وما جرى بعد ذلك من: حروب، وكروب، وانتصار، وانكسار، وآمال، وآلام، وصبر، وهمم تطاول نجوم السماء.

ولقد كان أَمَام النبي ﷺ أعباء تنوء بحملها الجبال لولا لطف الله به، وعونه له:

المهمة الأولى: نشر راية القرآن، وتأديب الناس بآدابه، وتبيينه لهم، وترسيخ قواعد الدين اعتقادا وعبادة ومعاملة؛ فالنبي وحده المسؤول عن ذلك، وعن تربية حَمَلَةٍ أمناء لإيصال دين الله إلى الأجيال القادمة، ما عُرف بالكتاب والسنة، **وهذه** أصعب وأقدس مهمة، وكانت شغل النبي الشاغل ليلا ونهارا.

المهمة الثانية: تقويض راية الشرك، ومحو الوثنية، وإرساء راية التوحيد، وفي سبيلها خاض مع صحابته الكرام حروبا تشيب لها النواصي، حصدت أعز الرجال، وأكرم الأبطال، أعز الله بهم دينه، ونصر بإقدامهم نبيه، وشرفهم بالشهادة في سبيله ﴿رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ

وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً﴾[الأحزاب:23] فصدقهم الله وعده، وأعز جنده، وهد بضرباتهم بنيان الكفر، وفتح الله لنبيه مكة، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

المهمة الثالثة: إبلاغ الدين إلى ملوك العالم ورؤسائهم، وتهيئة المسلمين لنقل دينهم من المحيط الإقليمي إلى المحيط العالمي، فحقق الله لهم ذلك، ورفعوا الظلم عن كاهل الشعوب المستضعفة، وطوى الإسلام تحت جناحيه أعظم امبراطوريتين في العالم القديم: فارس، والروم، ودقوا أسوار الصين، وصارت الهند ولاية إسلامية خلال فترة وجيزة.

ومن المعجزات الباهرة أن ينجز رسول الله ﷺ ذلك التراث الضخم ، ويربي أولئك الرجال، ويدك أركان أعداء الله من مشركين ويهود خلال ثلاث وعشرين سنة.

فمقامك يا سيدي يا رسول الله يجل عن الكلمات، ويكبر على العبارات، **ولكن** لا بد أن أقول لقارئي سيرتك العطرة: بأني قد خَدَمْتُ مقامك المقدس بكتابتها وفق المعايير التالية:

1 – أن تكون لا طويلة مُمِلَّةً ولا قصيرة مخلة؛ مراعاة لظروف عصرنا وإيقاعه السريع، وتَلَوُّنِ الثقافات، وهجوم الإعلام المرئي الذي ضيق مساحة القراءة عموما.

2 – أن تحشى بالمعلومات والفوائد، وفي مقدمتها حياة النبي في مكة، ثم الهجرة، فالتاريخ المدني، واستقصاء الغزوات والسرايا.

3 – استنباط العبر والدروس؛ فالسيرة النبوية ليست مجرد أحداث عابرة، وأخبار ووقائع تتلى، ولا ماض يطوى، بل يجب أن تكون سيرة النبي ﷺ حياة تعاد، وواقعا يتحقق. **نعم:** فيها من الآيات والعبر في شئون الحياة كلها، وهي عطاء مستمر، وكنز لا يفنى، وبئر لا ينضب، ولنعلم حق العلم أن من حق نبينا محمد ﷺ أن يُقْرَأَ في كل عصر بروح جديدة، كما القرآن الكريم الذي أنزل عليه الذي فيه الهدى والنور؛ فلا نكتفي بما قيل عنه، وبما كتب المؤرخون قبل مئات السنين، والركون إليهم. **إن من**

حق هذا النبي الخاتم أن يقرأه الجميع فردًا فردًا بنية الاهتداء والاقتداء على المستوى الشخصي، فإذا تشربت روح القارئ روحه، وسرى حبه في قلبه فسيظهر ذلك في سلوكه. **إن من حق** النبي الهادي أن نقرأه بعين الضال الباحث عن الهدى، لا نمل من قراءة سيرته والتدبر لما أنزل عليه؛ يقول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[آل عمران:31]. **نعم**: لقد سالم، وحارب، وأقام، وسافر، وهاجر، ولاقى صنوف الأذى، وقاسى أشد أنواع الظلم؛ فكانت العاقبة النصر له، بعث على فترة من الرسل وضلال من البشر، فاستطاع بعون الله أن يخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة، فأحبوه وفدوه بأنفسهم وأهليهم وماهم، واقتدوا به في كل صغيرة وكبيرة، وجعلوه نبراسا لهم يستضيئون بنوره، ويهتدون بهدي الله فأصبحوا قادة البشرية، فما أحوجنا إلى التزود من معين النور والفضيلة؛ استنادا لقول الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا﴾[الأحزاب:21].

4- الإنصاف؛ فلا إفراط ولا تفريط، كل ذلك وفق دراسة منهجية نقدية بقدر يتناسب مع الحجم الذي قدرناه، يلحظها القارئ، ويدرك أنا نبهنا على أمور تسرد وكأنها من المسلمات وهي غير صحيحة، وحافظنا مع ذلك على نكهتها وسياقها المألوف المعروف، وتلك معادلة ليست سهلة، **وما كان** لهذه الطبعة أن تخرج بهذا المستوى من دقة المعلومات، ووفرتها ، لولا الصبر على البحث في المراجع القديمة والحديثة، والاستفادة بالدرجة الأولى من القرآن الكريم الذي سجل لنا كثيرا من أحداث السيرة النبوية بمراحلها المختلفة، ومن كل ما كتب في السيرة، وما رواه أهل الحديث والمراجعة والتنقيب مرات ومرات بمساعدة أعضاء قسم التحقيق:

وهم الأخوان عبدالله ونورالدين إسماعيل الشريف، وعلي عبدالوهاب الدرواني.

ومن أمثلة تلك الجهود التي بذلت لتخرج السيرة بالشكل اللائق بخاتم المرسلين أن قررنا إرسالها إلى المطبعة فعثرنا على **مخطوطة** بلوغ **المراد** في سيرة خير العباد، للعلامة الحسن بن إسحاق، **وذكر** أنه استغرق في جمعها ست سنوات أثناء محنة سجنه، واعتمد على أمهات المراجع: كفتح الباري، وسيرة ابن هشام، وزاد المعاد، وسيرة ابن سيد الناس، وشرحها نور النبراس، والدر المنثور، وجمع الجوامع للسيوطي، وغيرها، فلم تطب نفسي إلا بقراءتها، وهل يمكن إضافة فائدة لم نسجلها، فكلفت البحاثة الدؤوب الولد/ عبدالله الشريف بمراجعتها والعرض علي، فلم نجد بحمد الله ما لم نكن قد رقمناه بأوجز عبارة، ما عدا النزر اليسير.

والحمد لله على توفيقه بإنجازها في أفضل شهور السنة، شهر رمضان، وفي أهم غزوة أعز الله فيها دينه، ونصر نبيه هي غزوة بدر في 17 رمضان سنة 1431هـ الموافق 27/ 8/ 2010م.

د. المرتضى بن زيد الْمَحَطْوَرِي الحسني.

مقدمة الطبعة الأولى:

الحمد لله ﴿ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾[الصف:9]، **والصلاة** والسلام على البشير النذير، والسراج المنير محمدٍ وآله الأطهار، وصحابته الأخيار، وأزواجه، ومن اهتدى بهديه، **وبعد:** تشرفتُ بتدريس السيرة النبوية العطرة بكلية الشريعة، فغمرتني السعادة حين شاهدتُ القاعة مكتظة لا من كلية الشريعة بسنواتها الأربع فحسب، بل من عموم التخصصات في الجامعة، **وذلك** دليل حُبِّ الشباب لنبيهم، والحنين لسماع ذكريات الإسلام الأولى، واللهفة نحو القدوة؛ **وهذا** ما حَفَزَنِي على إعادة تنقيح سُطُورٍ تجمع المهم من حياته الكريمة، وتأريخه الجهادي الشريف بصورة مختصرة؛ وبعين ناقدة، **تجنبتُ** التقليد، والسرد العشوائي؛ ليستفيد القارئ خبرة وعبرة، وليسهل استيعابها- **فقد** روي عن الإمام زين العابدين عليٍّ بن الحسين عليه السلام أنه قال: كنا نُعَلَّمُ مغازي رسول الله ﷺ كما نُعَلَّمُ السورة من القرآن، **وعن** محمد بن سعد بن أبي وقاص قال: كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ويَعُدُّهَا علينا، **ويقول:** يا بَنِيَّ هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذِكْرَهَا، **قال الزُّهري:** في علم المغازي خير الدنيا والآخرة(1).

د. المرتضى بن زيد الْمَحَطْوَرِي الحسني

الجمعة 25/ رمضان/ 1420هـ

1/ 1/ 2000م

---

(1) سبل الهدى والرشاد 4/ 20. عن ابن عساكر، وسيرة ابن كثير 2/ 355، والبداية والنهاية 3/ 297.

أهمية التأريخ والسيرة النبوية خاصة:

تحرك التأريخ في العديد من سور القرآن، حين لم تتجاوز آيات الأحكام مائتي آية، أو سبعمائة في أكثر تقدير، **وتكررتْ** أنباء خلق آدم، وقصته مع الملائكة وإبليس، ونبأ ابني آدم، وخبر أصحاب السفينة، وإدريس، وإبراهيم، ولوط، وهود، وصالح، وشعيب، وموسى مع فرعون، وعيسى، ويوسف، ويحيى، وزكريا في سرد رائع ممتع، ولم يغفل بلقيس وسبأ؛ **إنه** التأريخ يحدثنا كم مَرَّ على الأرض من عقلاء جلبوا لأنفسهم وقومهم الهدوء والسلام كالملكة بلقيس، **وكم** متهورين تسببوا في شقاء قومهم، **أما** تأريخ الأنبياء وخاتمهم محمد ﷺ، فهو الهادي إلى الطريق الصحيح؛ **ففي** سيرته نجد الإنسان الذي سعدتْ به الدنيا، وكان رحمة للعالمين.

عناية المسلمين بالسيرة:

حظي التأريخ بعناية المسلمين، فهذا المعري يقول:

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طَرَفُ[1]

وَحَظِيَتْ سيرةُ النبي ﷺ خاصة بعناية لم يظفر بها أحد؛ فالمفسرون، والمحدثون، والفقهاء، واللغويون، والنحاة، وأهل الفرائض، والأصوليون، وعلماء الكلام - يَرْتَعُونَ في ساحة النبي ﷺ، ويَسْبَحُونَ في بحر القرآن الكريم، والسنة الشريفة أقوالًا، وأفعالًا، وتروكًا، واجبًا، ومسنونًا، ومندوبًا، ومحرمًا، ومكروهًا، ومباحًا؛ **هكذا** أصبح للتاريخ الإسلامي النكهة والمذاق بعد نبوة محمد ﷺ، **أما** التأريخ الجاهلي فهو ممتد وراء السُّور الإسلامي.

بداية كتابة السيرة وأشهر كُتَابِهَا[2]: مرت السيرة بمراحل:

الأولى: كانت الرواية التأريخية تُنْقَلُ مشافهةً مثل غيرها من السنن، إلا أن

---

(1) اللزوميات 2/ 148.

(2) أبجد العلوم 2/ 514. والسبل 4/ 21.

البعض من الصحابة كان قد دوَّنها في مدونات إلى جانب غيرها من السنن، **ومن** رجال هذه المرحلة: 1- سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي: كتب شيئًا من حياة الرسول الأكرم ﷺ، عِلمًا أن أباه سَعْدًا كان يحتفظ بِصُحُفٍ كتبها بين يدي رسول الله ﷺ[1]، 2- سهل بن أبي خيثمة: كانت له عناية بالسيرة النبوية ومغازي الرسولﷺ، ولد سنة 3هـ، ووفاته أيام معاوية، ووصل كتابه إلى حفيده محمد بن يحيى بن سهل، فكان إذا رَوَىٰ منه قال: وجدت في كتاب آبائي...، ومنه نصوص في ابن سعد، والطبري، والبَلَاذُرِيّ[مجلة تراثنا العدد 55/ 56. ص218 بتصرف].

المرحلة الثانية: ومن رجالها: 1- عروة بن الزبير (ت:93هـ)، **فقد** ذكر في السبل أنه أوَّلُ من صنف في السيرة، 2- موسى بن عقبة (ت:141هـ)، **قال الذهبي**: إنه أول من ألف فيها، وكتابه المغازي[سير أعلام النبلاء 6/ 115]، **وقال مالك**: إن مغازيه من أصح المغازي[2]، **قال الذهبي**: وكأن مالكا يُعرِّضُ بابن إسحاق، 3- أبو فضالة عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري (ت:97هـ)،4- أبان بن عثمان بن عفان (ت: 105هـ)[3] له كتاب في السيرة والمغازي، 5- وهب بن منبه (ت: 110هـ)،6- عاصم بن عمرو بن قتادة الأنصاري(ت:120هـ)، **وقد** اعتمد عليه ابن إسحاق كثيرًا،7- شرحبيل بن سعد(ت:123هـ)، 8- ابن شهاب الزهري (ت: 124هـ)، **قال السهيلي**: إن مغازي الزهري أوَّل ما صنف في ذلك، وليس كما قال[الروض الأنف 1/ 214]، 9- **ثم** من أشهرها وأجمعها ما كتبه إمام السيرة محمد بن إسحاق (ت:151هـ)؛ إذ أخرج السيرة في كتابه المغازي بصورة جَعَلَتْ مَنْ بعده عيالًا عليه، مجمعين على أن محمد بن إسحاق أعلم وأوثق من كَتَبَ في السيرة على الإطلاق، 10- **حمل** عنه المغازي يحيى بن سعيد بن العاص من بني عبد مناف[سير أعلام

---

(1) الأم للشافعي 13/ 186، والإصابة 2/ 507 رقم (5713).
(2) الجرح والتعديل 8/ 154، وتهذيب الكمال 29/ 118 رقم (6282).
(3) الأعلام للزركلي 1/ 27، وتهذيب الكمال 12/ 413 رقم (2714).

النبلاء 9/ 139]، 11 – **محمد بن عائذ القرشي الدمشقي**(ت:234هـ)، لـه كتـاب المغـازي[1]، 12 – **ولأبي** معشر نجيح بـن عبـدالرحمن الـسندي (ت: 170هـ) كتـاب في المغـازي، ولم يُعْرَفْ إلا في نقول الواقدي وابـن سـعد، **وقـد** يرجـع إليـه الطـبري في مواضـع، 13 – **وللواقدي** أبي عبدالله **محمد** بن عمر (ت:207هـ)، كتاب المغـازي مطبـوع، 14 – ثـم لأبي عبدالله **محمد** بن سعد بن منيع الزهري تِلميذ الواقدي كتاب الطبقات. 15 – **ثم** ظهرت سيرة ابن هشام، وهي مأخوذة من سيرة ابن إسحاق سِـوَى مـا أقـدم عليـه مـن حـذف واختصار «وأشياء يَشْنُعُ الحديثُ بها، وبَعْضٌ يَسُوءُ بعـضَ النـاس ذِكْـرُهُ»[2]، **واختفـتْ** سيرة ابن إسحاق بسبب ما ساء وشَنُعَ، **والسبب** الحقيقي أنه كان يتشيع كما قال الخطيب البغدادي: فأما الصدق فليس بمدفوع عنه، **وقد** أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه: منهم شعبة، وسفيان، وابن عيينة، وحماد بن زيد، وحماد بن سـلمة، وابـن المبـارك، وغيرهم أكثر من أن يحصيهم العد، **وقد** استشهد به البخاري، **وروى** له مـسلم، **وأمـا** قول مالك فيه فإنما هو رَدَّةُ فِعْلٍ لَمَّا قال ابن إسحاق: ائتوني بعلم مالك فأنا بَيْطَارُهُ[3]؛ فَرَدَّ عليه مالك بأنه دَجَّالٌ من الدَّجَاجِلَةِ، **وهذا** لا يُقْبَلُ؛ لأنه من كلام الأقـران بعـضهم في بعض، وصادر عن غضب[تأريخ بغداد 1/ 224]، **وقد** اهتم العلماء بسيرة ابـن هـشام، فهـم بين شارح ومختـصِر. **وَتَخَـصَّصَ** أبـو نعـيم والبيهقـي في دلائـل نبوتـه ﷺ، والترمـذي والقاضي عياض في شمائله، وابن دِحْيَةَ في معجزاته، **وتكفل** الاستيعاب لابن عبد الـبر، وأسد الغابة لابن الأثير، والإصابة لابن حجر بـتراجم أصـحابه، **وهنـاك** شرح غريـب الحديث، وبيان المجمل والناسخ والمنسوخ، والـصحيح والـضعيف، وهلـم جـرا، ولا يَعرِفُ النبيَّ ﷺ من لم يَعْرِفِ القرآن والسنة.

---

(1) سير أعلام النبلاء 11/ 104 رقم (33)، وتهذيب الكمال 25/ 427 رقم (5317).

(2) من كلام ابن هشام بنصه 1/ 4.

(3) **البَيْطَارُ**: معالج الدوابِّ. القاموس المحيط ص 318.

الحالة قبل ظهور النبي ﷺ:

أ- العرب: كانوا في حالة بؤس، **فأغلبهم** يعيش متنقلًا مع الماشية طالبًا للغارة والثأر، **فمنهم** من كانوا يهودًا وهم: حمير، وكثير من كِنْدَةَ، وبنو كنانة، وبنو الحارث، **ومنهم** من مال إلى النصرانية وهم: ربيعة، وغسان، وبعض قضاعة، **ومنهم** من مال إلى المجوسية وهم: بنو تميم، **ومنهم** من كان على دين إبراهيم، **ومنهم** من كان على دين شعيب، والكثير من قبائل العرب كانوا يعبدون الأصنام، ويرتكبون الآثام، ولا أَدَلَّ على تخلفهم وقسوتهم من وَأْدِ بناتهم.

ب- الفُرْسُ: أمة تقع في بلاد إيران وسواد العراق وهم المجوس، كانوا يعبدون النار، وينكحون محارمهم، والسواد الأعظم منهم طبقة مسحوقة تعمل في الزراعة والصناعة، وتدفع الضرائب الباهظة لملوك فارس الأكاسرة المغرمين باكتناز الجواهر والنفائس.

ج- الرُّوْمُ: أمة تقع في شرق أوروبا، وامتدتْ إلى مصر وبلاد الشام وأجزاء من جنوب أوروبا وشمال أفريقيا حول البحر المتوسط، الذي كان يسمى بحر الروم، وكانوا غارقين في الشهوات، والجدل الديني الممل، والرهبنة التي تجعل من طول الشعر والأظافر وترك الغسل واعتزال النساء قربة إلى الله، وظلوا مع فارس في صراع مرير حتى طواهم الإسلام(1).

قبيلة النبي ﷺ:

قبيلةُ النبي ﷺ **قريشٌ**(2) لا تنافسها قبيلة عربية شرفًا وسيادة؛ فقريش خلاصة أبناء

---

(1) اللآلي المضية للشرفي الجزء الخاص بالسيرة النبوية ص 40. وجمهرة أنساب العرب لابن حزم 491، وتاريخ المسعودي 2/ 102، والسيرة للسبحاني ص 93-97، وأطلس تاريخ الإسلام ص 45، 48.

(2) **القَرْشُ**: الجمع و الكسب، وسُمِّيَتْ بذلك لِتَقَرُّشِهَا أي تجمعها إلى مكة بعد تفرقها في البلاد، حين غلب قصي بن كلاب، **وقيل**: سميت باسم قريش بن بدر بن يخلد بن النضر، وكان صاحب عِيرهم، **فكانوا** يقولون: قدمت عير قريش وخرجت عير قريش، **وقيل**: من قولهم: فلان يتقرش المال أي يجمعه؛ وذلك لأنهم كانوا يَتَّجِرُونَ، ولم يكن لهم ضرع ولا زرع، **وقيل**: إن قريشا هو فِهْرُ بن مالك، **وقيل**: النضر بن

إسماعيل، وهم سكان الحرم، **والكعبةُ** المشرفة التي يعظمها العرب قاطبةً سببٌ من أسباب احترام العرب لهم، **ووقوعُ** مكةَ المكرمةِ في طريق القوافل بين الشام واليمن هَيَّأَ لهم سبل العيش في التجارة، **وقد** سَنَّ هاشمُ بْنُ عبدمناف جَدُّ النبي ﷺ رحلةَ الشتاءِ إلى اليمن، والصيف إلى الشام، وعَقَدَ اتفاقياتٍ تجاريةً ووُدِّيَّةً مع ملوك الشام، واليمن، والحبشة؛ فَبَرَعَتْ قريش في التجارة، ونالتْ من الثروة ما عَزَّزَ مكانتها[1].

القسم الأول: العهد المكي

نسبه الشريف من قِبَلِ أبيه وأمه:

نسبه من قِبَلِ أبيه: محمدُ بنُ عَبْدِالله بن عبدِ المُطَّلِبِ [شيبة] بنِ هَاشِمِ [عَمْرِو] بن عَبْدِ مَنَافٍ [المغيرة] بن قُصَيٍّ [زيد] بن كِلَابِ بن مُرَّةَ بن كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مَالِكِ بنِ النَّضْرِ [قَيْسٍ، لُقِّبَ بالنَّضْرِ لِنَضَارَةِ وَجْهِهِ] بنِ كِنَانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ [عَامِرٍ، أو عَمْرٍو] بن إلياسِ بن مُضَرِ بن نِزَارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ، **وينتهي** إلى إسماعيل الذبيح بن إبراهيم خليل الرحمن[2].

نَسَبُهُ مِنْ قِبَلِ أمه: محمد بن آمنة الشريفة المصونة، سيدة نساء قريش، بنت

كنانة هو قريش، وإنما سُمِّيَ قريشًا لأنه كان يُقَرِّشُ عن خَلَّةِ الناس وحاجتهم، ويسدها بماله، **والتقريش**: هو التفتيش، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة، فَيَرْفِدُونَهُمْ بما يبلغهم، فسموا بذلك، **وقيل**: إن قريشا تصغير القِرْشِ وهو حوت يأكل الحيتان، سُمِّيَتْ به القبيلة أو أبو القبيلة، اللسان 6/ 335، وجمهرة الأنساب لابن حزم ص 11، والروض الأنف 2/ 116.

(1) الطبري 2/ 252، وتاريخ قريش لحسين مؤنس ص 119.

(2) سيرة ابن هشام 1/ 1، **وقد** اختلفوا فيما بين إسماعيل وعدنان من الآباء: **فقيل**: بينهما تسعة، **وقيل**: سبعة، **وقيل**: خمسة عشر، **وقيل**: أربعون. المصابيح 149. ودلائل النبوة 1/ 179. **قال في البحر** 1/ 205: المجمع عليه إلى عدنان. اهـ. **وروي عنه** ﷺ أنه كان إذا انتهى إلى عدنان أمسك، وقال: «كذب النسابون». انظر: الطبقات 1/ 56، وعيون الأثر 1/ 73، وسيرة ابن كثير 1/ 75، وتاريخ دمشق 3/ 52، 59، والسيرة النبوية من اللآلئ المضيئة ص 14، والأمالي الاثنينية للمرشد بالله ص 58 رقم (20)، ومقدمة البحر الزخار ص 205 وما بعدها.

وَهْبٍ بن عبد مناف بن زُهْرَةَ بن كِلاَب[1]، **وعنده** يجتمع نسب أبيه وأمه؛ فرسول الله أشرف ولد آدم حَسَبًا، وأفضلهم نسبًا من قِبَل أبيه وأمه، **وقد** ورد عنه ﷺ: «مَا وَلَدَتْنِيْ بَغِيٌّ قَطُّ منذ كنتُ في صُلْبِ آدَمَ، فلم تزل تَنَازَعُنِي الأُمَـمُ كابرًا عن كابر، حتى خرجتُ في أفضل حَيَّيْنِ في العرب هاشمٍ وزُهْرَةَ»[2].

مكان المولد الشريف وزمانه:

وُلد ﷺ بمكة بشعب بني هاشم قريب المسعى يوم الاثنين 12 ربيع الأول عام الفيل[3] 53 قبل الهجرة - 570م على المشهور، **وقيل**: يوم الجمعة 17 ربيع الأول[4]، **وقد** روي أَنَّ آمنة أُمِرَتْ في المنام أَنْ تسميه أحمد، **وعن ابن إسحاق**: أَنْ

(1) المصادر السابقة.

(2) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق 3/ 401، والسيرة الحلبية 1/ 1-13، وطبقات ابن سعد 1/ 58، **وانظر** تاريخ الطبري 2/ 274، وتاريخ الإسلام 1/ 17، وابن خلدون 2/ 298، ومروج الذهب 2/ 265.

(3) **هو** العام الذي زحف فيه أبرهة الحبشي من صنعاء بجيش جرار وفيل ضخم، يريد هدم الكعبة، وصَرْفَ الناس إلى كنيسة بناها بصنعاء، وبالغ في تزيينها فتسلل أعرابي فتغوَّط فيها فغضب أبرهة، ولما قَرُبَ من مكة أَخَذَ جيشُه مائتي بعير لعبد المطلب فجاء إلى أبرهة فأجلَّه وأكرمه وسأله عن حاجته، فطلب إطلاق إبله، فقال: لقد نقصت في عيني إذ تتحدث عن إبلك لا عن الكعبة، مجدِك ومجدِ آبائك أتيتُ لخرابه؛ فقال عبد المطلب قولته المشهورة: أنا رب إبلي، وللبيت رب يحميه. رجع عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وناشد ربه:

لا هُمَّ إنَّ المَرْءَ يَمْـ ... ـنَعُ رَحْلَهُ فَامْنَعْ حِلَالَكْ
إِنْ كُنْتَ تَارِكَهُمْ وَكَعْـ ... ـبَتَنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَالَكْ
لاَ يَغْلِبَنَّ صَلِيْبُهُمْ ... ومِحَالُهم أَبَدًا مِحَالَكْ

فما إن تم إنشاده حتى زحفت أفواج من الطيور الصغيرة من جهة البحر يحمل كل طير حجرًا بمنقاره وحجرين في مخالبه، فحصبتهم حتى أفنتهم، وكان هذا بمثابة إرهاص لقدوم النبي ﷺ.

(4) سيرة النبي لجعفر العاملي 2/ 64، والسيرة للسبحاني 190، وهناك اختلاف في اليوم والشهر لا يتعلق به أمر شرعي، فقه السيرة للغزالي 60. قال في البحر الزخار 1/ 206: عام الفيل لليلتين خلتا منه يوم الإثنين، وقيل: بعد الفيل بثلاثين يومًا أو أربعين يومًا، **وينظر**: تاريخ الإسلام 1/ 22، والمستدرك 2/ 603، ودلائل النبوة للبيهقي 1/ 76، وعيون الأثر 1/ 79، وسيرة ابن هشام 1/ 167، وابن كثير 1/ 198، وطبقات ابن سعد 1/ 80-83، والمصابيح ص 96.

تسميه محمدا[1]، فلما وضعته أرسلت إلى عبد المطلب أنه قد وُلِدَ لك غلام، فنهض مسرورًا ومعه بَنُوهُ، حتى أتاه ونظر إليه، وحدثته بما رأتْ، وبسهولة حمله وولادته، **فأخذه** عبد المطلب في خرقة فأدخله الكعبة، وقال:

الحمدُ لله الذي أعطاني ... هذا الغلامَ الطيِّبَ الأردانِ
قد سَادَ في المهد على الغلمان ... أُعِيذُهُ بالبَيْتِ ذي الأَرْكَانِ
حَتَّى يَكُونَ بُلْغَةَ الفِتْيَانِ ... أُعِيذُهُ مِنْ كُلِّ ذي شَنَآنِ
وحاسدٍ مُضْطَرِبِ العِنَانِ[2]

ثم رده إلى أمه[السيرة الحلبية 1/ 78] ، **وفي** اليوم السابع من ميلاده ﷺ **عَقَّ** عنه جده عبدالمطلب بكبش، وسماه محمدا، فقيل له: يا أبا الحارث ما حَمَلَكَ على أن تسميه محمدًا وليس من أسماء آبائك ولا قومك؟ قال: أردت أن يَحْمَدَهُ اللهُ في السماء، ويَحْمَدَهُ الناس في الأرض، **قال حسان بن ثابت:**

فَشَقَّ لَه مِنِ اسْمِه لِيُجِلَّهُ ... فذو العرش محمود وهذا محمد[3]

ومات أبوه في المدينة قبل ولادته، **وقيل**: بعد مولده بشهرين، **وقيل**: بسبعة أشهر، **وقيل**: بعد سنة، **وقيل**: بعد ثمانية وعشرين شهرا[4].

العبرة والدروس: اختص الله وحده بعلم السر في اختيار نبيه ﷺ من تلك الأسرة وذلك المكان: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:124]، **ولكنا** نقول: إن الناس معادن -وكلهم لآدم- إلا أن **منهم** من يتفوق في معالي الأمور حتى يكون في أعين عشاق الفضيلة كالنجم في المجرة، **ومنهم** من تهبط به خساسة نفسه

---

(1) ابن هشام 1/ 166، و عيون الأثر 1/ 88.
(2) الطبقات1/ 103، وأنساب الأشراف 1/ 93،والبداية والنهاية 2/ 324 بزيادة ونقص في الأبيات.
(3) السيرة الحلبية 1/ 78.
(4) تاريخ اليعقوبي 1/ 331، وصفوة الصفوة 1/ 26، والسيرة النبوية للشرفي ص 16.

حتى يكون أحقر من البعرة، ولله در القائل:

والنَّـــاسُ كَـــالأَرْضِ ومِنْهَـــا هُـــمُ مِـــنْ خَـــشِنِ اللَّمْـــسِ ومَـــنْ لَـــيِّنِ
فَجَنْـــدَلٌ تَـــدْمَى بِـــهِ أَرْجُـــلٌ وَإِثْمِـــدٌ يُجْمَـــلُ فِي الأَعْـــيُنِ

إنه اصطفاء لا ينافي قاعدة: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[الحجرات:13]، ولا يمس حق الإنسان، بل من باب تَفَضُّلِ الله على من يشاء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران:33].

كلمة عن المولد الشريف:

الاحتفال بالمناسبات طبيعة بشرية، ونزعة إنسانية، تنبعث من عوامل الحب والعاطفة؛ ففي اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية قال المروزي: سألت أبا عبدالله [أحمد بن حنبل] عن القوم يبيتون، فيقرأ القارئ، قال: أرجو أن لا يكون به باس، وقال أبو السري الحربي: قال أبو عبدالله: وأي شيء أحسن من أن يجتمع الناس يصلون، ويذكرون ما أنعم الله عليهم، كما قالت الأنصار، قال: وهذا إشارة إلى ما رواه أحمد، حدثنا إسماعيل، أنبأنا أيوب، عن محمد بن سيرين، قال: نُبِّئْتُ أن الأنصار قبل قدوم رسول الله المدينة ﷺ قالوا: لو نظرنا يومًا فاجتمعنا فيه، فذكرنا هذا الأمر الذي أنعم الله علينا، فقالوا: يوم السبت، ثم قالوا: لا نجامع اليهود في يومهم، قالوا: فيوم الأحد؟ قالوا: لا نجامع النصارى في يومهم، قالوا: يوم العروبة؟ وكانوا يسمون يوم الجمعة يومَ العروبة، فاجتمعوا في بيت أبي أمامة أسعد بن زرارة، فذبحت لهم شاة فكفتهم[(1)].

وقد دأب كثير من المسلمين على الاحتفال بميلاده ﷺ، **قال** في المواهب اللدنية: ولا زال أهل الإسلام يحتفلون بشهرِ مولده عليه السلام، ويعملون الولائم، ويتصدقون في لياليه بأنواع الصدقات، ويظهرون السرور، ويزيدون في المَبَرَّاتِ، ويعتنون بقراءة

(1) اقتضاء الصراط المستقيم ص 304، ورواية ابن سيرين أخرجها عبدالرزاق 3/ 159 رقم 5144.

مولده الكريم، ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم[1]، **أقول**: الاحتفال بمولده، وإظهار السرور به، وقراءة سيرته، وترديد الذكر والصلوات عليه ﷺ من تعظيم شعائر الله، وتكريم لرسول الله، ورفع لذكرهﷺ:

كَرِّرْ وَرَدِّدْ ذِكْرَهُمْ فِي مَسْمَعِي　　　فَهُمُ الشِّفَا لِصَبَابَتِي وَتَوَجُّعِي

وكلما تباعد الزمان بالأمة عن نبيها كانت بحاجة لمناسبات تشدها لماضيها المشرق، ولا أغلى من المناسبات التي تُذَكِّرُ برسول الله ﷺ، وتدعو إلى التأسي به، **ولا يُلْتَفَتُ** إلى ما قيل: من أنه بدعة؛ لأنه لم ينقل عن السلف، وقد سئل الحافظ ابن حجر عن عمل المولد فأجاب بما نصه: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على مَحَاسِنَ وضِدِّهَا، فمن تحرَّى في عملها المحاسن، وتجنب ضدها كان بدعة حسنة، وإلا فلا، قال: وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم؟ فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون، ونَجَّى موسى؛ فنحن نصومه شكرا لله تعالى على إغراق فرعون ونجاة موسى، فقال ﷺ: «أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ؛ فَصَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ»[2]؛ فيستفاد منه فِعْلُ الشكر لله على ما مَنَّ به في يوم معين: من إسداء نعمة، أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نَبِيِّ الرحمة في ذلك اليوم، وعلى

---

(1) المواهب اللدنية 1/ 78، **قيل**: أول من بدأ الاحتفال بالمولد صاحب إربل، الملك المظفر أبو سعيد كُوكُبُري بن زين الدين كوجك، وكان محبًّا للصدقة، يفرق قناطير الخبز، ويكسو في العام خلقًا، إلى غير ذلك من أعمال الخير، **وكان يحتفل بالمولد**: فيقصده خَلْقٌ من العراق والجزيرة، وكان يُخْرِجُ من البقر والغنم شيئا كثيرا فَتُنْحَرُ وتُطبخُ الألوان، **وقيل**: كان يصرف على المولد ثلاثمائة ألف دينار، سير أعلام النبلاء 22/ 334.

(2) البخاري 1900، ومسند أحمد 8725، وسبل الهدى 1/ 444، وأبو يعلى رقم 2567.

هذا فينبغي أن يتحرىٰ اليوم بعينه حتىٰ يطابق قصة موسىٰ في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلىٰ يوم من السنة وفيه ما فيه – فهذا ما يتعلق بأصل عمله، وأما ما يُعْمَلُ فيه فينبغي أن يقتصر فيه علىٰ ما يفهم الشكر لله تعالىٰ من نحو ما تقدم ذكره: من التلاوة، والإطعام، والصدقة، وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلىٰ فعل الخير والعمل للآخرة، وأما ما يتبع ذلك من السماع [الغناء] واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحا بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراما أو مكروها فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولىٰ، انتهىٰ.

وقال السيوطي[1]: وعندي أن أصل عمل المولد الذي هو اجتماع الناس، وقراءة ما تيسر من القرآن، ورواية الأخبار الواردة في مبدأ أمر النبي ﷺ، وما وقع في مولده من الآيات، ثم يمد لهم سماط يأكلونه وينصرفون من غير زيادة علىٰ ذلك هو من البدع الحسنة التي يثاب عليها صاحبها؛ لما فيه من تعظيم قدر النبي ﷺ، وإظهار الفرح والاستبشار بمولده الشريف. اهـ. وقيل: إن النبي ﷺ عَقَّ عن نفسه بعد النبوة، مع أن جده قد عق عنه[2]؛ **فدل** علىٰ أنه ﷺ احتفل بمولده، **وروي** أن رجلًا سأله عن صوم يوم الاثنين فقال: ذاك يوم وُلِدْتُّ فيه[3]، **ويحمل** قول من حرَّمه علىٰ فعلِ شيءٍ في المولد مخالفٍ للشرع، **والخلاصة**: فالاحتفالات والمناسبات التافهة قد كثرتْ، والنبي ﷺ أولىٰ بيوم لميلاده ويوم لهجرته كمناسبات رمزية.

---

(1) الحاوي للفتاوي للسيوطي (حسن المقصد في عمل المولد) 1/ 271.

(2) **العقيقة**: وليمة يذبح فيها عند ختان المولود في اليوم السابع. سنن البيهقي 9/ 300، وسبل الهدىٰ 1/ 445.

(3) مسلم كتاب الصيام رقم 197، ومسند أحمد 8/ 361 رقم 22600، وص 362 رقم 22604، وسنن أبي داود 1/ 241، والبيهقي 4/ 300، وعبدالرزاق 4/ 295 رقم 7865، والسبل 1/ 401. والمصابيح ص97. وينظر السيرة للسبحاني 1/ 194، والسيرة لابن كثير 1/ 392.

الإرهاصات التي روي أنها وَقَعَتْ ليلة المولد:

منها أن يهوديا صرخ قائلا: طلع نجم أحمد، **ومنها** ولادته ساجدًا رافعًا رأسه إلى السماء، **وخروج** نور أضاءت له قصور بُصْرَىٰ بالشام أو ما بين المشرق والمغرب، **وأن** أمه لم تجد لحمله ألما ولا ثقلا، **وانفلاقُ البُرْمَةِ** فقد كانت عادة الجاهلية إذا ولد لهم مولود بالليل أن يضعوه تحت بُرْمَةٍ لا ينظرون إليه حتى الصبح فوضعوها على رسول الله ﷺ فانفلقتْ، **وأنه** ولد مختونا مقطوع السرة، **وأنه** تكلم في المهد، **وأن** الملائكة كانت تحرك مهده، **وأن** إبليس حزن ورنّ: حين لُعِنَ، وحين أُهْبِط، **وحين ولد النبي** ﷺ، وحين نزلت الفاتحة، **وأن** إبليس حُجِبَ عن السماوات، **وأن** الأصنام انقلبت، **وتساقطتْ** شُرُفَاتُ إِيوَانِ كِسْرَىٰ، **وانطفأتْ** نار الفرس، **وغاضتْ** بحيرة ساوة، **وروي** أن عبدالمطلب سماه **محمدًا**؛ لأنه رأى أن سلسلة من فضة خرجت من ظهره، لها طرف في السماء وطرف في الأرض والشرق والغرب، ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور يتعلق بها أهل المشرق والمغرب، فسماه محمدًا ليحمده أهل السماء والأرض، **وروي** أن الرهبان والأحبار والكهان تحدثوا عن مولده ونبوته[1]، **والله أعلم بصحة ذلك.**

مرضعات النبي ﷺ:

1- أمه آمنة أرضعته سبعة أيام.

2- ثُويبة مولاة أبي لهب أرضعته أربعة أشهر، وأرضعت قبله الحمزة وبعده أبا سلمة بن عبدالأسد بلبن ابنها مسروح[2]، **وَلَمْ تُسْلِمْ** هي ولا ابنها، وكان النبي ﷺ وخديجة بارَّيْنِ بها، أعتقها أبو لهب لما بشرته بمولد محمد ﷺ[3].

---

(1) الدلائل لأبي نعيم 36، والدلائل للبيهقي 1/ 80، سبل الهدى 1/ 409 - 438، والمصابيح 104، وابن هشام 1/ 166و168، والبداية والنهاية 2/ 216، وسيرة ابن كثير1/ 245، والروض الأنف1/ 173.

(2) البحر الزخار 1/ 205، والطبقات 1/ 108، وذخائر العقبى 259.

(3) سبل الهدى 1/ 457، والسبحاني 1/ 200، والدلائل للبيهقي 1/ 148، والبداية والنهاية 2/ 332.

3 – حليمة بنت أبي ذُؤيب السعدية وهي أشهر مرضعاته، وفي إسلامها وزوجها الحارث بن عبد العُزَّى خلاف، وشاركتها في حضانته ابنتها الشيماء، وقد أسلمت[1].

قدمت حليمة مكة مع نساء قومها، وكانت في عسر وبؤس، فلما أخذت **محمدًا** ﷺ أقبل لبنها[2]، ودَرَّتْ ناقتُها، وسبق القافلةَ حمارُها، بعد أن كان يشق على القافلة عجزًا وتأخرًا، ورأتْ من الله البركة والخير والزيادة[3]. **قال البوصيري**[ديوانه ص51]:

وبدتْ في رضاعه معجزاتٌ ... ليس فيها عَنِ العيون خفاءُ
إذ أَبَتْهُ لِيُتْمِه مرضعاتٌ ... قلن ما في اليتيم عَنَّا غَنَاءُ
فَأَتَتْهُ مِنْ آلِ سَعْدٍ فَتَاةٌ ... قد أَبَتْهَا لِفَقْرِهَا الرُّضَعَاءُ
أَرْضَعَتْهُ لِبَانَهَا فَسَقَتْهَا ... وَبَنِيهَا أَلْبَانَهُنَّ الشَّاءُ
أَصْبَحَتْ شُوَّلًا عِجَافًا وَأَمْسَتْ ... مَا بِهَا شَائِلٌ وَلاَ عَجْفَاءُ
أَخْصَبَ الْعَيْشُ عِنْدَهَا بَعْدَ مَحْلٍ ... إِذْ غَدَا لِلنَّبِيِّ مِنْهَا غِذَاءُ
يَا لَهَا مِنَّةً لَقَدْ ضُوعِفَ الأَجْـ ... ـرُ عَلَيْهَا مِنْ جِنْسِهَا وَالجَزَاءُ
وَإِذَا سَخَّرَ الإِلَهُ أُنَاسًا ... لِسَعِيدٍ فَإِنَّهُمْ سُعَدَاءُ

4 – امرأة من بني سعد غير حليمة وهي مرضعة حمزة[الطبقات 1/ 109، والسبل 1/ 460].

5 – ثلاث نسوة من بني سُليم أخرجن له ثُدِيَّهن فَدَرَّتْ ورضع منهن[الاستيعاب 2/ 249].

إخوته من الرضاعة[4]:

1 – عمه الحمزة من ثويبة وحليمة وامرأة أخرى من بني سعد.

---

(1) السبل 1/ 465، والبداية والنهاية 2/ 233، وذخائر العقبى ص 260، وتاريخ الطبري 2/ 157.

(2) ما ذكر في بعض الروايات أن الرسول ﷺ عرض على جميع المرضعات اللاتي أتين مع حليمة، فأبين أخذه ليتمه فيه إشكال؛ لأنه **إذا** كان محمدٌ يتيمَ الأب فهو حفيد عبدالمطلب، وهو سيدٌ من سادات قريش، فكيف تزهد فيه النساء؟!

(3) المصابيح ص 105، وابن هشام 1/ 169، وتاريخ الطبري 2/ 159، والبداية والنهاية 2/ 333، ودلائل النبوة للبيهقي 1/ 133، والسيرة الحلبية 1/ 84.

(4) المصابيح ص 206، وطبقات ابن سعد 1/ 109، والروض الأنف 1/ 183، والسيرة لابن كثير 1/ 225، والإصابة 1/ 341، وسبل الرشاد 1/ 463، والدلائل للبيهقي 1/ 132.

2– أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومي من ثُوَيْبَةَ، وهو مــن الــسابقين إلى الإسلام مع زوجه أم سلمة أم المؤمنين فيما بعد، **وأمه** بَرَّةُ بنت عبدالمطلب بن هاشم عمةُ رسول الله ﷺ[1].

3– **أولاد حليمة من الحارث:** عبدالله، وضمرة، وأُنَيْسَةُ بنت الحارث، وخِذَامَـةُ وهي الشيماء غلب ذلك على اسمها فلا تعرف إلا به.

4– شريح بن هانئ بن يزيد بن الحارث بن كعب، أبــو المقــدام، ولأبيــه صــحبة، وشريح من جلة أصحاب الإمام علي عليه السلام[2].

5– أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب.

6– أبو قُرَّةَ [المصابيح ص 206].

حادثة شق الصدر:

روى مسلم[3] أن جبريل عليه السلام أتى النبي وهو يلعب مع الغلـمان فأخـذه فـصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه عَلَقَـةً، فقـال: هـذا حـظ الـشيطان منك، ثم غسله في طَسْتٍ[4] من ذهب بماء زمزم، ثم لَأَمَهُ، ثم أعاده في مكانه، وجـاء الغلمان يسعون إلى أمه [مرضعته] فقالوا: إن محمدًا قد قتل، فاستقبلوه وهو مُنْتَقِعُ اللـون، **قال أنس:** وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره، **وروي** أن الملائكة بعـد الانتهـاء من هذه العملية ختمته بختم النبوة، ووزنوه بعشرة من أمتـه فـرجحهم، حتـى وزنـوه بألف فرجحهم، فقال: دَعْهُ فلو وَزَنْتَهُ بِأُمَّتِهِ لرجحها[5]، **ويرى** بعض أهـل الـسيرة أن

(1) الاستيعاب 3/ 71 رقم 1607، وأسد الغابة 3/ 295 رقم 3038، والإصابة رقم (4786).
(2) الاستيعاب 2/ 258/ 1180، وأسد الغابة 2/ 628.
(3) مسلم 1/ 147 كتاب الإيمان، باب الإسراء والمعراج رقم 261، والنسائي 1/ 224، والحـاكم 2/ 600، ودلائل النبوة 1/ 143، والمصابيح ص 112، وصحيح ابن حبان 14/ 243 رقم 6335.
(4) **الطست:** من آنية الصُّفْرِ، وحكي بالشين المعجمة. تاج العروس 3/ 90، ولسان العرب 2/ 58.
(5) البداية والنهاية 2/ 335، والدلائل للبيهقي 1/ 146.

حادثة الشق هذه كانت السبب في إعادته ﷺ إلى مكة، **وروي** أن كاهنًا رآه فصرخ: يَالَلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قد اقتربْ، اقتلوا هذا الغلام[تاريخ الطبري 2/ 163]. **وروي** أن نفرًا من نصارى الحبشة رأوه بعد فِطَامِهِ، فقالوا: غلام له شأن، فلنأخذه إلى ملكنا[البداية والنهاية 2/ 337]؛ **أيٌّ** ذلك كان فقد بادرتْ به حليمةُ إلى أمه خوفًا عليه من مس الجن، وحدثتها بما جرى، فقالت أمه: ما للشيطان عليه من سبيل، وأخبرتها بما رأتْ في حمله ومولده، **وكان** عمره حين رجوعه لأمه خمسَ سنوات على قول ابن عباس، وأربع في قول غيره[السبل 1/ 477]، **وحادثة** الشق تكررتْ للرسول وهو في الخمسين من عمره، حين أُسري به كما نقلها أصحاب الصحاح وغيرهم.

نقْدُ رواية شق الصدر[1]:

بعيدًا عن المستشرقين المتعصبين الذين لا يؤتمنون على تأريخ نبينا ﷺ؛ فهم يرونه عدوًّا لهم - نجد من المسلمين مَنْ يسوق الإشكالات التالية:

1- ذُكِرَ أن سبب إرجاعه لأمه حادثة شق الصدر، **وهي** وقعتْ وعمره سنتان وأشهُرٍ، أو ثلاث سنوات، مع أن الروايات تذكر أنه عاد إلى أمه وعمره خمس سنوات، **وقيل** في سبب إرجاعه لأمه: إن نفرًا من نصارى الحبشة رأوه مع حليمة فأرادوا أخذه إلى ملكهم، **فما** تخلصَتْ منهم إلا بصعوبة فبادرتْ بِرَدِّهِ.

2- الشر لا ينحسم بنزع مضغة أو علقة ولا يُغْسَلُ بالماء، **وإنما** هو معنى من المعاني لا يقاوم إلا بتهذيب النفس، واستقامة السلوك، ومعونة الله ولطفه.

3- **إذا** كان الشر ماثلًا في عضو فلماذا خُصَّ به خاتم الرسل دون أنبياء الله ورسله؟

4- قولُ المَلَكِ: هذا حظ الشيطان منك ينافي إطلاق قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء:65].

---

(1) جعفر العاملي 2/ 86، وهيكل 111.

5- شق الصدر يؤدي إلى القول بأن النبي ﷺ مُجْبَرٌ على الخير، مسلوب الاختيار، بَيْدَ أن فضيلة مغالبة الهوى وإيثار رضى الله ميزة عباد الله الصالحين، ولا يكون ذلك إلا بالاختيار[1].

6- الحِكَمُ التي يذكرها مُثْبِتُو شق الصدر وتكراره كلها من الأمور المعنوية[2]، وحادثة شق الصدر بذاتها وبكل تفاصيلها غارقة بالماديات.

7- **قال أنس** في روايته: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره، مع أن بعض الروايات تقول: فَأَمَرَّ يده ما بين مفرق صدري إلى عانتي فالتأم ذلك الشق[3]، **ولم** يذكر ذلك الأثر غيرُه من الصحابة الذين أثر عنهم وصف الرسول ﷺ.

8- التضارب في روايات شق الصدر، من حيث الزمان والمكان: **أ-** أثناء الطفولة في بادية بني سعد، **ب-** قبل البعثة في المسجد الحرام، **ج-** بعد البعثة ليلة الإسراء في بيته بمكة، **د-** ليلة الإسراء أيضًا في المسجد الحرام، **هـ-** في العاشرة من عمره الشريف في الصحراء، **و-** عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء، **ز-** في بطحاء مكة، وظاهره أن زمنه بداية الوحي[4]. **ومن أجل** هذه الخلافات في الروايات يرى بعضهم أنها قد تكررتْ مرتين في طفولته وليلة المعراج، **وقال** بذلك السهيلي، والبيهقي، وابن حبان، والقرطبي، وابن كثير، والذهبي، **واستصوبه** ابن حجر في الفتح، **وأنكر** القاضي عياض أن يكون حصل الشق ليلة الإسراء، **وكذلك**

---

(1) الإمام الهادي ص20 من رسائل العدل والتوحيد، حيث قال: إن الأنبياء مخيرون.

(2) انظر: سبل الهدى 1/ 89، والفتح 7/ 205.

(3) تاريخ الطبري 2/ 163، ومختصر تاريخ دمشق 2/ 84.

(4) مسلم 1/ 147 رقم 261، 262، 263، 264، والبخاري 6/ 2730 رقم 7076، و1/ 135 رقم 342، و3/ 1173 رقم 3035، والدر المنثور 6/ 614 نقلا عن عبدالله بن أحمد في زوائد الزهد، عن أبي هريرة، وذكره أبو نعيم في دلائل النبوة 1/ 216 رقم 166، 167، والمواهب اللدنية 1/ 108 عن أبي داود الطيالسي 1/ 215، والحارث بن أبي أسامة 2/ 867 في مسنديهما.

ابن حزم، **وأثبت** ابن حجر شَقًّا ثالثا عند البعثة، **وذكر** الرابع وكأنه ارتضاه، **وقال** عن الخامس: لم يثبت[1]. **والذي** يجزم بصحة الواقعة **فسنده** أنها وردت في الصحاح، فهو يعتمد النقل والله أعلم.

كفالة جده ثم عمه أبي طالب:

بعد أن ظل ثلاث سنوات أو خمسًا في بني سعد[2] عاد إلى أمه مكتمل الصحة، في كفالة جده عبدالمطلب، حيث نشأت بينهما علاقة حميمة أَلْغَتِ المراسم المتبعة مع سيد مكة؛ إذ كان لا يتجرأ على الجلوس في مجلس عبدالمطلب عند الكعبة غيرُه، **وحين** يحاول أعمامه إزاحته يقول: دعوا ابني، فوالله إنَّ له لشأنًا[3].

وفاة أمه آمنة[4]:

ما إن أكمل السادسة حتى فقد أمه حين عودتها من زيارة قبر زوجها بالمدينة، وليزور وليدها أخواله من بني النجار[5]، **توفيت** بالأبواء[6] **ودُفِنَتْ** بها؛ وبموتها فَقَدَ أغلى مخلوق لديه، وعادت به أم أيمن [جارية أمه] باكيًا مستوحشًا يكابد اليتم منذ كان جنينًا، فمنذ وعى وهو يسمع أمه تئن لفقد أبيه، وها هي تغيب أمام ناظريه ويواريها الثرى وحيدة غريبة لتترك وحيدها وحيدًا، ووليدها فريدًا.

ازدادت حفاوة جده به، **وظل** معه سنتين ثم ودعهُ إلى قبره بلوعة وحزن،

---

(1) انظر: فتح الباري 7/ 205، 1/ 460، ودلائل النبوة لأبي نعيم 1/ 133، والروض الأنف 1/ 78، وصحيح ابن حبان 14/ 242، وسيرة ابن كثير 1/ 231، والشفاء للقاضي عياض 1/ 347، والمواهب اللدنية 1/ 108، وسبل الهدى 1/ 89.

(2) تبعد بادية بني سعد عن الطائف جنوبًا مقدار (25 كم).

(3) المصابيح ص20، وابن هشام 1/ 178، والبداية والنهاية 2/ 343.

(4) ابن هشام 1/ 177، والبداية والنهاية 2/ 340.

(5) الطبقات الكبرى 1/ 116، والاستيعاب 1/ 136، والسيرة لابن كثير 1/ 235.

(6) **الأبواء**: قرية بينها وبين الجحفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلا. معجم البلدان 1/ 79.

ولرسول الله ﷺ ثمان سنوات[1]، **وظلت** صورة جده المهيب في ذاكرته، **وفي** أحلك الأزمات كان ينادي: «أنا النبي لا كَذِبْ، أنا ابن عبد المطلبْ»[2].

كفالة أبي طالب لرسول الله ﷺ[3]:

عَهِدَ عبد المطلب قبل موته بحفيده إلى ولده أبي طالب أجَلَّ أبنائه قدرًا، وأعظمهم نبلًا ومكانة في قريش، **وقيل**: إن عبد المطلب جمع أولاده وقال لحفيده ﷺ: من ترضى لكفالتك؟ فهؤلاء عمومتك وعماتك، فجعل ينظر في وجوههم حتى أتى أبا طالب فجلس في حجره، فقال: هذا يا جد، فقال عبد المطلب: سبحان الله! ما أردتُ غيرك يا عبد مناف[4]، **وأبناءُ** عبد المطلب -وإن لم يكونوا مثله في الكرم والعزم وقوة الإرادة والتأثير في العرب قاطبة- إلا أنَّ أبا طالب تَفَوَّقَ في إدارة شئون ابن أخيه؛ فغمره **عطفًا** وحنانًا وحبًّا؛ إذ احتل من قلبه وقلب امرأته فاطمة بنت أسد[5] مكانة فاقت مكانة أولادهما حقيقة لا مجازًا، **وظلت** هذه الأبوة الحانية قرابة نصف قرن، **ومن** الأمثلة على شدة تعلق محمد ﷺ بعمه وحب عمه له، خروجه معه إلى الشام.

رحلة النبي ﷺ الأولى إلى الشام[6]:

بينما أبو طالب يتجهز للخروج في تجارة إلى الشام إذا بمحمد ﷺ- وعمره اثنا

(1) **اختلف** في عمر عبد المطلب عند وفاته: **فقيل**: ثمانون سنة، **وقيل**: ما بين الثمانين إلى التسعين، **وقيل**: مائة وعشر، **وقيل**: مائة وعشرون، **وقيل**: أكثر من ذلك، ينظر: المصابيح ص 116، وأنساب الأشراف 1/ 96.

(2) البخاري رقم2709، 2719، 2772، 2877، 4061، 4063، ومسلم 3/ 1400، 1401، والترمذي 1688.

(3) ابن هشام 1/ 189، والطبقات 1/ 119.

(4) ينظر اللآلي المضيئة- مخطوط ص60. **وعبدمناف** اسم أبي طالب. المصابيح لأبي العباس ص 117، وطبقات ابن سعد 1/ 117، والسيرة لابن كثير 1/ 240.

(5) ابن هاشم بن عبد مناف، أسلمت وهاجرت، **وكانت** أول امرأة بايعت النبي ﷺ لما طلب البيعة من النساء، **توفيت** بالمدينة، **وكفنها** رسول الله ﷺ بثوبه، **واضطجع** في قبرها، **وقال**: «لم يكن بعد أبي طالب أبر بي منها»، **وهي** أول هاشمية ولدت لهاشمي. المصابيح 119، والإفادة 35، والمستدرك 3/ 108، والاستيعاب 7/ 212.

(6) ابن هشام 1/ 191، وابن سعد 1/ 119، والسبل 2/ 188، والسيرة لابن كثير 1/ 243.

عشر ربيعًا- متشبِّثٌ بثيابه يبكي صبابةً وشغفًا بعمه، يريد الذهاب معه، **ولم** يكن العم الجليل يريد لقرة عينه تحمُّلَ مشاقَّ رِحْلَةٍ مضنية، **لكنه** أمام إصرار الصبي على مرافقته، قال: والله لا أفارقُك ولا تفارقني.

بَحِيْرَى الراهب[1]:

روى أهل السير أنَّ رَكْبَ أبي طالب لما نزل بُصرى من أرض الشام[2] التقى براهب يُسمى بحيرى، انتهى إليه علم النصرانية، وكثيرًا ما مر به تجار قريش لا يكلمهم؛ **لكنه** كما قيل: رأى غمامة تظلل الرسول، ورآه نزل تحت شجرة فتدلت عليه أغصانها، والغمامة تظلل الشجرة؛ فصنع طعامًا للقافلة، وجعل يتأمل علامات النبوة في محمد فوجدها مطابقة لما عند أهل الكتاب، **وسأل** أبا طالب عنه فأجابه بما وافق ما عنده من العلامات؛ فنصحه أن يرده خوفًا عليه من اليهود.

تعليق: روايات القصة منتقدة، ورواية ابن إسحاق منقطعة، وهو لا يُقِرُّهَا كما يبدو من كلامه، فهو يكرر قوله: فيما يزعمون، **كما** أنا لا نجد من تكلم عن هذه الرحلة في السنن، **قال الغزالي رحمه الله**: وسواء صحت قصة بحيرى أم بطلت، فمن المقطوع به أنها لم تُخَلِّفْ بَعْدَهَا أثرًا؛ فلا محمد عليه الصلاة والسلام تَشَوَّفَ للنبوة، أو استعد لها لكلام الراهب، ولا أصحاب القافلة تذاكروا هذا الحديث وأشاعوه، **لقد** طويت كأن لم تحدث؛ مما يرجح استبعادها[فقه السيرة ص 68]. **وقال أيضا**: إن علماء السنة يهتمون بالأخبار الواردة من ناحيتي المتن والسند، فإذا لم تُفِدْ علمًا ثابتًا أو ظنًّا رائجا لم يكترثوا به، وقد انضمتْ أساطير كثيرة إلى سير المرسلين، عندما تُعْرَضُ على القواعد المقررة في فن التحديث يظهر عَوَارُهَا، ويُسَاغُ اطِّرَاحُهَا.[للمزيد ينظر هامش ص 36].

---

(1) ابن هشام 1/ 191، وابن سعد 1/ 121، وتاريخ الطبري 2/ 277، والسيرة الحلبية 1/ 117، والبداية والنهاية 2/ 349، والسيرة لابن كثير 1/ 243، والدلائل لأبي نعيم 1/ 168، وعيون الأثر 1/ 105-106.
(2) على بعد 80كم تقريبا جنوب دمشق. أطلس تاريخ الإسلام ص 144.

عصمته ﷺ في طفولته من أمر الجاهلية(1):

كان ﷺ محفوظًا بعناية الله سبحانه من كل ما يَشِينُهُ منذ طفولته، فما تعرَّى مع الصبيان، ولا شرب خمرًا مع الشباب، ولا تعاطى اللهو مع اللاهين، ولا عرف طريق البغايا، ولا سجد لصنم، **وقد** روي عن علي عليه السلام قوله: لقد قرن الله برسوله ﷺ أعظم ملك من ملائكته[نهج البلاغة ص 469].

النبي ﷺ والعمل:

لم يكن نبي الله ﷺ بمعزل عن حياة الناس، **وأبرزُ** ما نُقِلَ عن حياته قبل النبوة هو ما نَقُصُّهُ ليكون لنا بعون الله عبرة وأسوة- وهو:

الرعي:

قال ﷺ: «ما بَعَثَ الله نبيًّا إلا رعى الغنم»، فقال أصحابه: وأنت؟ قال: «نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»(2)، **وفي رواية**: «بُعِثَ موسى وهو راعي غنم، وبُعِثَ داود وهو راعي غنم، وبعثتُ وأنا أرعى غنم أهلي بأجياد»(3).

العبرة والدرس: أ- لو شاء الله أن يولد الرسل بين خِرَقِ الحرير، وملاعق الذهب لفعل، ولكنه أراد أن يكونوا قدوة البشر في ميدان العمل والنشاط والارتزاق من كسب أيديهم؛ فخيرُ ما أكل المرؤ من كسب يده، بل وردتْ آثار تجعل العمل عبادة تمسح الذنوب، **قال ابن عباس**: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَمْسَى كَالًّا من عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ**»(4)، **وعن** أبي هريرة عنه ﷺ: «**إِنَّ من**

---

(1) ابن هشام 1/ 194، والسبل 2/ 198، والبداية والنهاية 2/ 349، والسيرة لابن كثير 1/ 250.

(2) البخاري 2143 كتاب الإجارة، ورواية برقم 3225. قالوا: أكنت ترعى الغنم؟ قال: «وهل من نبي إلا وقد رعاها» وتكرر برقم 5138.

(3) المسند رقم11918 عن أبي سعيد الخدري، ومجمع الزوائد 4/ 65 **وقال**: فيه الحجاج بن أرطأة، **وهو** مدلس.

(4) الطبراني في الأوسط رقم 7520، وعنه مجمع الزوائد 4/ 63.

الذنوبِ ذُنُوبًا لا يُكَفِّرُهَا الصَّلاةُ، ولا الصِّيامُ، ولا الحجُّ، ولا العُمْرَةُ»، قالوا: فما يكفرها يا رسول الله؟ قال: «الهُمُومُ في طَلَبِ المَعِيشَةِ»[1]، **والآثار** في هذا -وإن كان في بعضها مقال- إلا أنها من الكثرة قد تصل إلى حد التواتر حول معنى واحد وهو حث الإسلام على العمل؛ ليعول الإنسان نفسه وأهله، فحتى اللقمة يضعها في فم امرأته له بذلك أجر؛ **إنَّ** الكسل، والبطالة، ومضيعة الوقت شيء **مخيف**، ومشكلة ثقيلة على كاهل الشعوب، **أما** الإسلام فقد حذَّر أفراده من تضييع الوقت والمال والشباب، يقول ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أربعٍ: عن عُمْرِهِ فيما أفناه، وشَبَابِهِ فيما أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وفيما أَنْفَقَهُ، وَعَنْ حُبِّنَا أَهْلَ البَيْتِ»[2]، **إن** الإنسان مِلْكٌ للهِ ويجب أن يمشي وفق منهج الله، **والذي** أهدى له الأرض ليستمتعَ بخيراتها، ويعبدَه عليها- **حذَّره** من تعطيل الأرض وكُفْرِ النعمة، قال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ۝ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن:10-12]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ﴾[الملك:15]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[النحل:14]، ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[لقمان:20]، ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ

---

(1) الطبراني في الأوسط 102، وعنه مجمع الزوائد 4/ 63، وحلية الأولياء 6/ 366 رقم 8959. والاستغراق في العمل يشغل عن التفكير بالمعصية ناهيك عن عملها، والمثل يقول: يد الفارغ في النار.
(2)الطبراني في الكبير 11/ 102 رقم 11077، والأوسط 9/ 155 رقم 9406، وأمالي أبي طالب 73.

وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم32 -34].

ب- التواضع والتعامل مع الواقع: كانت الفرصة المتاحة أمام النبي ﷺ هي رعي الغنم، والتجارة، فلم يتردد في عمل ما أتيح له، ولو كانت مكة زراعية لَحَرَثَ وزرع، **أليس** هو الذي يقول: «**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَلَّا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا**»[1]؛ **هذا** هو الدين الذي تخلى أهله عن روائع تعاليمه؛ **فها** نحن متكدسون في المدن، هَجَرْنَا قُرَانَا ومزارعنا، واحتشدنا في كادر إداري ضخم، صنعنا فيه مصطلحات فارغة المعنى.

ج- ألا نفهم من رعي الغنم أهمية الثروة الحيوانية لننتفع بلحمها الطري ولبنها السائغ؟ **فهي** أجود لصحتنا من الدجاج المستورد المثلج المكتوب عليه: مذبوح بالطريقة الإسلامية حرصًا على شعورنا الميت، **وصار** الأبناء لا يجدون غير الطعام المعلب من الجبن الهولندي إلى اللحم الدانمركي إلى الشكولاتة المعجونة بشحم الخنزير.

د- قيل: إن الحكمة من رعي الأنبياء للغنم قبل النبوة أن يحصل لهم الحِلْمُ والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها، وَدَفْعِ عدوها عنها، وتحملوا شدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة -أَلِفُوا من ذلك الصبر على الأمة، وعرفوا اختلاف طباعها، وتفاوت عقولها؛ فَجَبَرُوا كسرها، وترفَّقُوا بضعيفها، وأحسنوا التعاهد لها؛ فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة؛ لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم، **وخُصَّتِ** الغنم بذلك؛ لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر، **وفي** ذِكْرِ النبي ﷺ للرعي وهو أكرم الخلق تواضعٌ

---

(1) مسند أحمد 4/ 380 رقم 12980، والبخاري في الأدب المفرد ص 146 رقم 479، وعبد بن حميد ص 366 رقم 1216، ورواه ابن عدي في الكامل 6/ 292 ، وأنوار النبوة على الحديث واضحة.

عظيم لربه، وتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلى الله عليهم أجمعين[1].

هـ- رَعْيُ الغنم في الشعاب الهادئة أحب إلى قلب صبي موهوب مُعَدٍّ لأمر عظيم من صَخَبِ مكة ومُجُونِهَا؛ **فهو** يبحث عن فرصة للتأمل كما فعل أبوه إبراهيم الخليل عليه السلام، **إنَّ قومه** قريشًا يعبدون الأصنام! **فيا ترى** أَهِيَ نصبت الجبال، وبسطت السهول، وشقت الأودية، أهي المسئولة عن السماء ونجومها؛ والأرض ومن عليها؟ إنها صماء عمياء، فإذا كان قطيع من الغنم يستنفد من صاحبه الجهد في حمايته ورعايته، فمن هو الحافظ لهذا الكون والمهيمن عليه؟!.

ومع هذا الذكاء الفطري والنقاء الطبيعي هناك عنايةُ الله، وعصمته له من كل سوء، **روي** أنه طلب من زميل له أن يحرس له غنمه ليحضر عرسا بمكة فما قعد ليسمع الغناء حتى غلبته عينه فنام حتى الصبح، وعاد ليلة أخرى فنام[2].

وجهة نظر: يرى البعض أن قصة رعي الغنم غير صحيحة، ولا تليق بالنبي ﷺ، ولا يحتاج إلى تدريب برعي الغنم ليرعى الأمم، **فالجبروت** والظلم والإهمال إذا كانت غريزة في الشخص فما رَعْيُ الغنم لها بنافع[3]، **قال الشيخ الغزالي** رحمه الله: إن أناسًا ظلوا يتعلمون قرابة عشرين سنة، تُعْرَضُ عليهم القضية فيخبطون فيها خبط عشواء، **فإذا** عُرِضَتْ القضية نفسها على أُمِّيٍّ، سليم الفطرة، نقي العقل -صدع فيها بالحق لأول وهلة، **ومعنى ذلك**: أن هناك مَنْ تَبْذُلُ في إقامة عِوَجِهِ العقلي عشرين سنةً حافلةً بالبحث والدرس فتعجز عن الوصول به إلى مرتبة رَجُلٍ أوتي رُشْدَهُ بأصل الخلقة، **ونحن** موقنون من مطالعة سيرة محمد ﷺ بأنه طراز رفيع من الفكر الصائب، والنظر

---

(1) فتح الباري 4/ 441 كتاب الإجارة. بتصرف.

(2) البداية والنهاية 2/ 350، ودلائل النبوة للبيهقي 2/ 33، وتاريخ الطبري 2/ 279، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ص 79.

(3) الصحيح من سيرة النبي 2/ 99 بالمعنى.

السديد، وأنه- قبل رعي الغنم وبعدَه، وقبل احتراف التجارة وبعدها- كان يَعِيشُ يَقِظَ القلب في أعماءِ[1] الصحراء، صاحيًا بين السكارى والغافلين[2].

ثم إن رواية الرعي على قراريط مشكلة؛ فما عُرِفَ أن القيراط جزء من الدينار والدرهم إلا متأخرًا فما كانت العرب تعرفها، **وبعضهم** فسر القراريط بأنه اسم موضع بمكة، لكنه لا يعرف مكان بهذا الاسم[3]، **ونحن** يجب علينا هنا أن نبين عدم المانع المنطقي والشرعي لرعي الأغنام، وأنه لا يتنافى مع النبوة، إلا أنا لا نسلم أنه ﷺ رعى الغنم من أجل ما ذكره بعض كتاب السيرة من تأهيله لقيادة أمة، وأنه لولا الرعي لما تمكن من ذلك، **وكم** نرى من قادة العالم الذي ساروا بشعوبهم إلى القمم الحضارية في القديم والحديث، ولم ينقل عنهم أنهم اشتغلوا بالرعي، بل لقد مارس الرسول ﷺ في حياته قبل البعثة ما كان يمليه عليه واقعه الزماني والمكاني، **ولهذا** فسوف يعمل لكسب لقمة حلال في أي عمل مشروع- على الأقل من وجهة نظره الشخصية- **ونرى** أن تعليل من علل الرعي بما سبق -ما هو إلا نتيجة لما تعمق في أذهانهم من قدسية جميع ما يمارسه النبي ﷺ ولو قبل النبوة؛ فحاولوا أن يوجدوا لكل حركة تحركها سببًا وتأويلا مناسبًا لتلك القدسية، وتناسوا قوله عن نفسه الذي أمره الله به: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[الكهف:110]، وقوله: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً﴾[الإسراء:93]، وغيرها من الآيات.

حرب الفِجَار[4]:

بين كنانة ومعهم قريش، وبين قيس عَيْلَانَ هوازن، **وسببها** أن النعمان بن المنذر كان

(1) جَمْعُ عَمْوٍ، وهو الضَّلال. لسان العرب 15/ 100.

(2) فقه السيرة لمحمد الغزالي ص 71.

(3) فتح الباري 4/ 441 كتاب الإجارة.

(4) **الفِجَارُ**: بمعنى المفاجرة، كالقتال والمقاتلة، وذلك أنه كان قتال شديد في الشهر الحرام ففجروا جميعا، **وقد** كانت للعرب فجار أربع، آخرها فجار البراض.

يبعث كل سنة بقافلة تحمل المسك ونحوه إلى سوق عُكـاظ، وتعـود بـالجلود والحبـال وبُرُودِ اليمن، فَعَرَضَ البَرَّاضُ الكِنَانِيُّ وعروةُ الرَّحَّالُ الهَوَازِنِيُّ نفسيهما لحمايتها فاختـار النعمان عروة؛ فاعتبر البراضُ ذلك تحديًا من عروة، فغافله في الطريق فقتلـه في الـشهر الحرام؛ فنشبت الحرب، واستُحلَّتِ المحرمات فسميت بالفِجَـارِ[1]، **فقيـل**: إن النبـي حضرها وعمره بين 14، أو 15 و20 سنة، **والصحيح** ما رواه اليعقوبي أن أبـا طالـب منع بني هاشم من حضورها؛ لأنها ظلم وعدوان وقطعية واستحلال للـشهر الحـرام، **فقال** عبدالله بن جدعان، وحرب بن أمية: لا نحضر أمرًا تغيَّب عنه بنـو هاشـم **-ومـا** روي أن الزبير بن عبد المطلب خرج مستكرها، أو أن النبـي ﷺ حـضر مـع عمـه أبي طالب[2]، وأنه طعن أبا براء ملاعب الأسنة حتى أرداه عن فرسه، وأن كنانـة انهزمـت بسبب حضوره، وطلبت منه كنانة أن لا يغيب، فَشَرَطَ علـيهم اجتنـاب الظلـم **-فـلا يصح** عندي من ذلك شيء؛ لأنه منزه عن البغي، وأهلُ بيته كذلك[3].

حلف الفُضُولِ[4]:

افتقرتْ مكة وقريش بعد موت هاشم وعبد المطلب بن هاشـم إلى رجـل مُهَـابٍ

---

(1) سيرة ابن هشام 1/ 195، وتاريخ اليعقوبي 1/ 336، والـروض الأنـف 1/ 209، والـسيرة لابـن كثـير 1/ 259، وعيون الأثر 1/ 113.

(2) **قال في الأغاني** 22/ 339: زعم قوم من قريش أن أبا طالب والحمزة والعباس شهدوا هذه الحروب، ولم يرو ذلك أهل العلم بأخبار العرب.

(3) ومن لم يستبعد حضوره فقد قال: يمكن أن يكون لمشاركته ﷺ وجه وجيه وهو الدفاع خاصة أنـه سـئل عن مشهده يومئذ، فقال: ما سرني أني لم أشهده؛ إنهم تعدوا على قومي، عرضوا علـيهم أن يـدفعوا إلـيهم البراض صاحبهم (القاتل)، فأبوا. الأغاني 22/ 339.

(4) **سمي حلف الفضول** تشبيها بحلف قديم بمكة أيام جـرهم: عـلى التناصـف، والأخـذ للـضعيف مـن القوي،. قام به رجال من جرهم، كلهم اسمه الفضل: الفضل بن الحارث، والفضل بن وداعة، والفضل بـن فضالة، **فقيل**: حلف الفضول؛ جمعًا لأسماء هؤلاء، **وقيل**: سمي حلف الفضول لبذلهم فـضول أمـوالهم. **وقيل**: لتكلفهم فضولًا لا يجب عليهم. **وقيل**: لأنهم تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها، وألا يغزو ظالمهم مظلوما. لسان العرب 11/ 527.

الجانب، مسموع الكلمة؛ إذ وجد اللئيمُ نفسَه بغير رادع، والظالمُ بغير وازع، **وسبب هذا الحِلْفِ**: أن رجلًا من زبيد باع بضاعة من العاصي بن وائل السَّهْمِي فمطله بالثمن، فاستعدى عليه قبائل قريش فانتهروه، فقام صارخًا وقريش حول الكعبة:

يــا آل فِهْــرٍ لِمَظْلُــومٍ بِــضَاعَتَهُ ... بِــبَطْنِ مكــةَ نــائِي الــدَّارِ والنَّفَــرِ

في أبيات استغاثهم بها، فقام الزبير بن عبدالمطلب وقال: ما لهذا مَتْرَكٌ؛ فاجتمعت هاشم، وزهرة، وتيم في دار عبدالله بن جُدعان، فتعاقدوا وتحالفوا في شهر ذي القعدة الحرام قيامًا على: **نصرة المظلوم، والتآسي في المعاش**- ما بَلَّ بَحْرٌ صُوفَةً، وما رَسَا حِرَاءٌ وثَبِيرٌ مكانهما؛ فَسُمِّيَ حلف الفضول؛ لأنهم دخلوا في فُضُولٍ من الأمر؛ ثم مشوا إلى العاصي فأرغموه على رد سلعة الزبيدي، **قال الواقدي**: ولا نعلم أحدًا سبق بني هاشم بهذا الحِلْفِ[1]، **وفي** هذا الحلف الذي تستريح له النفوس الزكية قال النبي ﷺ: «**لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ ابْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي به حُمْرَ النَّعَمِ، لَوْ دُعِيتُ به فِي الإِسْلَامِ لأَجَبْتُ**»[2].

الدرس والعبرة: 1- من الجدير بالنبلاء أن يعيشوا هموم الناس، فإن كانوا على خير أعانوهم، أَوْ على غَيٍّ رَدُّوهُم؛ عملًا بالحديث الشريف: «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، قالوا: هذا المظلومُ، فما بَالُ الظالم؟ قال: «**تَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ**»[3]؛ فالسلبية سوأة أخلاقية، وانتكاسة آدمية، **ومن عجيب** أمر الفِجَارِ أن عتبة بن ربيعة **كان** يتيمًا في حجر حرب بن أمية، **وقد** ضربه إشفاقًا من خروجه معه، فلم يشعر إلا وهو على

(1) عيون الأثر 1/ 113، ومروج الذهب 1/ 270، وتاريخ الخميس 1/ 261، وسيرة ابن كثير 1/ 257.
(2) الطبقات 1/ 128، والسبل 2/ 208، والسنن للبيهقي 6/ 167، والبداية 4/ 355، والروض الأنف 1/ 155، والسيرة لابن كثير 1/ 257، وسيرة ابن هشام 1/ 141.
(3) البخاري رقم 2311 -2312، والترمذي رقم 2255، ومسند أحمد برقم 11949، والبيهقي 6/ 94، والمعجم الأوسط للطبراني 2/ 189 رقم 690، وصحيح ابن حبان 21/ 376 رقم 5258.

بعيره بين الصَّفَّين ينادي: يا معشر مُضَرٍ عَلاَمَ تَفَانَوْنَ؟ فقالت هوازن: فما تدعو إليه؟ قال: الصلح على أن ندفع لكم دية قتلاكم ونعفوا عن دمائنا، قالوا: وكيف ذاك؟ قال: ندفع إليكم رُهُنًا منا، قالوا: ومَنْ لَنَا بهذا؟ قال: أنا، قالوا: ومن أنت؟ قال: أنا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، فرضُوا ورَضِيَتْ كنانةُ ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلًا، فيهم حكيم بن حزام، فلما رأوا الرُّهُنَ في أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم، وانقضتْ حرب الفجار، وكان يقال: لم يَسُدْ من قريش مُمْلِقٌ [فقير] غيرُ عتبة وأبي طالب فإنهما سادا بغير مال، وَعُتْبَةُ هذا كان ينهى قريشًا عن حرب النبي ﷺ يوم بدر، وقال لهم: ارجعوا واعصِبُوها برأسي وقولوا: جَبُنَ عتبة؛ فقال النبي ﷺ: «إن كان في أحد منهم خير ففي صاحب الجمل الأحمر»[1]، يعني عتبة.

2- أحبَّ النبيُّ ﷺ الصلح والمصلحين، وكان حِلْفُ الفضول أَحَبَّ إليه من حُمْرِ النعم؛ لأنه لنصرة المظلوم، وقمع الظالم، وصدق الله العظيم: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء:114].

3- النبيُّ ﷺ في سن العشرين يَرْقُبُ الأحداث مشاركا فيها ويخطط لمستقبل جديد.

خديجة الكبرى رضي الله عنها وزواجها برسول الله ﷺ[2]:

كانت خديجةُ بنتُ خويلدٍ بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب -امرأةً تاجرةً ذاتَ شرف ومال تستأجر الرجال في مالها[3]، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها،

---

(1) السبل 4/ 50، وابن أبي شيبة رقم 36678، ودلائل النبوة ج3ص63.

(2) المصابيح ص 124، وابن هشام 1/ 198، وأسد الغابة 1/ 124، وسيرة ابن كثير 1/ 262، وعيون الأثر 1/ 115، والغزالي 78، وحياة محمد 120، والسبل 2/ 222، والطبقات 1/ 129، والمواهب 1/ 111، والطبري 2/ 280، والبداية والنهاية 2/ 359، والسيرة الحلبية 1/ 137-140.

(3) **روى** الحاكم في المستدرك 3/ 182: عن جابر، قال: استأجرت خديجة رضوان الله عليها رسول الله ﷺ سفرتين إلى جُرَشَ كل سفرة بقلوص، **وجُرَشُ** في الشام، **وجُرَشُ أيضا**: من مخاليف اليمن من جهة مكة. **ينظر** معجم البلدان 2/ 126، **وروى** عبدالرزاق في المصنف 5/ 320 رقم 9718 أنه لما استوى وبلغ

من: صدق حديثه، وعظيم أمانته، وكرم أخلاقه- بعثتْ إليه فعرضتْ عليه أن يخرج في مالها إلى الشام مع غلامها مَيْسَرَةَ، وتُعْطِيَهُ أفضل ما تعطي غيره، فخرج وعمره 25 سنة، **وقيل**: إن أبا طالبٍ سأل خديجة أن تستأجر ابن أخيه قائلًا: هل لك يا خديجةُ أن تستأجري محمدًا؟ وإنك قد استأجرت فلانًا بِبَكْرَينِ [جملين]، ولا نرضى لمحمد دون أربعة، فكان جواب خديجة: لو سألتَ ذلك لبعيد بغيض فَعَلْنَا، فكيف وقد سألتَه لحبيب قريب!

حالف محمدًا ﷺ الحَظُّ في رحلته التجارية، وتمكن بِحُسْنِ أخلاقه، وكريم شمائله، وجاذبيته، وذكائه، وأمانته أن يوفر لخديجة رضي الله عنها ربحًا مضاعفًا، وَابتاع لها كل ما رغبت أن يعود به معه، **أما** ميسرة فقد بهره هذا الشاب الرائع، وأَجَلَّهُ أَيَّمَا إجلال؛ لكريم أخلاقه وحسن مصاحبته[1]، و**رُوِيَ** أن ميسرة كان يرى مَلَكَيْنِ يظللانه وقت الهاجرة، **وفي** الشام أخبره نَسْطُورُ الراهبُ أن محمدًا نبي هذه الأمة، **وفي** سوق بُصْرَى اختلف

أشده، وليس له مال استأجرته خديجة بنت خويلد إلى سوق حُبَاشَةَ، سوق بتهامة، **واستأجرتْ** رجلا آخر من قريش، فقال رسول الله ﷺ وهو يحدث عنها: «ما رأيت صاحبةَ أجيرٍ خيرًا من خديجة، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تُخَبِّئُهُ لنا».

(1) عيون الأثر 1/ 117، والبداية 2/ 358، والطبري 2/ 280، والطبقات 2/ 130. **ولنا على رواية ميسرة عدد من الملحوظات**: **1**- رواية ابن إسحاق منقطعة، **رواها** عنه الطبري 2/ 280، وصاحب البداية والنهاية 2/ 358، والذهبي في سيرته 63، **2**- رواها ابن سعد وهي رواية منتقدة، وعلق عليها الذهبي بعد إيرادها في تاريخه، بقوله: حديث منكر، **3**- التظليل والراهب تكرَّرا في الرحلة الأولى، إلا أن التظليل في الرحلة الثانية أُنيط بالملائكة، وفي الرحلة الأولى بالغمام؛ وميسرة و غيره لا يتأتى له رؤية الملائكة، **4**- في كلا الروايتين يقول الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي، فهل الشجرتان في الرحلة الأولى والثانية واحدة؟! **وهل** من المعقول أنه لم ينزل تحتها أحد، ولا سيما و هي في طريق القوافل، **5**- إذا كان الخاتم بين الكتفين في الرحلة الأولى هو العلامة عند الراهب بحيرى؛ فإن العلامة عند نسطور كما في الطبقات هي احمرار العين الدائم، **ولم** نسمع بأن عيني النبي ﷺ كان بها احمرار، **كما** أن رسول الله ﷺ لم يخبر بشيء عن هذه السفرة، **وإذا** كان خبر السفر الأول قد أخرجه الترمذي، والحاكم فإن حديث السفر الثاني لم يرد في أي مصدر حديثي، **ولنا** أن نتساءل كيف وافق أبو طالب على سفر محمد وقد سبق أن حذره الراهب بحيرى من يهود الشام؟! **فالأظهر** أن السفر إلى جُرَشٍ اليمن.

النبيﷺ مع رجل في سلعة، فقال الرجل: احلِفْ باللات والعزى، فقال: «مَا حَلَفْتُ بِهِمَا قَطُّ»، فقال الرجل: القول قَوْلُك، ثم خلا بميسرة وقال: هذا نبي، والذي نفسي بيده إنه لَهُوَ، نجد وَصْفَهُ في كتبنا، **نَقَلَ** ميسرةُ ما رأى لخديجة، **واستمعتْ** من **محمد** ﷺ نفسِهِ يشرح الرحلة بأعذب بيان غيرَ مُدِلٍّ مُتَصَنِّعٍ، ولا مُتطلِّع إلى جمالها ومالها، **وبينما** هو يتحفز للقيام ليذهب راضيًا مَرْضِيًّا بنجاح مهمته - كان قلب خديجة يدق بمحبة هذا الشاب الذي لا يتكرر مثله في الرجال. **قال البوصيري**[ديوانه ص52]:

وَرَأَتْهُ خَدِيجَةُ وَالتُّقَى وَالزْ ... زُهْدُ فِيهِ سَجِيَّةٌ والْحَيَاءُ

وَأَتَاهَا أَنَّ الغَمَامَةَ والسَّرْ ... حَ أَظَلَّتْهُ مِنْهُمَا أَفْيَاءُ

وَأَحَادِيثُ أَنَّ وَعْدَ رَسُولِ الْـ ... ـلَّهِ بالبَعْثِ حَانَ مِنْهُ الوَفَاءُ

فَدَعَتْهُ إِلَى الزَّوَاجِ وَمَا أَحْـ ... ـسَنَ مَا يَبْلُغُ الْمُنَى الأَذْكِيَاءُ

لم تُضَيِّعْ خديجةُ ﵂ الفُرصةَ فسارعتْ إلى إبلاغ الصادق الأمين بقولها: يا ابنَ عَمٍّ إني قد رغبتُ فيك لقرابتك، وَسِطَتِكَ في قومك، وأمانتك، وَحُسْنِ خُلُقِكَ، وصِدْقِ حديثِك؛ وعَرَضَتْ نفسها عليه، **وقيل**: بَاحَتْ بما في نفسها لصديقتها نَفِيسَةَ بنت مُنْيَةَ(1)؛ فَحَدَّثَتْ رسول الله ﷺ حديثَ الوسيطِ الْمُحَنَّكِ: وأجرتْ معه هذا الحوار: ما يمنعك أن تتزوجَ؟ قال: ما بِيَدِي ما أتزوج به، قالت: فإن كُفِيتَ ذلك ودُعيتَ إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تُجيبُ؟ قال: ومَنْ هي؟ قالت: خديجة، قال: كيف لي بذلك وقد رَدَّتْ أشرافَ قريش وأغنياءَها؟ قالت: عَلَيَّ ذلك؛ فأخبر أعمامه فخرج معه عمه الحمزة، **وقيل**: أعمامه، **وقيل**: عمه أبو طالب والحمزة، وخطب أبو طالب فقال: أما بعد فإن محمدًا ممن لا يُوازَنُ به فتًى من قريش إلا رَجَحَ به شَرَفًا ونُبْلًا وفَضْلًا وعَقْلًا، وإن كان في

---

(1) بنت أمية، وأخوها يعلى بن أمية، واسم أمها منية، وقيل: جدتها أم أبيها، وبالأخير جزم الدارقطني. الإصابة 4/ 405 رقم 1063، وأسد الغابة 7/ 272 رقم 7325، والاستيعاب 4/ 471 رقم 3540.

المال قُلٌّ، فإنما المالُ ظِلٌّ زائلٌ، وعاريةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ، وله في خديجةَ بنتِ خُوَيْلِـدٍ رغبـةٌ، ولها فيه مِثْلُ ذلك، فقال عمرو بن أسد عمُّ خديجة ﵂ -مُبْدِيًا إعجابه بمحمـد ﷺ: هو الفحل لا يُقْدَعُ أَنْفُهُ[1]؛ وَأَنْكَحَهَا منه، وأَمْهَرَهَا عشرين بَكْـرَةً، **وذكـر** اليعقـوبي في تأريخه [1/ 340] أنَّ هالةَ أختَ خديجة أَوْعَزَتْ لعـمار بـن يـاسر فكلـم رسـول الله ﷺ، ولا صِحَّةَ لروايةِ أن والد خديجة ﵂ **عقد** بها وهو سكران، فلـما صَـحَىٰ أنكـر العقـد، ثـم أمـضاه[المصنف لعبد الرزاق 5/ 320 عن الزهري]؛ **لأنـه تـوفي** قبـل حـرب الفِجَارِ[الروض الأنف 1/ 213]، **كان عُمْرُ** النبي خمـسا و عـشرين سـنةً وهـو الأَشْـهر، **وقيل**: 30 **وقيل**: 21. **واختلف** في عُمْـرِ خديجـة بـين 25 و28 و 30 و35 و 40 و45، **ورجح** البيهقي، وابن كثير أن النبي تزوجها وعمرها 25 [2].

الأسرة السعيدة:

زُفَّتْ أفضلُ نساءِ قريش، وأكملُ الزوجات علىٰ وجه الأرض إلىٰ سـيد بنـي آدم؛ وأنجبت له كُلَّ أولاده: القاسم، وكان النبيﷺ يُكْنَىٰ به، ثم رقية، ثم زينب، ثـم أم كلثوم قبل البعثة، ثم فاطمة الزهراء ﵏، ثم عبدالله الملقب بالطيـب والطـاهر بعـد البعثة، أما إبراهيم فَأُمُّهُ مارية القبطية. **قال ابن إسحاق**: إن القاسم وعبـدالله هَلَكَـا في الجاهلية بمكة، **وأما** بناته فكلهن أَسْلَمْنَ وَهَاجَرْنَ إلىٰ المدينة [3]، **ومِـتْنَ** قَبْلَـهُ إلا

(1) **قَدَعَ الفحل**: ضرب أنفه بالرمح إذا كان غير كريم. يضرب مثلا للكريم. تاج العروس11/ 354.

(2) دلائل النبوة للبيهقي 2/ 71، والسيرة النبوية لابن كثير 1/ 265، والبداية والنهاية 3/ 359، والسيرة الحلبية 1/ 140، وأنساب الأشرف 1/ 112، وسير أعلام النبلاء 2/ 111. **فالبيهقي** وابن كثير في البدايـة والنهايـة رجحا أن عمر خديجة حين تزوجها النبي ﷺ (25) سنة، **واعْتَبَرَا** موتَ خديجـة وعُمْرُهـا خمـسون سـنة هـو الأصح؛ **فالنبي** ﷺ تزوجها و عمرها 25، وظلت معه قبل البعثة 15 سنة، **و بعـدها** 10 سـنوات، فالجملـة 50، **وروىٰ** الحاكم في المستدرك 3/ 182 من حديث: كان لها يوم تزوجها ثمان وعشرون سنة؛ **لذا** اعْتَبَرَ قـول من قال: إن خديجة توفيت وعمرها (65) سنة شاذا، **وقال**: وهذا عندي شاذ؛ لأنها لم تبلغ ستين سـنة، وذكـر الذهبي في سير أعلام النبلاء 2/ 111، عن ابن عباس أن النبي تزوجها بنت ثمان وعشرين سنة.

(3) هاجرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ مع علي ﵇ هي وفاطمة بنت أسد (أم علي) وفاطمة بنت الزبير بـن

فاطمةَ عليها السلام فقد ماتت بعده بستة أشهر[1]، **وذكر** السهيلي أن القاسم مات في الإسلام، وقد كان قادرًا على المشي[2].

أم المؤمنين الأولى خديجة الكبرى رضي الله عنها الدرس والعبرة:

الأسرة هي اللَّبِنَةُ الأولى في البناء الاجتماعي، والتناسبُ بين الزوجين سرُّ نجاحها، **فأين** التناسبُ بين محمد ﷺ وخديجة رضي الله عنها؟ فهي أكبر منه سِنًّا -كما قيل- وغنيةٌ، وقد تزوجتْ برجلين قبله وأنجبتْ، وهو أصغر منها، وفقيرٌ، بِكْرٌ؛ **والجواب**: أنَّ خديجةرضي الله عنها كسرت الفوارق والتقت مع النبي ﷺ في المبادئ الْتِقَاءَ الماءِ بالماء؛ فهي عاقلةٌ، ذكيةٌ، شريفةٌ، جميلةٌ، عفيفةٌ، كاملةٌ، **أما** الرسول فكما قيل:

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدِ

ولم يكن مُصَادَفَةً أن يقترن محمد ﷺ بامرأةٍ مثلِ خديجة رضي الله عنها؛ فلا يمكن إلا أن تكون يَدُ القُدْرَةِ أَعَدَّتْهَا وَهَيَّأَتْهَا كَمَا أَعَدَّتْ وهيأتْ زوجها العظيم؛ **فلو** كان في النساء نَبِيَّاتٌ لكانت خديجة، **إني** والله مبهور بهذه الأم المباركة لما وهبها الله من ذكاءٍ وَقَّادٍ، وقلبٍ حنونٍ، ونفسٍ كبيرةٍ، وشجاعةٍ توازي شجاعةَ جيش الفتح كاملًا، إنِ انضم إليها عظيمٌ مِثْلُهَا -هو أبو طالبٍ عَمُّ الرسولِ؛ فقد قام الاثنان منفردين في

عبدالمطلب، **ويروى** أن النبي ﷺ بعد أن استقر في المدينة بعث زيدًا بن حارثة إلى مكة ليأتي بأهل رسول الله ﷺ وبناته، فذهب وعاد بفاطمة، وأم كلثوم، وسودة بنت زمعة، وغيرهن، **وأما** رقية فهاجرت مع زوجها عثمان بن عفان، **وقال ابن سعد:** بعد عثمان حين هاجر أبوها، **وأما** زينب فمنعها زوجها، وكان كافرًا، **وقيل:** إنها هاجرت مع زيد، **وقيل:** لحق رجلان من قريش فغلبا زيدا وأعاداها إلى مكة، **ورجح** ابن سعد أنها كانت بمكة يوم بدر، **وقال:** هو أثبت من رواية من روى أنها هاجرت مع أبيها. ينظر ابن هشام 1/ 202، والثقات لابن حبان 1/ 46، وتاريخ دمشق 3/ 142، والبداية والنهاية 2/ 360، وعيون الأثر 2/ 281، والاستيعاب 4/ 379، ومختصر تاريخ دمشق 2/ 185، والسيرة لابن كثير 2/ 279، والطبقات الكبرى لابن سعد 8/ 165، 1/ 238، 8/ 31-36.

(1) الاستيعاب 4/ 447 رقم 3491، وأسد الغابة 7/ 221 رقم 7183.

(2) الروض الأنف 1/ 214، والتحف 33.

مكة بما قام به المهاجرون والأنصار مجتمعين في المدينة؛ **إنّ** خديجة مدرسةٌ عتيقةٌ، وجامعةٌ ضخمةٌ؛ يتعلم فيها الرجال قبل النساء.

وها نحن نلتقط بعضًا من الدروس التي عَلَّمَتْنَا إياها خديجة ﵂:

1- شَمَّرَتْ السيدة خديجة﵂ تشمير أولي العزم في تكوين شخصيتها؛ فبرزت للدنيا فوق نسبها الشريف عاقلةً، ذكيةً، غنيةً، عاليةَ الأخلاقِ، جَمَّةَ المكارم، تختزن طاقةً جبارةً من الإبداع، وتقدير المواقف، وتصريف الأمور، ولديها موهبةٌ نادرةٌ، ونظرةٌ ثاقبة في التنبؤ بالمستقبل، واستشراف الغيب، ولم تجد في أنوثتها ما يمنعها من التفوق المعنوي والمادي على كثير من الرجال.

2- التقطتْ ذبذباتُ قلبها أخبارَ شابٍ هو بالنسبة لشباب مكة كالجوهر قياسًا بالمَدَرِ، فَالْتَقَطَتْ هذه الجوهرةَ وأودعتها قلبها، وعقلها، وسواد عينيها؛ **كما** الْتَقَطَتْ ابْنَةُ شُعيبٍ موسى قائلةً لأبيها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾[القصص:26]، وَبَادَرَتْ خديجةُ كما بَادَرَتْ ابنةُ شعيب إلى ترشيح نفهسا زوجًا لأعظم رسل الله؛ لثقتها بأنها المرأة الوحيدة المناسبة لشغل هذا المنصب الرفيع.

3- استطاعتْ بكفاءة فائقة أن تملأ قلب الفتى النبيل الذي يَصْغُرُهَا سنًّا-كما قيل؛ لأنها طراز نادر من النساء؛ فلا تقع عين زوجها منها إلا على كل جميل، ولا تسمع أذناه إلا كل حَسَنٍ؛ عَامَلَتْهُ معاملة الحبيب المدلَّلِ، والْمَلِكِ المَهِيْبِ، ومَنَحَتْهُ مالها ونفسها بدون مِنَّةٍ ولا إدلال، **وهكذا** **يجب** أن تكون النساء غِذَاءً سَهْلَ الهَضْمِ، وشذًى يُنْعِشُ الروح والبدن، وواحة ترتاح فيها النفس، ويفرح بمرآها القلب.

4- مَثَّلَتْ دَوْرَ الأم فمنحته من الحنان، والعطف، والشفقة ما بَزَّتْ به الأمهات، وأَنْسَتْهُ وَحْشَةَ اليُتْمِ، وقسوة الحياة؛ فكانت زوجا، وحبيبة، وزميلة جهاد.

5- عاشت مع زوجها المبادئ قبل العاطفة؛ فآمنتْ به عن ثقة واطمئنان؛ **فهي**

تَرْقُبُ فِي رَجُلِهَا الشهمِ خصائصَ فوق طاقة البشر.

6- الكفاءة والتناسب في الزواج من العوامل الهامة في السعادة الزوجية، واستقرارِ الأسرةِ، وأهمُّ رَكَائِزِهَا الدِّينُ والخُلُقُ في الزوجين؛ ليضمن كلاهما حقوق صاحبه التي شرعها الله تعالىٰ.

7- **حفظتْ** خديجة رضي الله عنها حقوق زوجها كزوج، وحُرْمَتَه كَنَبِيٍّ؛ فأعطته كل شيء، وآمنتْ به قبل كل حي؛ فحفظ الله لها مكانتها، وأرسل جبريل يُقْرِؤُهَا السلام، ويبشرها ببيت في الجنة مِنْ قَصَبٍ، لا نَصَبَ فيه ولا صَخَبَ[1]، **وحفظ** النبي ﷺ للزَّوج الأولىٰ، وأم المؤمنين الأولىٰ، والمؤمنة الأولىٰ والمجاهدة الأولىٰ، وأم أولاده الأخيرة والأولىٰ-**عَهْدَ الوُدِّ** والوفاء، فما فارقتْ خيالَه، ولا توقف عن ذكرها؛ بل كان يَحِنُّ حنين الهائم إلىٰ ذكرياتها، وَيَتَشَمَّمُ في الرُّبوع آثارَها؛ فما ذبح شاةً، ولا وصل إلىٰ يديه خيرٌ إلا تعاهد أصدقاء خديجة، ومَنْ كان يَهْوَىٰ دار خديجة، ويقول: «اذْهَبُوا بهذا لفلانة فقد كانت تأتينا أَيَّامَ خديجة»[2]؛ **حتىٰ** أثار ذلك الحنينُ والوفاءُ غِيرةَ عائشةَ البكر الوحيدة من أزواجه، فقالت: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا، حَمْرَاءَ الشِّدْقِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: «مَا أَبْدَلَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»[3]؛ صَلَّىٰ اللهُ عليكَ يا خيرَ الأزواج، وأكرمَ مَنْ حَصَّنَ النساءَ، وَأَوْفَىٰ مَنْ عَرَفَتْهُ الدنيا، و أنجب مَنْ ولدتهم حواء.

8- استمر الزواج ربع قرن، ما فكَّر النبي ﷺ في غيرها حُرَّةً ولا أَمَةً، ولو فعل لما خالف المألوف؛ **وهذا يُخْرِسُ** المستشرقين الزاعمين بأن محمدًا شهوانيٌّ كثيرُ النساء؛

---

(1) البخاري رقم 3605/ 3609، ومسلم رقم 2432/ 2435 فضائل خديجة. **والقصبُ**: الجوهر.

(2) أمالي أبي طالب ص40، وفي البخاري رقم 3607، ومسلم 2435.

(3) أحمد في المسند 9/ 429 رقم 24918، وقال في مجمع الزوائد 9/ 224: إسناده حسن.

فإذا تزوج بعد ذلك وقد ذهب قَرَمُ[1] الشباب، فإنما هو لمصلحة الدعوة، وجَبْرِ الخواطر المكسورة، **ولو** أراد المتعة لتزوج من الأبكار ما شاء لكنه لم يفعل.

اشتراك النبي ﷺ في بناء الكعبة[2]:

كانت الكعبة رَضْمًا من الحجارة فوق القامة، فنزل عليها سيل كاد أن يهدمها، وتَعَرَّضَ كَنْزُهَا للسرقة؛ فعزمت قريش على إعادتها، وتواصوا بأن لا يُدخِلُوا في بنيانها كسبا خبيثا، وصادف أن قذف البحرُ بسفينة شَرَوْا أخشابها للسقف، وتسابق الجميع لشرف العمل بالكعبة، وفي المقدمة سادة قريش، كُلٌّ حريص على إنجاز حصته المقسومة له، قيل: إنهم هدموها إلى أن أفضوا إلى حجارة خُضْرٍ كَأَسْنِمَةِ الإبل، فحاول أحدهم تحريكها فتحركت مكة؛ فَبَنَوْا على ذلك الأساسِ، أساسِ إبراهيم[3].

تحكيم النبيِّ ﷺ في وضع الحجر الأسود: لما وصل البناء إلى مكان الحجر تنازعوا أَيُّهُمْ يَضَعُهُ، وتفاقم الخلاف حتى كادوا يقتتلون، وقَرَّبُوْا جفان الدم؛ فاقترح أحدهم أن يُحَكِّمُوا أول داخلٍ بابَ الصفا؛ فكان مُحَمَّدًا ﷺ، فقالوا جميعًا: الأمينُ! رضينا بحكمه، فَدَعَى ﷺ بثوب فوضع الحجر عليه، وأمر زعماء القبائل أن يأخذوا بأطراف الثوب، ورفعوه فوضعه بيده الشريفة في مكانه[4].

---

(1) **القَرَمُ**: شدة شهوة اللحم، وكَثُرَ الإستعمال حتى قيل في الشوق إلى الحبيب. القاموس 1035.

(2) الطبقات 1/ 145، وابن كثير 1/ 270، والروض الأنف 1/ 221، والسيرة الحلبية 1/ 141.

(3) **وهناك** رواية تقول: إن النبي ﷺ كان مع عمه العباس ينقلان الحجارة، فأشار عليه أن يضع إزاره على عاتقه وقاية من الحجارة، فلما حاول حَلَّهُ خَرَّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء، ثم أفاق فقال: «إِزَارِي إِزَارِي، فشَدَّ عليه إِزَارَهُ». البخاري رقم 3617، والبداية 2/ 350، ومسلم 1/ 268 برقم 340 ومابعده. **وهي** رواية معارضة لقول النبي ﷺ: «أَدَّبَنِي ربي فَأَحْسَنَ تَأْدِيْبِي»، إلا إذا حملنا سقوطه على الأرض وطموح عينيه من باب حسن التأديب فلا تعارض، و الله أعلم.

(4) سيرة ابن هشام 1/ 209. وزُعِمَ أنَّ الذي اقترح هو أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي أَسَنُّ قريش.

الكعبة عبر التأريط[1]:

بناها إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام في القرن التاسع عشر ق.م تقريبا، **وذكر** الأزرقي في تاريخه: أن البيت انهدم بَعْدَ بناء إبراهيم فَبَنَتْهُ قبيلةٌ من جُرْهُمٍ، **قال المسعودي**: إنَّ الذي بنى الكعبة من جرهم هو الحارث بن مُضَاضٍ الأصغر، **وقيل**: بناها قبلهم قبيلةٌ من العمالقة، ولـمَّا وَلِيَ قصي بن كلاب أَمْرَ البيتِ جمع نفقته، ثم هدم الكعبة فبناها بُنْيَانًا لم يَبْنِهَا أحد ممن بناها قبله مثله، **قال الماوَرْدِي**: أول من جدد بناء الكعبة من قريش بعد إبراهيم عليه السلام **قُصَيُّ** بن كلاب[اللآلئ المضيئة ص 33، 34]، **ثم** قريش قبل المبعث بخمس سنوات، **ثم** عبدالله بن الزبير عام 65هـ لَـمَّا هدمها الحجاج بالمنجنيق حال حصاره له، وأدخل فيها الحِجْرَ عملًا برواية خالته عائشة أنه ﷺ قال: «**لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالإِسْلاَمِ لَهَدَمْتُ الكَعْبَةَ وَأَعَدْتُّهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِسْمَاعِيلَ**»[2]؛ فهدمها الحجاج في عهد عبدالملك بن مروان ورَدَّهَا على بناء قريش عام 74هـ وقال: مالنا ولتخليط أبي خُبَيْبٍ -وهي كنية ابن الزبير- فلما بلغه الحديث ندم، **ثم** أراد أبو الدوانيق أبو جعفر المنصور العباسي أن يردها على بناء ابن الزبير؛ فَنَهَاهُ الإمام مالك وناشده أن لا يجعل من البيت مَلْعَبَةً للملوك؛ من شاء أن يهدمه هدمه؛ حتى تذهب هيبته من القلوب[الروض الأنف 1/ 221].

العبرة والدرس:

1- دَلَّ رِضَى قريشٍ بمحمد وحُكْمِهِ على مكانته؛ لا لأنه حفيد عبدالمطلب فحسب،

---

(1) عيون الأثر 1/ 122، والبداية والنهاية 1/ 190-191، والسيرة لابن كثير 1/ 277-282، واللآلئ المضيئة ص 26-38، وتاريخ الطبري 5/ 622، 6/ 195، وتاريخ خليفة ص 271، وأخبار مكة للأزرقي 2/ 68-70، وتاريخ الإسلام ص 49 حوادث 61-80.

(2) البخاري رقم 1506، 1509، ومسلم 2/ 968 رقم 1333، ومسند أحمد رقم 24763، 25493، 25518، 25521.

بل لصفاته الذاتية التي عَبَّرُوا عنها بالأمين، وأيُّ وَصْفٍ أغلى من الأمانة والصدق؟

2- أظْهَرَ حُكْمُهُ في شأن الحَجَرِ مَوْهِبَةً فطريةً، وعقليةً وَقَّادةً، ودِرَايةً تامةً بنفسيات المجتمع، فما كانت تطيبُ نفوس القبائل لولا أن يَسَّرَ لزعمائهم التَّشَبُّثَ بأطراف الثوب؛ وإلا لَسَالَتْ دماؤهم على الرمال لا يُبَالُوْنَ.

3- العقلاء نعمة لا تُقَدَّرُ بثمن؛ فهم صَمَّامُ الأمانِ من الكوارث التي يصنعها الإنسان بيديه؛ فالذي أشار بالتحكيم رجلٌ عاقلٌ كافَأَهُ اللهُ بدخول أكرمِ نَسَمَةٍ، وبحُكْمٍ أثلج الصدور، وحَقَنَ الدماء، وحَفِظَ للكعبة حرمتها، ولِلْحَجَرِ قُدْسِيَّتَهُ.

خَلْوة النبي ﷺ وعبادته في غار حِراء[1]:

اقْتَرَبَ عُمْرُهُ الشريف من الأربعين مُحِبًّا للخَلْوَةِ، نافرًا مِن الأصنام، متأمِّلًا في المخلوقات التي تدعو العقلاء إلى الاعتراف بالخالق، ولسانُ حالِهِ يردد ما قاله زيد ابن نُفَيْلٍ[2] الرافض للوثنية:

أَرَبًّا واحِدًا أَمْ أَلْفَ رَبٍّ ... أَدِينُ إِذا تَقَسَّمَتِ الأُمُورُ
عَزَلْتُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى جَمِيعًا ... كَذَلِكَ يَفْعَلُ الجَلْدُ الصَّبُورُ[3]

وقيل: إنه سَمِعَ قُسَّ بْنَ سَاعِدَةَ على ناقته بِعُكاظَ يقول: أيها الناس اسْمَعُوا وعُوا، وإذا وَعَيْتُمْ فَانْتَفِعُوْا؛ إنه مَنْ عاش مات، ومَنْ مات فات، وكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آت، إنَّ في السَّمَاءِ لخَبَرًا، وإنَّ فِي الأَرْضِ لَعِبَرًا: لَيْلٌ دَاجٍ، وسَمَاءٌ ذاتُ أَبْرَاجٍ، وَأَرْضٌ ذاتُ فِجَاجٍ، وَبِحَارٌ ذاتُ أمواجٍ؛ البَعَرَةُ تَدُلُّ على البعير، والأَثَرُ على المسير؛ أَفَلاَ يَدُلُّ ذَلِكَ على اللطيف الخبير؟ مالي أرى الناس يذهبون فلا يَرْجِعُون؟ أَرَضُوا بالمقام فأقاموا،

(1) البخاري 1/ 4 رقم 3، وفتح الباري 1/ 22، ومسلم 1/ 139 رقم 160، وابن هشام 1/ 251.

(2) ابن عمرو بن نفيل بن عبدالعزى القرشي، توفي 17 قبل الهجرة، لم يدرك الإسلام، وهو نصير النساء في الجاهلية، وأحد الحكماء. الأعلام 3/ 60، والطبقات 3/ 379، والأغاني 3/ 15، والخزانة 3/ 99.

(3) ابن هشام 1/ 241، 2/ 184، والروض الأنف 1/ 256.

أم تُرِكُوا فناموا؟ أقسَمَ قُسٌّ قَسَمًا حقًّا، لا حَانِثَ فيه ولا آثِمًا، إنَّ لله دينًا هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه، ونَبِيًّا خَاتِمًا حَانَ حِينُهُ، وَأَظَلَّكُمْ أَوَانُهُ، وَأَدْرَكَكُمْ إبَّانُهُ ؛ فَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ به فَهَدَاهُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ خَالَفَهُ وَعَصَاهُ- **قال** النبي ﷺ: «لَوِ التَفَتَ لَرَآنِي»[1]- **ثم قال:** تَبًّا لأَرْبَابِ الغفلةِ من الأمم الخالية، والقرون الماضية، يَا مَعْشَرَ إِيَادٍ أَيْنَ الآباءُ والأجدادُ؟ وأَيْنَ المَرِيضُ والعُوَّادُ؟ وأَيْنَ الفَرَاعِنَةُ الشِّدَادُ؟ أَيْنَ مَنْ بَنَى وشَيَّدَ، وزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَغَرَّهُ المالُ والولدُ؟ أَيْنَ مَنْ بغى وطغى، وجمع فأوعى، وقال: أنا ربكم الأعلى؟ ألم يكونوا أكثرَ منكم أموالًا وأولادًا، وأَبْعَدَ منكم آمالًا، وأطولَ منكم آجالًا؟ طحنهم الثرى بِكَلْكَلِهِ، ومَزَّقَهُم الدهرُ بتطاوله؛ فتلك عظامهم بالية، وبيوتهم خالية، عَمَرَتْهَا الذئاب العاوية، ثم قال:

في الذاهبين الأوليـ ... ـن من القرون لنا بصائرْ
لما رأيتُ مَوَارِدًا ... للموتِ ليس لها مَصَادِرْ
ورأيتُ قومي نَحْوَهَا ... يَمْضِي الأَصَاغِرُ والأكَابِرْ
لا يَرْجِعُ المَاضِي ولا ... يَبْقَى مِنَ البَاقِينَ غَابِرْ
فَعَلِمْتُ أَنِّي لا مَحَا ... لَةَ حيثُ صَارَ القَوْمُ صَائِرْ[2]

قال ﷺ: «رَحِمَ اللهُ قُسًّا؛ إِنِّي أَرْجُو أَنْ يَبْعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أُمَّةً وَحْدَهُ»[3].

وفي خَلْوَتِه ﷺ وَفَّرَتِ السيدةُ خديجةُ ﵂ له الراحة والهدوء، وَكَفَتْهُ مَؤُونَةَ البيت، وَزَوَّدَتْهُ في الغار بما يحتاج إليه؛ فكان يَتَعَبَّدُ الليالِيَ ذواتَ العددِ، ثم يعود

(1) الطبراني في الكبير 12/ 88، وكنز الفوائد 134/ 2، والسبل 2/ 252، والبيان والتبيين 1/ 308، والدلائل 2/ 101.

(2) الصنعة والتسجيع لا يخفيان على بعض كلام قُسٍّ، و لا سيما آخره؛ بغرض الوعظ على شاكلة ابن نباتة، وهو وعظ مفيد والله أعلم، **قال ابن حجر** في الإصابة: طرقه كلها ضعيفة. الإصابة 3/ 265.

(3) تاريخ ابن عساكر 3/ 436، والإصابة 3/ 264 رقم 7342، وعيون الأثر 1/ 146–150، وسيرة ابن كثير 1/ 141–150.

لأهله ويتزود لمثلها حتى أتاه اليقين، وأَذِنَ الله لسراج الهداية أن يَظْهَرَ نُورُهُ.

بَدْءُ الوحي[1]:

المشهورُ أنَّ الله أكرم رسوله بالوحي، وتَوَّجَهُ بالنبوة، وكَلَّفَهُ بالرسالةِ العامة للخلق قاطبة؛ من إنس و جن، وَعُمْرُهُ أربعونَ سنة، **وزاد بعضهم** عشرة أيام، **وبعضهم** شهرين، **وبعضهم** سنتين، **وبعضهم** ثلاثًا، **وبعضهم** خمسًا، **في** يوم الاثنين نهارًا؛ لقوله ﷺ: «**ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فيه، وفِيهِ بُعِثْتُ**»[مسلم 1162]، **واخْتُلِفَ في** الشهر **فقيل**: 17 رمضان **أو** 7 **أو** 14 **أو** في آخره -وهو الراجح، **وقيل في**: 17 رجب، **وقيل**: أول ربيع الأول، **وقيل**: في ثامنه[2]، الموافق 610م، **روى** الإمام أحمد بن عيسى بن زيد بن علي عليه السلام بسنده إلى أبي ميسرة، أن رسول الله ﷺ نُودِيَ في بَدْءِ أمره: يا محمد، قُلْ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، حتى بَلَغَ: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾»[3]؛ **فعلى** هذه الرواية: أَنَّ أَوَّلَ ما نزل من القرآن الفاتحةُ، وإليه ذهب الأكثر كما ذكر الزمخشري، والنسفي[4]؛ **وهو** المفهوم من **قول الإمام القاسم الرَّسِّيِّ**: ونبدأ من تفسير كتاب الله بما نرجو أن يكون اللهُ بَدَأَ به مِنْ تفسير السورةِ التي أَمَرَ نبيه أن يسأله فيها الهدى، وسَمَّاهَا عَوَامُّ هذه الأمة: فاتحة الكتاب والفرقان، **وقال بعضهم**: اسْمُهَا أُمُّ القرآن؛ وذلك دليل مَنْ يَسْتَدِلُّ على أنها أول ما نزل، لا كما يقول بعض الجهلة العوام إن أول ما نزل: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ من غير دليل؛ واسْتَدَلَّ القاسمُ على رأيه بما معناه: أَنَّ الأمرَ بِقِرَاءَةِ

---

(1) المصابيح ص 128، والبخاري رقم 3 ورقم 4670، وفتح الباري 1/ 22 و 8/ 715، ومسلم 1/ 160 رقم 139، والسيرة الحلبية1/ 233-241، ومروج الذهب2/ 275، والبداية 3/ 5، والطبري 2/ 298.

(2)الروض الأُنُفِ مع ابن هشام 1/ 249، واليعقوبي 1/ 201، والطبري 2/ 290، والبداية والنهاية 5/ 3.

(3) أمالي الإمام أحمد بن عيسى1/ رقم 357، وينظر: دلائل النبوة للبيهقي 2/ 158، وأسباب النزول للواحدي ص 10، والمصنف لابن أبي شيبة رقم 36555، والثعلبي 1/ 89، 10/ 244.

(4) النسفي3/ 662، والزمخشري4/ 775، **ورجح** هذا الرأي الإمام محمد عبده1/ 35، والخليلي1/ 163.

(بِاسْمِ رَبِّكَ) يدل على أن البسملة قد سبق إنزالها، و أنها تُقْرَأُ في صدر كل سورة، وكل تعليم[المصابيح 1/ 141]، **رُوي** أن رسول الله ﷺ حين أراد الله كرامته بالنبوة- إذا خرج لحاجته أَبْعَدَ حتى تَغِيبَ عنه البيوت، ويُفْضِي إلى شعاب مكة وبطون أوديتها، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله؛ فيتلفَّتُ حوله فلا يرى إلا الشجر والحجر، فَمَكَثَ كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه جبريل عليه السلام بما جاءه من كرامة الله وهو بجبل حراء في شهر رمضان[1]، **عن** عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أَوَّلُ ما بُدِئَ به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النوم؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءتْ مِثْلَ فَلَقِ الصبح، ثم حُبِّبَ إليه الخلاء، **وكان** يخلو بغار حراء[2]، فَيَتَحَنَّثُ فيه[3] الليالِيَ ذواتَ العدد، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حِرَاءَ، فجاءه المَلَكُ [جبريل]، فقال: اقْرَأْ، قال: ما أنا بِقَارِئ، قال: فأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حتى بلغ مني الجَهْدَ[4]، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فَغَطَّنِي الثانية حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني فقال: اقْرَأْ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطَّني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾[5]، **فرجع** بها رسول الله ﷺ يَرْجُفُ فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فقال:

(1) سيرة ابن هشام 1/ 250، والمصابيح ص 128.

(2) يقع رأس الجبل على بعد ثلاثة أميال شمال الحرم، ما يقارب خمسة كيلو مترات ونصفًا.

(3) بمعنى يَتَحَنَّفُ أي يتبع الحنيفية دين إبراهيم، والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم. فتح الباري 1/ 23.

(4) **غطني**: ضمني، وعصرني حتى حَبَسَ نَفَسِي، **والجهد**: غاية الوسع. الفتح 1/ 24. **وما**: في ما أنا بقارئ للنفي أي لا أحسن القراءة، **والباء**: لتأكيد النفي، **أجاب** أبو شامة عن سُؤَالٍ لماذا تكرر النفي ثلاثًا؟ **فقال**: يحمل قوله **الأول**: على الامتناع، **والثاني**: على الإخبار، **والثالث**: على الاستفهام. الفتح 1/ 24. **قال الحافظ**: لعل حكمة التكرار ثلاثًا إشارة إلى ما ينشأ عن الوحي: من قول، وعمل، ونية، واشتماله على: التوحيد، والأحكام، والقصص.

(5) العلق أول القرآن، **وقيل**: الفاتحة، **وقيل**: المدثر. دلائل النبوة 2/ 155، وأسباب النزول للواحدي 5.

«زَمِّلُوْنِي، زَمِّلُوْنِي»؛ فَزَمَّلُوْهُ حتى ذهب عنه الرَّوْعُ[1]؛ **فقال** لخديجة وأخبرها الخبر: «لقد خَشِيْتُ على نفسي»[2]، **فقالت خديجة:** كلا والله ما يُخْزِيكَ اللهُ أبدًا؛ إنك لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتُكْسِبُ المَعْدُومَ، وتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ على نَوَائِبِ الحَقِّ[3]؛ **فانطلقت** به خديجة ﵂حتى أَتَتْ وَرَقَةَ بْنَ نوفلِ بن أسد- ابْنَ عم خديجة﵂- **وكان** امرأً تَنَصَّرَ في الجاهلية، **وكان** يكتب الكتاب العِبْرَانِيَّ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللهُ أَنْ يكتب، **وكان** شيخًا كبيرًا قد عَمِيَ، **فقالت** خديجة ﵂: يابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقةُ: يابن أخي ما ذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّلَهُ الله على موسى! ياليتني فيها جَذَعٌ، ليتني أكون حيًّا إذ يُخْرِجُكَ قومك، فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودي، ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن توفي، وفَتَرَ الوحيُ فترةً حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزنًا غدا منه مرارًا كي يتردى من رؤوس شواهقِ الجبالِ، فكلما أوفى بذروةِ جبلٍ لكي يُلْقِيَ منه نفسه تبدى له جبريل فقال: يا محمد إنك رسول الله حقًّا؛ فيسكنُ لذلك جأشه، وتَقَرُّ نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تَبَدَّى له جبريل فقال له مثل ذلك»[4]، **هكذا** تُسَاقُ الرواية في الصحاح والسِّيَرِ، **لكن فيها إشكالات كبيرة وكثيرة وهي كالتالي:**

---

(1) **زملوه**: لفوه بثوب، **والروع**: الفزع.

(2) **اختلف** في معنى الخشية على اثني عشر قولًا: **منها** الجنون، والهاجس، والموت من شدة الرعب، ودوام المرض، والعجز عن حمل أعباء النبوة، والعجز عن النظر إلى المَلَكِ من الرعب، وعدم الصبر على أذى قومه، وأن يقتلوه، وأن يفارق الوطن، وأن يكذبوه، وأن يُعَيِّرُوه. فتح الباري 1/ 24.

(3) أي تُعِيْنُهُ، **والْكَلُّ** بفتح الكاف من لا يستقل بأمره. **وتَكْسِبُ:** تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك. **وتَقْرِي:** تقدم للضيف الطعام والشراب. **نوائب:** جمع نائبة وهي المصيبة، وإضافتها إلى الحق؛ لأنها تأتي في حق وباطل.

(4) البداية والنهاية 3/ 23، والثقات لابن حبان 1/ 50.

1- كيف جاز لجبريل أن يُرَوِّعَ النبي ﷺ ويقسو عليه بالعصر والخنق حتى بلغ منه الجهد، ويأمره بالقراءة ثلاث مرات وهو غير قادرعليها، فما هو المبرر والداعي لذلك؟ **ولماذا** لم يُصَدِّقْهُ جبريل في الأولى والثانية وصَدَّقَهُ في الثالثة؟ **كما** أن قوله: «اقرأ» وهو ليس بقارئ ثلاث مرات تكليف لما لا يطاق، والله تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة:286]، **قال السندي**: كأنَّ النبي ﷺ فهم من «اقرأ» أول الوهلة أنه أمر له بالقراءة نفسها على الفور... فالجواب منه: بـ«ما أنا بقارئ» مُبَيِّنٌ على أنه فهم الأمر بالقراءة نفسها على الفور، و**حاصل** الجواب أنه تكليف بما لا يطاق، فكأنه ﷺ علم امتناع التكليف بما لا يطاق بعقله الكامل قبل تقرر ظهور النبوة [1].

2- ما ذكر أنه ﷺ رجع خائفًا مرعوبًا معارضٌ لقوله تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾[النمل:10]؛ فلماذا يخاف سيد الأنبياء وخاتمهم **وقد** قال تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾؟! فلو جاز أن يخاف قليلًا فليس بالصورة المنقولة.

3- أما قصة ذهابه مع خديجة إلى ورقة فهي **مُختلقة**[2]؛ فلا يحتاج لنصراني يُثَبِّتُ فؤاده،

---

(1) السندي في حاشية البخاري 1/ 30. – ط 1309هـ.

(2) ما ورد عن ورقة مضطرب من نواح عدة: 1-وفاته. 2- ديانته. 3- فضائله.

أولًا: وفاته: وفاة ورقة مشكلة تاريخية معقدة؛ نظرًا لتباين الروايات:

أ- جاء في الإصابة [3/ 597]: ثم لم يَنْشَبْ وَرَقَةُ أن توفي وفتر الوحي، **فظاهر** رواية عروة عن عائشة أن ورقة أقرَّ بنبوته ﷺ ولكنه مات قبل أن يَدعوَ رسولُ الله؛ **أقول**: هذا مناقض لما روي عن عروة نفسه أن ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب فيقول: والله لئن قتلتموه لأتخذنه حَنَانًا [عيون الأثر 1/ 195]، **قال في الإصابة**: هذا مرسل جيد يدل على أن ورقة عاش إلى أن دعا النبيُّ حتى أسلم بلال اهـ. **ومعروف** أن بلالًا عُذِّبَ بعد الدعوة، كما أن هذه الرواية مناقضة للرواية الأصل التي هي عن عروة عن عائشة: «ياليتني فيها جذعا، ليتني أكونُ حيًّا حين يخرجك قومك، لئن أدركني أَنْصُرْكَ نصرًا مُؤَزَّرًا»، فكيف نَاصَرَهُ بلالٌ وغيره، ولم يناصره ورقة ؟!

ب- جاء في تاريخ الخميس [1/ 287]: وفي السنة الثانية أو الثالثة من البعثة توفي ورقة بن نوفل.

ج- جاء في الإمتاع أنه توفي في السنة الرابعة للمبعث، أو بعد تتابع الوحي. ينظر: الإصابة 3/ 597، والسيرة الحلبية 1/ 250، وتاريخ الخميس 1/ 287.

د- قال الكلبي: تنصَّر و مات بالشام نصرانيًا، وقيل: مات بمكة بعد البعثة ودفن بها.البلاذري 1/ 122.

هـ- عن الواقدي: أقام ورقة على النصرانية، فكان يُدْعَى القَسَّ، وعاش حتى لقي النبي ﷺ بعد البعثة فقال: =

يا محمد إنه لم يبعث نبي إلا وله آية، فما آيتك؟ فدعى سَمُرَةَ -شجرة كبيرة- فأقبلت تَخُدُّ الأرض خدًّا، فقال ورقة: أشهد لئن أُمِرْتَ بالقتال لأقاتلن معك، ولأنصرنك نصرًا مؤزرًا. ثم مات. **وعن الواقدي**: أنه خرج إلى الشام، فلما بلغه أن رسول الله قد أُمِرَ بالقتال بعد الهجرة أقبل يريده، حتى إذا كان ببلد لَخْمٍ وجُذَام قتلوه وأخذوا ما كان معه. البلاذري 1/ 122.

لا بد من ملاحظة المفارقة الزمنية بين: (لم ينشب أن توفي وفتر الوحي، وبين مروره ببلال وهو يعذب بعد الدعوة، وبين السنة الرابعة للبعثة، وبين إقباله بعد الهجرة؛ أي بعد قرابة أربع عشرة سنة من البعثة) والتباين حول المكان (مكة والشام)؛ فالتباين ليس في الزيادة والنقصان فقط؛ بل في المعلومات والعناصر.

ثانيًا: ديانته: الاختلاف بنفس الدرجة والقوة في حقيقة دينه وموقعه من الإسلام؛ فمراجعةٌ يسيرة لترجمة ورقة في الإصابة3/ 597، والسيرة الحلبية1/ 250 وغيرهما -تكشف عن اضطرابٍ شديد في حياته:

أ- جاء في الإصابة 3/ 597 قوله: ذكره الطبري، والبغوي، وابن قانع، وابن السكن، في الصحابة، وأورد كُلُّهُمْ من طريق رَوْحِ بن مُسَافِرٍ أَحَدِ الضعفاءِ حَدِيثًا ضعيفًا، قال ابن حجر: وإثباتُ الصحبة له -فيه نظر.

ب- قال ابن عساكر تاريخ دمشق 63/ 4: لا أعرف من قال: إن ورقة أسلم.

ج- قال سبط بن الجوزي: وهو آخر من مات في الفترة ودفن بالحَجُونِ، فلم يكن مسلمًا.

د- جاء في الإصابة 3/ 597 أيضًا عن محمد بن عائذ في المغازي عن طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس: مات ورقة على نصرانيته. كذا قال، لكن عثمان ضعيف. اهـ.

هـ- رواية عن الواقدي أنه مات على نصرانيته. البلاذري 1/ 122.

ثالثًا: فضائله: لا يقل التخبط في فضائله عما سبق؛ و هذا بيانه:

أ- عن شرحبيل عن النبي ﷺ: «لقد رَأَيْتُ ذلك القَسَّ وعليه ثيابٌ بيض من حرير؛ لأنه آمَنَ بي وَصَدَّقَنِي». قال البيهقي في دلائل النبوة 2/ 158: وهذا منقطع. وينظر الإصابة 3/ 597.

ب- عن عروة، عن عائشة قالت: قال النبي ﷺ: قد رأيتُه فرأيتُ عليه ثيابًا بِيضًا أَحْسَبُهُ لو كان من أهل النارِ لم يكن عليه ثِيَابٌ بِيضٌ. الإصابة 3/ 598.. رواه الترمذي 4/ 54 رقم 2288، وعلق عليه الترمذي بقوله: هذا حديث غريب، وعثمان بن عبدالرحمن ليس عند أهل الحديث بقوي؛ و بهذا يظهر الوضع؛ فلو أدرك النبي وصدق به لم يقل فيه: وأحسبه لو كان من أهل النار لم يكن عليه ثياب بيض؛ وهذا يعارض وينازع حديث شرحبيل المتقدم، ولغة الحديث غريبة جدًّا؛ لأنها تنبئ عن ورقة أنه المصدق برسول الله مسبقًا، وهنا شكٌّ في مصيره، و ظن أنه قد يكون من أهل النار.

ج- عن عروة عن أبيه قال: سَابَّ أَخٌ لورقة رجلًا؛ فسبَّ الرجلُ ورقة، فبلغ النبي فقال: «هل علمتَ أني رأيتُ لِوَرَقَةَ جنةً أو جنتين؟»؛ فنهى عن سبه. والحديث مرسل الإصابة 3/ 598، والمستدرك 2/ 609.

من حيث السند: مدار الروايات كلها على عروة بن الزبير، والزهري، سوى الروايتين اللتين سنذكرهما، أما عروة فمجروح بالآتي:

1- كان عروة يقول بغير الحق لدى أئمة الجور؛ فيحكمون بما قال، واعترف لابن عمر بذلك مستفتيًا له، فقال له ابن عمر: أما نحن فكنا نَعُدُّ هذا نفاقًا. سنن البيهقي 8/ 165.

=

2- انحرافه عن علي؛ فقد روى جرير بن عبدالحميد عن محمد بن شيبة، قال: شهدتُ مجلس المدينة فإذا الزهري وعروة بن الزبير جالسان يذكران عليًّا فنالا منه، فبلغ ذلك السجاد فجاء إليهما وقال: أما أنت يا عروة فإن أبي حاكم أباك، فَحُكِمَ لأبي على أبيك، وأما أنت يا زهري فلو كنت بمكة لأريتك كُنَّ أبيك – كان حدادًا-. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 4/ 102، والغارات للثقفي ص 395.

وأما الزهري-وإن كان ثقة عند المحدثين، إلا أن المؤيد بالله قال: هو في غاية السقوط؛ فقد روي أنه كان أحد حراس خشبةِ زيد بن علي، وكان ملازمًا لسلاطين بني أمية، ومتزيِّيًا لهم بزي جندهم، والغالب عند الزيدية أن الزهري ليس بثقة، ولا ينبغي التساهل في روايته؛ لأسباب نذكر منها على سبيل الإيجاز:

1- سماع الزهري عن عروة غير ثابت، قال ابن حجر: لا يثبت له سماع عن عروة -وإن كان قد سمع ممن هو أكبر منه، -غير أن أهل الحديث قد اتفقوا على ذلك؛ واتفاقهم على الشيء يكون حجة. تهذيب التهذيب 9/ 388 رقم 6585؛ **نقول:** من الغريب أن تُقْبَلَ رواية من لم يسمع، ناهيك عن أن تكون حجة.

2- التدليس والإرسال؛ فقد ذكره ابن حجر في كتابه طبقات المدلسين ص45 وقال: وصفه الشافعي، والدارقطني، وغير واحد -بالتدليس، وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء5/ 388: مراسيل الزهري كالمعضل؛ لأنه يكون قد سقط منه اثنان، ولا يسوغ أن نظن به أنه أسقط الصحابي فقط؛ لو كان عنده صحابي لأوضحه ولما عجز عن وصله.

3- مخالطته الظلمة من بني أمية: روى ابن عساكر تاريخ دمشق55/ 322، 325 بسنده إلى الزهري كلامًا، وفيه: نشأتُ وأنا غلام...، وحكى قصة وفادته على عبدالملك بن مروان... إلى أن قال: وتوفي عبدالملك بن مراون فلزمت الوليد بن عبدالملك حتى توفي، ثم سليمان بن عبدالملك، وعمر بن عبدالعزيز، ويزيد بن عبدالملك، ثم لزمت هشام بن عبدالملك، فَصَيَّرَهُ هشام مع ولده يعلمهم ويفقههم. **نقل الذهبي** في سير أعلام النبلاء 5/ 339- عن مكحول قوله في الزهري: أي رجل هو! لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك.

أما الروايتان عن غير عروة فهما كالتالي:

1- أخرج البيهقي في السنن 7/ 51 قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أنبأنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا عبيد بن شريك، حدثنا يحيى بن كبير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أن محمد بن النعمان بن بشير الأنصاري كان يسكن دمشق أَخْبَرَهُ أن المَلَكَ جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: «اقرأ» قال: «فقلت: ما أنا بقارئ»، ثم عاد إلى مثل ذلك، ثم أرسلني فقال: «اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ»، فعاد إلى مثل ذلك، ثم أرسلني فقال: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق» قال محمد بن النعمان: فرجع رسول الله بذلك. قال ابن شهاب: فسمعت عروة بن الزبير يقول: قالت عائشة: فرجع النبي ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده، فقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي» فَزُمِّلَ، فلما سُرِّيَ عنه قال: لخديجة... إلخ، وهذا السند منقطع؛ حيث إن محمد بن النعمان بن بشير تَابِعِيٌّ. تهذيب الكمال 26/ 577 رقم 9659، وليس في هذه الرواية من هذه الطريق ذِكْرٌ لما جرى بين الرسول وخديجة وورقة.

2- ذكر ابن حجر في الإصابة 3/ 598 في ترجمة ورقة- أن محمدَ بنَ عائذ أخرج في المغازي من طريق عثمان بن

فالله سبحانه كفيل بهدايته وتثبيت فؤاده،قال تعالىٰ: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[الفرقان:32]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:102]، **وهل** يعقل أن نصرانيًّا أكثر معرفة بالله من صفي الله ورسوله وخاتم أنبيائه؟ نعوذ بالله! **وإن جاز** أن يَشُكَّ النبي ويرتابَ مع معاينته لما يأتيه من ربه، فأولىٰ أن يرتاب غيره، **وهل** يسوغُ أن النبي ﷺ لم يعرف أن الذي أُنزل عليه هو قرآن من الله إلا بعد نزول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ وذهاب خديجة به إلىٰ ورقة؟! مع أن الله سبحانه يقول: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:285]؛ فالإيمان الذي حكاه الله عن نبيه يخالف الشك والارتياب الذي تحكيه الروايات.

4- أَجْزِمُ أن خديجة رضوان الله عليها آمنت فَوْرًا بدون تردد؛ لأنها تعرف أن زوجها بمثابةِ مَلَكٍ في صورة إنسان من قبل نزول الوحي، فكيف بها بعد الوحي وهي تشاهد نور النبوة، وجمالَ الحقِ وجلالَهُ، أفتذهب إلىٰ نصراني وتكذب زوجها

عطاء الخراساني، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس -قصة ابتداء الوحي، ومنها قصة خديجة مع ورقة بنحو حديث عائشة، وفي آخرها: لئن كان هو، ثم أظهر دعاءه وأنا حيٌّ لأُبْلِيَنَّ اللهَ من نفسي في طاعة رسولِهِ وحُسْنِ مؤازرته، فمات ورقة علىٰ نصرانيته؛ **وعلق** عليها ابن حجر بقوله: لكن عثمان ضعيف؛ فظهر أنه لا يمكن الاعتماد علىٰ أي من الروايات الثلاث في إثبات ابتداء الوحي بهذه الطريقة؛ لما احتوت عليه من ضعف السند مع ما في متونها من إشكالات.

إن الرواية التي تطرح ورقة مرجعيةً هاديةً لمعرفة الوحي مدارها علىٰ عروة بن الزبير، وكذلك قول ورقة في شأن بلال، و كذا فضائل ورقة كلها ترجع إلىٰ عروة. **وإذا** كان ورقة نصرانيا فلماذا يكتب الإنجيل بالعبرانية التي هي خط اليهود؟! وكان من اللازم أن يكتب بالخط الإسطرنلجي الذي اتخذه النصارىٰ؛ **إن** العقل لا يقر هذا الدور لورقة، فلو سلمنا بوجوده و أن خديجة حفزها حبها لرسول الله ﷺ أن تهرع لورقة تسأله وجوابه الإيجابي -فالرواية تفتح ثغرة لخبثاء المستشرقين ليقولوا إن محمدًا ﷺ عَرَفَ نبوته عن طريق نصراني.

لكني-والله أعلم- أُرَجِّحُ أن وَرَقَةَ لا وجود له في تأريخ قريش؛ بل يريد به عروة فخرًا موهومًا لا أساس له.

النبي ﷺ؟! هذا محال محال.

5- **أما** ما ذُكِرَ من أن النبي ﷺ حاول أن يتردَّى مرارًا لولا أن جبريل منعه، وذلك بعد موت ورقة، وفُتُورِ الوحي -فبهتانٌ، و زورٌ، وكَذِبٌ أُرِيدَ به تكميل الدور الذي رُسِمَ لورقة؛ فلو كان حيًّا لقيل: إن الذي منعه من التردي ورقة وسيقولون: إن النبي ﷺ استمع لورقة أكثر من جبريل الذي لم يستمع إليه أوَّلًا؛ فكرر محاولة التردِّي، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم! **أين** ذهب تأديبُ الله واصطفاؤه لرسوله وحفظُهُ و عنايته بنبيه؟ **وأين** العصمة من ارتكاب خطيئةِ قتلِ نفسه التي هي أطهرُ نفسٍ اختارها الله ختامًا لهداية البشر؟

فترة الوحي واقتران إسرافيل عليه السلام بالنبي ﷺ:

اختلفت الأقوال في مدة تَأَخُّرِ الوحي بين ثلاث سنوات، وسنتين ونصف، وستة أشهر، ونصف شهر، وقيل: غير ذلك[1]، وقيل: إن إسرافيل قُرِنَ به ﷺ في فترة الوحي، وقيل: قُرِنَ به قبل الوحي[2]، وبعد الوحي قُرِنَ به جبريل وبواسطته نزل القرآن، وروي أنهما قُرِنَا به منذ السابعة من عمره إلى التاسعة عشرة يُعَلِّمانه ولا يراهما، والله أعلم[3].

عودة الوحي وتتابعه:

قال ﷺ: بينما أنا أمشي إذ سمعتُ صوتًا من السماء، فرفعتُ بصري فإذا المَلَكُ الذي جاءني بِحِرَاءَ جالسٌ على كرسي بين السماء والأرض؛ فَرُعِبْتُ مِنْهُ؛ فرجعت

---

(1) فتح الباري 1/ 36، والسيرة لدحلان بهامش السيرة الحلبية 1/ 163.

(2) السيرة الحلبية 1/ 244. وابتسام البرق 80، والمصابيح لأبي العباس ص 137.

(3) ابتسام البرق 80، **وجاء** في نهج البلاغة ص 469 خطبة رقم (190) عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: لقد قرن الله به ﷺ من لدُن أَنْ كان فطيمًا أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريقة المكارم، ومحاسنَ أخلاقِ العالم ليله ونهاره.

فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾[المدثر:1-5]، **فحمي الوحيُ وتتابع.**
والرجز: الأصنام[1].

صفة الوحي:

سُئِلَ ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ فقال ﷺ: «أحيانًا يأتيني مثل صَلْصَلَةِ الجَرَسِ وهو أَشَدُّهُ عَلَيَّ؛ فَيَفْصِمُ عني وقد وَعَيْتُ عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي المَلَكُ رجلًا فيكلمني فَأَعِيْ ما يقول»، **قالت عائشة**: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد **فَيَفْصِمُ عَنْهُ** وإن جبينه **لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا**[2].

والمروي أن جبريل كان يأتي في صورة دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ[3]، **وأنه** نزل عليه 24 أَلْفَ مَرَّةٍ، وعلى آدم 12 مرة، وإدريس 4 مرات، ونوح 50 مرة، وإبراهيم 42 مرة،

---

(1) البخاري رقم 4 ورقم 4671، ومسلم 1/ 143، **وانظر**: سبب نزول المدثر في المصابيح الساطعة 1/ 335 قال: **وسَبَبُ** تَدَثُّرِ رسول الله ﷺ أن الوليد بن المغيرة المخزومي لعنه الله جمع قريشًا في دار الندوة، ثم قال: يا معشر قريش إن هذا الإنسان قد ادعى ما ادعى، والعرب تَفِدُ عليكم وتأتي بلدكم، فلا يزال السائل يسأل عنه بعضكم فيقول شيئًا، ويسأل آخر فيقول له شيئًا آخر، فَاشْتَوِرُوا وَأَجْمِعُوا له أمركم وكلمتكم حتى يكون قولكم فيه قولًا واحدًا، فما تقولون إِنَّهُ؟ **فقال بعضهم**: مجنون، فعبس في وجهه، ثم قال: ليس هذا بقول، وليس هو وأبيكم بمجنون، **فقال بعضهم**: شاعر؛ فَقَطَّبَ في وجهه أيضًا، وقال: ليس هذا بشاعر، قد سمعنا الشعر وقلناه فليس هذا على مجراه، **فقالوا**: كاهن. قال: ولا بكاهن، ليس يَغْبَى على العرب الكاهن، **فقال بعضهم**: ساحر، فقال لهم: وما الساحر؟ وما يعمل؟ فقالوا: يفعل فِعْلًا يُفَرِّقُ به بين المرء وزوجه، ويُحَبِّبُ المُبْغَضَ، وَيُبَغِّضُ الحبيب، فقال: هذا إذًا، قد والله يفعل محمد ذلك، فَأَجْمِعُوا كلمتكم على أنه ساحر، فخرجتْ قريش من دار الندوة، فلم يلق أحدٌ منهم رسول الله ﷺ إلا قال: يا ساحر؛ فاشتد ذلك عليه ﷺ فخرج حتى أتى منزله فطرح نفسه، وتدثر بلحافه من شدة الغم وما نزل به لقولهم من الهم، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾، وهذا منسجم مع سياق السورة بالفعل، **وهو** الراجح عندي.

(2) البخاري رقم 2، ومسلم رقم 2333 كتاب الفضائل، والسيرة لابن كثير 1/ 421.

(3) الخزرجي، أسلم قديمًا قبل بدر، ولم يشهدها، وشهد أُحُدًا وما بعدها، وبَقِيَ إلى زمن معاوية، وكان جميلًا، أرسله رسول الله ﷺ إلى قيصر، الاستيعاب 2/ 45، والمصابيح 130، والطبقات 4/ 249-251.

وموسى 400 مرة، وعيسى 10 مرات[1]، **وكان** يعاني من التنزيل شِدَّةً يكرره بعد جبريل خَشْيَةَ أن يَتَفَلَّتَ منه؛ فأنزل الله عليه: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾[القيامة:16-19]؛ أي إنَّ علينا جمعه في صدرك، فإذا قرأناه بواسطة جبريل فاتبع قرآنه -أي قراءته، ثم إنَّ علينا أن نبين ما يُشْكِلُ أو يلتبس عليك؛ فكان يسمع بعد ذلك من جبريل وكأنما يُنقَرُ في صدره[2]، **رُوِيَ** أن جبريل تَبَدَّى له ﷺ في أحسن صورة، وأطيب رائحة فقال: يا محمدُ إِنَّ اللهَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، ويقولُ لك: أَنْتَ رَسُولِي إلى الجِنِّ وَالإِنْسِ؛ فَادْعُهُمْ إِلَى قَوْلِ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله، ثم ضرب بِرِجْلِهِ الأرضَ فَنَبَعَتْ عينٌ ماء فتوضأ منها جبريل، ثم أمره أن يتوضأ، وقام جبريل يصلي، وأمره أن يُصَلِّيَ معه؛ فعلمه الوضوء والصلاة، ثم عَرَجَ إلى السماء، ورجع رسول الله لا يمر بحجر ولا مدر ولا شجر إلا وهو يقول: السَّلامُ عليك يا رسولَ اللهِ[3].

فرض الصلاة[4]:

كان أَوَّلُ فَرْضِهَا ركعتين، ثم إن الله أَقَرَّهَا في السَّفَرِ كذلك، وأتمها في الحضَرِ أربعا[5]، **وقيل**: كانت بالصباح والعشي، **روى** ابن إسحاق أن الصلاة حين فُرِضَتْ

---

(1) في فتح الباري 1/ 20 والمواهب اللدنية 1/ 112عنه: إنه كان يأتيه على 46 نوعًا، وغالبها من صفات حامل الوحي.

(2) البخاري1/ 7 رقم 5، ورقم 4644 بتصرف يسير، والطبقات 1/ 197، والفتح 1/ 29، والسيرة لابن كثير 1/ 425، والطبري 14/ 20/ 232، والدر المنثور 6/ 467.

(3) السيرة الحلبية بما يقاربه ص224، والسيرة لابن كثير 1/ 405، وتأريخ الاسلام 128 السيرة النبوية.

(4) **اختلف** متى فُرِضَتِ الصلاةُ؟ **فمنهم** من قال: ليلة الإسراء، **ومنهم** من قال: قبل ذلك، وهو الصحيح؛ لأن **الإسراء** كان قبل الهجرة بسنة في رواية ابن عباس، **وقيل**: قبل الهجرة بستة أشهر على رواية السُّدِّيِّ، **وقيل**: ليلة السبت 17 شهر رمضان في السنة 12 من المبعث قبل الهجرة بـ18شهرًا. **ذكره** الواقدي، **وكان** ﷺ يصلي قبل ذلك بمدة كبيرة، **وفي** ذلك أخبار جمة. **ينظر**: جلاء الأبصار للحاكم الجشمي (خ) ص 73.

(5) المواهب اللدنية 1/ 112، وينظر في فرض الصلاة: السبل 2/ 398.

على رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بِعَقِبِهِ في ناحية الوادي؛ فانفجرتْ منه عين، فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله ﷺ ينظر إليه ؛ ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله ﷺ كما رأى جبريل توضأ، ثم قام به جبريل فصلى به، وصلى ﷺ بصلاته، ثم انصرف جبريل عليه السلام، فجاء رسول الله ﷺ خديجة فتوضأ لها؛ ليُرِيَهَا كيف الطهور للصلاة، كما أراه جبريل، فتوضأت كما توضأ لها رسول الله ﷺ، ثم صَلَّى بها رسول الله ﷺ كما صَلَّى به جبريل، فَصَلَّتْ بصلاته[ابن هشام 1/ 261].

الدروس والعبر:

1- لم ينزل الوحي على رجل مغمور، ذي ماضٍ مَشْبُوهٍ، بل على أكرم عربي، من أكرم قبيلة، عُرِفَ بالصدق والأمانة، وتميَّزَ بطهارة السلوك، ونقاء السريرة، وكأنه مَلَكٌ يمشي على الأرض، ما جُرِّبَتْ عليه كَذْبَةٌ، ولا عُثِرَ له على زَلَّةٍ، ولا رُصِدَتْ له هَفْوَةٌ؛ وهكذا يُخْتَارُ رِجَالُ المُهِمَّاتِ الجِسَام.

2- مِنْ حِكْمَةِ اللهِ أن بقي النبي ﷺ أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب ولا يقول شِعْرًا؛ فلو كان ذا ثقافة عالية، وصاحب مُعَلَّقَاتٍ مُذْهَبَةٍ- لقال المُرْتَابُونَ: إن القرآن من إبداعه، لكنه كما قال تعالى:﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذٗا لَّٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ﴾[العنكبوت:48]، ﴿وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾[يس:69]، قال البوصيري:

كَفَاكَ بِالْعِلْمِ في الأُمِّيِّ مُعْجِزَةً ... في الجَاهِلِيَّةِ وَالْتَّأْدِيْبِ في الْيُتُمِ

3- قال تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[البقرة:185]، **ومن** مزايا هذا الشهر أنه شهر الجهاد الأصغر والأكبر، و نذكر هنا ما يتسنى لنا:

أ- أنزل الله فيه جميع الكتب المنزلة على أنبيائه، وأنزل القرآن في ليلة القدر منه.

ب- أكرم الله محمدًا ﷺ بالرسالة في ليلة القدر منه.

ج- اختصه الله بالصومِ؛ والصومُ مدرسة يتربى فيها الصائم على طهارة النفس، وعفة الضمير، والصبر، والأمانة، وتَرْكِ أمهات الشهوات: المأكل، والمشرب، والمنكح؛ ليكون على تَرْكِ السيئاتِ والعاداتِ الضارة أقدر، وإذا جاع الصائم أو عطش فلعله يُحِسُّ بالجياع فَيَمُدُّ لهم يد المساعدة.

د- وَقَعَتْ في 17 منه أهمُّ المعارك الإسلامية **وهي** معركة بدر الكبرى **فَجْرُ** الإسلام، **وفتحَ** الله على نبيه ﷺ مكة المكرمة في 10 منه.

هـ- في شهر رمضان ليلة القدر وهي خير من ألف شهر بنص القرآن؛ **أما سبب تخصيص** هذه المدة فهو أن رسول الله ذكر أن رجلًا من بني إسرائيل لَبِسَ السلاح في سبيل الله ألف شهر؛ فعجب المؤمنون من ذلك، وتقاصرتْ إليهم أعمالهم؛ فَأُعْطُوا ليلة القدر التي هي خير من مدة ذلك الغازي(1)، والله أعلم بصحة ذلك.

وقيل: إن الرجل فيما مضى ما كان يقال له: عابد حتى يعبد الله ألف شهر؛ فَأُعْطُوا ليلة القدر، إنْ أَحْيَوْهَا كانوا أَحَقَّ بأن يُسَمَّوْا عابدين من أولئك العُبَّادِ(2)؛ ولأن الألف شهر تزيد على ثمانين سنة وهو عمر طويل، **قال** زهير بن أبي سُلْمَى:

سَئِمْتُ تكاليفَ الحياةِ ومَنْ يَعِشْ ... ثمانين حَوْلًا لا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

4- نَبَّهَتِ هذه الآياتُ الكريماتُ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾- على المكانة التي ينبغي أن **تَحْتَلَّهَا** الأمة المسلمة في ميدان الثقافة؛ **واشتمالُ** السورة على خفايا عِلْمِ الأجنة- **إشارةٌ** إلى وجوب أن تكون أمة **محمد** ﷺ سَبَّاقةً في **مجال** البحوث الطبية ونحوها.

5- في نزول جبريل إلى النبي ﷺ بهذه الآيات البديعة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن

(1) الكشاف 4/ 780، وتفسير القرطبي 20/ 89، وتفسير البغوي 6/ 469.
(2) تفسير القرطبي 20/ 89، والكشاف 4/ 780، وتفسير ابن كثير 4/ 530، ومجمع البيان للطبرسي 10/ 409.

تَسۡتَكۡثِرُ﴾- سِرٌّ من أسرار هذا الدين، فكأن جبريل يقدم البطاقة الشخصية لمحمد ﷺ وأمته في سورة العلق والمدثر، مكتوب عليها: أنتم أُمَّةُ القراءة، وبُنَاةُ الحضارة، وعلماءُ الطب، وحَمَلَةُ الدعوة، وأنتم البيئة الطاهرة، وأنتم أهل العزيمة الفولاذية، والإرادة الحديدية؛ **إِنَّ عَجَبِي** لا يكاد ينقضي حين أقرأ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ بعد: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ وقَبْلَ: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ أي اتْرُكِ الأصنام؛ **وأتساءلُ**: أبَلَغَ دينُنَا في الاهتمام بالنظافة والمظهر الأنيق إلى هذا المستوى؟! **نعم**، فلا يَجْدُرُ بمن يقود العالم إلى الله إلا أن يكون نظيفًا، أنيقًا، صحيحَ الجسم والعقل، طاهرَ الظاهر والباطن، **إني** لأستحيي لحاملي البلهارسيا والسُّلِّ أن يذهبوا إلى من بيدهم مقود الحضارة، والراكبين صهوة التقدم، لدعوتهم إلى الإسلام؛ أما كان الأجدر بنا أن نستر عوراتنا حتى نُشْفَى من مرض التأخر المزمن، والتخلف المُزْرِي، وندع الإسلام يدعو لنفسه بنفسه؟! - مع احترامي للمخلصين البررة.

6- قد كان النبيﷺ مُهَيَّأً للوحي؛ إذ قرن الله به مِنْ كرام ملائكته مَنْ يعلمه مكارم الأخلاق، وقد عَبَّرَ عن ذلك ﷺ بقوله: «أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي»؛ فجاءه بالحق المبين كضوء الصباح - وليس كما يُرَوِّجُ بعضُ المستشرقين بأنه صفاءٌ روحيٌّ، وبلوغُ النهاية في التأمل، **وبعضهم** - وإنْ قارب الاعتراف بنبوة محمد ﷺ ووَصَفَهُ بالعبقرية، والحُنْكَةِ، والدهاء، والعظمة - لَكِنَّ هذه الصفات- إن لم تتصل بالوحي- صفاتٌ إنسانية، والنبوةُ شيء آخر فوق مستوى البشر يَخُصُّ اللهُ بها مَنْ يَشَاءُ من عباده؛ فيتحدث باسم الله ويُبَلِّغُ عنه، **وقد شاء الله** أن يدحض فِرْيَةَ الناسبين آياتِ الوحي إلى التأمل وبلوغ ذُرْوة الصفاء الروحي بما أودع في آياته الباهراتِ من الأدلة القاطعة أنه من عند الله؛ **فها** هو الأُمِّيُّ يُؤْمَرُ بالقراءةِ، ورَفْعِ رايةِ القلمِ، ويتحدى الخطباءَ والشعراءَ وأربابَ البيانِ، ويطلبُ من الجن والإنس أَنْ يَأْتُوا بسورةٍ مِنْ مثله

-ويَعْجِزُ الجميع- وما يزال التحدي قائمًا؛ **أَيَقْدِرُ** محمدٌ على كل هذا؟[1] ثـم يتحـدث عن العلق؛ وهو حديث عن عالم النُّوَيَّةِ في علـم الأجِنَّـةِ، وتكـاثُرِ الخلايـا لتنقـسم إلى عناصر أساسية تتكون منها الأنـسجة التـي تتـشكل بـدورها إلى مكونـات العظـام، والتجاويف، والعصب، واللحم، والعروق؛ سبحان الله! **إنَّ** مصطلح **العَلَقِ** لَمْ يَعْرِفْـهُ العَالَمُ على وجه الدقة إلا عند ظهور التصوير المتحرك في بـدايات هـذا القـرن تقريبًـا؛ فمن أين لمحمد ﷺ هذا الاكتشاف المُبَكِّرُ في المجتمع البدوي؟ لولا أنـه كـلام الـذي أَوْدَعَ أُلوفَ الحيوانات المنوية في المِلِّيمتر المربع! وصدق الله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[فصلت:53].

أسرة الرسول ﷺ وإسلام خديجة رضي الله عنها:

بَرَزَ الدَّوْرُ العظيم والحميم لأسرة النبي ﷺ في التفافها حوله، وإيمانها المطلق بـه؛ **فهذه** السيدة خديجة رضي الله عنها تَلْوِي عُنُقَ الزمانِ إعجابًا بها، وهي تقول لزوجها الـصادق: كَلاَّ وَاللهِ لَنْ يُخْزِيَكَ اللهُ أَبَدًا -وَعَدَّدَتْ له خصال الخير التي يفعلها: تَـصِلُ الـرَّحِمَ، وتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وتَحْمِلُ الكَلَّ، وتُعِـينُ عَـلَى نَوَائِـبِ الْحَـقِّ[2]، وَتَمُدُّ يَدَهَا مُعْلِنَةً إِيمَانَهَا بِثِقَةٍ، وَقَنَاعَةٍ، ومعرفةٍ تامَّةٍ بنزاهـةِ وأمانـةِ وَصِـدْقِ زوجهـا النبي ﷺ؛ فَكُلُّ ذرة فيه تشهد له بأنه أصدق بني آدم؛ فظفرتْ بِسَبْقِ الناسِ كُلِّهِمْ إلى الإسلام؛ **وَمَنْ** أَجْدَرُ بهذا الشرف والمجد من خديجـة؟! **أليـست** هـي التـي قالـت: أَبْشِرْ يَابْنَ عَمٍّ واثْـبُتْ، فَوَالذي نفسُ خديجـةَ بيـده إني لأرجـو أن تكـونَ نَبِـيَّ هـذه

---

(1) **قد** بهرني كتابان في إثبات وتثبيت النبوة لِعَلَمَينِ من أعلام العلم الشوامخ؛ **فالإثبات** للإمـام المؤيـد بـالله أحمد بن الحسين الهاروني الزيدي، **والتثبيت** لقاضي القضاة عبدالجبار المعتزلي، مع بعض التحفظـات عـلى الأخير في بعض رؤاه حول الصحابة، مثل تبريره إغداق عثمان العطايا على بني أمية، **وقد** أثنـى المحـدثون على كتابه هذا ثناء كبيرًا، وهما مطبوعان.

(2) البخاري 1/ 4، و 4/ 1894 رقم 4670، وعبدالرزاق 5/ 321 رقم 9719.

الأمة[ابن هشام 1/ 254]؛ **إنها** قَدَّمَتْ لله ورسوله كُلَّ ما تقدر عليه، وكانت لرسول الله ﷺ رُكْنًا رَكِينًا في أيامه الحالكة لم يُنَافِسْهَا إلا أبو طالب وابنه عليٌّ؛ لذلك كَرَّمَهَا الله ورسولُه؛ فكانت أهلًا لأن تكون مع ابنتها الزهراء على رأس سيدات نساء العالمين، **وأن** تكون أَمَّ المؤمنين الأولى والوحيدة ربع قرن.

السابقون بعد خديجةرضي الله عنها:

قال ابن إسحاق: ثم كان أَوَّلَ ذَكَرٍ من الناس آمن برسول الله ﷺ، وصَلَّى معه وصَدَّقَ بِمَا جاءه من اللهِ تعالى عَلِيُّ بنُ أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم رضوان الله وسلامه عليه، وهو يومئذ ابن عشر سنين(1)، **روى عفيف الكندي** -وكان تاجرًا- أنه جاء إلى مكة فشاهد رجلًا وغلامًا وامرأةً يُصَلُّونَ، فَسَأَلَ العباسَ؛ فأخبره بأَنَّ الرَّجُلَ مُحَمَّدٌ، وَالغُلامَ عليٌّ، وَالمرأةَ خديجةُ، وقال: هذا دِيْنٌ جاء به ابن أخي، وما على وجه الأرض على هذا الدين غيرُ هؤلاءِ الثلاثة(2)! **قال المسعودي** في مروج الذهب2/ 276: **ذهب** كثير من الناس إلى أن عليًّا لم يُشْرِكْ باللّه شيئًا فيستأنفَ الإسلام، بل كان تابعًا

---

(1) ابن هشام 1/ 262، و الحلبية 1/ 268، وتأريخ الطبري 2/ 309، وأسد الغابة 4/ 88، وعيون الأثر 1/ 179، والبداية والنهاية لابن كثير 3/ 34-35، ومحمد رسول الله 68، ودلائل النبوة 2/ 160، وتاريخ المسعودي 2/ 176، وابن كثير 1/ 428، والطبري 2/ 310، وتأريخ دمشق 42/ 27، والمصنف لعبد الرزاق 5/ 325. **وقد** أوسع في ذلك في شرح النهج 4/ 219، رجح أبو جعفر الإسكافي أن عمره حين أسلم 15 عامًا.

(2) الخصائص 27، والاستيعاب 3/ 201، والحاكم 3/ 183، **ووافقه** الذهبي على تصحيحه، وأسد الغابة 4/ 47، وتهذيب الكمال 20/ 184، والسيرة لابن كثير 1/ 430، والبداية 2/ 34، والطبري 2/ 313، والمنتظم 2/ 359، وتأريخ ابن الوردي 1/ 99، وتأريخ الاسلام للذهبي، والسيرة النبوية 137، واليعقوبي 1/ 343، وسيرة سيد المرسلين 1/ 330، والصحيح من سيرة النبي2/ 320، والاعتصام 1/ 274، وابن الصلاح في كتابه معرفة علوم الحديث **وقال:** والأورع أن يقال: أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان أو الأحداث عليٌّ، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال، ومثله قال ابن كثير في البداية 3/ 36. **أقول: هذا** التقسيم لا علاقة له بالورع؛ و إنما هو نَفَاسَةٌ على عليٍّ أن يحوز قَصَبَةَ السَّبْقِ، وليس مِنَ الوَرَعِ في شيء أن يُنْتَقَصَ سابقٌ مِنْ سَبْقِهِ، وليس هذا أول ظلم لِحَقَ بعلي عليه السلام؛ فلا قوة إلا بالله.

للنبي ﷺ في جميع أفعاله مقتديًا به، وبلغ وهو على ذلك، وأن الله عَصَمَهُ وسَدَّدَهُ ووَفَّقَهُ لِتَبْعِيَّتِهِ لنبيه ﷺ؛ إلا أنهما كانا غير مُضْطَرَّيْنِ ولا مَجْبُوْرَيْنِ على فعل الطاعات، بل مختارين قادرين؛ فاختارا طاعة الرب، وموافقة أمره، واجتناب منهياته.

ومنهم من رأى أنه أَوَّلُ مَنْ آمَنَ من الرجال، وأن الرسول دعاه وهو موضع التكليف بظاهر قوله عز و جل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:214]، وكان بَدْؤُهُ بعليٍّ؛ إذ كان أَقْرَبَ الناسِ إليه، وَأَتْبَعَهُمْ لَهُ، **قال ابن إسحاق**: وحدثني عبدالله بن أبي نَجِيْحٍ، عن مجاهد بن جَبْرٍ أبي الحجاج قال: وكان من نعمة الله على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ومما صنع الله له، **وأراد** به من الخير- أن قريشًا أصابتهم أَزْمَةٌ شديدة، **وكان** أبو طالب مُعْسِرًا؛ فقال رسول الله ﷺ للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم: «يَا عَبَّاسُ قَدْ أَصَابَ النَّاسَ مَا تَرَى مِنْ هَذِهِ الأَزْمَةِ، فَانْطَلِقْ بِنَا إِلَيْهِ فَلْنُخَفِّفْ عَنْهُ مِنْ عِيَالِهِ»، فقال العباس: نعم، فانطلقا فقالا له: إنَّا نريد أنْ نُخَفِّفَ عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه، فقال لهما: إذا تركتما لي عَقِيْلًا فاصنعا ما شئتما، فأخذ العباس جعفرًا، وأخذ رسولُ الله ﷺ عليًّا فضمَّه إليه، **فلم** يَزَلْ عليٌّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تبارك وتعالى نَبِيًّا، فاتَّبَعَهُ علي ﷺ وآمن به وصدقه[1]، **ولم** يفارق عليٌّ رسول الله حتى أنزله القبر، وكان آخِرَ الناسِ عَهْدًا به[2]. **وكان** أَوَّلَ ذَكَرٍ أسلم بعد علي زيدٌ بنُ حارثة ﷺ مَوْلَى رسول الله ﷺ[3]، **ثم** أسلم أبو بكر الصديق ﷺ واسمه عبدالله، وَلُقِّبَ بعتيق بن عثمان

---

(1) سيرة ابن هشام 1/ 262. **قال الإمام علي**ﷺ: وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ. نهج البلاغة من خطبة طويلة تسمى القاصعة ص 469 رقم 190. **و العَرْفُ** بالفتح: الرائحة الذكية. **والخطل**: الخطأ؛ ينشأ من عدم الروية.

(2) نزل علي ﷺ في حفرته ﷺ مع الفضل وقثم بن العباس. انظر: طبقات ابن سعد 2/ 300، وسيرة ابن هشام 4/ 314، وابن كثير 4/ 529، وتاريخ الإسلام السيرة النبوية ص 581، والبداية والنهاية 5/ 266.

(3) ابن هشام 1/ 264، وعيون الأثر 1/ 182، وابن كثير 1/ 428.

أبي قُحَافَةَ من بني تَيْم[1]، **وكان** عالمًا بأنساب قريش، تاجرًا، ذَا خُلُقٍ ومعروف، مألوفًا لعلمه، وتجارته، وحُسْنِ مجالسته، فكان يدعو إلى الإسلام مَنْ يثق به، **فقيل**: أسلمَ بدعائِهِ عثمانُ بن عفان، والزبيرُ بن العَوَّامِ، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله ﷺ. **ثم** أسلم أبو عبيدة عامرُ بن الجراح، وأبو سَلَمَةَ عبدُالله بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان بن مَظْعُونٍ، وأخواه قُدَامَةُ وعبدالله، وعُبَيْدَةُ بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وامرأته فاطمة بنت الخطاب أخت عمر، وأسماء بنت أبي بكر، وعائشة وهي صغيرة، وخَبَّابُ بن الأَرَتِّ، وعمير بن أبي وقاص[2]، وعبدالله بن مسعود، ومسعود بن ربيعة، وجعفر بن أبي طالب، وأم أيمن[3] ﷺ أجمعين.

إسلام أبي ذر[4]: أسلم بعد ثلاثة، **وقيل**: بعد أربعة، **وقيل**: كان خامسًا، **وكان** يتأله في الجاهلية، ويقول: لا إله إلا الله ولا يعبد الأصنام.

أخرج البخاري[رقم 3328] ومسلم [رقم 2474] عن ابْنِ عَبَّاسٍ قال: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِإِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ؟ قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كُنْتُ رَجُلًا مِنْ غِفَارٍ، فَبَلَغَنَا أَنَّ رَجُلًا قَدْ خَرَجَ بِمَكَّةَ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقُلْتُ لِأَخِي: انْطَلِقْ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ كَلِّمْهُ، وَأْتِنِي بِخَبَرِهِ، فَانْطَلَقَ فَلَقِيَهُ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقُلْتُ: مَا عِنْدَكَ ؟فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ، وَيَنْهَى عَنْ الشَّرِّ، فَقُلْتُ لَهُ: لَمْ تَشْفِنِي مِنْ الْخَبَرِ، فَأَخَذْتُ جِرَابًا وَعَصًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَى

---

(1) روى الطبري 2/ 316 أنه أسلم قبل أبي بكر جماعة، قَدَّرَهُمْ بخمسين، **قال الراوي**: ولكنه كان أفضلهم إسلامًا. **والمشهور** أنه أسلم بعد زيد بن حارثة، والله أعلم.

(2) يُذْكَرُ عمير بن أبي وقاص في السابقين إلى الإسلام- **وقد** روي أنه استشهد في غزوة بدر، وكان النبي ﷺ استصغره لما أراد المسير إلى بدر؛ فبكى فأجازه ﷺ، وكان سيفه طويلًا، وكان عمره حين استشهد 16سنة- **فعلى** هذا فَذِكْرُهُ في السابقين مشكل؛ لأنه عند البعثة كان عمره لا يتجاوز السنة. الاستيعاب 4/ 273.

(3) ابن هشام 1/ 269، وتاريخ الإسلام السيرة ص 139، وعيون الأثر 1/ 183.

(4) أسد الغابة 6/ 96، والسبل 2/ 421، والرسالة المحمدية 15.

مَكَّةَ، فَجَعَلْتُ لَا أَعْرِفُهُ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْأَلَ عَنْهُ، وَأَشْرَبُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ، وَأَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: كَأَنَّ الرَّجُلَ غَرِيبٌ، قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ، قَالَ: فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ وَلَا أُخْبِرُهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ لِأَسْأَلَ عَنْهُ وَلَيْسَ أَحَدٌ يُخْبِرُنِي عَنْهُ بِشَيْءٍ، قَالَ: فَمَرَّ بِي عَلِيٌّ، فَقَالَ: أَمَا نَالَ[آنَ] لِلرَّجُلِ يَعْرِفُ مَنْزِلَهُ بَعْدُ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: انْطَلِقْ مَعِي، قَالَ: فَقَالَ مَا أَمْرُكَ؟ وَمَا أَقْدَمَكَ هَذِهِ الْبَلْدَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنْ كَتَمْتَ عَلَيَّ أَخْبَرْتُكَ، قَالَ: فَإِنِّي أَفْعَلُ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: بَلَغَنَا أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ هَا هُنَا رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَرْسَلْتُ أَخِي لِيُكَلِّمَهُ فَرَجَعَ وَلَمْ يَشْفِنِي مِنَ الْخَبَرِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَلْقَاهُ، فَقَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّكَ قَدْ رَشَدْتَ هَذَا وَجْهِي إِلَيْهِ فَاتَّبِعْنِي ادْخُلْ حَيْثُ أَدْخُلُ؛ فَإِنِّي إِنْ رَأَيْتُ أَحَدًا أَخَافُهُ عَلَيْكَ قُمْتُ إِلَى الْحَائِطِ كَأَنِّي أُصْلِحُ نَعْلِي وَامْضِ أَنْتَ، فَمَضَى وَمَضَيْتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ وَدَخَلْتُ مَعَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْرِضْ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ، فَعَرَضَهُ، فَأَسْلَمْتُ مَكَانِي، فَقَالَ لِي: يَا أَبَا ذَرٍّ اكْتُمْ هَذَا الْأَمْرَ وَارْجِعْ إِلَى بَلَدِكَ، فَإِذَا بَلَغَكَ ظُهُورُنَا فَأَقْبِلْ، فَقُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، فَجَاءَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَقُرَيْشٌ فِيهِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَقَامُوا فَضُرِبْتُ لِأَمُوتَ، فَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: وَيْلَكُمْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا مِنْ غِفَارَ وَمَتْجَرُكُمْ وَمَمَرُّكُمْ عَلَى غِفَارَ! فَأَقْلَعُوا عَنِّي، فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ الْغَدَ رَجَعْتُ فَقُلْتُ مِثْلَ مَا قُلْتُ بِالْأَمْسِ، فَقَالُوا: قُومُوا إِلَى هَذَا الصَّابِئِ، فَصُنِعَ بِي مِثْلَ مَا صُنِعَ بِالْأَمْسِ، وَأَدْرَكَنِي الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيَّ، وَقَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ بِالْأَمْسِ، قَالَ: فَكَانَ هَذَا أَوَّلَ إِسْلَامِ أَبِي ذَرٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وروي أنه جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أما قريش فلا أدعهم حتى أثأر منهم، ضربوني، فخرج حتى أقام بعسفان، وكلما أقبلت عير لقريش يحملون الطعام ينفر

بهم على ثنية غزال فتلقي أحمالها، فجمعوا الحنط، قال: يقول أبو ذر لقومه: لا يمس أحد حبة حتى تقولوا: لا إله إلا الله، فيقولون: لا إله إلا الله ويأخذون الغرائر.

وأيضًا كان يعترض لعيرات قريش فيقتطعها، ويقول: لا أرد إليكم منها شيئًا حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فإن فعلوا رد عليهم ما أخذ منهم، وإن أبوا لم يرد عليهم شيئًا. فكان على ذلك حتى هاجر رسول الله ﷺ، ومضى بدر وأحد، ثم قدم فأقام بالمدينة مع النبي ﷺ.

وأسلم على يديه نصف قبيلة غفار، وواعده الباقون بالإسلام عند قدومهم على النبي المدينة[طبقات ابن سعد 4/ 225].

الدروس:

1- أبو ذر من الطراز النادر في صلابته في الدين لا يخاف في الله لومة لائم، عرف عنه الصدق والصراحة، ولو كلفه غاليًا، **وهذا** الموقف من أول الأدلة؛ حيث صرخ بإسلامه، وَلْيَكُنْ ما كان، فلماذا يتخفى وقد عرف الله ورسوله وأسلم لله قياده؟! وكان أهلًا لقول النبي ﷺ فيه: «ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[1] ، **وقد** وقف أمام دنيا بني أمية زمن عثمان؛ فَأُخْرِجَ إلى الشام، وأنكر على معاوية فَرُدَّ بعنف إلى المدينة، ثم نُفِيَ إلى الربذة، ولم يجد من يشيعه سوى الإمام علي والحسنين، ومات هناك؛ إنه مع عمار وعلي ضربوا أصدق الأمثلة للمسلم الصلب الذي لا وزن للدنيا عنده إزاء الآخرة.

2- طريقة الإمام علي في المحافظة على عنصر السرية؛ حتى لا ينتبه المشركون إلى طبيعة تحركاته، **ومثل** إيصاله أبا ذر إلى الرسول الأعظم- يدل على حنكة ودهاء

---

(1) أخرجه الطبري في تهذيب الآثار مسند علي ص 158، وابن أبي شيبة في المصنف 6/ 388 رقم 32267، والترمذي رقم 3801، وابن ماجة رقم 156.

وبصر بالأمور؛ فهو يريد إيصال أبي ذر دون أن يتعرض لمكروه، فاخترع حيلة ذكية إن لزم الأمر، **وقد** برع علي ﷺ في إعداد نفسه على يد النبي ﷺ حتى فاجأ قريشًا ببسالته يوم بدر رغم صغر سنه؛ **وبهذا** الذكاء الشديد كان يخدم النبي ﷺ قبل الهجرة دون أن يقف في وجهه عائق؛ لتفوقه بالذكاء وبراعة التمويه والحذر.

3- فِعْلُ أبي ذر تجاه قريش لم يكن للانتقام لنفسه بقدر ما كان ردعًا ومنعًا لهم من التعرض لآخرين من أمثاله؛ فكسر بذلك حاجز الخوف لدى المسلمين، **وأن** يقتحم الفرد المسلم في سبيل دينه الأخطار. **وقد** أصبح أبو ذر مضرب الأمثال في زهده، ومعلم الأجيال في صلابته في دينه مهما كلفه من ثمن.

الدعوة السرية:

كانت الدعوة إلى الإسلام همسًا ثلاث سنوات، **وقيل**: أربع(1)، والداخلون فيه لا يَرْجُونَ من محمد ﷺ شيئًا فهو فقير: فالغنيُّ عَرَّضَ نفسه وماله للمتاعب، والفقيرُ زاده إِيمَانُهُ في الله عَنَاءً؛ لكِنْ حَلاَوَةُ الإيمان عوضتهم عن كل شيء، **وفي** شعاب مكة تعلموا من رسول الله ﷺ حقيقةَ التوحيد، والصلاة، وآمنوا باليوم الآخر، وتهيؤوا له بالتزامهم بما ينزل على نبيهم من مبادئ الدين وتعاليمه، **وما** من يوم يمر إلا وازدادوا تماسكًا وصلابةً، وتَوَطَّدَتْ بينهم الأواصر؛ **والحكمة** مِنَ التَكتم أن الوثنية راسخة مألوفة، والتوحيدَ غريب مستنكر كما حكى الله عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلْأَلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾[ص:5]؛ **والإسلام** في بدايته كالنَّبْتَةِ لا تَقْدِرُ على مقاومةِ العواصف، **فلما** دَخَلَ الناسُ في دين الله جماعات وفرادى، وفَشَى ذِكْرُ الإسلامِ بمكةَ -نَاسَبَ الجهرُ بالدعوة؛ إذ لا مبرر للخفاء؛ فالمسلمون قد تلقوا دروسًا في الصبر، وَتَعَلَّقَتْ آمالهم بِاللهِ، وَعَشِقَتْ نُفُوسُهُمْ التضحيةَ في سبيله؛ **روي** أن نَفَرًا من المشركين اطَّلَعُوْا على جماعة من الصحابة فيهم سعد بن أبي وقاص وهم

(1) السبل 2/ 431، والطبري 1/ 318.

يُصَلُّونَ فِي بعض الـشِعَابِ، فنـاكروهم وعـابُوا علـيهم صـنيعهم حتـى قـاتلوهم؛ **فضرب** سعد رجلًا من المشركين فَشَجَّهُ، **فكان** أول دم سال من أجل الإسـلام[ابـن هشام 1/ 281.]؛ **فلم يَعُدْ** من المناسب إحراجُ المـسلمين وراءَ الإنكـار؛ **ولمـاذا** يـستمر التخفي وقد بان السبيل، فبدأ الجهرُ بعشيرة النبي ﷺ، ثم قومِه.

الجهر بالدعوة

أ- إنذار بني عبدالمطلب: عن عليٍّ بن أبي طالب كرم الله وجهه **قـال**: **لمـا** نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:214] -**دعاني** رسول الله ﷺ وأمـرني بذبح شاة، وإعداد طعام ولَـبَنٍ، وأن أجمع لـه بنـي عبـدالمطلب؛ **فجمعـتُهم** وهـم أربعـون رجـلًا يزيـدون رجـلًا أو ينقـصون، فـيهم أعمامـه: أبـو طالـب، وحمـزة، والعباس، وأبو لهب، فقدّمتُ إليهم جَفْنَـةً[1]، فأخـذ رسـول الله ﷺ قطعـة فـشقها بأسنانه ثم رمى بها في نواحيها **وقال**: «كُلُوا بِاسْمِ اللهِ» فأكل القوم حتى نَهِلُوا عنه مـا نرى إلا آثار أصابعهم، والله إنْ كَانَ الرجل ليأكل مثلها، **ثـم** قـال ﷺ: «اسْـقِهِمْ يَـا عَلِيُّ»، فجئت بِقَعْبٍ[2] اللبن فشربوا منه حتى نهلوا جميعًا، وَايْمُ اللهِ إن كـان الرجـل ليشرب مثله، فلما أراد ﷺ أن يكلمهم قاطعه أبو لهـب، **قـال عـليٌّ**: فـدعوتهم مـرة أخرى وصنعتُ لهم ما صنعت بالأمس، فقال لهم: يَا بَنِي عَبْـدِ الْمُطَّلِـبِ إِنِّي وَاللهِ مـاَ أَعْلَمُ شَابًّا مِنَ العَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْـضَلَ مِمَّـا جِئْـتُكُمْ بِـهِ؛ إِنِّي جِئْـتُكُمْ بِخَـيْرِ الـدُّنْيَا والآخِرَةِ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللهُ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ، فَـأَيُّكُمْ يُـؤَازِرُنِي عَـلَى هَـذَا الأَمْـرِ عَـلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِـيِّي وَخَلِيفَتِـي فِـيكُمْ؟ فَـأَحْجَمَ القَـوْمُ عَنَّـا جَمِيعًـا، **وَقُلْـتُ**: وَإِنِّي لَأَحْدَثُهُمْ سِنًّا، وَأَرْمَصُهُـمْ عَيْنًا، وَأَعْظَمُهُمْ بَطْنًا، وَأَحْمَشُهُـمْ سَاقًا: أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ أَكُـونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ؛ فَأَخَـذَ بِرَقَبَتِـي ثُـمَّ قَـالَ: «إِنَّ هَـذَا أَخِـي وَوَصِـيِّي وَخَلِيفَتِـي فِـيكُمْ؛

---

(1) أعظم ما يكون من القصاع. اللسان 13/ 91.

(2) **القَعْبُ**: هو القدح الغليظ الجافي، يَرْوِي الرجل. اللسان 1/ 683، والقاموس ص 117.

فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع، وتكلموا بكلام فيه لِينٌ وَسُخْرِيَّةٌ، وختمه أبو لهب بالتهديد بأنكم إن لم تأخذوا على يده فَسَتَهْجُمُ عليه العرب فلا يجد من يمنعه، فأجابه أبو طالب: نَحْنُ وَاللهِ سَنَمْنَعُهُ[1].

الدروس:

الأَمْـرُ جِـدٌّ وَهْـوَ غَـيْرُ مِـزَاحِ فَاعْمَـلْ لِنَفْسِكَ صَـالِحًا يَـا صَـاحِ

1 – **دَعَا** عمومته وأبناءهم إلى الإيمان بالله، **ثم** دعاهم إلى انتداب وزير يعتمد عليه في إدارة شؤون الدعوة في جو عائلي، وضيافة كريمة؛ لأن إيمانهم ووقوفهم بجانبه أمر هام لنجاح الدعوة، **وأهم** منه التركيز على شخصية الوزير.

2 – التوفيق الذي حالف عليًّا كرم الله وجهه والفرصة التي انتهزها من النادر أن تتكرر لشخص في التأريخ، **وهكذا** الموفقون والأذكياء يقرؤون ما وراء الغيب، ويهتبلون[2] الفُرَصَ فلا يَدَعُونَهَا تَفُوتُهُمْ؛ لأن ضياع الفرصة غُصَّةٌ.

3 – **عُمْقُ إِيمَانِ** علي كرم الله وجهه بَصَّرَهُ بمعنى كلام النبي ﷺ، وكشف له قناع المستقبل؛ فبادر إلى إجابته دون تردد، **ثم** إنه لو لم يُجِبْهُ لوقع النبي ﷺ في حَرَجٍ؛ إذ لم

(1) المصابيح لأبي العباس الحسني ص 142-143، والكامل لابن الأثير 2/ 41 بلفظه، وتفسير ابن أبي حاتم 9/ 2826 رقم (1015)، ومسند البزار 2/ 104 رقم 455، و3/ 19 رقم 76، ومسند أحمد 1/ 236 رقم 883 بألفاظ وأسانيد مختلفة، وتأريخ الطبري 2/ 321 بلفظ: «أن يكون أخي وصاحبي ووارثي». والبداية والنهاية 3/ 52، وتفسير الطبري 11/ 19/ 148، وتفسير ابن كثير 3/ 350، وسيرة ابن كثير 1/ 457. ولكن بلفظ: «أخي وكذا وكذا»، وكنز العمال 9/ 363 عن ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه بلفظ: «أخي ووصيي وخليفتي فيكم»، والنسائي في الخصائص 76 رقم 36 بلفظ: «أخي وصاحبي ووارثي»، ومسند أحمد رقم 1371 بلفظ: «أخي وصاحبي»، وأخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق 42/ 46 بهذا اللفظ، وبلفظ: «على أن يكون أخي وله الجنة».

(2) أي يبغون من اهتبل الصيد إذا بغاه. القاموس المحيط ص 964.

ينتدب لمؤازرته أحد من أقاربه.

4- من دلائل النبوة أن يوافق النبي ﷺ على هذا الصغير، ويقول جازمًا: «فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»؛ إنه يُعِدُّهُ إمَامًا للمسلمين؛ فلا يفوته من صفات النبي ﷺ سوى النبوة؛ ذلك ما كَشَفَتْ عنه الأيام حين أعلن النبيﷺ مَقَامَ عليٍّ منه فقال: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»[1].

5 – كان عليٌّ عليه السلام عند حسن الظن، فما من موطن إلا وهذا العهد ماثل بين عينيه، فضرب أعلى وأروع الأمثلة في الوفاء، فكم من موطن نصر الله ورسوله، ولسانُ مقاله وواقع فعاله يقول: **أنا**، وستعرف ذلك قريبًا.

6- لو كان للشهامة عنوان لكان أبا طالب؛ فما أَنْبَلَهُ و هو يقول لأخيه أبي لهب: نحن والله سَنَمْنَعُهُ، و قد حماه و منع عنه كل عَادِيَةٍ، و قد شهد بذلك رسول اللهﷺ.

ب- إنذار قومه: لما نزل قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[الحجر: 49]- صعد على الصفا فصرخ في قريش، فلما اجتمعوا قال: «أَرَأَيْتُكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ»؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقًا، قال: فإني ﴿نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ]؛ **فقال أبو لهب**: تبًّا لك سَائِرَ اليوم؛ ألهذا جمعتنا؟ فنزلت:﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ﴿٣﴾ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۢ ﴿٥﴾﴾ [المسد][2].

الدروس والعبر:

1 – ما أجمل ما بدأ به إِمَامُ الدعاة إلى الله من حجة ومنطق: **لو** حذرتكم من هجوم قريب يستأصل شأفتكم أتصدقونني؟ نعم؛ فأنت الصادق الأمين؛ **إذن** فأنا

---

(1) البخاري 4492، والفتح 8/ 501، ومسلم 1/ 194، وتأريخ الإسلام السيرة ص146.
(2) سيأتي تخريجه ص 374.

أحذركم من عذاب الله الشديد القادم.

2- لكنَّ أشقى قريش وأَشْأَمَهَا عَمَّ محمدٍ ﷺ يُغَلِّبُ منطق الوقاحة، ويقابل رسول الله ﷺ بسوء الأدب، وهبَّ بجواره أَسْوَأُ منه امرأته حمالة الحطب أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان وكانت عوراء[1]؛ **فتفرغ** الاثنان لمؤاذاته ﷺ، ولم يَفُتْ هذه الحيةَ الرقطاءَ أن تزرع الشوك في طريق النبي ﷺ لتُدمِيَ قدمه كما زرعته نَمِيْمَةً وسخرية وحقدًا؛ **ومَنْ يُشَابِهْ أَبَهُ فما ظَلَمْ**.

تلك العصى من هذه العُصَيَّهْ هل تَلِدُ الحَيَّةُ إلا الحَيَّهْ

لكنهما لم يَفُتَّا في عضد عزيمة سيد أولي العزم.

3- نصح عشيرته، وقومه من أعماق قلبه؛ إن الرائد لا يكذب أهله، وقال: «واللهِ لَوْ كَذَبْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا كَذَبْتُكُمْ، وَلَوْ غَرَرْتُ النَّاسَ جَمِيعًا مَا غَرَرْتُكُمْ، وَاللهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِنِّي لَرَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَاللهِ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوُنَّ بِالإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسُّوءِ سُوءًا، وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا، وَلَنَارٌ أَبَدًا»[2].

مرحلة الإِيذاء والمعاناة:

بعد أن جهر بدعوته بدأت قريش بالغمز واللمز والتهكم؛ فكلما مَرَّ بهم محمد ﷺ يقولون: هذا غلام عبد المطلب، أو ابن أبي كَبْشَةَ يُكَلَّمُ من السماء، لكنهم لم يَبْعُدُوا عنه ولم يَرُدُّوا عليه حتى عاب آلهتهم فأضمروا له العداوة، وناكروه، وأجمعوا على خلافه إلا من عصمه الله بالإسلام وهم قليل مَقْمُوعُون[تاريخ الإسلام 1/ 147].

دفاع أبي طالب عن رسول الله ﷺ ونصرته له: حَدِبَ[3] على رسول الله ﷺ

(1) تفسير البحر المحيط 8/ 753، و ابن كثير 4/ 564.

(2) أنساب الأشراف 1/ 135، والكامل في التاريخ 2/ 40، وسبل الهدى 2/ 432.

(3) أي عطف عليه ورق له. القاموس ص 81.

عَمُّهُ أبو طالب، وَمَنَعَهُ، وقام دونه، ومضى رسول الله ﷺ على أمر الله مُظْهِرًا لأمره لا يَرُدُّهُ عنه شيء، فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ لا يُعْتِبُهُمْ[1] من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم، ورأوا أن عمه أبا طالب قد حَدِبَ عليه وقام دونه فلم يُسْلِمْهُ لهم - مشى رجال من أشرافهم إلى أبي طالب فقالوا: إنَّ ابن أخيك قد سَبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسَفَّهَ أحلامنا، وضَلَّلَ آباءَنا: فإما أن تَكُفَّهُ عنا، وإما أن تُخَلِّيَ بيننا وبينه؛ فقال لهم أبو طالب قولًا رفيقًا، وردهم ردًّا جميلًا فانصرفوا عنه[ابن هشام 1/ 283، 284]، ومضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه، ثم شَرِيَ [تَفَاقَمَ] الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا، وأَكْثَرَتْ قريشٌ ذِكْرَ رسول الله ﷺ بينها فتذامروا فيه وحَضَّ بعضُهم بعضًا عليه، **ثم** إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا: يا أبا طالب إنَّ لك سِنًّا وشرفًا ومنزلةً فينا، وإنا قَدِ اسْتَنْهَيْنَاكَ من ابن أخيك فلم تَنْهَهُ عَنَّا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا، حتى تَكُفَّهُ عنا، أو ننازله وإياك في ذلك حتى يَهْلِكَ أَحَدُ الفريقين.

عزيمة لا تلين:

بعث أبو طالب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا بن أخي إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا؛ فَأَبْقِ عَلَيَّ وعلى نفسك ولا تُحَمِّلْنِي من الأمر ما لا أُطِيقُ؛ فظن رسول الله ﷺ **أنه** قد بَدَا لعمه فيه بَدَاءٌ[رأي جديد]، **وأنه** خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ، **وأنه** قد ضَعُفَ عن نصرته؛ فقال: «**يَا عَمِّ واللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ**»![2] **ثم** استعبر ﷺ فبكى، **ثم** قام فلما وَلَّى ناداه أبو طالب: أَقْبِلْ يَابْنَ أَخِي؛ فَأَقْبَلَ عليه، فقال: اذْهَبْ فقل مَا أَحْبَبْتَ

---

(1) **يعتبهم**: يرضيهم، ومنه **العُتْبَى**: الرضا. القاموس ص 117.

(2) المصابيح ص 183، والبداية والنهاية 3/ 63، وابن هشام 1/ 285، وتاريخ الطبري 2/ 326، وعيون الأثر 1/ 189، وسيرة ابن كثير1/ 463، 474، ودلائل النبوة للبيهقي2/ 63 رقم (495)، والروض الأنف 2/ 6.

فَوَاللهِ لاَ أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا، **ثم** إن قريشًا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله ﷺ مشوا إليه بِعُمَارَةَ بن الوليد بن المغيرة فقالوا له: هذا عُمَارَةُ بن الوليد أَنْهَدُ [أقوى] فَتًى في قريش وَأَجْمَلُهُ فَخذْهُ فَلَكَ عَقْلُه [دِيَتُهُ] ونَصْرُهُ، واتَّخِذْهُ وَلَدًا لَكَ، وَسَلِّمْ إلينا ابنَ أخيك فَنَقْتُلَهُ فإنما هو رجل برجل! **فقال**: بِئْسَ مَا تَسُومُونَنِي [تكلفونني]؟ أَتُعْطُونَنِي ابْنَكُمْ أَغْذُوهُ لَكُمْ، وَأُعْطِيكُمْ ابْنِي تَقْتُلُونَهُ.؟! **هذا** والله ما لا يكونُ أَبَدًا، **فقال** المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ- وكان صديق أبي طالب-: يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجَهِدُوا في التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئًا، **فقال**: والله ما أنصفوني، ولكنك قد أجمعت على خذلاني ومظاهرةِ القوم عَلَيَّ، فاصْنَعْ مَا بَدَا لَكَ[1].

مَنَعَ **اللهُ** رَسُولَهُ ﷺ وأعزَّ رُكْنَهُ بِعَمِّهِ العظيم أبي طالب الذي جمع بني هاشم وبني المطلب وحَثَّهُمْ على نصرة رسول الله ﷺ فاستجابوا إلا أبا لهب قبحه الله، **وقد** قال أبو طالب أشعارًا في مواجهة التحدي نلتقط منها:

ولَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ لا وُدَّ فِيهِمُ وَقَدْ قَطَّعُوا كُلَّ العُرَا والوَسَائِلِ
وَقَدْ صَارَحُونَا بِالعَدَاوةِ وَالأَذَى وقَدْ طَاوَعُوا أَمْرَ العَدُوِّ المُزَايِلِ
وَقَد حَالَفُوا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظِنَّةً يَعَضُّونَ غَيظًا خَلْفَنَا بالأَنَامِلِ
صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ وَأَبْيَضَ عَضْبٍ من تُرَاثِ المَقَاوِلِ[2]
فَأَحْضَرْتُ عِندَ البَيْتِ رَهْطِي وإِخْوَتِي وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالوَصَائِلِ[3]

---

(1) المصابيح ص 183، وابن هشام 1/ 285، والاكتفاء 1/ 214، والطبراني 2/ 327، والبداية والنهاية 3/ 64، وعيون الأثر 1/ 189، والسيرة لابن كثير 1/ 475.

(2) **المَقَاوِلُ**: الملوك، مفرده مِقْوَلٌ. ق 969؛ يريد بهم آباءه؛ **وهم** وإن لم يكونوا ملوكًا فهم أشرف منهم، **وربما** يشير إلى سيف أهداه سيف بن ذي يزن لعبدالمطلب لما وفد عليه يهنئه بالظفر على الأحباش بعد مولد الرسول ﷺ بعامين.

(3) **الوصائل**: جمع وَصِيلة. وهي برود يمنية حُمْرٌ مخططة. اللسان 11/ 729.

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ　　عَلَيْنَا بِسُوءٍ أو مُلِحٍّ بِبَاطِلِ
وَمِن كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيبَةٍ　　وَمِنْ مُلْحِقٍ فِي الدِّينِ مَالَمْ نُحاوِلِ
وَبِالْبَيتِ حَقِّ الْبَيْتِ مِنْ بَطنِ مَكَّةٍ　　وَبِاللهِ إنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلِ
كَذَبتُم وَبَيتِ اللَّهِ يُبْزَى[1] مُحَمَّدٌ　　ولَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ ونُنَاضِلِ
ونُسْلِمُهُ حتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ　　وَنَذْهَلَ عَن أَبْنَائِنَا والحَلائِلِ[2]
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ في الْحَدِيدِ إلَيكُمُ　　نُهُوضَ الرَّوَايَا تَحْتَ ذاتِ الصَّلاصِلِ[3]

ثم قال يمدح رسول الله ﷺ:

وَمَا تَرْكُ قَوْمٍ لا أَبَا لَكَ سَيِّدًا　　يَحُوطُ الذِّمَارَ غيرَ ذِرْبٍ مُواكِلِ[4]
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ　　ثِمَالَ اليَتَامَى عِصْمَةً لِلأرَامِلِ[5]
يَلُوذُ بِهِ الهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ　　فَهُمْ عِنْدَهُ فِي رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ[6]

هذا الموقف الصلب، والعزم الذي لا يلين، **وهذا** الكلام الرائع جعل طائفة من الأمة[7] يجزمون بإيمان أبي طالب ولا سيما قوله:

---

(1) **يبزى محمد**: يُقْهَر ويغلب. أراد: لا يُبْزَى محمدٌ، فحذف "لا" من جواب القسم. اللسان 14/ 73.

(2) **الحلائل**: الزوجات: مفردها حليلة. القاموس ص 907.

(3) **الروايا**: الجمال التي تحمل الماء، ولها صلصلة بالماء الذي عليها. ومفردها رواية. القاموس 1186.

(4) **الذمار**: ما يلزم حمايته. القاموس ص 371، **والذِّربُ**: الفاحش المنطق. القاموس ص 92، **والمواكل**: الذي لا جد عنده، يكل الأمور لغيره، وهو العجز. القاموس ص 987.

(5) **الثمال**: الغياث الذي يفزعون إليه. اللسان 11/ 94.

(6) وهذه أبيات مختارة من قصيدة طويلة، قالها أبو طالب في موسم الحج؛ لأن قريشًا كانت تخذل الناس منه، فخشي عمه أبو طالب دهماء العرب أن يقفوا مع قريش، فقال قصيدته في الموسم، وذكر في شعره أنه غير مسلم رسول الله، ولا تاركه لشيء أبدًا حتى يهلك دونه. ابن هشام 1/ 291، وتاريخ الإسلام للذهبي 1/ 162، 163.

(7) **وهم الزيدية**: انظر الشافي 1/ 178، والحاكم الجشمي في تفسيره 264، **والإمامية**: انظر تفسير مجمع البيان 4/ 31، **ومعهم** كثير من العلماء **منهم**: مفتي مكة الشافعي العلامة أحمد بن زيني دحلان، وقد ألَّف كتابًا سماه «أسنى المطالب في نجاة أبي طالب»، أوسع فيه الأدلة على إسلام أبي طالب. ومحمد بن رسول =

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بَأَنَّ دِيْنَ مُحَمَّدٍ مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ البَرِيَّةِ دِينَا

وقوله:

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا لُؤَيًّا وخُصًّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّدًا نَبِيًّا كَمُوسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الكُتْبِ[1]

وإنما أخفى إسلامه ليتسنى له الصمود أمام جبروت قريش، **أما الطائفة** الأخرى كالمعتزلة أو بعضها فقد توقفوا، **وأما الطائفة** الثالثة فقد قطعوا بأنه مات مشركًا؛ **أقول**: كان اللائق بهؤلاء أن يعترفوا بحقه والجميل الذي قدمه للإسلام، أفلا يستحقُّ هذا مقابل نصف قرن كَفَلَ فيه الرسولﷺ، وربَّاه، وأحبَّه، ونصره، وآزره، واستنفر حوله أهله وأولاده، ووقف كالجبل الشامخ لا تحركه العواصف، ولا تزلزله القواصف؛ أطلق لابن أخيه العنان: قل ما شئت، وافعل ما تريد؛ فَوَاللهِ لَنْ أُسْلِمَكَ لشيء أبدًا، وهل يكون عَمُّ الرسول ووالد عليٍّ إلا هكذا؟! ألم يقل ربنا سبحانه: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[الأنعام:124]، وكان يقول لولده عندما يشاهد محمدًا يصلي وحيدًا: صِلْ جَنَاحَ ابْنِ عَمِّكَ[2]؛ أيُّ عَظَمَةٍ هذه! وأيُّ مُرُوءَةٍ، وأيُّ نُبْلٍ؟! وَلَسْتُ في مقام إقناع المعتقدين بِشِرْكِهِ، ولا يترتب على هذا الأمر حكم ضروري سوى حُسْنِ الظن ما استطعنا؛ فإن رسول الله ﷺ حزن لموته وموت

البرزنجي «بغية الطالب لإيمان أبي طالب وحسن خاتمته» مطبوع بدار الكتب المصرية، ومحمد معين الهندي السندي التتوي الحنفي، «له إثبات إسلام أبي طالب»، وأبو الهدى محمد أفندي بن حسن الصيادي الرفاعي، له «السهم الصائب لكبد من آذى أبا طالب»، وأحمد فيض بن علي عارف الجورومي الخالدي الحنفي، له «فيض الواهب في نجاة أبي طالب»، والسيد العلامة محمد بن سعيد العرفي، ومحمد بن عقيل الباعلوي، والسيد حيدر بن محمد سعيد العرفي، له: «أبو طالب بطل الإسلام»، وقد ذكر في أسنى المطالب أسماء بعض العلماء الذين قالوا بنجاته، منهم الأجهوري، والتلمساني، والسيوطي، وأحمد بن الحسين الموصلي الحنفي، ومحمد بن سلامة القضاعي، والقرطبي، والسبكي، والشعراني. أسنى المطالب ص 26.

(1) ابن هشام 1/ 377، والبداية والنهاية 3/ 108، وأمالي أبي طالب ص 258، وسيرة ابن كثير 2/ 49.

(2) أسد الغابة 1/ 542، وتاريخ دمشق 54/ 165، وتاريخ بغداد 2/ 274، والإصابة 4/ 116/ 685.

خديجة حُزْنًا عظيمًا، وَسَـمَّى ذلك العام بعام الحُزْنِ، وكان دائم الحنين لذكريات أبي طالب وخديجة. **وها نحن** نرصد بعضًا من ألوان الأذى:

1- بادر أبو لهب بإظهار لؤمه؛ فأمر ولديه: عتبة فطلق رقية، وعتيبة فطلق أم كلثوم[1] ابنتي رسول الله ﷺ ظنًّا منه أن أباهما سينشغل بإعالتهما، **وهذا** ضغط نفسي.

2- مَشْيُ قريش إلى أبي طالب مرارًا شَكَّلَ ضَغْطًا هَائلًا، وخَطَرًا كَبِيرًا.

3- وثَبَتْ كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم، **أما** رسول الله ﷺ فقد كفاه الله معظم شرهم بعمه أبي طالب وبني هاشم.

4- اجتمع إلى الوليد بن المغيرة نفرٌ من قريش، وكان ذا سِنٍّ فيهم، وقد حضر موسمُ الحجِّ فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر هذا الموسم وإن وفود العرب سَتَقْدُمُ عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فَأَجْمِعُوا فيه رَأْيًا وَاحِدًا ولا تختلفوا؛ **فقالوا**: فأنت يا أبا عبد شمس فَقُلْ رَأْيًا نَقُلْ؟ **قال**: بل أنتم فقولوا أَسْمَعْ، قالوا: كاهن، **قال**: لا والله ما هو بكاهن؛ لقد رأينا الكُهَّانَ فما هو بِزَمْزَمَةِ[2] الكاهن ولا سَجْعِهِ، **قالوا**: فنقول: مجنون، **قال**: ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بِخَنْقِهِ ولا تَخَالُجِهِ ولا وَسْوَسَتِهِ، **قالوا**: فنقول: شاعر، **قال**: ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كُلَّهُ رَجَزَهُ، وَهَزَجَهُ، وَقَرِيضَهُ، ومَقْبُوضَهُ ومَبْسُوطَهُ فما هو بالشعر، **قالوا**: فنقول: ساحر، **قال**: ما هو بساحر لقد رأينا السُّحَارَ وسِحْرَهُمْ فما هو بِنَفْثِهِمْ وَلاَ عَقْدِهِمْ[3]، **قالوا**: فما تقول أنت؟ **قال**: والله إِنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلاَوَةً، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَعَذْقٌ [نَخْلَةٌ]، وَإِنَّ فَرْعَهُ لَجَنَاةٌ [ما يُجْنَى]، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا عُرِفَ أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لَأَنْ تقولوا: سَاحِرٌ جاء بقول هو سِحْرٌ يُفَرِّقُ بين المرء وأخيه،

(1) أسد الغابة 7/ 115 ترجمة رقية رقم 6929، وص 374 ترجمة أم كلثوم رقم 7581.
(2) **الزمزمة**: كلام خفي لا يُسمع.
(3) كان الساحر يعقد خيطًا ثم ينفث فيه.

وبين المرءِ وزوجه، وبين المرءِ وعشيرته؛ فتفرقوا عنه بذلك، لا يمر بهم أحد إلا حَذَّرُوهُ
إِيَّاهُ، وَذَكَرُوا لهم أَمْرَهُ؛ فأنزل الله تعالىٰ في الوليد: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ
لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾
كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِءَايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ
قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ
إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا
سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ
ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى
قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن
يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ
أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ
أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى
جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا
نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ
عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ
ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ
تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ
ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر](1)، **وصَدَرَتِ** العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ؛ فانتشر

(1) ابن هشام 1/ 288، وأسباب النزول 363.

ذِكْرُهُ في بلاد العرب كلها بسبب الوليد ونَفَرِهِ.

وإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

5- أَغْرَوْا به سفهاءهم؛ فكذبوه وآذوه، ورموه بالشعر، والسحر، والكهانة، والجنون، ورسولُ الله ﷺ مُظْهِرٌ لأمر الله غَيْرُ مُبَالٍ بهم، **وقد** مر يومًا بأشرافهم في الحِجْرِ فأكثروا الغمز واللمز؛ فوقف عليهم وقال: أتسمعون يا معشر قريش؟ أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح؛ فنزلت كلمته عليهم كالصاعقة، فراحوا يتلطفون قائلين له: انْصَرِفْ يا أبا القاسم فواللهِ ما كنتَ جهولًا، فتذامروا في اليوم الثاني؛ فوثبوا عليه وثبة رجل واحد قائلين له: أنت الذي تقول في آلهتنا كذا؟ وهو يقول: نعم، أنا الذي أقول ذلك؛ فأخذ رجل بِمَجْمَعِ ردائه، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي ويقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[غافر:28]، **ومِنْ أَشَدِّ** ما لقي ﷺ أنه خرج يومًا فما لقيه أحد إلا كذبه وآذاه، فرجع إلى منزله فتدثر من شدة ما أصابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر].

6- أذية أبي جهل التي تَسَبَّبَتْ في إسلام الحمزة رضي الله عنه:

مرَّ أبو جهلٍ برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره: من العَيْبِ لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يُكَلِّمْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ-ومَوْلاةٌ لعبدالله بن جُدْعَانَ في مسكن لها تسمع ذلك- ثم انصرف أبو جهل إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم، **فلم يلبث** حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه أن أقبل مُتَوَشِّحًا قوسه، راجعًا من قَنَصٍ له - وكان يحب الصيد، وكان بعد الصيد لا يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم، وكان أَعَزَّ فتى في قريش، وأَشَدَّهَا شكيمةً- **فلما** مَرَّ بمَولَاة ابن جدعان- وقد رجع رسول الله ﷺ إلى بيته- قالت له: يا أبا عُمَارَةَ لو رأيتَ ما لقي ابنُ أخيك من أبي الحَكَمِ[1] بن

(1) **أبو الحكم**: كنية أخرى لأبي جهل، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة من بني مخزوم.

هشام!: آذاه وسَبَّهُ، وبلغ منه ما يكره؛ فاحتمل حَمْزَةَ الغَضَبُ لِمَا أراد الله به مـن كرامتـه؛ فخرج يسعى ولم يقف على أحد؛ مُعِدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يُوقِعَ به، فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فَشَجَّهُ شَجَّةً مُنْكَرَةً، ثم قال: أَتَشْتِمُهُ وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فَرُدَّ ذلك عَـلَيَّ إِنِ اسْـتَطَعْتَ! فقامت رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل فقال: دَعُوا أبـا عـمارة، فقـد سَـبَبْتُ ابـن أخيه سَبًّا قبيحًا، فلما أسلم حمزةُ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رسول الله ﷺ قد عزَّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه، فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه[1].

7- سياسة الترغيب والإغراء[2]:

أ- كان عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ سَيِّدًا من سادات قريش فقال لهم يومًا في ناديهم- ورَسُولُ الله ﷺ جالسٌ في المسجد وَحْدَهُ-: يا معشر قريش أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ وَأَعْرِضَ عليه أُمُورًا لعله يَقْبَلُ بَعْضَهَا فنُعْطِيَهُ أَيَّهَا شَاءَ وَيَكُفَّ عَنَّا؟ وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون؛ فقالوا: بلى يا أبا الوليد قُمْ إليه فَكَلِّمْهُ؛ فقام إليه وقال: يابن أخي إنك منا حيث قد عَلِمْتَ: من السِّطَةِ [الشرف] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيتَ قومك بأمر عظيم: فَرَّقْتَ به جماعتهم، وسَفَّهْتَ به أحلامَهم، وعِبْتَ آباءهم، فَاسْمَعْ مني أَعْرِضْ عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها؛ فقال له رسول الله ﷺ: قُلْ يا أبا الوليد أَسْمَعْ؛ قال: يابن أخي إِنْ كنتَ تُرِيدُ بما جئتَ به من هذا الأمرِ مَالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا سوَّدناك علينا حتى لا نَقْطَعَ أَمْرًا دونك، وإن كنتَ تُرِيدُ به مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رَئِيًّا[3] تراه لا تستطيع

---

(1) ابن هشام 1/ 311-312، والاكتفاء 1/ 226.

(2) نور اليقين ص50، وابن هشام 1/ 313، وعيون الآثر 1/ 196، والطبري 2/ 337، والاكتفاء 1/ 277.

(3) **الرئي**: ما يتراءى للإنسان من الجن.

رده عن نفسك طلبنا لك الطِّبَّ وبذلنا فيه أموالنا حتى نُبْرِئَكَ منه؛ فإنه ربما غلب
التابع[الصاحب من الجن] على الرجل حتى يُدَاوَى منه، حتى إذا فرغ- ورَسُولُ اللهِ ﷺ
يستمع منه- قال: أَقَدْ فَرَغْتَ يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع مني:
﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا
يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا
وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ
إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ
أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٨ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ
لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ
أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا
وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ۝١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى
يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ
تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝١٢ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ
وَثَمُودَ ۝١٣ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ
قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝١٤ فَأَمَّا عَادٌ
فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى
خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝١٥ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ
أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ۝١٦ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ

فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟
يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا
شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ
لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ
وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم
بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن
يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ
كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ
تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ
ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ
تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ
أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن
دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا
ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾
وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ
ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ

وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾[1]؛ **وهكذا** **تَحَدَّرَتِ** الآيات من سورة «**فُصِّلَتْ**» مُنْسَابةً من فم رسول الله ﷺ كالدُّرَرِ، وعُتْبَةُ يستمع مُلْقِيًا يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما، **ولَـمَّا** انتهى ﷺ إلى السجدة سجد، ثم قال: قد سمعتَ يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك؛ **فقام** عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك؟ قال: سمعتُ قولًا والله ما سمعتُ بمثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر، ولا بالكهانة، **يا معشر** قريش أطيعوني واجعلوها بي، وخَلُّوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأٌ عظيمٌ، فإن تُصِبْهُ العرب فقد كُفِيتُمُوهُ بغيركم، وإن يظهر على العرب فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وكنتم أَسْعَدَ الناسِ به؛ قالوا: سَحَرَكَ والله يا أبا الوليد بلسانه، قال: هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدالكم.

ب- جعل الإسلام يفشو بمكة بين الرجال والنساء لا يرده شيء، وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتَفْتِنُ من استطاعت فتنته من المسلمين، **ثم** إن أشراف قريش بعثوا إلى محمدﷺ فجاءهم سريعًا؛ لأنه كان حريصًا على رُشْدِهِمْ، عَزِيزًا عليه عَنَتُهُمْ، فقالوا له: يا محمد إنا والله ما نعلم رجلًا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك؛ لقد شتمت الآباء، وَعِبْتَ الدين والآلهة، وَسَفَّهْتَ الأحلام، وفَرَّقْتَ الجماعة، فما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينَك، **ثم** عَرَضُوا عليه ما عرض عتبة، وعرضوا

(1) سَجْدَةَ تلاوةٍ – وسجود التلاوة في القرآن 15 مرة، **ويستحب** قراءة هذا الدعاء حال السجود، وهو سجدة واحدة بنية وتكبيرة ولا تسليم فيها: اللهم لك سجدتُ، ولك عبدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، وعليك توكلتُ، سجد وجهي للذي خلقه، وصوره، وشق سمعه وبصره؛ فتبارك الله أحسن الخالقين، اللهم اكتب لي بها عندك أجرًا، وضع عني بها وزرًا، واجعلها لي ذخرًا، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داودعليه السلام.

عليه أن يزوجوه من أبكارهم من شاء؛ **فقال** لهم رسول الله ﷺ: «ما بي ما تقولون، ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم، ولكن الله بعثني إليكم رسولًا، وأنزل عليَّ كتابًا، وأمرني أن أكون لكم بشيرًا ونذيرًا، فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإِنْ تَرُدُّوهُ علي أصبِرْ لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»؛ **قالوا**: يا محمد، فإن كنت غير قابل منا شيئًا مما عرضناه عليك فإنك قد علمت أَنْ ليس من الناس أَحَدٌ أَضْيَقَ بَلَدًا، ولا أَقَلَّ ماءً، ولا أَشَدَّ عَيْشًا منا؛ فَسَلْ لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فَلْيُسَيِّرْ عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا، ولْيَبْسُطْ لنا بلادنا، وَلْيُفَجِّرْ لنا فيها أنهارًا كأنهار الشام والعراق، وَلْيَبْعَثْ لنا من مضى من آبائنا، وَلْيَكُنْ فيمن يبعث لنا منهم قُصَيُّ بنُ كلاب، فإنه كان شيخَ صِدْقٍ، فنسألهم عما تقول، أحق هو أم باطل؟ فإن صَدَّقُوكَ وَصَنَعْتَ ما سألناك صدقناك، وعرفنا به منزلتك عند الله، وأنه بعثك رسولًا كما تقول؛ **فقال** ﷺ: «ما بهذا بُعِثْتُ إليكم، إنما جئتكم من الله بما بعثني به، وقد بلغتكم ما أُرسِلْتُ به إليكم، فإن تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عَلَيَّ أَصْبِرْ لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم»؛ **قالوا**: فإذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك وسَلْ ربك أن يبعث معك مَلَكًا يُصَدِّقُكَ بما تقول ويراجعنا عنك، وَسَلْهُ فليجعل لك جِنَانًا، وقصورًا، وكنوزًا من ذهب وفضة يُغْنِيكَ بها عَمَّا نراك تبتغي؛ فإنك تقوم بالأسواق كما نقوم، وتلتمس المعاش كما نلتمسه، حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت كما تزعم؛ **فقال** لهم: «ما أنا بفاعل، وما أنا بالذي يسأل ربه هذا، وما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيرًا ونذيرًا، فإن تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه عليَّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم»؛ **قالوا**: فَأَسْقِطِ السَّمَاءَ علينا كِسَفًا[1]

(1)جمع كِسْفَةٍ بالكسر، وهي القطعة من الشيء. القاموس ص 782.

كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإنا لا نؤمن لك إلا أن تفعل؛ **فقال** رسول الله ﷺ: «ذلك إلى الله، إن شاء أن يفعله بكم فَعَلَ»؛ **قالوا**: يا محمد، أَفَمَا عَلِمَ ربك أنا سنجلس معك ونسألك عما سألناك عنه، ونطلب منك ما نطلب؛ فَيَتَقَدَّمَ إليك فَيُعْلِمَكَ ما تراجعنا به، ويُخْبِرَكَ ما هو صانع في ذلك بنا إذ لم نقبل منك ما جئتنا به؟ إنه قد بلغنا أَنَّكَ إنما يُعَلِّمُكَ هذا رجل باليمامة يقال له: الرحمن(1)، وإنا والله لا نؤمن بالرحمن أبدًا، فقد أعذرنا إليك يا محمد، والله لا نتركك وما بَلَغْتَ منا حتى نُهلِكَكَ أو تُهلِكَنَا، **وقال قائلهم**: نحن نعبد الملائكة: وهي بنات الله، **وقال قائلهم**: لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلًا؛ **فلما** قالوا ذلك لرسول الله ﷺ قام عنهم، وقام معه عبدالله بن أمية بن المغيرة وهو ابن عمته -عاتكة بنت عبدالمطلب(2)- فقال له: عَرَضَ عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم، ثم سألوك لأنفسهم أمورًا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويُصَدِّقُوكَ وَيَتَّبِعُوكَ فلم تفعل، ثم سألوك أن تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل، فوالله لا أومن بك أبدًا حتى تتخذ إلى السماء سُلَّمًا ثم ترقى فيه وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك بأربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول، وَايْمُ اللهِ لو فعلتَ ذلك ما ظننت أني أصدقك، ثم انصرف عن رسول الله ﷺ وانصرف عنه إلى أهله حزينًا آسِفًا؛ لما فاته مما كان يطمع به من قومه حين دعوه، وَلِمَا رأى من مباعدتهم إياه[ابن هشام 1/ 315-318]؛ فنزلت هذه الآيات الكريمات: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا

(1) هو مُسَيْلَمَةُ بن حبيب الحنفي الكذاب، تسمى بالرحمن في الجاهلية، عاش 150سنة، وكان يمارس السحر؛ فيوهم أنه يدخل البيضة في القارورة. الروض الأنف 4/ 225، وسيرة ابن كثير 4/ 95.
(2) أسلم عبدالله قبل فتح مكة.

﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلاً ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾﴾[الإسراء]، وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَّسْحُورًا﴾[الفرقان: 7- 8][1].

8- احتمل أبو جهل حجرًا وأراد أن يشدخ رأس النبي ﷺ وهو ساجد، فلما دنا منه رجع منهزمًا متغيرًا لَوْنُهُ مرعوبًا قد يبست يداه على الحجر وقال: عَرَضَ لي دونه فَحْلٌ من الإبل ما رأيتُ مثل هامته وأنيابه فَهَمَّ أن يأكلني؛ قال رسول الله ﷺ: **«ذَلِكَ جبريلُ لَوْ دَنَا لأَخَذَهُ»**[2].

9- لما قال لهم أبو جهل ذلك قام النضر بن الحارث فقال: يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أتيتم له بحيلة بعد، قد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا، أرضاكم فيكم، وأَصْدَقَكُمْ حديثًا، وأَعْظَمَكُمْ أمانةً، حتى إذا رأيتم في صَدْغَيْهِ الشيب، وجاءكم بما جاء به- **قلتم**: ساحر، لا والله ما هو بساحر، لقد رأينا السحرة وَنَفْثَهُمْ وعَقْدَهُمْ، **وقلتم**: كاهن، لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وتخالُجَهُمْ وسمعنا سَجْعَهُمْ، **وقلتم**: شاعر، لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها: هزجه ورجزه، **وقلتم**: مجنون، لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بِخَنْقِهِ، ولا وسوسته، ولا تخليطه، يا معشر قريش فانظروا في شأنكم فإنه قد نزل بكم أمر عظيم؛ **وكان** النضر بن الحارث من شياطين قريش، **وممن** كان يؤذي رسول الله ﷺ، وينصب له العداوة، **وكان** قد قَدِمَ الحِيْرَةَ[3] وَتَعَلَّمَ بها أحاديث

(1) ابن هشام 1/ 330، وعيون الأثر 1/ 201.

(2) البداية والنهاية 3/ 57، وابن هشام 1/ 319، ودلائل النبوة للبيهقي 2/ 191.

(3) مدينة قرب الكوفة، على بعد ثلاثة أميال منها. معجم البلدان 2/ 329. أي ما يقارب 5.5 كم.

ملوك الفرس مثل: رُسْتُمَ، وإِسْفَنْدِيَارَ؛ **فكان** إذا جلس رسول الله ﷺ مجلسًا فَذَكَّرَ فيه بالله وحَذَّرَ قومه ما أصاب مَنْ قبلهم من الأمم مِن نقمة الله- خَلَفَهُ في مجلسه إذا قام، ثم قال: أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثًا منه، فَهَلُمَّ إِلَيَّ فأنا أحدثكم أحسن من حديثه، ثم يحدثهم عن ملوك فارس، ثم يقول: بماذا محمد أحسن حديثًا مني؟ **وكان** ابن عباس رضي الله عنهما يقول: نزل فيه ثماني آيات من القرآن: قول الله عزوجل: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [القلم:15]، **وكل** ما ذكر فيه الأساطير من القرآن[ابن هشام 1/ 321].

10- كان عقبة بن أبي معيط صديقًا لأُبَيٍّ بن خَلَفٍ فقال أُبَيٌّ: بلغني أنك استمعت إلىٰ محمد؛ والله لا أرضىٰ عنك حتىٰ تَتْفُلَ في وجهه وتُكَذِّبَهُ؛ ففعل عدو الله؛ فنزل قول الله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولاً﴾[1] [الفرقان: 27-29]، وقُتِلَ عُقْبَةُ يوم بدر بِيَدِ عليٍّ كرم الله وجهه، وَقُتِلَ أُبَيٌّ يَوْمَ أُحُدٍ بِيَدِ النبي ﷺ.

11- تعرضت أسرة عمار بن ياسر[2] لأشد العذاب؛ فقد كان أبوه وأمه وأخوه عبدالله معلقين منكوسين، فَمَرَّ عدو الله أبو جهل فطعن أُمَّ يَاسِرٍ بحربته في قُبُلِهَا فماتت راضية مرضية مستهزئة بهؤلاء الأشقياء، **وكانت** رحمة الله عليها أول شهيدة في الإسلام[3]، **وقيل**: أول شهيد: الحارث بن أبي هالة ابن خديجة[السيرة لمغلطاي

---

(1) تفسير الطبري 11/ 19/ 12. وأسباب النزول للنيسابوري 279.

(2) أسرة صغيرة من اليمن، قدم والد عمار بن ياسر من اليمن من (عَنْسٍ) قبيلة شرق وغرب مدينة ذَمَارَ، وأخواه الحارث ومالك يطلبون أخًا لهم، فرجع الحارث ومالك، وأقام ياسر وحالف أبا حذيفة بن المغيرة من بني مخزوم، فزوجه أَمَتَهُ سُمَيَّةَ بنت خُبَّاطٍ، ويقال: خياط، فولدت له عمارًا فأعتقه أبو حذيفه، فلما جاء الإسلام أسلم عمار وأبواه وأخوه عبدالله. الإصابة 3/ 610 رقم 9210، 4/ 327 رقم 585، وأسد الغابة 5/ 433 رقم 5502، وطبقات ابن سعد 3/ 246، وسير أعلام النبلاء 1/ 406.

(3) الطبقات 8/ 264، ودلائل النبوة 2/ 282، والبداية والنهاية 3/ 111.

ص115]، **وأقبل** عمار إلى النبي ﷺ فزعًا وشكا إليه أنه نال من العذاب ما أجبره على أن يتكلم بالكفر، ويسب رسول الله ﷺ؛ فوضع النبي ﷺ يده على صدره قائلًا: كيف تجده؟ قال: مطمئنًا بالإيمان؛ قال: فإن عادوا فَعُدْ[1]؛ فنزل قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل:106].

12- كان بلال رضي الله عنه عبدًا لأمية بن خَلَفَ فكان يخرجه في حر الظهيرة ويطرح فوقه صخرة ثقيلة ويتركه فوق الرمل الحامي قائلًا له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وهو يردد شِعَارَهُ المشهور: **أَحَدٌ أَحَدٌ**[2].

13-كان النبي ﷺ ذات يوم يصلي بِفِنَاءِ الكعبة فجاءه خَبَّابٌ[3] فكشف له عن ظهره محروقًا، وكانوا يلزقونه بالحجارة الحامية هو والضعفاء من أمثاله، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يفرج عنا؛ فغضب النبي ﷺ حتى احمر وجهه وقال: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ أَحَدُهُمْ بأمشاط الحديد مَا دُونَ عَظْمِهِ من لَحْمٍ وعَصَبٍ ما يَصْرِفُهُ ذلك عن دينه، ويُوضَعُ المنشار على مَفْرِقِ رأس أحدهم فَيُشَقُّ، ما يصرفه ذلك عن دينه؛ ولَيُتمَنَّ اللهُ هذا الأمر حتى يَسِيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حَضْرَمَوْتَ لا يخاف إلا الله والذئبَ على غَنَمِهِ»[4].

14- تشريد المسلمين من ديارهم، وسلب ممتلكاتهم.

15- سياسة الحصار والتجويع.

---

(1) الطبقات 3/ 249 تفسير الطبري مج8 ج14 ص237، والحلية1/ 190، والمستدرك 2/ 357 وصححه الذهبي، وأسباب النزول ص 237.

(2) سيرة ابن هشام 1/ 339، وتاريخ الطبري 2/ 452.

(3) ابن الأرت بن جندلة بن سعد التميمي، هو أول من أظهر إسلامه، وعذب عذابًا شديدًا لأجل ذلك، شهد بدرًا وما بعدها، ونزل الكوفة، **ولما** عاد الإمام علي من صفين مر بقبر خباب، فقال: رحم الله خبابًا، أسلم راغبًا، وهاجر طائعًا، وعاش مجاهدًا، وابتُلي في جسمه أحوالًا، ولن يضيع الله أجره. **آخى** النبي ﷺ بينه وبين جبر بن عتيك. الإصابة 1/ 416 رقم 2210، وأسد الغابة 2/ 147 رقم 1407، والاستيعاب 2/ 21 رقم 646.

(4) البخاري رقم 3416، وأبو داود 2649، وأسد الغابة 2/ 147.

الدروس والعبر:

1- تلك المحن التي عاشها النبي ﷺ والمؤمنون بمكة كانت بمثابة صهر؛ ليتميز الخبيث من الطيب، كما قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[آل عمران:142].

2- رَدُّ النبي ﷺ الصارم على خباب أجمل وأعظم أسلوب لتربية النواة الأولى؛ فقد شحذ عزمه ليهون عليه وعلى زملائه ما يلقون من أذى.

الهجرة الأولى إلى الحبشة في رجب سنة خمس من النبوة[1]- 615م:

قال النبي ﷺ لأصحابه وهو يرى شدة ما نزل بهم من البلاء -وقد منعه الله بعمه أبي طالب: «لو خرجتم إلى الحبشة فإن بها مَلِكًا لا يُظْلَمُ عنده أحد، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه»[2]؛ فخرجوا سرًّا وعددهم اثنا عشر رجلًا وأربع نسوة، **وقيل:** إحدى عشر رجلًا وامرأتان، فيهم رقية بنت النبي ﷺ وزوجها عثمان، وهما أول من خرج، والزبير ومصعب وأم سلمة وزوجها، ثم هاجر جعفر بن أبي طالب، ثم تتابع المسلمون حتى بلغوا ثلاثةً وثمانين ﷺ.

محاولة قريش لاسترجاع مهاجري الحبشة[3]:

كان بين قريش والحبشة علاقاتٌ تجاريةٌ[4] وقد أزعجهم مَقَرُّ المسلمين الآمن هناك، وحصانة الرسول بحماية أبي طالب؛ فأرسلوا عبدالله بن أبي ربيعة وعمرًا بن

---

(1) ابن هشام 1/ 344، والروض الأنف 2/ 79، وتاريخ الطبري 2/ 328، والطبقات 1/ 203، والبداية والنهاية 3/ 84، وسيرة ابن كثير2/ 3، والسبل2/ 517،485، ومغلطاي116، وهاشم معروف163.

(2) سنن البيهقي9/ 9،ومسند الحارث 1/ 309 رقم 17512،وابن هشام 1/ 344،وتاريخ الطبري2/ 328.

(3) عيون الأثر 1/ 209، والبداية والنهاية 3/ 97، وتاريخ الإسلام (السيرة) ص 183، وسيرة ابن كثير 2/ 3، والطبري 2/ 335، وابن هشام 1/ 356.

(4) أسسها هاشم بن عبد مناف، كما تقدم في رحلة الشتاء والصيف.

العاص بهدايا كثيرة للنجاشي[1] وَلِبَطَارِقَتِهِ[2]، وأرسل أبو طالب أبياتًا للنجاشي يحضه على عدم تسليم المهاجرين، منها:

تَعَلَّم أَبَيْتَ اللَّعْنَ[3] أَنَّكَ مَاجِدٌ كَرِيمٌ فَلا يَشْقَى لَدَيْكَ الْمُجَانِبُ[4]

سَلَّم الرسولان الهدايا للبطارقة طالبين تأييدهم عند الملك، ثم سَلَّمَا هدايا الملك وقالا: إنه قد لجأ إلى بلدك غلمان منا سفهاء فارقوا دينهم ولم يدخلوا في دينك؛ وطلبوا منه أن يردهم، وكانا يكرهان أن يسمع الملكُ كلام المسلمين، فأشارت البطارقة بردهم؛ فغضب وقال: لاها الله لا أسلمهم -وقد جاوروني، واختاروني على من سواي- حتى أسمع منهم، فطلبهم وسألهم عن دينهم، فكلمه جعفر بن أبي طالب رضوان الله عليه قائلًا: **أيها الملك**، كنا قومًا أهلَ جاهلية: نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسِيءُ الجوار، ويأكل القويُّ منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منا، نعرف: نسبه، وصدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفِّ عن المحارم، والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقولِ الزُّورِ،

---

(1) كان علمًا لشخص، ثم عُمِّمَ فصار اسم جنس لملوك الحبشة، وكان اسم النجاشي أَصْحَمَةَ بن بحر، **قال ابن قتيبة**: معناه عطية. التاج 9/ 204، واللسان 6/ 352، وسيرة ابن كثير 2/ 352، وتاريخ خليفة ص13.

(2) **البِطْرِيقُ** بلغة أهل الشام والروم: القائد، مُعَرَّبٌ، وهو الحاذق بالحرب وأمورها، وهو ذو منصب وتَقَدُّمٍ عندهم. اللسان 10/ 21. هذه رواية ابن إسحاق، وروى غيره أن قريشًا بعثت عمارة بن الوليد مع عمرو بن العاص، وقيل: إن قريشًا بعثت إلى النجاشي في أمر المهاجرين مرتين: الأولى: مع عمرو بن العاص، وعمارة، والثانية: مع عمرو وعبدالله بن أبي ربيعة، وقد قيل: إن البعثة الثانية كانت بعد وقعة بدر؛ لينالوا من هنالك ثأرًا، فلم يجبهم النجاشي. ابن كثير 1/ 27. وقيل: إن عمارة ذهب معهما من غير إرسال، وإنما أراد أن يغتال عمرو بن العاص؛ ليتزوج بامرأته، وفي ذلك قصة طويلة. بلوغ المراد ، لحسن بن إسحاق (خ).

(3) **معناها**: أبيت أن تأتي ما تُذَمُّ عَلَيْهِ، وهي تحية الملوك في الجاهلية.

(4) الداخل في حمى الإنسان.

وأكلِ مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام[1] **-وعدد** عليه أمور الإسلام-؛ فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من الله؛ فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحَرَّمْنَا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا؛ فَعَدَا علينا قَومُنَا فعذبونا، وفتنونا عن ديننا؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا، وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا-خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارِك، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك؛ **فقال له النجاشي**: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ **فقال له جعفر**: نعم، **فقال النجاشي**: فَاقْرَأْهُ علي، فقرأ عليه صَدْرًا من ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، **فبكى** النجاشي حتى اخْضَلَّتْ[2] لحيته، وبكت أساقفته حتى أَخْضَلُوا مصاحفَهم حين سمعوا ما تلا عليهم، **ثم قال لهم النجاشي**: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مِشكاةٍ[3] واحدة؛ انطلقا فلا والله لا أُسَلِّمُهُمْ إليكما، ولا يُكَادُونَ، **وقد** أسلم رحمه الله، ولما مات صلى عليه النبي وأصحابه صلاة الغائب[4].

محاولة أخرى لعمرو بن العاص [سيرة ابن هشام 1/ 360] :

حاول أن يُلْقِيَ للملك كلامًا يُبِيدُ به خَضْرَاءَهُمْ، فقال للملك: إنهم يقولون في عيسى قولًا عظيمًا، يقولون: إنه عبد، **فَأَرْسَلَ** إليهم ليسألهم عنه، ونزل بالمسلمين كَرْبٌ عظيم، **وأجمعوا** على أن يقولوا للملك ما قال لهم النبي ﷺ **فقال** له جعفر: هو عبدالله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول[5]؛ **فضرب**

---

(1) المشهور أن صيام رمضان شُرِعَ في السنة الثانية من الهجرة. شذرات الذهب 1/ 114.

(2) أي ابتلت من الدموع.

(3) **المشكاة**: الكوة غير النافذة؛ أراد أن القرآن والإنجيل كلام الله تعالى وأنهما من شيء واحد.

(4) البخاري رقم 1318، ومسلم رقم 951، ومغلطاي 122.

(5) **البتول**: العذراء المنقطعة عن الأزواج.

النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عُودًا ثم قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قُلتَ هذا العود: يعني مقدار هذا العود؛ **فَتَنَاخَرَتْ** بطارقته حين قال ما قال؛ فقال: وإن نَخَرْتُمْ، **ثم** قال للمسلمين: اذهبوا فأنتم الآمنون؛ مَنْ سَبَّكُم غَرِمَ «كررها ثلاثًا»، ما أُحِبُّ أن لي جبلًا من ذهب وأني آذيتُ رجلًا منكم، **ثم** رد الهدايا، وحمد الله الذي رد عليه ملكه حين خرج عليه خارج ونصره الله عليه.

الدروس والعبر:

1- إشارته على أصحابه بالخروج إلى الحبشة؛ لأن بها ملكًا عادلًا يدل على موهبة ذاتية فذة؛ فليس من العسير على عظماء الرجال معرفة العالم حولهم، فكانت الحبشة وملكها النجاشي الكريم خير مكان أحرز فيها المهاجرون دينهم، ومارسوا عبادتهم بحرية.

2- القائد الناجح من ينبض قلبه بحب أتباعه، ويعيش عيشتهم، ويحيطهم برعايته، ويُجهد نفسه في رسم مستقبلهم السعيد؛ وذاك ما فعله خير مَنْ مشى على الأرض، **فقد** ظل يدور على القبائل والمناهل والأسواق، وأيام الحج يعرض نفسه ودينه، ويدعو القبائل إلى نصرته وحماية أصحابه، **ولقي في** الطائف ما لقي، ويلتقط الأخبار عن البلاد والعباد في الجزيرة العربية وما وراء البحار، فوجد لأصحابه مكانًا بالحبشة، **ثم** هيأ الله له مكانًا مناسبًا لتنطلق منه دولة الإسلام في ديار الأوس والخزرج كما سنذكره.

3- شارك النبي ﷺ في تحمل هم المؤمنين عمه الكريم أبو طالب الذي استأثر بالجهاد المكي كله، ولم يقتصر على هم حماية ابن أخيه؛ **فقد** كتب إلى الملك النجاشي وذَكَّرَهُ بالصداقة بين ملوك الحبشة وبين جده هاشم بن عبد مناف، والعلاقة التجارية، وحذره من مكيدة رسول قريش عمرو بن العاص، وكشف أنه داهية مخادع، وقال في ذلك شعرًا كما سبق.

أثر إسلام الحمزة وعمر [1]:

برغم قتامة الجو في مكة فإن بارقة أَمَلٍ وقعت بإسلام حمزة بن عبد المطلب ﵁، **وهو** رجل شجاع جَلْدٌ، قوي الشكيمة[2]، لا يهاب شيئًا.

لما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عز وامتنع، وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه، وبعد ثلاثة أيام تبعه عمر بن الخطاب ﵁، وكان معروفًا بحدة الطبع وقوة الشخصية، وطالما لقي منه المسلمون ألوانًا من الأذى، إلا أنه رغم قسوته كان ينطوي على رقةٍ ولمسات خير؛ **فقد** رَوَتْ زوجُ عامر بن ربيعة قالت: بينما نحن نشد الرحال إلى الحبشة وقف عُمَرُ وكنا نلقى منه البلاء، وقال: أتنطلقون يا أم عبدالله؟ قلت: نعم؛ فقد آذيتمونا وقهرتمونا، حتى يجعل الله لنا فرجًا، فقال: صحبكم الله، ورَأَيْتُ له رقة وحزنًا، فَأَخْبَرْتُ عامرًا بها لاحظت من رقته، فقال: أَطَمِعْتِ في إسلامه؟ فقلت: نعم، قال: لَا يُسْلِمُ حَتَّى يُسْلِمَ حِمَارُ الْخَطَّابِ؛ **لكن** عمر قد أُعْجِبَ بصلابة المسلمين، وَرَمَقَ عَظَمَةَ المبادئ الإسلامية، وكان بقاؤه مشركًا مجرد تقليد للآباء، **وقد** آن لهذا الصراع أن ينحسم؛ **فقد قيل**: إنه ذهب إلى النبي ﷺ يريد قَتْلَهُ فلقيه نُعَيْمُ بن عبدالله **وقال**: والله لقد غَشَّتْكَ نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الأرض وقد قتلت محمدًا؟! ارجع إلى أهلك فَأَقِمْ أمرهم فقد أسلمت أختك وزوجها سعيد بن زيد، فرجع مسرعًا وكان عند أخته خَبَّابُ بن الأَرَتِّ يُقْرِئُهَا القرآن، **فقال**: ما هذه الهَيْنَمَةُ؟ فأنكرت وأخفت الصحيفة واختبأ خباب، وقفز عمر على زوج أخته يضربه، ولما حَاوَلَتْ أن تصده ضربها فشجها، **فقالت هي وزوجها**: نعم قد أسلمنا وآمنا بالله

---

(1) ابن هشام 1/ 311، 366، وابن كثير 2/ 32، 1/ 445، وتاريخ الإسلام (السيرة النبوة ص 170، 172)، والروض الأنف2/ 43، 2/ 119.

(2) ذا عارضة و جد، شديد النفس أنفًا أبيًّا. وأصل الشكيمة حديدة في فم الفرس. مختار الصحاح 345.

ورسوله فاصنع ما بدا لك؛ **فلما** رأى الدم على وجه أخته ندم وطلب منها أن تُعْطِيَهُ الصحيفة لينظر ما الذي جاء به **محمد** ﷺ وحلف ليُردَّنها إذا قرأها؛ فلما قال ذلك طَمِعَتْ في إسلامه وقالت: يا أخي إنك نَجِسٌ على شِرْكِك، وإنه لا يمسها إلا طاهر، فقام فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها مثل هذا الكلام الرائع: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾[طه:1-15]؛ **فقال**: ما أحسن هذا الكلامَ وأَطْيَبَهُ وَأَكْرَمَهُ! **فلما** سمع خباب خرج **وقال**: يا عمر إني سمعت النبي ﷺ يقول: «اللهم أَيِّدِ الإسلامَ بِعُمَرَ بن الخطاب أو أبي الحكم بن هشام»(1)؛ فاللهَ اللهَ يا عمر، **فقال**: دُلَّنِي على **محمد**؛ لأسلم فَدَلَّهُ؛ **فأخذ** عمر سيفه وذهب فضرب باب البيت الذي فيه رسول الله ﷺ؛ **فنظر** رجل من خَلَلِ الباب فعاد فزعًا قائلًا: هذا عمر متوشحًا سيفَه؛ **فقال حمزة**: فَأْذَنْ له فإن جاء لخير بذلناه له وإلا قتلناه بسيفه، **فلما** دخل نهض إليه رسول الله ﷺ فجبذه جبذة شديدة **وقال**: ما جاء بك؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى يُنْزِلَ

---

(1) المسند رقم 4362، بدون ذكر أبي الحكم، ومجمع الزوائد 9/ 63 بلفظ: «اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب، وأبي جهل بن هشام»، والكامل لابن عدي 7/ 21.

اللهُ بك قارعة، **فقال:** جئت لأومن بالله ورسوله، فَكَبَّرَ رسول الله ﷺ وتنفس أصحابه الصعداء، **وبإسلامه** مع حمزة عز جانب المسلمين.

حصار الشِّعْب (في سنة سبع من البعثة):

لجأت قريش- بعد خيبة رسوليها إلى النجاشي وانحياز الملك لصالح النبي ﷺ وأصحابه، وَذُعْرِهِمْ من الإسلام وهو يفشو في القبائل، وإسلام حمزة وعمر- إلى سلاح المقاطعة والتجويع؛ **فكتبوا** كتابًا تعاقدوا فيه على بني هاشم على: أن لا يُنكِحُوا إليهم ولا يُنْكِحُوهُمْ، وَلا يبيعوا منهم شيئًا ولا يبتَاعُوا منهم، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك، وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة، **وانحاز** النبي ﷺ وبنو هاشم وبنو المطلب ومن انضم إليهم إلى شعب بني هاشم[1]، وظلوا ثلاث سنوات، كابدوا فيها الأهوال، **وقال** أبو طالب في ذلك:

أَلاَ أَبْلِغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا ... لُؤَيًّا وَخُصًّا مِن لُؤَيٍّ بني كَعْبِ
أَلَمْ تعلموا أَنَّا وجدنا مُحَمَّدًا ... نَبِيًّا كموسى خُطَّ في أَول الكُتْبِ[2]

وتبارى أبو جهل وأبو لهب وأشباههما في إحكام الخناق، فأبو لهب في الأسواق يقول للتجار: غَالُوا على أصحاب محمد، وأبو جهل دائم المراقبة على فم الشِّعْبِ لئلا يتسلل إليهم شيء سِرًّا؛ كانت الأذيةُ شديدةً، والحصارُ خانقًا، والقرآنُ الكريم يُثَبِّتُ المُؤْمِنِينَ، ويدافع عن النبي ﷺ، وَيَسْحَقُ أباطيلَ المستهزئين[الروض الأنف 2/ 127]، ويشد من عزائم المحاصرين الصامدين، ويُذْكِي في نفوسهم جذوة الأمل، وحماس الدعوة إلى الله، التي ازدادت بالحصار عمقًا، وكَسَبَ الإسلام بفضل جِدِّهِمْ وصبرهم أنصارًا كثيرين.

---

(1) طبقات ابن سعد 1/ 209، وعيون الأثر 1/ 222، والبداية والنهاية 3/ 108، وسيرة ابن هشام 1/ 379، والسيرة لابن كثير 2/ 49.

(2) ابن هشام 1/ 377، والروض الأنف 2/ 102، وشرح ابن أبي الحديد 3/ 336، والصحيح من سيرة النبي 3/ 230، وأمالي أبي طالب ص358، ابن كثير 2/ 49.

الهجرة الثانية إلى الحبشة بعد ثلاثة أشهر من الأولى:

بَلَغَ المهاجرين بالحبشة إسلامُ أهل مكة؛ فأقبلوا حتى إذا دنوا من مكة وجدوا الخبر باطلًا، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار أو مستخفيًا[1]،ثم هاجروا مرة ثانية وَعِدَّتُهُمْ ثلاثةٌ وثمانون رجلًا، منهم ثماني عشرة امرأة، وخرج أبو بكر رضي الله عنه حتى بلغ بِرْكَ الغِمَاد[2]، ثم رجع في جوار سيد القَارَةِ مالك بن الدُّغُنَّةِ.

حديث نقض الصحيفة (في السنة العاشرة من البعثة):

مشى هشام بن عمرو بن ربيعة أخو نضلة بن هاشم بن عبدمناف من أمه-**وكان** شريفًا في قومه، **واصلًا** لبني هاشم، **يأتي** بالبعير إلى فم الشعب ليلًا وقد أَوْقَرَهُ طعامًا فيطلق خطامه ليدخل الشعب إلى بني هاشم، **ثم يأتي** به وقد أَوْقَرَهُ بَزًّا فيفعل به مثل ذلك - **إلى زهير** بن أبي أمية بن المغيرة-وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب- فقال: يا زهير أَرَضِيتَ أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء وأَخْوَالُكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ لا يباعون ولا يبتاع منهم، ولا يَنْكِحُون ولا يُنْكَحُ إليهم؟ **أما** إني لأحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوتَه إلى مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك

---

(1) ابن هشام 2/ 3. **قال السهيلي** ج2ص126: وسبب ذلك أن رسول الله ﷺ قرأ سورة النجم، فألقى الشيطان في أمنيته - أي في تلاوته - عند ذكر اللات والعزى، وإنهم لهم الغرانقة العلى، وإن شفاعتهم لترتجى؛ فطار ذلك بمكة فَسُرَّ المشركون، وقالوا: قد ذكر آلهتنا بخير، فسجد رسول الله ﷺ بآخرها، وسجد المسلمون والمشركون، وأنزل الله: ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِى ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الحج:52]، **ومن** هاهنا اتصل بالمهاجرين بأرض الحبشة بأن قريشًا أسلموا. **أقول**: وأهل الأصول ردوا هذا الحديث، **والذي** صححه زعم أن الشيطان قال ذلك وأذاعه، والرسول لم ينطق به، إلا أن في حديثهم مناقضة حيث قالوا: إن جبريل قال لمحمد: ما أتيتك بهذا، وهذا يعني أن النبي قالها من نفسه، وعنى بها الملائكة وأن شفاعتهم لترتجى، أو أن النبي قاله حاكيًا عن الكفرة بأنهم يقولون ذلك، فقالها متعجبًا من كفرهم، **والكلام** في هذه القصة كثير، **وقد** صححها المستشرقون لغرض في نفوسهم؛ لكن جمهور العلماء يعتبرونها قصة مختلقة من وضع الزنادقة واليهود تلطخت بها كتب المسلمين. ينظر محمد رسول الله ﷺ 98، وهيكل 160، وفقه السيرة للغزالي 116.

(2) موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر جهة اليمن، **وقيل**: بلدة باليمن، وقيل: موضع في أقاصي أرض هجر. معجم البلدان 1/ 399.

إليه أبدًا؛ **قال**: ويحك فماذا أصنع؟ ولو كان معي رجل آخر لقمتُ في نقضها حتى أنقضها، **قال**: قد وَجَدْتَ رجلًا، **قال**: فمن هو؟ **قال**: أنا، **قال** له زهير: أَبْغِنَا ثالثًا؛ **فذهب** إلى المُطْعِمِ بن عدي فقال له: يا مطعم أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبدمناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه؟ **أما** والله لئن أمكنتموهم من هذه لَتَجِدُنَّهُمْ إليها منكم سراعًا؛ **قال**: ويحك فماذا أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، **قال**: قد وجدتَ ثانيًا، **قال**: من هو؟ **قال**: أنا، **قال**: فأبغنا ثالثًا: **قال**: قد فعلت، **قال**: من هو؟ **قال**: زهير بن أبي أمية، **قال**: أبغنا رابعًا؛ **فذهب** إلى أبي البَخْتَرِي بن هشام **فقال** له نحوًا مما قال للمطعم بن عدي؛ **فقال**: وهل من أحد يعين على هذا؟ **قال**: نعم وأخبره؛ **قال**: أبغِنَا خامسًا؛ **فذهب** إلى زَمَعَةَ بن الأسود بن المطلب، فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم **فقال له**: وهل معنا أحد؟ **قال**: نعم؛ فاتَّعَدُوا خَطْمَ الحَجُونِ جبلًا بأعلى مكة فاجتمعوا هناك ليلًا فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام بنقض الصحيفة، **وقال زهير**: أنا أكون أول من يتكلم؛ **فلما** أصبحوا غدوا إلى أنديتهم، وغدا زهيرٌ عليه حلة فطاف بالبيت سبعًا، ثم أقبل على الناس، فقال: يا أهل مكة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هَلْكَى لا يُباعُ إليهم ولا يُبْتَاعُ منهم؟ والله لا أقعد حتى تُشَقَّ هذه الصحيفةُ القاطعةُ الظالمةُ؛ **فقال أبو جهل** -وكان في ناحية المسجد-: كذبتَ والله لا تُشَقُّ، **فقال زمعة**: أنت والله أَكْذَبُ، ما رضينا كِتَابَتَهَا حين كُتِبَتْ، **وقال أبو البختري**: صدق زمعة لا نرضى ما كُتِبَ فيها ولا نُقِرُّ به، **وقال المطعم**: صدقتما وكذب من قال غير ذلك، نبرأ إلى الله منها ومما كُتِبَ فيها، **وقال هشام** نحوًا من ذلك؛ **فقال أبو جهل**: هذا أمر قُضِيَ بليل، **فقام** المطعم إلى الصحيفة ليشقها فوجد الأَرَضَةَ قد أكلتها إلا «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، **وقد** كان النبي ﷺ أخبر عمه أبا طالب بذلك؛ **فقال** أبو طالب لقريش ما أخبره به، **وكان** كاتب الصحيفة منصور بن عِكْرِمَةَ، فَشُلَّتْ يَدُهُ فيما يزعمون[1].

(1) ابن هشام 2/ 14، ومغلطاي 128، وسيرة ابن كثير 2/ 144، والكامل 2/ 59، وتأريخ الإسلام السيرة =

الدروس والعبر:

1- مهما اشتد الأذى والحصار بالنبي ﷺ ومن معه فلا بد لشمس النهار أن تنجلي، ولا بد أن تتهيأ أسباب الفرج أمام الصبر والثبات؛ إن ذلك صَقْلٌ لمعادن الكرام.

2- إن الساعين في نقض الصحيفة من العقلاء، ومن أهل المروءة الذين لم يرضوا بالظلم على إخوانهم من بني هاشم؛ **فخططوا** بذكاء وشجاعة للوصول إلى بُغْيَتِهِمْ، **وهكذا** يستطيع المرء الوصول إلى إنجاح مراميه العادلة والصحيحة.

3- اليد الواحدة لا تصفق، فحين حرَّك هِشَامٌ أربعة معه نجح في كسر الحصار.

عام الحَزَن: وفاة أبي طالب وخديجة[1]:

ودَّع الحياة أبو طالب وتبعته خديجة بعد ثلاثة أيام[2]، **ويموت** هذين الجبلين الشامخين أعلن النبي ﷺ الحداد عامًا كاملًا، سماه عام الحَزَنِ، وتتابعت عليه فيه المصائب؛ إذ تجرأت عليه قريش ونالت منه ما لم تنله أيام أبي طالب؛ **فبينما** هو ذات يوم ساجد عند البيت **قال الشقي أبو جهل**: أيكم يذهب إلى سَلَى جَزُورٍ[3] بني فلان ليضعه على ظهر محمد، فقام أشقاهم عقبة بن أبي مُعَيْطٍ ووضع الفرث على ظهره الشريف وهو ساجد، فبلغ طفلته فاطمة سلام الله عليها وجاءت فألقته عن ظهره وشتمت أبا جهل ومن معه، مُحْتَقِرَةً أخلاقهم الوضيعة، وفي يوم آخر: وضع شَقِيٌّ آخر الترابَ على رأسه ﷺ وهو ساجد، فدخل على بناته مُعَفَّرًا فجعلت إحداهن

221، والصحيح من سيرة النبي ﷺ 3/ 212.

(1) بعد مضي تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يومًا من مولده ﷺ، **وقيل**: في نصف شوال السنة العاشرة من البعثة، **وقيل**: قبل هجرته بثلاث سنين، **وقيل**: بخمس. سيرة ابن هشام 2/ 57، وتاريخ الطبري 2/ 343، وعيون الأثر 1/ 226.

(2) **وقيل**: خمسة أيام في رمضان، **وقيل**: ماتت قبل الهجرة بخمس سنين، **وقيل**: بأربع سنين، **وقيل**: بعد الإسراء. ينظر مغلطاي 131.

(3) **السَّلَى**: لُفَافَةُ الوَلَدِ من الدواب والإبل، وهو من الناس المَشِيمَةُ. لسان العرب 14/ 396.

تغسله وتبكي، فقال ﷺ: لا تبكي يا بُنَيَّةُ فإن الله مـانعٌ أبـاكِ؛ **ويقـول** بـين ذلـك: مـا نالت مني قريشٌ شيئًا أكرهه حتى مات أبـو طالـب، **وأطلـق** دعوتـه: اللهـم عليـك بقريش، اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، **قال** ابن مسعود راوي الحـديث: فوالـذي بعثه بالحق لقد رأيتُ مَنْ دعا عليهم صرعى يوم بدر يُسْحَبُونَ إلى قَلِيْبِ بدر[1].

زواجه بسَوْدَةَ رضي الله عنها:

بعد أيام من موت خديجة وقيل: بعد سنة مـن موتهـا تـزوج سـودة بنـت زَمْعَـةَ، وكانت قبله عند السكران بن عمرو الذي أسلم وهاجر إلى الحبشة الهجـرة الثانيـة، فقدم مكة ومات بها، **وقيل**: بالحبشة، **وقيل**: تزوج بسودة بعد عقده بعائشة[2].

النبي ﷺ في الطائف[3]:

بعد موت خديجة بثلاثة أشهر وثمانية أيام لليال بقين من شهر شوال سنة 10 للبعثـة **ذهب** النبي ﷺ سيرًا على قدميه إلى قبيلة ثقيف بالطائف يتلمس عندهم النصرة، **فأقام** بالطائف شهرًا، **وقيل**: عشرة أيام يـدعوهم إلى الله، فلـم يجيبـوه[4] بـل قـابلوه بـاللؤم والخسة، **وبرهنوا** على أنهم أصحاب أخلاق رقيعة؛ إذ قال له أحد كبـارهم: أَمَـا وَجَـدَ اللهُ أَحَدًا يرسله غيرك؟! فأغروا به سفهاءهم، فجعلوا يرمونـه بالحجـارة حتـى أَدْمَـوْا قدميه الشريفتين، **وحاول** زيد بن حارثة رضي الله عنه أن يَقِيَهُ بنفسه فشُجَّ في رأسه، ولم يؤمن من

(1) البخاري رقـم 498، وتـاريخ الطـبري 2/ 344، والبدايـة والنهايـة 3/ 151، وفـتح البـاري 7/ 165، وعيون الأثر 1/ 226.

(2) السيرة لابن كثير 2/ 145، ومغلطاي 132.

(3) ابن هشام 2/ 60، والطبقات 1/ 210، والطبري 2/ 344، وعيون الأثر 1/ 231، والسيرة لابن كثير 2/ 150.

(4) إلا ما رواه الطبراني في المعجم الكبير 7/ 80: أن امرأة تسمى رُقَيْقَةَ أضافته وشرب عندها سـويقًا، ونهاهـا عـن عبادة طاغيتهم، وأمرها إذا صلت أن توليه ظهرها، **فلما** أسلمت ثقيف سأل ولـديها: «مـا فعلـت أمكـما»؟ قـال: تركناها على الحال التي تركتَها، قال: «لقد أسلمت أمكما إذًا». **قال في مجمع الزوائد** 6/ 35: وفيه من لم أعرفه.

أهل الطائف أحد؛ فالتجأ مِنْ وَقْعِ الحجارة إلى حائط عنب لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وهو يردد: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي**[1]، **أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافِيَتُكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ مِنْ أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلاَ حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**»[2]؛ **فلما** رآه ابنا ربيعة تحركت لـه رحمهـا فأرسلوا عَدَّاسًا غلامًا لهما نصرانيًّا بِقِطْفٍ من عنب، فلما وضعه بين يديه قال: باسم الله؛ فنظر عَدَّاسٌ في وجهه، فقال: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فسأله: «من أين أنت يا عداس، وما دينك»؟ قال: نصرانيٌّ من أهل نَيْنَوَى، فقال ﷺ: «من قرية الرجل الصالح يونس بن مَتَّى»؟ قال: وما يُدْرِيكَ ما يونس بن مَتَّى؟ قال ﷺ: «ذلك أخي كان نبيًّا وأنا نبيٌّ»، فأكب عَدَّاسٌ على رسول الله ﷺ **يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدَيْهِ وَقَدَمَيْهِ**»؛ **فسأله** ابنا ربيعة عما فعل، فقال: ما في الأرض خير منه؛ لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، فقالا له: وَيْحَكَ يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإنه خير من دينه.

استماع الجن للقرآن[3]:

وفي انصراف رسول الله من الطائف راجعًا إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، مَرَّ بوادٍ على بُعْدِ ليلة من مكة في مكان يسمى نَخْلَةَ[4]، فقام ﷺ يصلي من جوف الليل،

---

(1) **تجهمه**: استقبله بوجه كريه.

(2) ابن هشام 2/ 61، و الطبري 2/ 345. ومجمع الفوائد 6/ 35، **وبعضهم** يضعف رواية هذا الدعاء عن النبي؛ بعلة أن ابن إسحاق مدلس ثقة، **لكن** الدعاء لا يصح أن يلفظ به إلا فم النبي ﷺ، فهو يتغلغل إلى القلب بدون توقف؛ فأنوار النبوة عليه ظاهرة؛ ولا عبرة بتضعيف من ضعفه؛ فابن إسحاق ثقة ثقة ثقة.

(3) عيون الأثر 1/ 234، وسبل الهدى والرشاد 2/ 583.

(4) **نخلة**: أحد واديين بين مكة والطائف، يقال: لأحدهما نخلة الشامية، وللآخر: نخلة اليمانية وهما على بعد =

فاستمع إليه نفر من الجن، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف:29-32] [1]، ونزلت في هذا الشأن سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن:1-2]، **ثم** انتهى إلى حِرَاءَ فأرسل رجلًا إلى المطعم بن عدي، وكان شهمًا، فيه شيء من مروءة أبي طالب، وطلب منه أن يُجِيرَهُ فقال: نعم؛ ودعا بنيه فلبسوا السلاح وتوزعوا على أركان البيت يحرسون محمدًا ﷺ والمطعمُ على راحلته ينادي إني قد أجرت محمدًا فلا يَهِجْهُ أحد منكم، فقالت له قريش: أتابع أم مجير؟ قال: بل مجير، قالوا: إذن لا تُخفَرُ ذِمَّتُكَ؛ **وقد** حفظ النبي ﷺ لمطعم هذا الصنيع [2]، **فقال** في أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هؤلاء النَّتْنَى لتركتهم له» [3].

خمسة كيلومتر ونصف من مكة تقريبا. معجم البلدان 4/ 277.

(1) سيرة ابن هشام 2/ 63 ، وتأريخ الإسلام (السيرة النبوية) ص198 ، وتأريخ الطبري 2/ 347 ، وعيون الأثر 1/ 234.

(2) الطبقات 1/ 212، والبداية والنهاية 2/ 169.

(3) البخاري رقم 3139، والمعجم الكبير للطبراني 4/ 80 رقم 3799، ومصنف عبدالرزاق 5/ 209 رقم 9400، ودلائل النبوة للبيهقي 1/ 201 رقم 252. **والنتنى**: جمع نتن، والمراد هنا النتن المعنوي وهو كفرهم إن صحت هذه اللفظة عن النبيﷺ.

الإسراء والمعراج (27 رجب قبل الهجرة بسنة-621م)[1]

الإِسْرَاءُ من مكة إلى بيت المقدس، يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الإسراء:1] -**وَالمِعْرَاجُ** من بيت المقدس إلى السموات العلى، **تظافرت** الروايات أن جبريل جاءه بالبُراق-وهي دابة فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره في منتهى طَرْفِهِ، **قال** ﷺ: فركبته حتى أتيت بيت المقدس وصليت ركعتين، فَأُتِيتُ بقدحين من خمر ولبن، فأخذت اللبن؛ **فقال** جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة؛ لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ[2]، **ثم** نصب له المعراج إلى السموات العلى، أما **سياق البخاري** [رقم 342] فيفيد أن المعراج حصل من مكة، وهذا نَصُّهُ: **عن** أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فُرِجَ عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام ففرج صدري، **ثم** غسله بماء زمزم، **ثم** جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمةً وإيمانًا، فأفرغه في صدري، **ثم** أطبقه، **ثم** أخذ بيدي فَعَرَجَ بي إلى السماء الدنيا، **فلما** جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: افتح قال: من هذا؟ قال: هذا جبريل قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ، فقال: أُرْسِلَ إليه؟ قال: نعم، **فلما** فتح علونا السماء الدنيا

(1) **اختلف** في ليلة الإسراء: **فقيل**: ليلة السبت لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا، **وقيل**: قبل الهجرة بثلاث سنين، **وقيل**: بعد النبوة بخمسة أعوام، **وقيل**: بعام ونصف، **وقيل**: بعد مبعثه بخمسة عشر شهرًا، **وقيل**: ليلة سبعة وعشرين من ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، **وقيل**: لسبع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، **وقيل**: بعد سنة ونصف من رجوعه من الطائف، **وقيل**: في رجب، **وقيل**: ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة أسري به من شعب أبي طالب إلى بيت المقدس، **وقيل**: قبل الهجرة بستة أشهر، **ينظر**: سيرة مغلطاي ص 135، وطبقات ابن سعد 1/ 213.

(2) البخاري رقم 3214، 4432، 5254، ومسلم 1/ 145 رقم 162. أقول: في نفسي من الرواية شيء؛ فالمضيف الكريم سبحانه لا يمتحن ضيفه.

فإذا رجل قاعد على يمينه أَسْوِدَةٌ[1]، وعلى يساره أسودةٌ؛ إذا نظر قِبَلَ يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَلَ يساره بكى، فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح، **قلت** لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الأَسْوِدَةُ عن يمينه وشماله نَسَمُ بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قِبَلَ شماله بكى، **حتى** عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول، ففتح»، **قال أنس**: فذكر: أنه وجد في السموات آدم، وإدريس، وموسى، وعيسى، وإبراهيم صلوات الله عليهم، **ولم** يذكر كيف منازلهم، غير أنه ذكر: أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السماء السادسة، **قال أنس**: فلما مرَّ بإدريس، قال: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح، «فقلتُ لجبريل: من هذا؟ قال: هذا إدريس، **ثم** مررت بموسى، فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، **ثم** مررت بعيسى، فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبي الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى، **ثم** مررت بإبراهيم فقال: مرحبًا بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيم صلى الله عليه وعلى الأنبياء جميعًا»، **قال ابن شهاب**: فأخبرني ابن حزم: أنَّ ابن عَبَّاسٍ، وَأَبَا حَبَّةَ الأنصاري كانا يقولان: قال النبي ﷺ: «ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام»، **قال** ابن حَزْمٍ، وأنس بن مالك[2]: **قال** النبي ﷺ: «ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى، **فقال**: ما فرض الله لك على أمتك؟ **قلت**: فرض خمسين صلاة، **قال**:

---

(1) **الأَسْوِدَةُ**: الأشخاص من كل شيء، **قال أهل اللغة**: السواد الشخص، **وقيل**: السواد الجماعات. شرح النووي على مسلم 2/ 218.

(2) ابن حزم روى عن شيخه، و أنس عن أبي ذر، كذا جزم به أصحاب الأطراف، و يحتمل أن يكون مرسلًا من جهة ابن حزم، و من رواية أنس بلا واسطة. فتح الباري 1/ 551.

فارجع إلىٰ ربك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعته فوضع شطرها، فرجعت إلىٰ موسىٰ **قلت**: وضع شطرها، فقال: راجع ربك؛ فإن أمتك لا تطيق، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه، **فقال**: ارجع إلىٰ ربك؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك؛ فراجعته، **فقال**: هي خمس، وهي خمسون، لا يبدل القول لدي، فرجعت إلىٰ موسىٰ، **فقال**: راجع ربك فقلت: استحييت من ربي، **ثم** انْطَلَقَ بي حتىٰ انتهىٰ بي إلىٰ سدرة المنتهىٰ، وغشيها ألوان لا أدري ما هي، **ثم** أُدْخِلْتُ الجنة، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك»؛ **فابتداء** الإسراء علىٰ هذه الرواية من الحِجْرِ، **وفي رواية أم هاني**: أَنَّهُ مِنْ بيتها؛ إذ قالت: نام عندي تلك الليلة في بيتي فصلىٰ العشاء الآخرة، ثم نام ونمنا، فلما كان قبيل الفجر أَهَبَّنَا رسول الله ﷺ، **فلما** صلىٰ الصبح فصلينا معه، فقال: يا أم هاني لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيتِ في هذا الوادي، **ثم** جئت إلىٰ بيت المقدس فصليت فيه، **ثم** قد صليت صلاة الغَدَاةِ معكم الآن كما ترين، ثم قام ليخرج فأخذت بطرف ردائه، فَتَكَشَّفَ عن بطنه كأنه قِبْطِيَّةٌ مَطْوِيَّةٌ[1]؛ **فقلت**: يا رسول الله لا تُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ فَيُكَذِّبُوكَ وَيُؤْذُوكَ، **قال**: «والله لَأُحَدِّثَنَّهُمُوهُ»؛ **قالت**: فقلت لجارية حبشية: اتبعي رسول الله حتىٰ تسمعي ما يقول للناس وما يقولون له، **فلما** خرج رسول الله ﷺ إلىٰ الناس أخبرهم فعجبوا، وقالوا: ما آيةُ ذلك يا محمد، فإنا لم نسمع بهذا قط؟ قال: «آية ذلك أني مررت بِعِيرِ بني فلان وهي قادمة عند طلوع الشمس»؛ **وقد** سألوه متعجبين: إنا لنركض إلىٰ بيت المقدس شهرًا ذهابًا وشهرًا إيابًا، وأنت تأتيه في ليلة واحدة؛ فَصِفْهُ لنا! قال ﷺ: «لما كذبتني قريش قمت في الحِجْرِ، فجلىٰ الله لي بيت المقدس فَطَفِقْتُ أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»[البخاري رقم 4433] ، **ولما** كان في الصباح ابتدروا إلىٰ الطريق يرقبون الإبل التي أخبر بقدومها، **فقال**

(1) ثوب من كتان تنسج بمصر، رقيقة بيضاء. ابن هشام 2/ 43، ولسان العرب 7/ 373.

أحدهم: هذه الشمس طلعت، **وقال** آخر: وهذه العير قد أقبلت.

إشكالات على ما تقدم: هناك بعض المناقشات كما يلي:

الأول: ما فائدة تكرار شق الصدر والقلب سبع مرات ؟ وقد أحسن الله من البداية خلق الإنسان، ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[طه:50].

الثاني: أن النبي ﷺ طاهرٌ ذاتًا ومعنىً؛ فقد اصطفاه الله واختاره من بين خلقه خاتمًا لرسالاته؛ وذلك أمر معنوي لا يحتاج إلى غسل بالماء.

الثالث: أن الحكمة والإيمان من الأمور المعنوية؛ لا يمتلئ بهما طست ؛ وقد تلقى النبي ﷺ بطريق الوحي كل الكمال بدون شق ولا غسل ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ﴾[النساء:113].

الرابع: أن الحكمة والإيمان وغيرهما قد مَنَّ الله بهما على رسوله عند نزول الوحي مباشرة؛ **وقِصَّةُ** الإسراء والمعراج متأخرة.

الخامس: أن الإسراء الذي نَصَّ عليه القرآنُ بَدَأَ من بيت الله الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس، **ومن** هناك عرج به على ما هو المشهور، **وفي هذه** الرواية كان من البيت الحرام إلى السموات العلى، **وهو** مخالف لسياق الخبر القرآني، ولو تَمَّ المعراج من بيته لبدأ به القرآن؛ لأنه أعجب وأغرب من الإسراء.

السادس: أن الأنبياء مقبورون في الأرض قبل ولادة النبي ﷺ بأزمان كثيرة، فكيف يكونون في السموات؟ ولماذا؟! **ورواية** تقول: إنه صلى بهم في بيت المقدس، **وعلى** كل حال فلا ندري هل بعثهم الله من قبورهم مرتين؟! وهل هم حَالُّونَ في السماء؟ أو أُصْعِدُوا لاستقبال النبي ﷺ بعد استقباله ببيت المقدس، وهي أمور لا ننكر قدرة الله عليها، ولكن يُشْكِلُ فِعْلُ ذلك بدون حاجة.

السابع: أن جبريل سيد الملائكة لا يحتاج إلى إذن في كل سماء.

الثامن: أن الفضاء حسب العلم الحديث مكتظ بالمجرات التي ليس لها نهاية، ولم يتحدث العلم عن السماء بهذه الكيفية؛ والعلم لله وحده.

التاسع: أن الأجرام السماوية لا تصلح للبشر، فكيف يحشرُ بعض الأنبياء هناك؟ والرَّفْعُ لإدريس وعيسى إنما هو رفع درجة، ولا يعني قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾[النساء:158] أن الله في مكان، **ولا حاجة** لخرق الناموس الكوني.

العاشر: جريان النيل والفرات من سدرة المنتهى، **كما** جاء في إحدى روايات البخاري [رقم (7079)، ومسلم رقم (434)]؛ **والمعلوم** أن النيل يجري من أوغندا والحبشة والسودان وغيرها من البلاد الإفريقية، والفرات يجري من تركيا. **وأظن** الراوي لو عرف شيئًا عن نهر المسيسبي لذكره.

الحادي عشر: بكاء موسى **كما** جاء في إحدى روايات البخاري[رقم (3035، 3674)] الذي قد مات منذ زمن طويل، ولا يبعث إلا يوم القيامة، **ولو** افترضنا أن الله أحياه فلماذا يبكي؟! هل هو حاسد لمحمد- صانه الله عن ذلك- ؟! **وهل** يقول: أبكي لأن غلامًا بُعِثَ بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر من أمتي؟! **ويقول: غلامًا** وهو يعرف مقام أخيه وزميله النبي محمد! وما يضيره أن يدخل الجنة من أمته أكثر من أمته أو أقل؟!

الثاني عشر: امتحانُ النبي ﷺ بآنية الخمر، واللبن، والعسل، كما في رواية البخاري[3674] -لا يليق بالكريم سبحانه أن يمتحن ضيفه ويُغَرِّرَ بِهِ.

الثالث عشر: فَرْضُ خمسين صلاةً كُلَّ يوم مُخَالِفٌ للقرآن الذي نص على أنه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾[البقرة:286]، ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾[البقرة:185]، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝٩﴾[الحديد:9]؛ **فلولا** تدخل موسى لَفَرَضَ على الأمة فوق طاقتها، وكأن الله سبحانه وتعالى لا يعرف مصلحة عباده وَيُلْقِي بالتكاليف جزافًا، وأن موسى أرأف بالأمة من الله، ويَبْدُو النَّبِيُّ أقلَّ

ذكاءً من موسى؛ فلا يقدم، ولا يؤخر، ولا يناقش، ولا يدافع عن مصلحة أمته، **كيف** يكون ذلك ودِينُهُ خاتم الأديان؟! وهو سيد الرسل كَفَاءَةً وَذَكَاءً ونحو ذلك.

وقد نفى المعراج بعض علماء المعتزلة والإباضية، **قال ركن الدين**[1]: فيما تعلقوا به في إثبات المعراج: فمن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِي بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الإسراء:1] ، وذكروا في ذلك خبرًا طويلًا يوردونه في تفسير الآية في ذكر المعراج. **الجواب**: هو أن التعلق بهذه الآية في إثبات المعراج فاسد؛ لأنه ليس في الآية أكثر من إسرائه من مكة إلى بيت المقدس؛ لأن الأقصى هو بيت المقدس بلا خلاف بين المفسرين وبين الأمة؛ ولأنه قال: أسرى ولم يقل عرج؛ فليس فيها ذكر عروجه وذكر السماء، **وبعد**: فإن الآية على إبطال دعواهم أدل عنه على تصحيحه؛ وذلك لأنه لا يجوز أن يذكر الله تعالى ما هو أصغر في الأدلة وأحقر في الأعجوبة ويعرض عن ذكر ما هو أجل من ذلك بكثير. **ولا يخفى** بأن العروج إلى السماء والنزول منها في بعض ليلة أعجب في العقول من مكة إلى بيت المقدس، **فلما ذكر** إخراجه إلى بيت المقدس في ليلة على سبيل التعجب من ذلك في الحث على الاستدلال به على قدرته وصحة نبوة نبيه، ولم يذكر من شأن المعراج ما ذكروه دل على وهي دعواهم وفساد خبرهم. **فأما** ما يذكرونه من الخبر المروي في الباب ففاسد من وجوه: **أحدها**: أنه من أخبار الآحاد التي لا اعتماد عليها في باب إيجاب العلم. **وثانيها**: أنه ليس من الصحيح عند القوم. **وثالثها**: أن فيه ذكر التشبيه، وذكر الحجاب مما لا يجوز على الله، **ورابعها**: أنه يتضمن من إيجاب

(1) أبو طاهر الطرثيثي، معتزلي، لعله من أعيان القرن الخامس الهجري، له كتاب تأويل متشابه القرآن على قواعد أهل العدل، ويسمى أيضًا بركن الدين مخطوط، وهو قيد التحقيق بمركز بدر العلمي.

البَدَاءِ على الله؛ لأنه بزعمهم على ما يروونه في هذا الخبر نسخ خمسين صلاة إلى خمس صلوات شيئًا بعد شيء، ونسخ الشيء قبل وقت فعله وقبل وقت معرفة المكلف به بداء والبداء على الله مستحيل[ركن الدين 414 مخطوط].

قال الإمام الناصر لدين الله أبو الفتح الديلمي عليه السلام في برهانه: ليس ينكر المعراج إلا من ينكر ويدفع معجزات الأنبياء، وكراماتهم، وليس العروج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى السماء ليشاهد ما خلق الله عز وجل من بديع الخلق وحكيم الصنع بأعظم مما ظهر على يديه من الآيات والمعجزات، والشواهد الصادقة: كالقرآن، وتكليم الشجرة، وتسبيح الحصى، إلى غير ذلك مما خصه الله تعالى، ثم مع ذلك إن أهل الإسلام يجمعون على أن عيسى عليه السلام رفعه الله تعالى إلى السماء، وأن محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم أفضل منه قدراً عند الله، فما بالهم يجيزون رفع عيسى عليه السلام إلى السماء[1]، ويمنعون هذه الفضيلة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما يجحد المعراج إلا قليل التدبير والمعرفة بمراتب الأنبياء والمرسلين.

الدروس والعبر:

1-التحرر من المادة، والتطور الذي وصلت إليه البشرية في اختراق الفضاء يُسَهِّلُ لمن كان يصعب عليه تصديق أن يذهب إنسان في رحلة بعيدة ويعود في نفس الليلة، **أو** كما روي ولم يبرد فراشه؛ فالعبد عبدالله والكون كونه، والدابة الفضائية مجرد وسيلة لعلها تَرْمُزُ إلى تعليم الناس الأَخْذَ بالوسائل، **وقِيَاسُ** المسافة بسرعة الضوء **إنما** هو مقياس انتهى إليه علم البشر، **أما** رب الكون فلا يَحْكُمُهُ شيء، فليس عجبًا في باب النبوة أن يُطلِعَ رَسولَه على شيء من كونه في لمح البصر.

2- جاءت هذه الدعوة تشريفًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وترويحًا عن قلبه المكدود، وشحذًا لهمته لمواجهة مستقبل حافل بالأحداث العظام؛ **فقد** صرَّح القرآن الكريم

(1) **قيل**: إن رفعه إلى السماء حقيقة وما زال حيًّا، **وقيل**: إن الرفع معنوي، ومثله يونس؛ **والصحيح** أنه رفع قدر ومنزلة لا رفع مكان؛ إذ لا معنى له.

بأن الحكمة منها أن يُرِيَهُ من آياته الكبرى؛ ليستخف بالمتاعب والمصائب، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الإسراء:1]، **نعم**: لينظر عبر التلسكوب الرباني مليارات المجرات في الفضاء الواسع الذي يقاس في عصرنا الحديث بمئات الملايين من السنوات الضوئية؛ **إن** الله قد كشف لنبيه ما لا يمكن للبشرية أن تكتشفه بوسائلها الحديثة، وكان أحرى بالمسلمين أن يكونوا أول من يخترق الفضاء لا أن يظلوا قابعين في مؤخرة القافلة البشرية.

4- إِخْبَارُهُ قريشًا -وهم في عنفوان تكذيبهم له- يدل على صدق نبوته؛ فما يجرؤ أحد يُكَذِّبُ صباحَ مساءَ أن يزيد الطين بَلَّةً- لولا أنه نبي؛ ولم يعد يشغل تكذيبُهم من باله إلا كما تشغل الذرة حيزًا من المجرة، **وذلك** نتيجة ما أراه الله من آياته الكبرى.

5-لم يخبر أن رحلته ردًّا على التحدي الذي طُلِبَ منه بأن يصعد إلى السماء؛ مما يبرهن على أن القرآنَ الكريمَ مُعْجِزَتُه الخالدة التي لا يحتاج معها إلى معجزة أخرى، حتى وإن كانت بحجم الإسراء والمعراج.

6- أفرزت الحادثة اختبارًا للمسلمين؛ فارتد كثير ممن كان أسلم؛ لكن أبا بكر رضي الله عنه لَمَّا أخبروه قال: والله لئن كان قاله لقد صدق، إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فَأُصَدِّقُهُ، **فهذا** أبعد مما تعجبون منه، فسماه النبي ﷺ «الصديق»[1].

7- الإسراء بالجسد آية وعبرة؛ ولذلك صَدَّرَهَا الله تعالى بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾ وهو المشهور عن جماهير المسلمين؛ **ولذلك** كذبته قريش، وبعضهم يقول بالروح فقط، **ولو** كان كذلك لم يكن فيه أي معجزة؛ فأي إنسان عادي يمكن

(1) المستدرك 3/ 62، وابن هشام 2/ 40.

أن يرى ذلك، مع أن عائشة كانت تقول: ما فُقِدَ جَسَدُ رسول الله ﷺ، ولكن الله تعالى أسرى بروحه، **وكان** معاوية يقول: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة[1].

8- **هناك** استدراك أصولي على فرض الصلاة؛ **فالزيدية** والمعتزلة[المعتمد 1/ 375.] وطوائف من الحنفية والشافعية يستشكلون فَرْضَ الصلوات خمسين ثم نَسْخَهَا إلى خمس؛ **لأنه** لا يجوز نسخ الفعل قبل إمكان العمل به؛ **لأن** ذلك بَدَاءٌ لا يجوز على الحكيم جلّ وعلا؛ فضعفوا هذه الرواية؛ باعتبارها آحادية. **وَحَمَلَهُ** الإمام المهدي على أنه تعالى لم يكن قد فرض ما زاد على الخمس، ولا أمر بها على سبيل الحتم والجزم، بل أمر نبيه أن يَعْرِضَ عَلَى أمته التكليف بالخمس، فلما أخبر موسى عليه السلام فهم أنها تثقل عليهم؛ فأشار بما أشار، حتى وقعت على خمس، فَحَتَّمَهَا وأمضاها، **وهذا** مَحْمَلٌ حسن، **إلا** أن هناك إشكالًا في تحديد فرض الخمس الصلوات، **فالمروي** أنها كانت ركعتين في الغداة والعشي[2]، **ولعل** فرض الخمس قد سبق المعراج كما جاء في روايات، ثم زِيدَتْ في الحضر وأُقِرَّتْ في السفر، وإن لم يُحَدَّدْ لنا تأريخُ فَرْضِهَا، والله أعلم. **أما الطائفة** الأخرى من المسلمين فقد أجازوا نسخ الفعل قبل التمكن من الامتثال؛ **واستدلوا** بهذا، وبقصة نسخ ذبح إبراهيم لولده[3].

9- الربطُ بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى فيه إشارةٌ إلى أن النبي الخاتم ﷺ هو المؤتمن على تمثيل الدين الصحيح والمقدسات من الانحراف الذي وقع فيه أبناء إسماعيل بجوار الكعبة، وأبناء إسحاق بجوار بيت المقدس؛ **وهذا** يُوجِبُ على كل موحد أن يبذل نفسه ونفيسه في الدفاع عن مقدسات الإسلام، ولا سيما البيت

---

(1) ابن هشام 2/ 40، والشفاء 1/ 359.

(2) المعيار 443، والغاية 2/ 413.

(3) روضة الناظر 1/ 235، والبرهان 2/ 1303. مسألة رقم 1431. لكن يقال: إن إبراهيم قد باشر ذبح ابنه لولا أن تداركه الله، فما جاء النسخ إلا وكأنه قد فعل.

الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، **ونحن** في أمل أن يهيئ الله من أجيال المسلمين مَنْ يُطَهِّرُ الأقصى من دنس الصهاينة وخبث الصليبيين، **ولا يعني** ضَعْفُ المسلمين الآن، وتراخِيْهِمْ، وفَشَلُ أنظمتهم، وَتَقَبُّلُهُمْ بالهزائم المذلة- نهايةَ المجدِ الإسلامي؛ فالأمل في الله كبير ﴿وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾[محمد:38].

10 –القول بأن الإسراء بالروح فقط لا يعني بالضرورة أنه من فكرة المستشرقين؛ بُغْيَةَ إنكار معجزات رسول الله ﷺ؛ فالخلاف قديم، وهو رأي عائشة وطائفة معها.

دعوة القبائل للإسلام[1]:

ظل النبي ﷺ مستخفيًا بدعوته ثلاث سنين، ثم جهر في الرابعة، وها هو يتعدى السنة العاشرة، وقريش لم تَزْدَدْ إلا عُتُوًّا واستكبارًا، **وقد** ضاقوا به ذرعًا، ورَدَّتْهُ ثَقِيفُ أقبح رد، ومع انتهازه للأشهر الحرم وموسم الحج، والتقائه بحُجَّاجِ العرب في الحرم، ومِنى، ومُزدلفة، وعرفات، وفي أسواقهم: بِعُكَاظَ، وَمَجَنَّةَ، وذِي المَجَازِ[2]-إلا أن القبائل التي دعاها إلى نصرته وحمايته لكي يُبَلِّغَ كلمةَ الله لم تَسْتَجِبْ له: مثل: بني عامر بن صعصعة، وبني محارب، وفزارة، وغسان، ومُرَّةَ، وحنيفة، وسُليم، وعبس، وبني نصر، وبني البكار، وكندة، وكَلْبٍ، وبني الحارث بن كعب، وعُذْرَةَ، والحضارمة، وهمدان؛ لاستشعار القبائل أن من ناصره صار عَدُوًّا لقريش، **لكنَّ** هذه العزلة والركود الخانق لم توهن له عزمًا؛ فالنفوس العالية كالياقوت لا تغير النار فيه بريقًا: **قال الحريري**:

وطالما أُصْلِيَ الياقوتُ جَمْرَ غَضًى ... حتى انطفى الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ

لم يَفْقِدِ الأملَ في الله- وإن لازمه عدو الله أبو لهب ملازمة ظله قائلًا لكل قبيلة

(1) ابن هشام 2/ 63، وابن كثير 2/ 155.

(2) **عكاظ**: بين مكة والطائف، **ومجنة**: أسفل مكة،**وذو المجاز**: قرب عرفات، كلها تقام في الأشهر الحرم.

يدعوها: إنه ابن أخي، ساحر، كذاب، فَرَّقَ شملنا، وعاب آلهتنا؛ فلا تصدقوه؛ فيقولون: عَمُّهُ أدرىٰ به إذن، **ثم أَذِنَ اللهُ** لِجَهْدِهِ أن يُثْمِرَ؛ تصديقًا لقوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[البقرة:257] هيأ الله **لإظهار** دينه وإعزاز نبيه ستةً من الخزرج: **من بني النجار**: أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث بن عفراء، **ومن بني زريق**: رافع بن مالك، **ومن بني سلمة**: قُطْبَةُ بن عامر بن حديدة، **ومن بني حرام بن كعب**: عقبة بن عامر بن نَابِي، **ومن بني عبيد بن سلمة**: جابر بن عبدالله بن رئاب[1]؛ **وكانت** اليهود تحدثهم أن نبيًّا قد أظل زمانه، سَنَتَّبِعُهُ ونقتلكم معه قَتْلَ عَادٍ وَإِرَمٍ، **فلما** كلمهم الرسول ودعاهم إلىٰ الله- **قال** بعضهم لبعض: إنه هو، فلا تسبقنكم إليه يهود؛ فآمَنُوا به، وقالوا: إن بين قومنا عداوةً وشرًّا، فَإِنْ يَجْمَعْهُمُ الله عليك فلا رَجُلَ أَعَزُّ منك؛ **فلما** رجعوا حدثوا قومهم بالإسلام، فلم تبق دار إلا وفيها ذِكْرٌ لرسول الله ﷺ.

بيعة العقبة الأولى[2] (**سنة 12 من البعثة-621م**):

وَافَىٰ الموسمَ اثنا عشر رجلًا، فيهم الستة المذكورون، بالإضافة إلىٰ: معاذ بن الحارث من بني النجار، وذكوان بن عبد قيس من بني زريق، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة بن عبدالرحمن، **وهم** القَوَاقِلُ، **وَإِنَّمَا** قِيلَ لَهُمُ الْقَوَاقِلُ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا اسْتَجَارَ بِهِمُ الرَّجُلُ دَفَعُوا لَهُ سَهْمًا وَقَالُوا لَهُ: قَوْقِلْ بِهِ بِيَثْرِبَ حَيْثُ شِئْتَ، **والْقَوْقَلَةُ**: ضَرْبٌ مِنْ الْـمَشْيِ، **فالعشرة** المذكورون من الخزرج، **ومن الأوس**: أبو الهيثم بن التَّيِّهَانِ، وعُوَيْمُ بن ساعدة. **قال عُبادة بن الصامت**: بَايَعْنَا رسول الله ﷺ

---

(1) ابن هشام 2/ 72، وسيرة مغلطاي ص143، وطبقات ابن سعد 1/ 219، والسيرة النبوية لأحمد بن صلاح الشرفي ص 66، **وقيل**: هم ثمانية: معاذ بن عفراء، وأسعد بن زرارة، ورافع بن مالك، وذكوان بن قيس، وعبادة بن الصامت، وأبو عبدالرحمن بن يزيد بن ثعلبة، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان، وعويم بن ساعدة.
(2) ابن هشام 2/ 73، وابن كثير 2/ 178، والكامل 2/ 66، والطبري 2/ 356.

بيعة النساء قبل أن تفرض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئًا، ولا نسرق، ولا نـزني، ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا، ولا نَعْصِيَهُ في معروف، **قال لنا**: فإن وَفَّيْتُمْ فلكم الجنة، وإن غَشِيتُمْ من ذلك شيئًا فَأَمْرُكُمْ إلى الله عـز وجـل إن شاء عَذَّبَ وإن شاء غفر؛ فبعث معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، يُقْرِئهُمْ القرآن، ويعلمهم الإسلام، ويفقههـم في الـدين، وكـان يسمى: بالمقرئ رضوان الله عليه ورحمته.

سفير محنك وداعية ناجح:

ذهب أسعد بن زرارة بمصعب إلى دار بني عبد الأشهل، **وكان** سعد بـن معـاذ، وأُسَيْدٌ بن حُضَيرٍ سيدي قومهما، وكلاهما مشرك، **فلما** سمعا بمـصعب وزميلـه قـال سعد لأُسَيْدٍ: انطلق إلى هذين اللَّذَينِ أتيا لِيُسَفِّهَا ضعفاءنا فَازْجُرْهُمَا؛ فلولا أنَّ أسعدَ ابْنُ خَالتي لكفيتك أمرهما؛ **فأخذ** أُسيد حربته ثم أقبـل إلـيهما، فلـما رآه أسـعد قـال لمصعب: هذا سيد قومه قد جاءك، فَاصْدُقِ اللهَ فيه، **قال** مصعب: إن يجلس أُكَلِّمْـهُ؛ فوقف عليهما مُتَشَتِّمًا أي غاضبًا وقال: ما جاء بكما؟ تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما في أنفسكما حاجة، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رَضِيتَ أمـرًا قبلتَه، وإن كَرِهْتَهُ كُفَّ عنك ما تكرهه؟ قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلمه مصعبٌ بالإسلام، وقرأ عليه القرآن؛ **فقالا**: فيما يُذْكَرُ عـنهما: والله لَعَرَفْنَـا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم في إشراقه وتَسَهُّلِه، **ثم قال**: مـا أحـسن هـذا الكـلام وأجمله! **كيف** تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل وتُطهِّـر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي؛ ففعل، **ثـم** قـال لهـما: إن ورائـي رجـلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، إنه سعد بـن معـاذ، **ثـم** أخذ حربته وانصرف إلى سعدٍ وَقَوْمِهِ وهم جلوس في نـاديهم، فلـما نظـر إليـه سـعدٌ

مُقبلًا، قال: أحلف بالله لقد جاءكم أُسَيدٌ بغير الوجه الذي ذهب به؛ **فلما** وقف قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا، **وقد** نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، **وقد** حُدِّثْتُ أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك؛ ليُخْفِرُوك، **قال**: فقام سعد مُغْضَبًا مبادرًا؛ تخوفًا للذي ذُكِرَ له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يده، **ثم** قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا، **ثم** خرج إليهما فلما رآهما مطمئنَّين، عرف أن أُسَيْدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما مُتَشَتِّمًا، **ثم** قال لأسعد: يا أبا أمامة، أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمتَ هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ - **وقد** قال أسعد لمصعب بن عمير: أي مصعب، جاءك والله سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ من قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان - **قال**: فقال له مصعب: أَوَ تقعدُ فتسمع، فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟ قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، **قالا**: فَعَرَفْنَا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله، **ثم** قال لهما: **كيف** تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تَغْتَسِلُ فَتَطَهَّرُ وتُطَهِّرُ ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، فأسلم، ثم أخذ حربته فأقبل عامدًا إلى نادي قومه، **قال**: فلما رآه قومه مقبلًا **قالوا**: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به، **فلما** وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ **قالوا**: سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيًا وأيمننا نَقِيبَةً، **قال**: فإنَّ كلام رجالكم ونسائكم عَلَيَّ حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله، **قالا**: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا ومسلمة .

الدروس والعبر: 1 - يجب التأسي برسول الله ﷺ في اختيار الإنسان المناسب للمهمة المناسبة، وقد كان مصعب رغم حداثة سنه من أكفأ وأنسب من انتُدب لمهمة الدعوة في

بلاد مهيأة لتكون مهدًا للمهاجرين، وحضنًا للإسلام، وحصنًا لدولته.

2- أتمنى على من يرغبون في الدعوة إلى الله أن يقرؤوا قصة مصعب وأسعد وأسيد وسعد جيدًا، كيف استطاع مصعب وهو غريب أن يستدرج سيدي قومهما في مجلس واحد بحسن أدبه ولطفه: **ألَا تجلس فتسمع**؟ فإن رضيت وإلا رفعنا عنك ما تكره! **أي** عاقل يسمع مثل هذا ولا يسعه إلا أن ينصت؛ ولذلك أسلما.

3- تحرك أسيد داعيًا إلى الله قبل أن يجف رأسُه، **وما** أحسن الحيلة التي جلب بها سعدَ بن معاذ، الذي وصل إلى شابين عظيمين، وداعيين كريمين؛ يستهوي حُسْنُ خُلُقِهِمَا، وَدَمَاثَةُ طباعهما، وَخِفَّةُ دمهما النَّافِرِينَ عن الإسلام بهدوء ووقار، **وَفَوْرَ** إسلام سعد بادر مستدركًا ما فاته مِنْ سَبْقِ زملائه، وخاطب قومه خطابَ كريمٍ يحب لهم الخير، وألقى بثقله في قومه لصالح الإسلام الذي اعتنقه منذُ دقائق، **ولأنه** خاطبهم من قَلْبِهِ، وبين لهم ما كانوا فيه من ضلال؛ فقد أسلموا أجمعين، **هكذا** كان السلف الصالح لا غرور، ولا فجور، ولا تأفف، ولا استكبار، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

بيعة العقبة الثانية[1]:

وافى الموسم مصعب ومعه سبعون رجلًا يزيدون اثنينِ أو خمسة في بعض الروايات، بينهم نُسيبةُ بنت كعب من بني النجار، وأسماء بنت عمرو من بني سَلِمَةَ، ضِمْنَ خمسمائة حاج من الأوس والخزرج، **فتسللوا** مثنى وفرادى للقاء رسول الله ﷺ عند العقبة بمنى بعد ثلث الليل من أوسط أيام التشريق؛ فجاء ﷺ ومعه عمه العباس على دين قومه، لكنه أراد أن يستوثق لابن أخيه؛ **فلما اجتمعوا** قال لهم العباس: إن محمدًا في عز من قومه، وَمَنَعَةٍ في بلده، **وقد** أبى إلا الانحياز إليكم، واللحوق بكم، **فإن** كنتم وافين له بما دعوتموه إليه، ومانعيه ممن خالفه فأنتم وما

(1) ابن هشام 2/ 81، والطبقات 1/ 221، والطبري 2/ 362.

تحملتم من ذلك، **وإن** كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذلوه بعد الخروج به إليكم، فَمِنَ الآنَ فَدَعُوهُ؛ **فقالوا**: قد سمعنا ما قلت، وقالوا لرسول الله ﷺ: تكلم فخذ لنفسك ولربك ما أحببت؛ فتلا عليهم القرآن، ودعاهم إلى الله وَرَغَّبَ في الإسلام، **ثم قال**: أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون به نساءكم وأبناءكم، **قال عبادة بن الصامت**: بايَعْنَا رسول الله ﷺ بيعة الحرب **على** السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا، ومنشطنا ومكرهنا، وأَثَرَةٍ علينا، **وأن** لا ننازع الأمر أهله، **وأن** نقول بالحق أينما كان لا نخاف في الله لومة لائم؛ **فكانت** هذه البيعةُ بيعةَ حرب، والبيعة في العقبة الأولى بيعة النساء، ولم يكن قد أذن الله لرسوله بالقتال؛ **ثم** قالوا لرسول الله ﷺ: فما لنا إن وَفَيْنَا بذلك؟ **قال**: الجنة، فأجابوا ﷺ: رضينا لا نُقِيلُ ولا نَسْتَقِيلُ، فأخذ البَرَاءُ بن مَعْرُورٍ بيده ثم قال: نعم، والذي بعثك بالحق نبيًّا لَنَمْنَعُكَ مما نمنع منه أُزُرَنَا[1]؛ فَبَايِعْنَا يَا رسول الله فنحن والله أبناءُ الحرب، وأهل الحَلَقَةِ [السلاح] ورثناها كابرًا عن كابر، **فاعترض** أبو الهيثم بن التَّيِّهَانِ -والبراء يتكلم- فقال: يا رسول الله، إنَّ بيننا وبين اليهود حِبَالًا ونحن قاطعوها، فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتَدَعَنَا؟ فتبسم رسول الله ﷺ ثم قال: بل الدَّمُ الدَّمُ، والهَدْمُ الهَدْمُ[2]، أنا منكم وأنتم مني، أُحَارِبُ من حاربتم، وأسالم من سالمتم! **وقال**: أَخْرِجُوا إِلَيَّ منكم اثني عشر نقيبًا ليكونوا على قومهم بما فيهم، فأخرجوا تسعة من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة، وسعد بن الربيع، وعبدالله بن رواحة، ورافع بن

---

(1) **الإزار**: كل ما واراك وسترك، وقيل: العفاف، ويكنى به عن النفس، وعن المرأة. اللسان 4/ 17، 18.

(2) **الهَدْمُ**: باسكان الدال وفتحها: إهدار الدم، أي إن طُلِبَ دمكم فقد طلب دمي، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمي، **والهَدَمُ بالتحريك**: القبر والمنزل، أي أُقْبَرُ حيث تُقْبَرُونَ، وَأَنْزِلُ حيث تَنْزِلُونَ، ابن هشام 2/ 85، **وفي** عيون الأثر 2/ 285: كانت العرب تقول عند الحلف والجوار: دمك دمي، وهدمك هدمي، أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا، ويقال أيضًا: بل اللدم اللدم، والهدم الهدم، فاللَّدْمُ: جمع لادم وهم أهله الذين يلتدمون عليه إذا مات، وهو من لدمت صدره إذا ضربته.

مالك، والبراء بن معرور، وعبدالله بن عمرو بن حرام، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو بن خُنَيْسٍ، **وثلاثة** من الأوس وهم: أسيد بن حُضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن المنذر، **وكان** أولَ من بايع البَرَاءُ بن معرور، ثم بايع القوم[المستدرك 3/ 381]؛ ثم قال رسول الله ﷺ: ارْفَضُّوا إِلىٰ رحالِكم، فقال له العباس بن عُبَادَةَ بْنُ نَضْلَةَ: والذي بعثك بالحق إن شئت لَنَمِيلَنَّ علىٰ أهل مِنىً غدًا بأسيافنا، فقال ﷺ:لم نؤمر بذلك، ولكن ارجعوا إلىٰ رحالكم، فَرَجَعْنَا فنمنا، فلما أصبحنا غَدَتْ علينا جِلَّةُ قريش فقالوا: يا معشرَ الخزرج، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلىٰ صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه علىٰ حربنا، وإنه والله مَا مِنْ حَيٍّ من العرب أَبْغَضَ إلينا أن تَنْشَبَ الحرب بيننا وبينهم منكم؛ فانبعث مَنْ هناك من مشركي قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وقد صَدَقُوا لم يعلموه، قال: وبعضنا ينظر إلىٰ بعض.

أسْرُ بعض النقباء:

اكتشفت قريش الخبر فأدركوا سعد بن عبادة رضي الله عنه فربطوا يديه إلىٰ عنقه وجعلوا يضربونه ويجذبونه بشعر رأسه، **قال سعد:** فوالله إني لفي أيديهم إذ طلع عليَّ نفر من قريش، فيهم رجل وَضِيءٌ حُلْوٌ من الرجال [سهيل بن عمرو العامري]، فقلت في نفسي: إِنْ يَكُ عند أحد من القوم خير فعند هذا، **فلما** دنا مني رفع يده فلكمني لكمة شديدة، **فقلت** في نفسي: والله ما عندهم بعد هذا من خير، فوالله إني لفي أيديهم يسحبونني، **إِذْ** أَوَىٰ لي ورحمني رجل ممن كان معهم[أبو البَخْتَرِي بن هشام] فقال: ويحك، **أما** بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد؟ **قلت:** بلىٰ والله لقد كنت أُجِيرُ لجبير بن مطعم تُجَّارَهُ، وأَمْنَعُهُمْ ممن أراد ظلمهم ببلادي، وللحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، **قال:** ويحك فاهتف باسم الرجلين، واذكر ما بينك وبينهما،

قال: ففعلت وخرج ذلك الرجل إليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة، **فقال** لهما: إن رجلًا من الخزرج الآن يُضْرَبُ بالأَبْطَحِ ويهتف بكما ويذكر أن بينه وبينكما جوارًا، **قالا**: ومن هو؟ **قال**: سعد بن عبادة، **قالا**: صدق والله إن كان ليجير لنا تُجَّارَنَا ويَمْنَعُهُمْ أن يُظْلَمُوا ببلده، قال: فجاءا فَخَلَّصَا سعدًا من أيديهم فانطلق(1).

وروى أبو العباس الحسني [223] **أنه لما بلغ** قريشًا أن الأَوْس والخزرج بايعوا النبي غَدَوْا عليهم فابتدأهم عتبة بن ربيعة فقال: يامعشر الأوس والخَزْرَج، بلغنا أنكم بايعتم محمداً على أمرٍ، ووالله ما أحد أبغض إلينا وإليكم ممن أنشأ العدواة بيننا وبينكم، **وتكلم** أبو سفيان بن حرب فقال: يا أهل يثرب، ظننتم أنكم تخدعون أخانا وابن عمنا وتخرجونه عنا! **فقال** حارثة بن النعمان : نخرجه والله معنا وإن رغم أنفك، **وازدحم** الكلام بين الفريقين حتى ضرب عبد الله بن رواحة بيده إلى سيفه وهو يرتجز ويقول:

الآنَ لَمَّا أن تبعنا دينه وبايعت أَيمانُنَا يمينَه

عارضتمونا فتبادرونه وقبل هذا اليوم تشتمونه

وقال عتبة بن ربيعة: يا معشر الأوس والخزرج، لسنا نحب أن ينالكم على أيدينا أمر تكرهونه، وهذه أيام شريفة، وقد رأينا أن نعرض عليكم أمراً، **فقالوا**: ما هو يا أبا الوليد؟ **قال**: تتركون هذا الرجل عندنا وتنصرفون، على أن نعطيكم عليه عهداً لا نؤذيه ولا أحداً ممن آمن به، ولا نمنعه أن يصير إليكم، ولكن نجعل بيننا وبينكم ثلاثة أشهر، فإن رأى محمد بعدها اللحوق بكم لم نمنعه، **فتكلم** النبي ﷺ، فحمد الله وأثنى عليه وقرأ آيات من الأنعام، ثم أقبل على الأوس والخزرج، وقال: «إنكم تكلمتم بكلام أرضيتم الله به، وقد سمعت مقالة القوم، فإن أرادوا خيراً فالحمد لله على ذلك، وإلا فالله لهم بالمرصاد ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ

(1) ابن هشام 2/ 92، وابن كثير 2/ 206.

بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَـٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[النحل:26]، وإني أراهم طلبوا منكم أجلاً ومَا صبرت عليه من أمرهم إلى الآن أكثر من هذا الأجل، **وقد** أذنت لكم بالانصراف إلى بلدكم، فانصرفوا راشدين جزاكم الله عن نبيكم خيراً»، **فعند** ذلك ارتحلوا إلى المدينة، ورجعت قريش إلى منازلها ، **وجعل** النبي ﷺ يأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة، فجعلوا يخرجون واحداً بعد واحدٍ والنبي ﷺ مقيم بمكة.

ثمرة الصبر:

أثمر جهد النبي ﷺ وجهاده بلقاء هاتين القبيلتين اليمنيتين الكريمتين «الأوس والخزرج»، **وإذا** كان لليمنيين أن يفخروا بشيء من ماضيهم؛ فلهم أن يفخروا بالأنصار الذين ارتبطوا بالنبي ﷺ حياةً وموتًا، **والذين** قال فيهم: «المَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»[1]، و«لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ»[2]، وهم الذين قال فيهم: «إِنَّكُمْ مَا عَلِمْتُمْ تَكْثُرُونَ عِنْدَ الفَزَعِ، وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ»[كنز العمال 14/ 66 رقم 37950]، **ولليمنيين** أن يفخروا أيضًا بنصرة آل محمد ﷺ، **فقد** كانوا من أعمدة جيش الإمام علي كرم الله وجهه، وقد أشاد بهم في قوله[3]:

تَيَمَّمْتُ هَمْدَانَ الَّذِينَ هُمُ هُمُ ... إِذَا نَابَ أَمْرٌ جُنَّتِي وَسِهَامِي
فَنَادَيْتُ فِيهِمْ دَعْوَةً فَأَجَابَنِي ... فَوَارِسُ مِنْ هَمْدَانَ غَيْرُ لِئَامِ

---

(1) مسلم 3/ 1048 رقم 1870، وأحمد 3/ 643 رقم 10948، والبيهقي 9/ 118، ومصنف ابن أبي شيبة 6/ 401، 7/ 397، وصحيح ابن حبان 1/ 73 رقم 4760.

(2) البخاري 3/ 1377 رقم 3568، والترمذي 5/ 699 رقم 3899، وابن ماجة 1/ 58 رقم 164، ومصنف ابن أبي شيبة 4/ 398، والبيهقي 6/ 399، والمعجم الكبير 7/ 151، وسيرة ابن كثير 2/ 211، 3/ 174.

(3) القصيدة منقولة من كتاب عيون المختار للسيد مجد الدين المؤيدي ص 156، **وذكر** أنه نقلها عن مخطوطة بالمتحف البريطاني، والتحف ص 44، واللآلئ المضيئة (خ)، وبعض أبياتها مع تغيير يسير في شرح النهج لابن أبي الحديد 2/ 234، نقلًا عن وقعة صفين.

فَـوَارِسُ لَيْـسُوا فِي الْحُـرُوبِ بِعُـزَّلٍ غَـدَاةَ الـوَغَىٰ مِـنْ شَـاكِرٍ وَشِـبَامِ
وَمِـنْ أَرْحَـبَ الـشُّمِّ المَطَـاعِينَ بِالقَنَـا وَنِهْـمٍ وأَحْيَـاءِ الـسَّبِيعِ وَيَـامِ
وَوَادِعَـةُ الأَبْطَـالُ يُخْـشَىٰ مُـصَالُهَا بِكُـلِّ صَـقِيلٍ فِي الأَكُـفِّ حُـسَامِ
وَمِـنْ كُـلِّ حَـيٍّ قَـدْ أَتَتْنِـي فَـوَارِسٌ كِـرَامٌ لَـدَىٰ الْهَيْجَـاءِ أَيُّ كِـرَامِ
يَقُـودُهُمُ حَـامِي الْحَقِيقَـةِ مَاجِـدٌ سَـعِيدُ بْـنُ قَـيْسٍ وَالكَـرِيمُ مُحَـامِي
بِكُـلِّ رُدَيْنِـيٍّ وَعَـضْبٍ تَخَالُـهُ إِذَا اخْتَلَـفَ الأَقْـوَامُ سَـيْلَ عَـرَامِ
فَخَاضُوا لَظَاهَا وَاصْـطَلَوْا حَرَّ نَارِهَـا كَـأَنَّهُمُ فِي الهَـيْجِ شَرْبُ مُـدَامِ
جَـزَىٰ اللهُ هَمْـدَانَ الْجِنَـانَ فَـإِنَّهُمْ سِـمَامُ العِـدَا فِي كُـلِّ يَـوْمِ سِـمَامِ
لَهُـمْ تُعْـرَفُ الرَّايَـاتُ عِنْـدَ اخْتِلَافِهَـا وَهَـمْ بَـدَؤُوا لِلنَّـاسِ كُـلَّ لِحَـامِ
رِجَـالٌ يُحِبُّـونَ النَّبِـيَّ وَرَهْطَـهُ لَهُـمْ سَـالِفٌ فِي الـدَّهْرِ غَـيْرُ أَيَـامِ[1]
هُـمُ نَـصَرُونَا وَالـسُّيُوفُ كَأَنَّهَـا حَرِيـقٌ تَلَظَّـىٰ فِي هَـشِيمٍ ثُمَـامِ
لِهَمْـدَانَ أَخْـلَاقٌ وَدِيـنٌ يَزِينُهَـا وَبَـأْسٌ إِذَا لَاقَـوْا وَحَـدُّ خِـصَامِ
وَجِـدٌّ وَصِـدْقٌ فِي الْحَـدِيثِ وَنَجْـدَةٌ وَعِلْـمٌ إِذَا قَـالُوا وَطِيـبُ كَـلَامِ
فَلَـوْ كُنْـتُ بَوَّابًـا عَـلَىٰ بَـابِ جَنَّـةٍ لَقُلْـتُ لِهَمْـدَانَ ادْخُلُـوا بِـسَلَامِ

وقد قال ابن عباس للحسين عليه السلام عندما عزم على الخروج إلى العراق: اذهب إلى اليمن فإن لأبيك بها شيعة، **وقد** أكرم الله اليمن بالهادي عليه السلام(ت:298هـ)؛ فأسس مذهب العدل، والتوحيد، والاجتهاد، والحرية، ومقارعة الظالمين.

---

(1) **أَيَامُ**: بطن من همدان، فلعلهم أشداء؛ فشبههم بهم؛ **فالمناسب** أن نقول: مثل إيام بدل "غير"، **وربما** يكون بطن أيام فُسُولًا، أو قاتلوا مع معاوية، فأخرج اللئام من الكرام بلفظة: "غير". **وإيام أيضًا**: الدخان، فلعله نزههم أن يتبخروا في المواقف كالدخان، بل هم صامدون كالجبال. والله أعلم.

المؤاخاة بين المهاجرين[1]:

آخى النبي ﷺ بين المهاجرين على الحق والمؤاساة، أخوين أخوين: بين أبي بكر وعمر، وحمزة وزيد، وعثمان وعبد الرحمن بن عوف، والزبير وابن مسعود، وعبادة بن الحارث وبلال، ومصعب وسعد بن أبي وقاص، وأبي عبيدة وسالم، وسعيد بن زيد وطلحة. فقال علي كرم الله وجهه: يا رسول الله، إنك قد آخيت بين أصحابك، فمَنْ أخي؟ قال الرسول: «أما ترضى يا علي أن أكون أخاك»؟ فقال ابن عمر: وكان عَلِيٌّ جَلْدًا شُجَاعًا فقال علي: بلى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[2].

---

(1) سيرة ابن هشام 2/ 150، وعيون الأثر 1/ 264، وسبل الهدى 3/ 527 ، وذيل تاريخ بغداد 5/ 89، والمصابيح ص 231، ومناقب الكوفي 1/ 325، والإصابة 2/ 501، والاستيعاب 3/ 202، والطبقات 3/ 23، والبداية والنهاية 3/ 278، وتاريخ الخلفاء 1/ 159، ووفاء الوفاء 1/ 267، والسيرة الحلبية 2/ 20، وتاريخ دمشق 42/ 51، 52، وأسد الغابة 2/ 299.

(2) حديث المؤاخاة أخرجه الترمذي 5/ 595 رقم 3720، وأبو يعلى في مسنده 4/ 266 رقم 2379، وفضائل الصحابة 2/ 740 رقم 1019، وص 764 رقم 1055، وص 791 رقم 1085، والطبراني في الأوسط 8/ 40 رقم 7894، ومسند أحمد 1/ 335 رقم 1371 ، والحاكم في المستدرك 3/ 15، 16 ولم يوافق الذهبي على تصحيحه؛ أسوة بابن تيمية الذي أنكر في كتابه منهاج السنة 2/ 190 المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصًا مؤاخاة النبي ﷺ لعلي قال: لأن المؤاخاة شرعت لإرفاق بعضهم بعضًا، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي لأحد منهم، ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري. **قال ابن حجر** في فتح الباري 7/ 270: وهذا رد للنص بالقياس، وإغفال عن حكمة المؤاخاة؛ لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى؛ فآخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى ويستعين الأعلى بالأدنى، **وبهذا** تظهر مؤاخاته ﷺ لعلي؛ لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمر، **وكذا** مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة؛ لأن زيدًا مولاهم؛ فقد ثبت أخوتهما، وهما من المهاجرين، **وسيأتي** في عمرة القضاء قول زيد بن حارثة: إن بنت حمزة بنت أخي. **وأخرج** الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن أبي الشعثاء، عن ابن عباس: آخى النبي ﷺ بين الزبير وابن مسعود وهما من المهاجرين[**وقال**]: وأخرجه الضياء في المختارة 5/ 65 رقم 1688 من المعجم الكبير للطبراني، **وابن تيمية** يصرح بأن أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرك، وقصة المؤاخاة الأولى أخرجها =

هجرة المسلمين إلى المدينة:

فتح النبي ﷺ الضوء الأخضر للهجرة إلى المدينة، في ضيافة رجال يتردد مديحهم في القرآن إلى يوم القيامة: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الحشر:9]؛ **انطلقت** كتائب المهاجرين يتقدمهم أبو سَلَمَةَ[1] رضي الله عنه القادم من الحبشة لما بلغه إسلام الأنصار فهاجر إليهم، واعترضه رجال بني المغيرةِ أُسْرَةُ زوجه أم سلمة رضي الله عنها فانتزعوا منه خِطام بعيرها فأخذوها؛ فغضب رهط أبي سلمة وقالوا: لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجاذبوا الطفلَ سَلَمَةَ حتى خلعوا يده فكان عند بني عبد الأسد، والمسكينةُ أُم سلمة رضي الله عنها عند بني المغيرة، **فكانت** تخرج إلى الأَبْطَحِ باكية على فِراق زوجها وابنها قرابة سنة، حتى مر رجل من بني عمها فرحمها، وقال: ألا ترحمون هذه المسكينةَ فرَّقْتُمْ بينها وبين زوجها وولدها؟ فقالوا: الحقي بزوجك إن شئتِ، ورَدُّوا إليها وَلَدَهَا، قالت: فارتحلتُ ما معي أحد من خلق الله، قلتُ: أَتَبَلَّغُ بمن لقيت حتى ألقى زوجي، حتى إذا كنت بالتّنعيم[2]، لقيت عثمان بن طلحة،

الحاكم من طريق جميع بن عمير، عن ابن عمر: آخى رسول الله ﷺ بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عبد الرحمن بن عوف وعثمان، **وذكر** جماعة، قال: فقال علي يا رسول الله إنك آخيت بين أصحابك، فمن أخي؟ قال: «أنا أخوك»، وإذا انضم هذا إلى ما تقدم تقوى به. **وكذلك** رد عليه العلامة ابن الأمير في التحفة العلوية ص 138 فيراجع.

(1) أول من هاجر إلى المدينة، ذكره ابن إسحاق، وابن سعد 1/ 226، والطبري 2/ 369، ومغلطاي ص 151، **وقال البلاذري** 1/ 257: كان أبو سلمة الثالث بعد مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، وأخرج الطبراني في الأوائل له ص 55: أن أول من قدم المدينة مصعب بن عمير، **وقد** جمع بينهما ابن حجر فقال: إن أبا سلمة خرج لا لقصد الإقامة بالمدينة بل فرارًا من المشركين، بخلاف مصعب بن عمير فإنه خرج إليها للإقامة بها، وتعليم من أسلم من أهلها بأمر النبي ﷺ فلكل أولية من جهة. ينظر: فتح الباري 7/ 261.

(2) على فرسخين من مكة، ما يقارب أحد عشر كيلو مترًا.

(وكان مشركًا) **فقال**: إلى أين يا ابنة أبي أمية؟ **قلت**: أريد زوجي في المدينة **قال**: أو ما معك أحد؟ **قلت**: لا والله إلا الله وبُنَيَّ هذا، **قال**: والله ما لك مِنْ مَتْرَكٍ، فأخذ بخطام البعير فانطلق معي، فوالله ما صحبتُ رجلًا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه؛ **كان** إذا بلغ المنزل أناخ بي ثم استأخر عني، **حتى** إذا نزلت استأخر ببعيري فحطّ عنه ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة فاضطجع تحتها، **فإذا** دنا الرواح، قام إلى بعيري فقدمه فرحَّله ثم استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت أخذ بخطام البعير وهكذا، حتى قدمنا المدينة، فوصل بي إلى قُبَاءَ، **وقال**: زوجك في هذه القرية، ثم انصرف راجعًا إلى مكة، **قالت**: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل بيت أبي سلمة، وما رأيت صاحبًا قط أكرم من عثمان بن طلحة[1].

الدروس والعبر:

1- إن لكل عسر يسرًا، ولكل ضيق فرجًا؛ **فقد** ذهب أبو سلمة وامرأته رضي الله عنهما شرقًا وغربًا فرارًا بدينهما، وظلت الأسرة سنة مُشَتَّتَةً، فكانت العاقبة دخول الأسرة في سجل الخالدين، وصارت أم سلمة فيما بعد من عيون أمهات المؤمنين.

2- المروءةُ وَالْخُلُقُ الكَرِيمُ معدن نفيس يتحلى بهما نبهاء الرجال، **وإني** لأعجب لهذا المشرك الشهم، **وأقول** لنفسي: لو أن الأمر بيدي لكتبتُ له شرف الهجرة وأجْرَها؛ مكافأةً له على رجولته، وغَيْرَتِهِ، وإنسانيته النادرة، وشرف نفسه وعفتها، **أين** هذا من كثير من الساقطين؟ الذين يستغلون ضَعْفَ المرأة، وَحَاجَتَهَا، وَوَحْدَتَهَا؛ فيبدؤون بالغَزَلِ والمزاح الثقيل، **وربما** نزلوا إلى عالم البهائم مباشرة فمارسوا الاغتصاب، **أليس** عالمُ اليوم مليئًا بهذا الوباء والانحطاط الأخلاقي؟ وفَتَاةُ اليَوْمَ لَيْسَتْ أُمَّ سلمة، مع تقديري للعفيفات الطاهرات .

---

(1) ابن هشام 2/ 112، وتأريخ الإسلام (السيرة النبوية) 312.

3 – لقد حفظ النبي ﷺ لعثمان بن طلحة مروءته وسلمه مفتاح الكعبة، وقال: «اليوم يوم بر ووفاء»، ومن أولى من النبيﷺ برد الجميل؟!

هجرة النبي ﷺ - سنة 12 من النبوة[1] **ـ 622م:**

أقام ﷺ بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يُؤذَنَ له في الهجرة، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حُبِسَ وفُتِنَ، **وعلي** بن أبي طالب كرم الله وجهه، وأبو بكر ﷺ، **وكان** أبو بكر كثيرًا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبًا» فيطمع أبو بكر أن يكون إياه؛ وَلَمَّا رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد عَزَّ جانبه وصار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، وصارت يثرب تحت سيطرة أتباعه، **ورأوا** خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، **وأنهم** قد نزلوا دارًا، وأصابوا منهم مَنَعَةً–**حَذِرُوا** خروج رسول الله ﷺ إليهم، وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم؛ **فاجتمعوا** له في دار الندوة وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمرًا إلا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ، **فاعترضهم** إبليسُ في هيئة شيخ نجدي[2]، **فقال**: أدخلوني معكم؛ فلن تعدموا مني رأيًا، فأدخلوه، فبدأت الجلسة بالحديث عن خطر محمد ﷺ وخوفهم من الوثوب عليهم إن هو التقى بأصحابه في المدينة، **فقال أبو البختري بن هشام**: احبسوه وأغلقوا عليه بابًا حتى يموت، **فقال إبليس**: ما هذا برأي، فربما وثب أصحابه فنزعوه من أيديكم، **فقال أبو الأسود ربيعة بن عامر**: نُخْرِجُهُ من

(1) ابن هشام 1/ 123، والبداية والنهاية 3/ 214، والكامل 2/ 71، والطبري 2/ 376، ومجمع الزوائد 6/ 62، ومروج الذهب 2/ 286، والمصابيح لأبي العباس الحسني ص 229، والسيرة لأحمد الشرفي ص 69، وعيون الأثر 1/ 286، والسيرة النبوية لابن كثير2/ 226، وطبقات ابن سعد 1/ 227، والروض الأنف 2/ 229.

(2) لأن المؤتمرين منعوا أن يدخل معهم أحد من تهامة؛ لأن هواهم مع محمد ﷺ، **وذكر** السهيلي: أن الشيطان تمثل لنبي الله إبراهيم في صورة نجدي، وقال: إن نجدًا يطلع منها قرن الشيطان، كما جاء في الحديث. الروض الأنف 2/ 229، والطبري 9/ 300.

بين أظهرنا، **قال إبليس**: ما هـذا بـرأي، ألم تـروا حـسن حديثـه، وحـلاوة منطقـه، وَغَلَبَتَهُ على قلوب الرجال، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يَحُلَّ على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم فيأخـذ أمركم من أيديكم؛ دَبِّرُوا فيه رأيًا غير هـذا، **فقـال أبـو جهـل**: والله إِنَّ لي لَرَأْيًـا مـا أراكم وقعتم عليه بعد، **قالوا**: وما هو؟ **قال**: أرى أن نأخذ من كل قبيلـة فتـى شَـابًّا جليدًا نسيبًا وسيطًا[أي شريفًا] فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفًا صارمًا، ثـم يعمـدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد؛ فيتفرق دمه في القبائل، فلا يقدر بنو عبدِ منـافٍ على حرب قومهم جميعًا، فَرَضُوا مِنَّا بِالعَقْلِ[الدية]، فعقلناه لهم، **وفي روايـة**: أرى أَنْ يُعْطَى خمسةُ رجالٍ من خمس قبائل سيفًا[1]، **فقال إبليس**: هذا هـو الـرأي؛ فَـأَجْمَعُوا عليه؛ فأتى جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال: لا تَبِتْ هذه الليلة على فراشـك الـذي كنـت تبيـت عليـه، وتـلا عليـه قـول الله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾[الأنفال: 30].

وفاء وفداء:

جاءت ساعة الصفر من عتَمةِ الليل المُحَدَّدِ لاغتيال النبـي ﷺ، فاقتربـت الفرقـة الـمَنُوطُ بها تنفيذُ الاغتيال مـن بـاب النبـي ﷺ يترصـدون استـلقاءه عـلى فراشـه ليجهزوا عليه، **فلمحهم** النبي ﷺ؛ فعمل على إفشال خطـتهم، **فقـال** لعـلي بـن أبي طالب كرم الله وجهه: نَمْ على فراشي، وتَسَجَّ ببردي هـذا الحـضرمي الأخـضرِ فَـنَمْ فيه[2]، **وكان** رسول الله ﷺ يَنَامُ فِي بُرْدِهِ ذَلِكَ[3]، **عن عليٍّ** رضي الله عنه قـال: لمـا كانـت ليلـة

---

(1) وفاء الوفاء ج1 ص236 .

(2)الروضة الندية 24، ابن هشام 2/ 126، الروض الأنف 2/ 229.

(3) الروضة الندية 24، وابن هشام 2/ 127، والروض الأنف 2/ 229، وعيون الأثر / 293، ومغلطاي 153، وطبقات ابن سعد 1/ 227، **وقال** الحاكم في المستدرك 3/ 4: فكان أول من شرى نفسه ابتغـاء مرضـات الله، =

المبيت التي أمرني رسول الله أن أبيت على فراشه انطلق بي إلى الأصنام في الكعبة، فقال: اجلس، فجلست إلى جنب الكعبة، ثم صعد على منكبي ثم قال: انهض، فنهضت به، فلما رأى ضعفي تحته قال: اجلس؛ فجلست فَأَنْزَلْتُهُ عني، وجلس لي رسول الله ﷺ ثم قال لي: يا علي اصعد على منكبي؛ فَصَعَدْتُ على منكبيه، ثم نهض بي، وخُيِّلَ إِليَّ أني لو شِئْتُ لَنِلْتُ السماءَ، وصعدتُ إلى الكعبة، وتنحى رسول الله ﷺ فألقيتُ صنمهم الأكبر، وكان من نحاس مُوَتَّدًا بأوتاد من حديد إلى الأرض، فقال رسول الله ﷺ: عَالِجْهُ؛ فمازلت أعالجه، وَرَسُولُ الله ﷺ يقول: ايه ايه، فلم أزل أُعالجه حتى استمكنتُ منه، فقال: دُقَّهُ، فدققته فكسرته و نزلت[1].

فَرَقَى فِي مَكَّةَ أَكْتَافَهَ ... فَغَدَتْ أَصْنَامُهُمْ مِنْهُ جِثِيًّا
كَادَ أَنْ يَلْمَسَ أَفْلَاكَ السَّمَا ... ويُلَاقِيْ كَفُّهُ كَفَّ الثُرَيَّا[2]

خرج رسول الله ﷺ في هَجْعَةٍ من الليل يتلو (يس) إلى قوله تعالى: ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾؛ فلم يُبْصِرْهُ أحد منهم، **فذهب** إلى دار أبي بكر وخرجا سَوِيًّا من

ونقل عن حكيم بن جبير، **وعن** علي بن الحسين أن عليًّا قال عند مبيته على فراش رسول الله ﷺ:

وَقَيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى ... وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ العَتِيقِ وَبِالحِجْرِ
رَسُولَ إِلَهٍ خَافَ أَنْ يَمْكُرُوا بِهِ ... فَنَجَّاهُ ذُو الطَّوْلِ الإِلَهُ مِنَ المَكْرِ
وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ فِي الغَارِ آمِنًا ... مُوَقًّى وَفِي حِفْظِ الإِلَهِ وَفِي سِتْرِ

زاد بعض النواصب: (فإنه لن يخلصَ إليك شَيْءٌ تَكْرَهُهُ) **وهذه** الزيادة، لم تثبت من وجه صحيح ولا حسن، **وإنما** رواها ابن إسحاق عن مبهمين، ورواه الثعلبي، وليس من أهل الحديث، **وفي** روايته ذِكْرُ حراسة جبريل وميكائيل أيضًا، **وهاتان** الزيادتان هما اللتان جرأتا ابن تيمية على القدح في هذه المنقبة في منهاج السنة 3/ 31، 32 بما يطول، **وَأَصْلُ** القصة ثابت صحيح بدون هذه الزيادة؛ لأنها تقتضي أنه لم يَفْدِ بنفسه مع تأمينه ﷺ له بهذه الزيادة؛ **ولهذا** توصل بها ابن تيمية إلى نفي هذه المنقبة بعد أن كَذَّبَ هذه الرواية المشتملة على هذه الزيادة فناقض كلامه حينئذ؛ بإثباته للزيادة ونفيه للرواية.

(1) المستدرك 3/ 5، **وقال**: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والمسند 1/ 183/ رقم 644، والخصائص 113.

(2) ينظر الروضة الندية شرح التحفة العلوية للسيد أحمد بن اسماعيل الأمير الصنعاني ص 26.

خوخة في ظهر البيت فاتجها جنوبًا إلىٰ غار ثور، ولم يعلم بهما غَيْرُ عبدالله بن أبي بكر، وأختيه عائشة وأسماء، وعامر بن فُهَيْرَةَ مولاهم[1]، **قال ابن هشام**: انتهىٰ ﷺ إلىٰ الغار ليلًا فدخل أبو بكر رضي الله عنه قبل رسول الله ﷺ يلتمس الغار؛ لينظر أفيه سبع أم حية يَقِي رسول الله بنفسه[2]، مكث في الغار ثلاث ليال حتىٰ هدأ الطلب، **وجاء** عبدالله بن أُرَيْقِطٍ براحلتيهما حسب الموعد؛ **وقد** استأجراه ليدلهما علىٰ الطريق، واتَّجَها صوب المدينة يطويان المراحل لَيْلَ نَهَارٍ.

(1) روىٰ أحمد في المسند 1/ 708 رقم 3062، وفي فضائل الصحابة 2/ 849 رقم 1168، **روىٰ** الحاكم في المستدرك 3/ 133عن ابن عباس قال: وشرىٰ علي نفسه، فلبس ثوب النبي ﷺ، ثم نام مكانه، وكان المشركون يرمون النبي ﷺ، فجاء أبو بكر وأَمِيرُ المؤمنين عَلِيٌّ نَائِمٌ، فقال: يا نبي الله -وأبو بكر يحسب أنه رسول الله- فقال له علي: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فَأَدْرِكْهُ، قال: فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار، قال: وجعل علي يُرْمَىٰ بالحجارة كما كان يُرمىٰ رسول الله ﷺ وهو يتضور، وقد لفَّ رأسه في الثوب لا يخرجه حتىٰ أصبح... **وقال**: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، **ووافقه** الذهبي علىٰ تصحيحه. وقال في مجمع الزوائد 9/ 119: رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي بلج الفزاري، وهو ثقة وفيه لين. قلت: وقد وثق أبا بلج ابن سعد، وابن معين، والنسائي، والدارقطني. ينظر: تهذيب الكمال 33/ 162 ، وطبقات ابن سعد 7/ 311.

(2) ابن هشام 2/ 130. **وذكر** ابن كثير أنه سدد الأَجْحِرَةِ في الغار إلا جُحْرًا سدَّه بكعبه فجعلت الأفاعي تنهشه ودموعه تسيل، فقال ﷺ: «لا تحزن إن الله معنا»، **وفي هذا** السياق غَرَابَةٌ وَنَكَارَةٌ. البداية والنهاية 3/ 221.



العقيق
ذات الجيش
المدينة
قباء
ذو الحليفة
حمراء الأسد
الروحاء
الرويثة
العرج
المنصرف
سجسج
بدر
الجحفة
رابغ
كلية
المشلل
خيمتا أم معبد
قديد
خليص
أمج
الروضة
كديد
غدير الأشطاط
ثنية الغزال
عسفان
سرف
الحديبية
مكة
جبل ثور
جدة
طريق الهجرة
طريق الهجرة
طريق الجادة (المعتدلة)
الوصول إلى قباء يوم الإثنين
١٢ ربيع أول سنة السنة الهجرية
الأولى / ٢٤ سبتمبر سنة ٦٢٢م
وأول المحرم سنة ١هـ يقابل ١٦ يوليو
سنة ٦٢٢ وهي بداية التاريخ الهجري

الدروس والعبر: **تبرز** في المواقف الصعبة عبقريات الأفذاذ الكبار، ومواهب القيادات السياسية العليا، وأعني مولانا النَّبِيَّ محمدًا ﷺ الذي لم يترك للصُّدَفِ أن تلعب دورها، **بل** أعد عدته منذ زمن بعيد، **وكان** ترتيبه كما يلي:

1 – اختياره لعلي كرم الله وجهه وزيرًا، وإعداده إعدادًا ممتازًا؛ للمواقف الحرجة والعادية، **وها** هو يباشر دَوْرًا من أخطر الأدوار، إنه الفداء، **وبكلمة** صارمة: «نَمْ يَا عَلِيُّ فِي فِرَاشِي»، **وبدون** تردد ينطلق راضيًا لأداء هذا الواجب المقدس **فِدَاءَ** نبيه الذي رباه، وأدَّبه أحسن تأديب، فتخلق بأخلاقه، وتحلى بصفاته؛ فآمن به من أول لحظة.

2 – الدور الذي أُوكِلَ بعلي كرم الله وجهه مناسب له؛ لأنه خَطِرٌ؛ والدعوة المحمدية تحتاج إلى وقود وفداء، **وأولى** الناس بهذا هم آل البيت عليهم السلام أقارب النبي ﷺ، **ثم** إنَّ عليًّا شابٌّ شجاعٌ لا يرتعد في المهمات الصعبة، بل يذهب إليها باسمًا مبتهجًا، **وفي تقديري** أن عليًّا قد أعد نفسه لافتراس الأربعين المتربصين، كاللَّبْوَةِ مع حُمُرِ الوحش.

3 –لم يأذن النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه أن يسبقه في الهجرة؛ لأنه المناسب في سنه وعقله وخبرته ومؤانسته؛ فاصطحبه معه؛ **فالرفيق** قبل الطريق، **وأبو** بكر صَدِيقٌ قديم له ﷺ، معروف بدماثة أخلاقه، وَحُسْنِ حديثه، **وقد** استنفر أسرته لخدمته ﷺ.

4 – اختيار ابنِ أريقط دليلًا رغم أنه مشرك يدل على أن الكفاءة وحدها هي المِحَكُّ في التكليف، **ونحن** ندرك أن جراحة القلب المفتوح تحتاج إلى طبيب بارع: مسلمًا كان أم يهوديًا؛ **ولو** جاءني طبيب لا يجيد إلا لُبْسَ البِزَّةِ البيضاء وتعليق المِجَسِّ[السماعة] على رقبته ليشق صدري ملتزمًا بتلاوة القرآن حال العمل–ما وَثِقْتُ بِهِ؛ لأن العلم والخبرة هما الأمان الوحيد؛ **فهل** نتعلم من النبي ﷺ هذا الدرس: **وهو وَضْعُ الرَّجُلِ الْمُنَاسِبِ فِي الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ؟**

5 – سبق للنبي ﷺ أن أوعز بإعداد راحلتين قويتين على الصحراء والمطاردة.

6- **عَرَضَ** أبو بكر ﷺ على النبي ﷺ أن يقبل إحدى الراحلتين هدية؛ **لكنه** أبى وقال: إنها الهجرة يا أبا بكر؛ **وهكذا** يعلمنا رسول الله ﷺ أن لا نُضَيِّعَ الفرص، وأن نستثمر أموالنا الخاصة في المصارف التي تُدِرُّ رِبْحًا مضاعفًا، **وهل** تتكرر هذه الرحلة حتى يُفَوِّتَ نَبِيُّ اللهِ الجهادَ بماله؟ حتى وإن كانت نفس أبي بكر طيبة.

7- التمويهُ على قريش بالتوجه جنوبًا رغم أن طريق المدينة شمالًا، وتكليفُ عبدِالله بن أبي بكر بالتقاط الأخبار، وأُسْرَةِ أبي بكر بإعداد الزاد، وعامرِ بن فهيرة راعي الغنم بأن يسير بالغنم وراءهما ليُعَفِّيَ آثارهما، وليتمكنا من الحلب والذبح حين الحاجة.

8- من الملفت أن فريق الاغتيال لم يقتحموا بيت النبي ﷺ؛ فإنهم لما حاولوا ذلك صاحت بهم امرأة من الدار، فقال بعضهم لبعض: والله إنها لَسُبَّةٌ في العرب أن يُتَحَدَّثَ عنا أنا تَسَوَّرْنَا الحِيطَانَ على بنات العم، وهتكنا ستر حرمتنا، فظلوا بالباب؛ **وهذا** يشير إلى بعضِ أخلاقٍ كانت لدى العرب، وهي احترام البيوت، ولا سيما في الليل؛ **ولهذا** فالأجدر بالأنظمة التي تدعي الإسلام أن تحافظ على حرمات البيوت، وتمنع الزيارات قبل الفجر؛ لأن للبيوت حُرْمَةً حَفِظَهَا الكُفْرُ والإسلامُ، **والخلاصة**: فالرسول ﷺ قد استنفد طاقته، وبذل جهده في التفكير، والتخطيط، والإعداد، والتجهيز بالوسائل المعتادة، وَتَرَكَ الأمور بعد ذلك لله؛ **ولذلك** لا غرابة أن يُنْبِتَ الله شجرةً على باب الغار، وأن تبيض الحمامة، وأن تنسج العنكبوت؛ قال الشاعر:

وإذا العنايةُ لاحَظَتْكَ عُيُونُهَا ... نَمْ فالمخاوفُ كُلُّهُنَّ أَمَانُ

وقال البوصيري:

ظَنُّوا الحمامَ وَظَنُّوا العنكبوتَ على ... خَيْرِ البريةِ لم تَنْسُجْ ولم تَحُمِ

عِنَايَةُ اللهِ أَغْنَتْ عَنْ مُضَاعَفَةٍ ... من الدُّرُوعِ وعَنْ عَالٍ مِنَ الأُطُمِ

وقال في همزيتِهِ:

وَيْـحَ قَـوْمٍ جَفَـوْا نَبِيًّـا بِـأَرْضٍ ... أَلِفَتْـــهُ ضِـــبَابُهَا والظِّبَـــاءُ
وَسَــلَوْهُ وَحَـــنَّ جِـــذْعٌ إِلَيْـــهِ ... وَقَلَـــــوْهُ وَوَدَّهُ الغُرَبَـــــاءُ
أَخْرَجُـــوهُ مِنْهَـــا وَآوَاهُ غَـــارٌ ... وحَمَتْــــهُ حَمَامَــــةٌ وَرْقَـــاءُ
وَكَفَتْـــهُ بِنَـــسْجِهَا عَنْكَبُـــوتٌ ... مَـــا كَفَتْــهُ الحَمَامَـــةُ الحَــصْدَاءُ

وقد رويَ أن المشركين وصلوا إلىٰ باب الغار فرأوا نَسْجَ العنكبوت وبيض الحمام؛ فانصرفوا، فقال أبو بكر: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلىٰ قدميه لرآنا؛ فقال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين، اللهُ ثالثهما؟ **وفي** هذا الحَدَثِ نزل قول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[التوبة:40][1]، ولسائل أن يسأل: لماذا هذا العناء؟ وأين البُرَاقُ ليخطف رسول الله ﷺ في لمح البصر إلىٰ قبة خضراء في المدينة قد شَيَّدَتْهَا الملائكة؟ **والجواب** أَنَّ **مُحَمَّدًا** ﷺ عبدُ الله يقود المؤمنين في ميدان العبادة، واللهُ تعالىٰ يُحِبُّ أن يرىٰ عباده الصالحين يتعرضون للبلاء من أجله، ويَمْحَضُونَ العبادة إجلالًا له، **وهو** ما فعله النبي ﷺ قُدْوَةُ البشرية إلىٰ يوم القيامة؛ فالتواكل في دينه مرفوض، والتوكل مطلوب، **وقد** جاءه يومًا رجل وأعلمه أنه ترك ناقته بغير عقال تَوَكُّلًا علىٰ الله، فقال ﷺ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»[2]؛ **وهذا** هو سر خلود الإسلام وصلاحيته للبقاء؛ لقيامه علىٰ الوسائل الطبيعية، وأخذه بالأسباب العادية دون ترك الاعتماد علىٰ الله، والتوكل عليه، وطلب النَّصرِ من عنده مع الأخذ بالأسباب، والله سبحانه قد تكفل بالنصر للمؤمنين، قال

---

(1) البخاري 4386، ومسلم 4/ 1854. والبداية والنهاية 3/ 223.
(2) ابن حبان 2/ 56. وحلية الأولياء 8/ 438.

تعالىٰ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:47].

أهمية الهجرة:

لقد نَبَتْ بالنبي ﷺ والمسلمين مَكَّةُ المكرمةُ فوجدوا في الحبشة والمدينة المنورة مستقرًّا وعزًّا وإخوانًا من خير أهل الأرض، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:9]، **إن دولة الإسلام** لم تبدأ إلا بعد هجرة النبي ﷺ؛ لأن الهجرة كسر للجمود العقلي والتبلد الذهني؛ فهي كما قال الدكتور الفيلسوف علي شريعتي: لَيْسَتْ وَاقِعَةً من وقائع التاريخ فحسب بل هي أساس اجتماعي؛ **إن** الهجرة هي قطع العلاقة بالمكان الذي يُسجن فيه ساكنه، ويركد ويبقىٰ رهن ظروفه محرومًا من الرقي، والتحول، والتطور؛ فيتكلس، ويتوقف الفكر، والعقل، والإحساس، والعلوم، والفنون، والثقافة، والدين، ورؤية العالم، أو يتعفن فيموت، أو تستهلكه الثقافة والدين المرتبط بهما؛ **وفي** زمننا أمثلة لا تُحصىٰ لمن لم يجدوا فرصة عمل في بلدانهم المنكوبة فهاجروا وصاروا من صناع رحلات الفضاء، وعباقرة الطب، والمال والأعمال، وغيرها مما انغلق في ديارهم بشؤم الاستبداد، والفساد، والجهل؛ **كل** ذلك قاد الشعوب المتخلفة ضد التحضر، وركض بها بسرعة الصواريخ إلىٰ الفقر والجهل والمرض، **وكل** أنواع البؤس والشقاء وَقَتْلِ الهمم، وزرع اليأس والإحباط في النفوس، وبث الفرقة والبغضاء والأحقاد، وإثارة النعرات، واجترار مساوئ الماضي والحاضر، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وحسبنا الله ونعم الوكيل؛ **فلو لم** يهاجر النبي ﷺ لما بنىٰ دولة عالمية سارت مسير الشمس والقمر، **ولو لم** يهاجر يوسف إلىٰ مصر لما وصل إلىٰ خزائن أرض مصر والسودان يتصرف كيف يشاء، **ولو لم** يخرج الأوروبيون وسكان الشمال الإسكندنافي من غاباتهم لما عُرِفَتْ أمريكا، ولا غزوا

أعماق البحار والفضاء واستعبدوا العالم، ولظلوا حيوانات بشرية متوحشة؛ **فالهجرة** والحركة جلبتْ لهم التقدم والثراء الفاحش والسيطرة على الشعوب الراكدة؛ فاحتلوا أمريكا وكندا، واستراليا، واستنزفوا موارد أفريقيا، وأخذوا رجالها عبيدًا، ونهبوا ثروات العرب، ومسخوا هويتهم، وزرعوا اليهود في فلسطين، واغتصبوا القدس الشريف، **فلو سبق** المسلمون بالهجرة إلى مشارق الأرض ومغاربها، وقد كانوا في عز وقوة يوم كانت القارة الهندية ولاية من ولاياتهم؛ **أفلا يمكن** أن تكون أمريكا وكندا بعض ولايات الدولة الإسلامية؟ **كان** ذلك ممكنًا لوأنهم ظلوا على عبادة ربهم ولم يتحولوا -ولا سيما ملوكهم- إلى عبادة بطونهم وفروجهم، واستخدام قوتهم ودهائهم لاغراض شخصية؛ **فالملك** معاوية اهتم بملاحقة بني هاشم، وَمَحْوِ آثارهم، ومضاعفة الثروة، والتخطيط لاستخلاف ولده يزيد، **وها نحن** نرى كل شيء في العالم قد تغير من ركوب الحمار إلى الطائرة النفاثة، وبيعة يزيد لم تتغير، ولا سيما في دنيا العرب؛ **واحتذى** حذو معاوية ملوك بني مروان، **وحين** جاء العباسيون كانوا أدهى وأنكى؛ فلم يزد أبو الدوانيق أبو جعفر المنصور أن فجَّر حقده على بني عمه أولاد عَلِيٍّ، ورتب الوراثة في عقبه، وملأ الخزائن بالذهب والفضة، **وحين** كان عبدالرحمن الداخل متفوقا في أسبانيا علميًا وسياسيًا واقتصاديًا، والأوروبيون في سبات -لم يُوَفَّقْ مع قومه من بني العباس في تجهيز أسطول إسلامي لاستكشاف العالم، كما فعل بعد ذلك ملك أسبانيا، **وإنما** ازدهرت المؤامرات، وإرسال الجواسيس والقتلة في زي أطباء للقضاء على الخصوم عبر مِشْرَطِ حجامة، أو ترياق دواء مسموم، أو ما شابه ذلك[1].

---

(1) لي تجربة شخصية في الهجرة؛ فقد كنت في قريتي أرعى حيوانات البيت الضرورية: حمارة، وبقرة، وثور، وكبش أو اثنين للعيد، وما تنتجه الحمارة والبقرة والشاة، وكانت لعبتي المفضلة تعليم الكبش المناطحة، فقررت لسوء حظي أن أجرب مناطحته برأسي، فغدر بي حين انسحب إلى الوراء خلسة، وأهدى إليَّ دقة لا =

سراقة بن مالك[1]:

لم تتقبل قريش هزيمةَ إفلاتِ النبي ﷺ من يدها؛ فجعلت مائة ناقة لمن يأتيها به، **وكان** سراقة قد عرف الطريق التي اتجه إليها النبي ﷺ فانسل خفية يعدو على فرسه حتى أدركه، ولما قاربه مُضْمِرًا له الشر ساخت قوائم فرسه في الرمل، فاستنجد بمحمد ﷺ، وطلب منه الأمان وتاب في نفسه حين أيقن أنه ممنوع من رسول الله ﷺ، **فعرض** على رسول الله ﷺ وصاحبه الزاد والمتاع؛ فقالا: لا حاجة لنا، **عَمِّ** عنا الطلب، فرجع ووجد الناسَ جادين في البحث، فجعل لا يَلْقَى أحدًا إلا رده، ويقول: كُفِيتُمْ هذا الوجه؛ **فكان** أول النهار جاهدًا في القبض عليهما، **وفي** آخره حارسًا لهما، فسبحان الله! ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:7].

أم معبد[2]: قالت أسماء بنت عميس: مكثنا ثلاثة أيام بعد خروجهما من الغار لا ندري أين توجه رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوتًا يتغنى لا نراه من أعلى مكة:

جَزَى اللهُ ربُّ الناسِ خَيْرَ جَزَائِهِ ... رَفِيقَيْنِ حَلَّا خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدِ

هُمَا نَزَلَا بِالبَرِّ ثُمَّ تَرَوَّحَا[3] **... فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ**

لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ ... وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ

فلما سمعنا قوله عرفنا أنه توجه إلى المدينة، **وَاسْمُ** أُمِّ معبد: عاتكةُ بنت خالد من بني كعب من خزاعة، نزل بها رسول الله ﷺ ومن معه فسألوها لحمًا وتمرًا يشترونه

أنساها، وتعلمت السباحة لنفسي، والكتابة، والقراءة، وكنت أحب القراءة، وعندي شوق للتعلم، لو كان هناك من ينمي موهبتي، فَزُوِّجْتُ للأسف وأنا مراهق، فلم أكُ سعيدًا؛ فقررت الهجرة إلى صنعاء، فيسر الله لي أمري، وأظنني لو هاجرت إلى أمريكا أو كندا لكان الوضع أفضل؛ فالبلاد المتخلفة مقبرة المواهب، لكني أدعو الله دائما: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:10].

(1) سيرة ابن هشام 2/ 135، وابن كثير 2/ 246، وعيون الأثر 1/ 289، وابن سعد 1/ 229.

(2) المصابيح 159، و ابن هشام 2/ 132، وابن كثير 2/ 257، وابن سعد 1/ 229، وعيون الأثر 1/ 304.

(3) **ويروى**: وارتحلا به.

منها فلم يصيبوا عنـدها شـيئًا، **ورأى** رسـول الله ﷺ شـاة بقـرب الخيمـة لا تُـدِرُّ، تأخرت عن الغنم عَجَفًـا وهُـزَالًا، فاسـتأذنها أن يحلبهـا، فهـزت رأسـها بالموافقـة متعجبةً: ماذا يَحْلُبُ من شاة شِبْهِ مَيْتَةٍ؟! فمسح ضَرْعَهَا فَـدرَّتْ دَرًّا غزيـرًا، فـشربوا وشربت أم معبد، ثم حلبها ثَانِيًا وترك الإناء مملوءًا، فبايعته المرأة على الإسلام.

أم معبد تصف الرسول ﷺ[1]:

لما جاء زوجها ورأى اللبن عجب، **وقال**: من أين لكم هذا ولا حَلُوبَةَ في البيت؟ قالت: إِنَّهُ مَرَّ بنا رجل مبارك، وكان من حديثه كيت وكيـت، **قـال**: صِـفِيهِ لي يـا أم معبد؟ **قالت**: رأيت رجلًا ظاهرَ الوضَـاءَةِ، مُبْـتَلِجَ الوَجْـهِ، حَـسَنَ الخَلْـقِ، لم تَعِبْـهُ ثَجْلَـةٌ[2]، ولم تُـزْرِ بـه صَـعْلَةٌ[3]، وسـيمٌ قَـسيمٌ[4]، في عينيـه دَعَـجٌ[5]، وفي أشـفاره وَطَفٌ[6] وفي صوته صَـحَلٌ[7]، أَحْـوَرُ[8]، أَكْحَـلُ[9]، أَزَجُّ أَقْـرَنُ[10]، شـديدُ سـوادِ الشَّعَرِ، في عنقه سَطَعٌ[11]، وفي لحيته كثافة، إذا صَمَتَ فعليه الوقار، وإذا تكلم سَـمَا

---

(1) المصابيح ص 161، وابن سعد 1/ 231، والسبل 3/ 348.

(2) **ثجل**: من باب فرح: ضخامة البطن . 1255 قاموس.

(3) أي لم يعبه صغر الرأس والدقة والنحول في البدن. **والـصَّعْلُ**: الـدقيق الـرأس والعنـق، والأنثـى صـعلة وصعلاء. اللسان 11/ 378.

(4) **القسيم**: الحسن، كأن الحُسْنَ مقسم في أجزاء وجهه وجسده لا تدري أيها أحسن. في معناها قاموس 1059.

(5) أي شديد سواد العين. اللسان 9/ 357

(6) **الوَطَفُ**: طول أشفار العين. اللسان 9/ 357.

(7) من باب فرح بحَّ أو احتد في بَحَحٍ، **يقال**: في صوته صَحَلٌ: أي بُحُوحٌ. القاموس94 ، واللسان 11/ 377.

(8) شدة بياض بياض العين، وسواد سوادها. 486 قاموس.

(9) **أكحل**: أي يعلو منابت الأشفار مِثْلُ الكُحْلِ من غير كحل، **وقيل**: **الكحـلاء**: الـشديدة الـسواد. لـسان العرب 11/ 584.

(10) **الأَزَجُّ من النعام**: الذي فوق عينيه ريش أبيض. 244 قاموس. **والمراد** دقة شعر الحاجبين مـع طـولهما، **والقَرَنُ**: اتصالهما.

(11) **السَّطَعُ**: الطول في العنق . 940 قاموس.

وعَلاَهُ البَهَاءُ، كأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ يتَحَدَّرْنَ، حُلـوُ المنطـقِ، فَـصْلٌ لا نَـزْرَ ولا هَذْرَ، أَجْهَرُ النَّاسِ وأجْمَلُهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْلاَهُ وَأَحْسَنُهُ من قَرِيبٍ، رَبْعَةٌ لا تَـشْنَؤُهُ مـنِ طُوْلٍ، ولا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ من قِصَرٍ، غُصْنٌ بـين غُـصْنَينِ، فهـو أنـضَرُ الثلاثـةِ مَنْظَـرًا، وأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا، له رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ به، إذا قـال اسْـتَمَعُوا لقولـه، وإذا أَمَـرَ تَبَـادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ[1]، لا عابِسٌ ولا مُفَنَّدٌ؛ **قال:** هذا والله صاحب قريش الذي ذُكِرَ لنا من أمره ما ذُكِرَ، ولو كنتُ وافقتُه لالتمست أن أصحبه، ولأفعلنَّ إن وجدتُ إلى ذلك سبيلًا[2].

---

(1) **مَحْفُودٌ**: مخدوم، **مَحْشُودٌ**: مطاعٌ يَحِفُّون لخدمته. قاموس ص 265.

(2) ومن المناسب هنا أن نتبرك بذكر وصف الإمام علي لرسول الله ﷺ الذي أورده الإمام زيد في مسنده ص 280 رقم 686 بسنده عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ الْحُسَيْنِ عليه السلام قَالَ: بَيْنَمَا عَلِيٌّ عليه السلام بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ بِالْكُوفَةِ وَهُوَ يُحَارِبُ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ فِي صَحْنِ مَسْجِدِكُمْ هَذَا مُحْتَبِياً بِحَمَائِلِ سَيْفِهِ، وَحَوْلَهُ النَّاسُ مُحَدِّقُونَ بِهِ، وَأَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالتَّابِعُونَ يَلُونَهُم، إِذْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لَنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّا نَنْظُرُ إِلَيْهِ فَإِنَّكَ أَحْفَظُ لِذَلِكَ مِنَّا، قَالَ: فَصَوَّبَ رَأْسَهُ وَرَقَّ لِذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ، قَالَ: ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَبْيَضَ اللَّوْنِ مُشْرَباً بِحُمْرَةٍ، أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ، سَبْطَ الشَّعْرِ، دَقِيقَ العِرْنِينِ، أَسْهَلَ الْخَدَّيْنِ، دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ، كَثَّ اللِّحْيَةِ، كَانَ شَعْرُهُ مَعَ شَحْمَةِ أُذُنَيْهِ إِذَا طَالَ، كَأَنَّمَا عُنُقُهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ، لَهُ شَعْرٌ مِنْ لُبَّتِهِ إِلَى سُرَّتِهِ يَجْرِي كَالْقَضِيبِ، لَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ وَلاَ بَطْنِهِ شَعْرٌ غَيْرُهُ إِلاَّ نبذَاتٌ فِي صَدْرِه، شَثْنَ الكَفِّ وَالْقَدَمِ، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يُقْلَعُ مِنْ صَخْرٍ أَوْ يَنْحَدِرُ فِي صَبَبٍ، إِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا، لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ، وَلاَ بِالْعَاجِزِ اللَّئِيمِ، كَأَنَّمَا عَرَقُهُ اللُّؤْلُؤُ، رِيحُ عَرَقِهِ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ.

شرح: -**الدَّعَجُ**: شِدَّةُ سَواد العَين في شِدَّة بَياضِها. -**السَّبْطُ**، بسكون الباء وكسْرِها: الْمُمْتَدُّ الذي ليس فيه تَعقُّدٌ ولا نُتُوٌّ والقَصَبُ يُريد بها ساَعِدَيْهِ وساقَيْهِ. [النهاية 2/ 334]. -**العِرْنِينُ**: الأنف، وقيل: رأسه. [النهاية 3/ 223]. -**المَسْرُبَةُ**: شعر دقيق من الصدر إلى السرة. [النهاية 2/ 356]. -**الكث**: الكثاثة في اللِّحْيَةِ: أن تكون غيرَ رَقِيقة ولا طَويلة.[النهاية 4/ 152]. -**الشحمة**: ما لان من أسفل الأذن ويعلق فيه القرط.[النهاية 2/ 449]. -**اللُّبَّةُ**: موضع نحر الإبل. [النهاية 4/ 223]. -**شَثْن الكَفَّين والقَدَمَين**: يَميلان إلى الغِلَظِ والقِصَرِ. وقيل: هو الذي في أنامِله غِلَظٌ بلا قِصَرٍ، ويُحمَدُ ذلك في الرجال؛ لأنه أشدُّ لَقْبِضِهِمْ، ويُذَمُّ في النساء.[النهاية 2/ 444]. -**الصَّبَبُ**: الْمُنْحَدِرُ من الأرض.[النهاية 3/ 3].

المَرْحلة الثانية من حياة الرسول ﷺ: القسم المدني

الرسول ﷺ في المدينة: **بدأ** التأريخ السياسي للإسلام منذ وصول النبي ﷺ إلى المدينة، وإنه ﷺ يدرك أن عليه صُنْعَ المستقبل الجديد، والوقتُ من ذهب؛ **وينبغي** أن لا يُضَيِّعَ لحظة واحدة، فقد آن للإسلام أن تكون له دولة يُحْمَى بها حماه، ويُعَزُّ جانبه، ويُؤَدَّبُ الواقفون في طريق تعاليمه؛ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[الحج:39]، **إن النبي** ﷺ القائد البارع قد بدأ البناء من مكة حين التقى بأنصاره من الأوس والخزرج، وأعدهم إعدادًا يؤهلهم للقيام بدورهم في بناء الدولة الحديثة وسط بحر من الفوضى، **واختار** سفيرًا نجيبًا من الشباب الذين ربَّاهم **هو** مصعب بن عمير الذي أحسن تدريب وتدريس الأنصار، **وكان** هؤلاء الرجال في شوق عارم، وَحَمَاسٍ منقطع النظير، يتلهفون لرؤية نبيهم في ديارهم ليس ضيفًا عليهم بل هم ضيوفه؛ فهو نبيهم، ومولاهم، ومالك أمرهم بعد الله تعالى؛﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[الأحزاب:36]، فكانوا يخرجون صفوفًا لاستقبال هذا الوافد الكريم لَمَّا ترامت الأنباء بقدومه إليهم، وظلوا هكذا أيامًا عند مطلع كل شمس حتى يُؤْذِيَهُمْ حَرُّهَا، وذاتَ يوم وقد رَجَعُوا للقيلولة سمعوا صارخًا يقول: يا بني قَيْلَةَ، هذا جَدُّكُمْ - أي حظكم وعزكم- يعني محمدًا، **وَقَيْلَةُ**: جَدَّةٌ للأنصار يُنْسَبُونَ إليها؛ فاستقبله من أهل قُبَاءَ زُهَاءُ خمسمائة مقاتل، تحفهم النساء والأطفال والعبيد مبتهجين بالمقدم السعيد، فنزل النبي ﷺ في قباء، وبنى لهم مسجدًا.

مسجد قُباء:

هو أول مسجد بني في الإسلام، **وهو** المسجد المؤسس على التقوى، **يقال**: إن الذي بناه **عمار بن ياسر**، **وهو** أول من بنى مسجدًا في الإسلام؛ لأنه أشار على النبي

ﷺ ببنائه، وَجَمَعَ له الحجارة[1]، **وفي** قباء لحقه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[ابن هشام 2/ 138]، **وقد** كان أَمَرَهُ أن يتخلف بعده ليؤدي عنه الودائع إذا عافاه الله من الاغتيال على الفراش؛ إذ كانت قريش تُودِعُ عنده كرائم أموالها لِصِدْقِهِ وأمانته، **وقد** أَدَّاهَا عنه، قال الأمير الصنعاني:

وَالأَمَانَاتُ إِلَى أَرْبَابِهَا   عَنْهُ أَدَّاهَا وَوَافَاهُ بَرِيًّا

وَصَلَ عليٌّ كرم الله وجهه ومعه الفواطم[2] وقد تشققت قدماه، وسالتْ منهما الدماء؛ لأنه هاجر ماشيًا، مَطِيَّتُهُ الشوق إلى الله ورسوله واحتساب الأجر، **فبكى** النبي ﷺ رَحْمَةً له، ومسح قدميه فَبَرَأَتَا، وما اشتكى لهما أَلَمًا بعد[3]، **ونقل** ابن الأثير في أسد الغابة[4/ 92] عن أبي رافع في هجرة النبي ﷺ قال: وخَلَّفَهُ النبيُّ ﷺ -يعني خلف عَلِيًّا- يخرج إليه بأهله، وأمره أن يؤدي عنه أمانته ووصايا مَنْ كان يوصي إليه، وما كان يؤتمن عليه من مال، فأدَّى عَلِيٌّ أمانته كلها، وأمره أن يضطجع على فراشه ليلة خرج، **وقال**: إن قُرَيْشًا لم يَفْقِدُونِي ما رأوك، **فاضطجع** على فراشه، وكانت قريش تنظر إلى فراش النبي ﷺ فيرون عليه عَلِيًّا، فيظنونه النبي ﷺ، حتى إذا أصبحوا رأوا عليه عَلِيًّا، فقالوا: لو خرج محمد لخرج بِعَلِيٍّ معه، فحبسهم الله بذلك عن طلب النبي حين رأوا عَلِيًّا، وأمر النبي ﷺ عَلِيًّا أن يلحقه بالمدينة، **فخرج** عَلِيٌّ في طلبه بعدما أَخْرَجَ إليه أهله يمشي الليل ويكمن النهار، حتى قدم المدينة، **فلما**

---

(1) ابن هشام 2/ 143، والصحيح من سيرة النبي4/ 130، ووفاء الوفاء 1/ 250، والروض الأنف 2/ 248.

(2) فاطمة بنت أسد (أم علي)، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت حمزة، وتبعتهم أم أيمن، وأبو واقد الليثي. السيرة الحلبية 2/ 53، والاستيعاب 4/ 445 رقم 3486 في ترجمة فاطمة بنت أسد. **وذكر** العاملي في سيرته4/ 89: أن فاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب هاجرت مع ابن عمها عَلِيٍّ. **وذكر** البستي في المراتب [37]: أَنَّ في مَنْ حَمَلَ الإِمَامُ عَلِيٌّ عَائِشَةَ بنت أبي بكر، وسودة بنت زمعة.

(3) الكامل 2/ 75، وسيد المرسلين 1/ 567، وأسد الغابة 4/ 92، والروضة الندية 34، لعله عليه السلام آثر المشي في مسير الهجرة التي لا يفوق قدسيتها إلا الإيمان بالله تعالى.

بلغ النبي ﷺ قدومه قال: ادْعُوا لي عَلِيًّا، قيل: يا رسول الله، لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي ﷺ، فلما رآه اعتنقه وبكى؛ رَحْمَةً لِمَا بقدميه من الورم، وكانتا تقطران دَمًا، فتفل النبي ﷺ في يديه، ومسح بهما رجليه، ودعا له بالعافية، فلم يَشْتَكِهِمَا حتى استشهد رضي الله تعالى عنه.

أقام النبي ﷺ بقباء بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً[البداية والنهاية 3/ 240] ، **وأقام** عَلِيٌّ معه ليلتين، **وروى** حكاية طريفة، قال: كان بقباء امرأة مسلمة لا زوج لها، **قال**: فرأيت إنسانًا يأتيها من جوف الليل فيضرب عليها بابها فتخرج إليه فيعطيها شيئًا معه فتأخُذُهُ، **قال**: فَاسْتَرَبْتُ بشأنه، **فقلت** لها: يا أمة الله من هذا الذي يضرب عليك بابك فتخرجين إليه فيعطيك شيئًا لا أدري ما هو، وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك؟ **قالت**: هذا سَهْلُ بنُ حُنَيْفٍ بن واهب الأوسي؛ عَرَفَ أن لا أحَدَ لي، فإذا أمسى عَدَا على أوثان قومه فَكَسَرَهَا، ثم جاءني بها، فقال: احتطبي بهذا، **فكان** علي كرم الله وجهه يَأْثُرُ ذلك من أمر سَهْلٍ، حتى هلك عنده بالعراق[1].

تحرك الركب النبوي الشريف بعد يومين إلى المدينة، **وكلما** مَرَّ بحي من أحياء تلك الديار عرض عليه سادتها الضيافة قائلين: انْزِل عندنا يا رسول الله على الرُّحْبِ والسَّعَةِ، والعُدَّةِ والعَدَدِ والمَنَعَةِ؛ فكان يُثْنِي عليهم ويشكر لهم طيب مشاعرهم، **ويقول**: دَعُوا الناقة تَمُرُّ؛ فإنها مأمورة، **ولما** قارب المدينة وقد أُفْرِغَتْ بُيُوتُها من ساكنيها؛ إذ خرجوا لاستقباله حتى الـمُخَدَّرَاتُ والولائد يُزَغْرِدْنَ بالنشيد الجميل:

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع

(1) ابن هشام 2/ 139، والبداية والنهاية 3/ 242، وأسد الغابة 2/ 572 رقم 2289.

الْتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إلى هذه الحناجر الرقيقة، والوجوهِ الجميلة من ولائد الأنصار، فقال لهن ملاطفًا: أَتُحِبْنَنِي؟ فأجبن: نعم؛ فقال مُبَادِلًا الحُبَّ بِالحُبِّ: يَعْلَمُ اللهُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكُنَّ[1]. **توجهت** الناقة فَبَرَكَتْ في مكان قرب مسجده، **ثم** قامت متوجهة بإلهام اللهِ تعالى إلى مكان مسجده الذي بُنِيَ لاحقًا، وكان حائطًا لغلامين يتيمين من بني النجار، فبركت وزمزمت وَأَلْقَتْ جِرَانَهَا، **فبادر** أبو أيوب الأنصاري ﷺ، واسمه خالد بن زيد بن كلب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غَنْم بن مالك بن النجار **فأخذ** رحله إلى داره، **وسأل** ﷺ عن الحائط **وقال**: ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ يَا بَنِي النَّجَّارِ، **فقالوا**: لا نطلب ثمنه إلا من الله، **وقيل**: إنَّ ولي اليتيمين معاذ بن عفراء[2] قال: سَأُرْضِي اليتيمينِ سهلًا وسهيلًا عَنْهُ، وهو لله ولرسوله. **وقيل**: إن النبي ﷺ اشتراه.

أبو أيوب ﷺ وَكَرَمُ الضيافة:

قال أبو أيوبَ: لما نزل عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ في بيتي نزل السُّفْلَ وأنا وأُمُّ أيوبَ في العُلْوِ، فقلت له: يا نبيَّ الله، بأبي أنت وأمي إني لأكره وَأُعْظِمُ أن أكونَ فوقَك وتكونَ تحتي، فَاظْهَرْ أنتَ فكن في العلو ونَنْزِلُ نحن فنكونُ في السُّفل، **فقال**: يا أبا أيوب، إِنَّ أَرْفَقَ بنا وبمن يغشانا أن نكونَ في سُفلِ البيت، **قال أبو أيوب**: فلقد انكسرت جرةٌ كبيرةٌ لنا فيها ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقَطيفة لنا، مالنا لِحافٌ غَيْرُهَا نُنَشِّفُ بها الماء؛ تَخَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ على رسولِ الله ﷺ منه شيء فيؤذيه، **قال**: وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به إليه، فإذا رَدَّ علينا فَضْلَةً تَيَمَّمْتُ أنا وأُمُّ أيوبَ موضع يده، فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جلعنا له بَصَلًا أو ثُومًا فرده، ولم أَرَ لِيَدِهِ فِيهِ أَثَرًا؛ فجئته فَزِعًا فقلتُ: يا رسولَ الله رَدَدْتَ عَشَاءَكَ ولم أر

---

(1) دلائل النبوة 2/ 506، والبداية والنهاية 3/ 241، وسبل الهدى والرشاد 2/ 386، ووفاء الوفاء 1/ 263.

(2) وقد روي أنهما كانا في حجر أسعد بن زرارة. ينظر: وفاء ا لوفاء 1/ 322.

فيه مَوْضِعَ يَدِكَ، وكنتَ إذا رَدَدْتَهُ علينا تيممت أنا وأم أيوب موضع يَدِكَ نبتغي بذلك البركة، قال: إني وجدتُ فيه ريحَ هذه الشجرة، وأنا رجلٌ أُنَاجَى، فأما أنتم فكلوه. **ظل** رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب حتى بُنِيَ له مَسْجِدُه ومساكنُه[1].

أسُسُ المجتمع الجديد: برزت أسس المجتمعِ الجديد بالمدينة في ثلاثة جوانبَ: المسجدِ، والمؤاخاةِ، وتنظيمِ العلاقة بين المسلمين وغيرِهم.

الأساس الأول: المسجد: **تَرْسِيخُ** الروابط الإيمانية بين المسلمينَ وبين رَبِّهِمْ تُشْبِهُ الروح في الجسد؛ إذ يستحيل أن تقوم دولة فتية على أجسادٍ لا روح فيها؛ **لذلك** قاد النبي ﷺ المهاجرين والأنصار ﷺ في بناء المسجد **فأزالوا** ما فيه من أشجار، **ونبشوا** بعضَ القبور للمشركين كانت فيه قديمة، وجعلوه مائة ذراع في مثلها، وصَفُّوا قبلته بجذوع النخل، وعمقوا الأساس ثلاثة أذرع، وردموه بالحجارة ثم باللَّبِنِ، وسُقِفَ بعض المسجد بجريد النخل، ولا سيما الصُّفَّةُ التي كانت مأوى لِقُرَابَةِ سبعين من المهاجرين الذين لا مأوى لهم؛ **وسُمُّوا** بأهل الصُّفَّةِ، نِسْبَةً إلى صُفَّةِ المسجد؛ **كان** الحماس في بناء المسجد شديدًا، وكان نشيدهم: اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشُ الآخِرَه، اللَّهُمَّ فَارْحَمِ الأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَه، **والنبي ﷺ يردد معهم ويقول: فاغفر للمهاجرين والأنصار، ويعمل بجد وجهد، وكلما** رأوا النبي ﷺ يعمل كأحدهم التهب حماسهم، وأنشدوا:

لَئِن قَعَدْنَا وَالنبيُّ يَعْمَلُ ... لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضَلَّلُ

---

(1) ابن هشام 2/ 141، وابن كثير 2/ 277. **وقد** أُدْخِلَتْ بيوتُ رسول الله ﷺ في المسجد، وَخُرِبَتْ أيام عبدالملك بن مروان، وضج أهل المدينة بالبكاء عند خرابها مثل وفاة رسول الله ﷺ، ويا ليتهم تركوا آثار سيد الرسل وخاتمهم؛ ليعتبر قادة العالم، وأهل الثروة، كيف كان سيد بني آدم يرى الدنيا، وكان بالإمكان توسعة المسجد من وراء البيوت إلى آخر الدنيا، **وكذلك** إزالة البيت الذي ولد فيه في شعب بني هاشم خلف المسعى، **وكان** الأجدى أن يحاط بسور من الذهب والياقوت والمرجان.

وارتجز علي كرم الله وجهه فقال:

لاَ يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ المَسَاجِدَا يَدْأَبُ فِيهَا قَائِمًا وَقَاعِدَا

ومن يُرَى عَنِ الغُبَارِ حَائِدَا

فرددها زميله وصديقه عمارٌ بحماس حتى ظن عثمان أنه يُعَرِّضُ به[1]؛ فهدده بالضرب؛ فغضب النبي ﷺ ثم قال: «مالهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار؛ إِنَّ عَمَّارًا جِلْدَةُ مَا بَيْنَ عَيْنِي وَأَنْفِي»[2].

ومن دلائل النبوة: ما روي أن عَمَّارًا – وكانوا يحملونه أكثر من لبنة- قال: يا رسول الله قتلوني يحملون عَلَيَّ ما لا يحملون، **قالت أم سلمة**: فرأيت رسول الله ﷺ يَنْفُضُ وَفْرَتَهُ بيده وكان رَجُلًا جَعْدًا، وهو يقول: «**وَيْحَ ابْنِ سُمَيَّةَ! لَيْسُوا بِالَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ إِنَّمَا تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**»[دلائل النبوة 2/ 546]، ولفظ البخاري: «**وِيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**»[3]! **وقد** تحققت النبوءة وَقُتِلَ عمار في معركة صفين، **وكان** من أشد المقاتلين مع

---

(1) وكان عثمان متنطعا من تنطع إذا تغالى وتأنق، وكان يحمل اللبنة فيجافي بها عن ثوبه، فإذا وضعها نفض كمه ونظر إلى ثوبه، فإن أصابه شيء من التراب نفضه فنظر إليه فأنشد: لا يستوي ...... فسمعها عمار فجعل يرتجزها ولا يدري من يعني بها. شرح المواهب اللدنية 1/ 368 . **والذي** في كتب السيرة أن عثمان بن عفان هو المقصود، وهو مشكل؛ لأن عثمان بن عفان كان ضمن مهاجرة الحبشة، **وقد** استكشل بعض العلماء ذلك، وقالوا: إن عثمان المقصود هو ابن مظعون، فإذا كان عثمان بن عفان فلعله في بناء المسجد للمرة الثانية في السنة السابعة للهجرة. ينظر: الصحيح من السير ة ص 214، وشرح المواهب اللدنية1/ 368، ووفاء الوفاء 1/ 338.

(2) ابن هشام 2/ 142، وسبل الهدى 3/ 478، ونحوه ابن أبي شيبة 6/ 385 رقم 32247.

(3) رقم 436 و 2657، ومسلم4/ 2235 رقم 2915، والنسائي في الخصائص ص 136، وانظر: طبقات ابن سعد 3/ 248، والاستيعاب 3/ 229، والطبراني في الكبير 4/ 58 رقم 3722، ودلائل البيهقي 6/ 422، والبداية والنهاية 6/ 238، والحاكم 3/ 391، وابن عساكر 18/ 213-215. **قال الحافظ ابن حجر في الفتح** 1/ 543: روى حَدِيثَ: «تَقْتُلُ عَمَّارًا الفِئَةُ البَاغِيَةُ» جَمَاعَةٌ من الصحابة: منهم قتادة بن النعمان، وأم سلمة عند مسلم، وأبو هريرة عند الترمذي، وعبدالله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان، وأبو اليَسَر كعب بن عمرو بن عَبَّادٍ الأنصاري ، وعمار نفسه، **وكلها** عند الطبراني وغيره، **وغالب** طرقها صحيحة أو حسنة، **وفيه** عن جماعة آخرين يطول تعدادهم، **وهذا** الحديث من أعلام =

علي ﷺ، وعمره ثلاثٌ وتسعونَ سنة، قتله أصحاب معاويـة[1]. **إنَّ** عَمَّـارًا رضـوان الله عليه ورث نقاء أبيه وأمه وصلابتهما في ذات الله، وقد شاركهما في العـذاب، واختـزن قلبـه الطاهر ما لقيت أمه على يد عدو الله أبي جهل؛ إذ ختم عـذاب تعليقهـا بطعنهـا بحربـة في فرجها لتصعد روحها الطاهرة إلى الفردوس الأعلى مع امرأة فرعون ومريم ابنة عمران.

الدروس والعبر: 1- في هذا المسجد الذي فَرْشُهُ الرَّمْلُ، وَسَقْفُهُ سَعَفُ النخل **طالما** وقف النبي ﷺ في محرابه يُرَتِّلُ آيات القرآن ودموعه تقطر على قدميه﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ۝ وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾[الإسراء: 79،80]، **وقد** اصطف خَلْفَهُ رُهْبَانُ اللَّيْلِ فُرْسَانُ النهار ممن ﴿لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[النور: 37]، **وكلما** مَرَّ يوم تعمقت المحبة بين الجماعة المسلمة، وذابت نفوسهم في حب الله ورسوله، **كيف** لا وهم يسمعون نبيهم يقرأ وصية الباري له: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾[الكهف:28]؟ **هكذا** توالى وحي السماء غَضًّا طَرِيًّا؛ فامتلأت به قلوبهم، وشبعت منه نفوسهم؛ فعاشوه قولًا وعملًا.

2- عجزت مساجد المسلمين اليوم أن تُنْجِبَ عمالقـةً كأولئـك؛ فَعَوَّضَـها بُنَاتُهَـا بالطلاء والزركشة والفخفخة في البناء؛ ليحتشد فيها أقزام وغثاء إلا مَنْ عـصم الله، وقليل ما هم؛ **اللهم** إن لم تكتب لنا أجر الزخرفة فلا تحرمنا أجر المصيبة، آمين.

3- كان المسجدُ شُعَاعَ الوحدة والمحبة، والصَّلَاةُ فيه جَمَاعَةً تَفُـوقُ صَـلَاةَ الفـرد

النبوة وفضيلةٌ ظاهرة لِعَلِيٍّ وعمار، **وردٌّ** على النواصب الزاعمين أن عَلَيًّا لم يكن مصيبًا في حروبه. اهـ.

(1) الإصابة 2/ 506، وأسد الغابة 4/ 127، والاستيعاب2/ 471 ، والطبري 5/ 41، والبداية والنهاية 3/ 265.

بسبع وعشرين مرة؛ لأنها تُجَسِّدُ الاصطفاف والتلاحم والنظام، **وَأَعْجَبُ** من هذا أن الله سبحانه ختمها بفرض لازم وهو أن يلتفت المسلم يَمِينًا وَشِمَالًا قَائِلًا للحفظة الكرام من الملائكة ولإخوانه في العقيدة: السلام عليكم ورحمة الله، **فإذا** تصافح المسلمان تناثرت خطاياهما، وعلى حُطَامِ الخَطَايَا تُشَادُ أُسُسُ وَقَوَاعِدُ مَكَارِمِ الأَخْلَاقِ في مجتمع قوي قائم على المحبة والعلاقة المتينة، والانسجام التام عقيدةً وسلوكًا، النَّاسُ فِيهِ كَأَسْنَانِ المُشْطِ، لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى.

4- **لَمَّا** نسي المسلمون أو تناسوا دور المسجد والنفحة الربانية التي لا توجد في سواه، وَغَفَلُوا عن السر من وراء بنائه، وشرعية الجماعة؛ وأنها تفوق صلاة الفرد بسبع وعشرين مرة، ووجوب تسليم المسلم على أخيه المسلم مع الملائكة -**تَحَوَّلَ** المسجد إلى بؤرة للفتن، والتعصب، والشجار، وثقالة الدم، والمتاجرة بدين الله. لا حول إلا بالله.

5- كان مسجد النبي ﷺ الطاهر أول وقف في الإسلام، وتوالت بعده الأوقاف، وتسابق المسلمون في وقف كرائم أموالهم في شتى أنواع الخير: للمساجد، وقراء القرآن فيها، ووقف آخر لإصلاح الموقوف عليها، وللمدارس التي يدرس فيها علوم الشريعة، والعربية، وغيرها، وللعلم، والعلماء، وللسبل، والمناهل، والسماسر ونحوها؛ لإيواء المسافرين وحيواناتهم، وللمجذومين وأهل العاهات خاصة، حتى لم ينسوا الوقف على الحمير العرجاء المنبوذة ، وما زال في صنعاء القديمة بقعة تسمى سوق العِرْجِ باللهجة الصنعانية أي الحمير العرجاء، وكنت أشاهدها تنعم بأجود الحشائش، ووقفوا لحمام مكة، ولليتامى، والأرامل، وابن السبيل، وهناك وقف لإصلاح ذات البين، ووقف لجبر الخاطر- يعني إذا أساء أحد من الفقراء إلى امرأته ولم يجد ما يقدمه لها؛ تطييبًا لخاطرها- فإن الوقف يقوم بهذه المهمة.

واليمن زاخرة بالأوقاف؛ فهناك وديان في غاية الخصوبة موقوفة، ومن الأمثلة التي

أعرفها: أن مسجد الهادي بقرية السواد جنوب صنعاء يمتلك من الأوقاف ما لا يصدق، **أما** الجامع الكبير فيقال: إنه قادر بأوقافه أن يبني صنعاء إذا تهدمت، وأعرف منهلًا في الجهة الجنوبية من صنعاء في طريق المسافرين إلى الجهات الجنوبية وقفوا له أموالًا شاسعة؛ لمصب الماء إليه، ناهيك عن المحافظة عليه، وغير ذلك مما لا يُعد ولا يحصى، **لكن** الفجيعة أن الناس إلا القليل قد هجموا على أموال الوقف هجمة المغول والصرب، فبددوا أموال الوقف وباعوها، وأكلوا ثمنها، وصيروها أموالًا حرة، وعلى رأس من يرتكب هذه الأفعال المحرمة وزارة الأوقاف؛ فوزراؤها وموظفوها كالذئاب المتوحشة، وصار ما يسمى بتحرير الوقف أمرًا عاديًّا يتسابقون عليه، ويحصلون عليه من وزارة الوقف بكل سهولة مقابل مبلغ من المال، أو يصادرونه لأنفسهم بدون أن تعرف وزارة الوقف شيئًا، فلم يعد الموظف عندنا يهمه إلا أمْرُ نفسه، وبنيت على أموال الوقف القصور، والمعسكرات، وشقت منها الطرقات، وحولوها إلى مزارع خاصة، وهدايا لكبار المسؤولين ، **وقد** كان الأسلاف إذا حرث في مال الوقف وأراد أن ينقل الآلة لحرث ماله الخاص غسلها؛ لكي لا ينتقل تراب الوقف إلى أرضه. إني أصرخ ضد هذه الجرائم البشعة التي ترتكب في حق الأموال المقدسة المحرمة إلى تخوم الأرض التي لا يجوز شرعًا، وعُرْفًا، وذوقًا، ومصلحة، أن تهدر، وهي تقدم أجل الخدمات للمسلمين؛ فغضب الله على من بدلها، وانتهكها، ولعنه لعنًا وبيلًا، وأَعَدَّ له عذابًا مهينًا.

الأساس الثاني: التآخي بين المسلمين[1]

قال ابْنُ إسحاق: آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال

---

(1) **وكانت** المؤاخاة بعد مقدمه بثمانية أشهر، **وقيل**: بعد خمسة أشهر، **وقيل**: غير ذلك، **وقيل**: كانت بعد بناء المسجد، **وقيل**: كانت المواخاة والمسجد يبنى . ابن هشام 2/ 150 بلفظه، والبداية والنهاية 3/ 277، وسيد المرسلين 2/ 17، ومغلطاي 177، والصحيح من السيرة 4/ 225.

-فيما بلغنا- ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يَقُل-: «تآخَوْا في الله أخوينِ أخوين»، **ثم** أخذ بيد علي بن أبي طالب فقال: «هَذَا أَخِي»؛ **فكان** رسول الله ﷺ سيدُ المرسلين وإمامُ المتقين ورسولُ رب العالمين الذي ليس له خطيرٌ ولا نظيرٌ من العباد، وعليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه أخوين، **وكان** حمزةُ بن عبدالمطلب أسدُ الله وأسدُ رسوله وعمُّ رسول الله ﷺ وزيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين، **وإليه** أوصى حمزة يومَ أُحُدٍ حين حضره القتال إن حدث به حادثُ الموت، **وجعفر** بن أبي طالب ذو الجناحين الطيارُ، ومعاذُ بن جَبَل أخو بني سلمة أخوين[1]، **وكان** أبو بكر الصديق بن أبي قُحافة، وخارجةُ بن زهير أخوين، **وعمر** بن الخطاب، وعَتْبَانُ بنُ مالك أخوين، **وأبو** عبيدة بنُ الجراح وسعد بن معاذ أخوين، **وعبدُالرحمن** بن عوف وسعد بن الربيع أخوين، **والزبير** بن العوام، وسلمةُ بنُ سلامة بن وَقْشٍ[2] أخوين، **وعثمان** بن عفان وأوس بن ثابت بن المنذر أخوين، **وطلحة** بن عبيد الله وكعبُ بن مالك أخوين، **وسعيد** بن زيد بن عمرو بن نفيل وأُبَيُّ بن كعب أخوين، **ومصعب** بن عمير وأبو أيوب خالد بن زيد أخوين، **وأبو** حذيفة بن عتبة وعَبَّادُ بنُ بِشْرٍ أخوين، **وعمار** بن ياسر وحذيفة بن اليمان أخوين، **وأبو** ذر الغِفاري والمنذر بن عمرو أخوين[3]، **وحاطب** بن أبي بلتعة وعُوَيْمُ بن ساعدة أخوين، **وسلمان** الفارسي[4] وأبو الدرداء أخوين، **وبلالٌ** مؤذن رسول الله ﷺ وأبو رويحة أخوين، **وعبدالله** الخَثْعَمِي والفَزِعُ بن ربيعة أخوين، **فهؤلاء** من سُمِّيَ لنا

---

(1) وكان جعفر رضي الله عنه يومئذ غائبًا بأرض الحبشة.

(2) **بني وَقْشٍ**: حيٌّ من الأنصار. لسان العرب 6/ 373.

(3) **قد يرد استشكال**، وهو: كيف آخى النبي ﷺ بين أبي ذر والمنذر بن عمرو؛ وأبو ذر قدم بعد أحد؟! **وكذلك** ابن مسعود وصل إلى المدينة بعد بدر!! **وكذلك** جعفر كان بالحبشة آخاه مع معاذ بن جبل. **فالجواب**: أن النبي ﷺ قد استمر يجدد المؤاخاة بحسب من يدخل في الإسلام أو يحضر إلى المدينة، أو أرصد بعضهم إلى حين يقدم كما في أخوة جعفر. ينظر: فتح الباري 7/ 271.

(4) أبو عبدالله، سلمان الخير، مولى رسول الله ﷺ، **سئل** عن نسبه فقال: أنا ابن الإسلام، من فارس، واسمه قبل الإسلام مابه بن بوذخشان بن مورسلان بن بهبوذان بن فيروز بن سهرك، من ولد آب الملك. أسد الغابة 2/ 510.

ممن كان رسول الله ﷺ آخى بينهم من أصحابه.

الدرس والعبرة: 1 - الهجرة الجماعية من مكة إلى المدينة شكلت عبئًا كبيرًا على أهل المدينة، **وهي** من المشاكل العويصة في العصر الحديث، إلا أن الرسول ﷺ قام بخطوة بارعة، مُعَانًا بتوفيق الله، فَعَمَّقَ الأواصر في شكل محسوس يترتب عليه التوارث، **وقد** لقي هذا التعليم النبوي بيئة كَرِيمَةً، وأرضًا طيبة، رُوِيَ أَنَّ سعد بن الربيع قال لعبد الرحمن بن عوف الذي تآخى معه: أنا أكثر الأنصار مالًا؛ فخذ نصف مالي، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها! فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، دُلَّنِيْ على السوق؛ فَدَلَّهُ على سوق بني قَيْنُقَاعَ، فما انقلب إلا ومعه فضل من أَقِطٍ[1] وسمن، وتابع الغُدُوَّ، ثم جاء يومًا وبه أثر صُفْرَةٍ، فقال النبي ﷺ: «مَهْيَمْ؟»[2]قال: تزوجت، قال: كم سُقْتَ إليها؟ قال: نواةً من ذهب[البخاري 1943] ؛ **أقول**: إن شهامة سعد لا يضاهيها إلا عفة عبدالرحمن؛ **فأيُّ** رجل نبيل لا يرضى أن يكون عالةً على غيره ما وجد إلى ذلك سبيلا؛ **فخيرُ** ما أكل المرؤُ مِنْ كَسْبِ يده.

2 - أراد رسول الله ﷺ من هذه الأخوة إدماج المهاجرين في المجتمع الجديد.

3 - قامت الأخوة على الحب في الله تعالى، وهي عبادة كريمة، **ففي** الحديث الشريف: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّ العَرْشِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ»[3]، وذكر منهم: «أَخَوَيْنِ تحابا في الله»، وهي الأخوة التي تدوم؛ لأنها تقوم على المبادئ الفاضلة، قال الشاعر:

إنَّ أخاك الحَقَّ مَنْ يَسْعَى مَعَكْ ... وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لينفعك
ومَنْ إذا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَعَكَ ... شَتَّتَ فِيْكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكْ

---

(1) **الأَقِطُ**: شيء يتخذ من اللبن المخيض. لسان العرب 7/ 257.

(2) أي مَا أَمْرُكَ وَشَأْنُكَ، وهي كلمة يمانية. النهاية في غريب الحديث 4/ 379.

(3) البخاري 1/ 234 رقم 629. والترمذي 4/ 516 برقم 2391. النسائي 8/ 222 برقم 538.

هذا هو الأخ، لا من يَدُقُّ صَدْرَهُ قَائِلًا: أي خدمات؟فإن طلبت خدمة، قال: أنا آسف.

الأساس الثالث: تنظيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم[ابن هشام 2/ 147]:

أدرك النبي ﷺ بِحُنْكَتِهِ السياسة وتوفيق الله أن تعميق الصلة بين المسلمين أَنْفُسِهِمْ لا يكفي؛ فلابد أن يبحث لهم عن أصدقاء، وعن أجواء مسالمة؛ لأنه جديد على الساحة، والمدينة تعج باليهود أصحاب الثراء والسطوة، وبالمشركين في المدينة، وذئاب الأعراب حولها؛ **فَبَادَرَ** إلى عقد وثيقة معاهدة بعد مقدمه بخمسة أشهر، كشفت عن طبيعة الإسلام السمحة، واستعداد المسلمين للقبول بالآخر، فالأرض واسعة، والدين لله، ولا إكراه فيه؛ **وهذا** ما حسمه النبي ﷺ في هذه الوثيقة الرائعة التي تسد فم من يدعي أن الإسلام لا يقبل بجواره دينا آخر، وأن المسلمين يحبون التفرد والتسلط.

نص الوثيقة[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم: 1- أنهم أمة واحدة من دون الناس، **المهاجرون** من قريش على رِبْعتهم[2] يتعاقَلُونَ بينهم[3] وهم يَفْدُونَ عانِيَهم[أسيرهم] بالمعروف والقسط بين المؤمنين، **ثم** ذكر كُلَّ بطنٍ من بطون الأنصار، وأَهْلَ كُلِّ دار: بني عوف، بني ساعدة، بني الحارث، بني جُشَمٍ، بني النجار، بني عمرو بن عوف، بني النَّبِيتِ، بني الأوس... **إلخ**. 2- أن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا[4] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فِدَاءٍ أو عقل، **وألا** يُحَالِفَ مؤمنٌ مولى مؤمنٍ دُونَهُ. 2- **وأن** المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ[أي

---

(1) ابن هشام 2/ 147، وسيرة ابن كثير 2/ 321، وعيون الأثر 1/ 318، والبداية والنهاية 3/ 273، وسبل الهدى 3/ 555، وتاريخ الخميس 1/ 352.

(2) **الرِّبْعَةُ**: الحال التي وجدهم عليها الإسلام. تاج العروس 11/ 140.

(3) أي يعقل بعضهم عن بعض. **والعقل**: الدية.

(4) **المُفْرَحُ**: المثقل بالدين، والكثير العيال. تاج العروس 4/ 152.

دفعا بظلم] أو إِثْمٍ، أو عدوانٍ، أو فساد بين المؤمنين، **وأن** أيديهم عليه جميعًا ولو كان وَلَدَ أَحَدِهِمْ، ولا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مؤمنًا في كافر، ولا ينصر كافرا على مؤمن.3- **وأن** ذمة الله واحدة؛ يُجِيرُ عليهم أدناهم.4- **وأن** المؤمنين بَعْضُهُمْ مَوَالِيْ بَعْضٍ دون الناس.5- **وأنه** مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فإِنَّ له النَّصْرَ والأُسْوَةَ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.6- **وأنَّ** سِلْمَ المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواءٍ وعدلٍ بينهم.7- **وإن** كل غازيةٍ غزت معنا يَعْقُبُ بعضها بعضًا.8- **وأن** المؤمنين يُبِيءُ بَعْضُهُمْ على بعض[أي قتله به، جعله بَوَاءً له] بما نال دِمَاءَهُمْ في سبيل الله.9- **وأن** المؤمنين المتقين على أَحْسَنِ هُدًى وأَقْوَمِهِ.10- **وأنه** لا يُجِيرُ مشرك مالًا لقريش ولا نَفْسًا، ولا يحول دونه على مؤمن.11- **وأنه** من اعتبط مؤمنًا [أي قتله بلا جناية توجب القتل] قتلًا عن بينة فإنه قَوَدٌ[قصاص] به، إلا أن يرضى ولي المقتول.12- **وأن** المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قِيَامٌ عليه.13- **وأنه** لا يحل لمؤمن أَقَرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر مُحْدِثًا ولا يُؤْوِيهِ، **وأنه** من نصره أو آواه فإن عليه لَعْنَةَ الله وغَضَبَهُ يوم القيامة، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.14- **وإنكم** مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله ﷺ.15- **وأن** اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.16-**وأن** يهود بني عوف أُمَّةٌ مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينُهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظَلَمَ وَأَثِمَ فإنه لا يُوتِغُ[يهلك] إلا نفسه وأهل بيته.17- **وأن** لِيهودِ بني النَّجَّارِ، وبني الحارث، وبني ساعدة، وبني جُشَمٍ، وبني الأوس، وبني ثعلبة، وجَفْنَةَ، وبني الشُّطَيْبَةِ لجميع هؤلاء اليهود **مِثْلَ** ما ليهود بني عوف.18- **وأن** البِرَّ دون الإثم.19- **وأن** جفنةَ بَطْنٌ من ثعلبة كأنفسهم. 20- **وأن** موالي ثعلبة كأنفسهم.21- **وأن** بطانة يهود كأنفسهم.22- **وأنه** لا يخرج

منهم أحد إلا بإذن محمد ﷺ. 23- **وأنه** لا يَنْحَجِزُ على ثـارِ جُـرْحٍ.24- **وأنـه** مَـنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلَّا مَـنْ ظُلِـمَ. 24- **وأن** الله عـلى أَبَـرِّ هـذا.25- **وأن** عـلى اليهود نفقَتَهُمْ، وعلى المسلمين نفقتهم.26- **وأن** بينهم النصرَ على مَنْ حارب أهـل هذه الصحيفة.27- **وأن** بينهم النصح والنصيحة، والبِرَّ دون الإثـم. 28- **وأنـه** لم يَأْثَم امْرُؤٌ بحليفه. 29- **وأن** النصر للمظلوم.30- **وأن** اليهود يُنفقون مع المـؤمنين ما داموا محاربين.31- **وأن** يثربَ حـرامٌ جَوْفُهَـا لأهـل هـذه الـصحيفة.32- **وأنَّ** الجَّـارَ كـالنفس غَـيْرُ مُـضَارٍّ ولا آثِـمٍ.33- **وأنـه** لا تُجَـارُ حُرْمَـةٌ إلا بـإذن أهلهـا. 34- **وأنه** ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَثٍ أو اشـتجار يُخَـافُ فَـسَادُهُ فـإن مَرَدَّهُ إلى الله عزوجل وإلى محمد رسول الله ﷺ.35- **وأن** الله على أتقـى مـا في هـذه الصحيفة وأَبَرِّهِ[1]. 36- **وأنه** لا تُجَارُ قُرَيْشٌ ولاَ مَنْ نَصَرَهَا.37- **وأن** بينهم النـصر على من دَهَمَ يثرب، وإذا دُعُـوا إلى صُـلْحٍ يـصالحونه ويلبـسونه؛ فـإنهم يـصالحونه ويلبسونه. 38- **وأنهم** إذا دعوا إلى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين، إلا مـن حـارب في الدين، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قِبَلَهُمْ.39- [**وأن** يهـود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة، مع البِرِّ المحض[2] من أهل هـذه الـصحيفة.40- **وأن** الـبر دون الإثـم، لا يكـسب كاسـبٌ إلا عـلى نفـسه. 41- **وأن** الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبَـرِّهِ][3].42- **وأنـه** لا يحـول هـذا الكتاب دون ظالم أو آثم.43- **وأنه** من خرج آمِنٌ، ومن قعد آمِـنٌ بالمدينـة، إلا مـن ظلم وأثم، **وإن** الله جارٌ لمن بَرَّ واتقى ومحمد رسول الله ﷺ[4].

---

(1) أي إن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به.

(2) **قال ابن هشام**: ويقال: مع البر المحسن...

(3) ما بين المعقوفتين ساقط من البداية والنهاية.

(4) كان هذا قبل أن تفرض الجزية وحين كان الإسلام ضعيفًا، وكـان لليهـود إذ ذاك نـصيب في المغـنم، إذا

الدرس والعبرة:

هذه وثيقة سياسية وضعها النبي ﷺ منذ اللحظة الأولى مُعَبِّرًا عن صدق رغبته في التسامح والتعايش بسلام في مجتمع آمن يسوده النظام والعدل والحرية؛ **لكن** اليهود ارتبطوا بهذا العهد من منظور منفعتهم فقط، مضمرين التحلل منه عندما تتغير الظروف؛ **فاليهود** خُبَثَاءُ، دَيْدَنُهُمُ المكر، والخديعة، والتربص، وطالما عاشوا بين العرب الكرماء يجمعون الثروات من وراء الحروب التي أشعلوها، والحزازات التي زرعوها، ولكن على الباغي تدور الدوائر.

الأذان [سيرة ابن هشام 2/ 154]:

لَمَّا اطْمَأَنَّ رسولُ الله ﷺ بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين، واجتمع أمر الأنصار-استحكم أمر الإسلام، فقامت أركانه، و تَبَيَّنَ حلاله وحرامه، وتَبَوَّأَ الإسلام بين أظهرهم مكانا مناسبا، وكان هذا الحي من الأنصار هم الذي تَبَوَّأُوا الدَّارَ والإيمانَ، **وقد** كان رسول الله ﷺ حين قدمها إنما يجتمع الناس إليه للصلاة لحين مواقيتها بغير دعوة؛ فَهَمَّ ﷺ أن يجعل ناقوسًا ليضرب به للصلاة، **فبينما** هم على ذلك إذ رأى عبدالله بن زيد الخزرجي النداء، فأتى رسول الله ﷺ **فقال له**: مَرَّ بي في النومِ رجلٌ عليه ثوبان أخضران، يحمل ناقوسًا فقلت له: يا عبدالله أَتَبِيْعُهُ؟ قال: وما تصنع به؟ قلت: ندعو به إلى الصلاة، **قال**: أفلا أدلك على خير من ذلك؟ **قلت**: وما هو؟ **قال**: تقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أشهد أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الفلَاحِ، حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ، اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ **فقال** ﷺ: إنها لرؤيا حق إن شاء الله، فَقُمْ مع بلال فَأَلْقِهَا عليه

قاتلوا مع المسلمين، **كما** شرط عليهم في هذا الكتاب النفقة معهم في الحروب.

فَلْيُؤَذِّنْ بها؛ فإنه أندى صوتًا منك، **فلما** أَذَّنَ بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته؛ فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه ويقول: يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى، فقال ﷺ: فلله الحمد على ذلك، أما الزيدية فَيَرْوُوْنَ أن الله تعالى أمر ملكًا من ملائكته أن يعلم الرسول ﷺ ليلة أُسْرِيَ به، **ويَرَوْنَ** أنَّ الأَذَانَ أَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الدين لا يُبْنَى على الرؤيا[1]، **وأثبتوا في الأذان**: «حَيَّ على خَيْرِ العَمَلِ، حَيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ»[2]، **وقد** روي أنه لما أُسْرِيَ برسول الله أُوْحِيَ إليه بالأذان وَعَلَّمَهُ جبريل[الطبراني في الأوسط رقم 9247]؛ **وعلى** أي حال فأي طريقة صحت، فالعبرة بما أَقَرَّهُ الرسول.

بداية التأريط العسكري الجهادي للإسلام[3]:

الدعوة الإسلامية -وإن لقيت أهلًا وترحابًا وبلدًا طيبًا- فَسَتَهُبُّ عليها أعاصير الخطر إن لم يتحرك النبي ﷺ لفرض هيبتها؛ **فالصدامُ** مع قريش قادم لا محالة، والأعراب يتربصون، واليهود كالحَيَّاتِ بارعون في حِيَاكَةِ المؤامرات؛ **فكان** لِزَامًا أن

---

(1) و رواية البلاذري في أنساب الأشراف 1/ 318 تؤكد ذلك؛ لأن الرسول ﷺ لما قص عليه عمر رؤياه في الأذان قال له ﷺ: «سَبَقَكَ الوَحْيُ يَا عُمَرُ»، **وكذلك** قال لعبدالله بن زيد ما قاله لعمر.

(2) ينظر مجموع الإمام زيد 93، والأحكام للهادي 1/ 84، وينابيع النصيحة بتحقيقنا 528، والغطمطم الزخار للسماوي 4/ 436.. ورأب الصدع- تخريج أمالي أحمد بن عيسى 1/ 96، ونيل الأوطار للشوكاني 2/ 39، **وهو** إجماع أهل البيت، **وهو** أيضًا قول عبد الله بن عمر كما في المصنف لعبد الرزاق رقم 1797، وسنن البيهقي 1/ 124، ومصنف ابن أبي شيبة 1/ 195، **وهو** قول زين العابدين أيضًا كما في سنن البيهقي 1/ 125، ومصنف ابن أبي شيبة 1/ 195، **وقد** ألف الإمام الكبير المحدث المتفق على عدالته وجلالته عند الجميع أبو عبد الله العلوي كتابًا في حي على خير العمل جمع فيه 192 رواية. مطبوع من منشورات مكتبة بدر، والروض النضير 1/ 369.

(3) ابن هشام 2/ 241 وما بعدها، والطبقات 2/ 7 وما بعدها، والبخاري 4/ 1453، والواقدي 1/ 9 وما بعدها، ووفاء الوفاء 1/ 271 وما بعدها، وسبل الهدى الجزء الرابع خصصه للغزوات، والخامس وخصصه للسرايا، وابن كثير 2/ 352 وما بعدها، ومغلطاي 186، وعيون الأثر 1/ 352 وما بعدها، ومعروف الحسني 310، وهيكل 242، والغزالي 227، ومحمد رسول الله 156 وما بعدها، والبداية والنهاية 3/ 245.

يُمْسِكَ النبي ﷺ بزمام المبادرة، **وأن** يقود كتائب المجاهدين شَرْقًا وغربًا لنشر دين الله، وتأديب الواقفين في سبيله، وتعزيز هيبة دولة الإسلام؛ **فقد** آن للمستكبرين أن تُدَقَّ أُنُوفُهُمْ، وللمتطاولين أن تُشْدَخَ جِبَاهُهُمْ؛ **وهو** ما سنراه في التأريخ الجهادي الذي قال عنه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْلَا أَنَّ رِجَالًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوْا عَنِّي، وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عليْهِ- مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ؛ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ»[1]، **كما** أنه ﷺ أدرك تَكَاثُرَ المهاجرين، وَلَحَظَ حَنِيْنَهُمْ إلى بلادهم؛ **فلابد** أن يحركهم في الثأر لكرامتهم التي أهدرها طغاة مكة؛ فاقتصرت التحركات الأولى على المهاجرين فقط؛ وقد **اصطلح** أَهْلُ السِّيَرِ على أن **الغزوة** ما خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه، **وَالسَّرِيَّةَ** ما خرج فيها غيره، **وربما** تَوَهَّمَ الْبَعْضُ من عدد السرايا والغزوات أن النبي ﷺ تَوَّاقٌ لِسَفْكِ الدِّمَاءِ، وأن الإسلام قائم على السيف، **وهو** ما رَوَّجَ له المستشرقون كثيرًا؛ **ولا يحتاج** الجواب إلى كبير عناء؛ فالنبي ﷺ جاء بأعظم ثورة في التأريخ مَسَحَتِ الوَثَنِيَّةَ من مساحات شاسعة، وزلزلت عروش الظلم في كثير من بقاع الأرض، ورسَّخَتْ قواعد الدين القويم، دين العدل والحرية والرحمة، **ولم يتجاوز** عدد القتلى من المسلمين ومن غيرهم ألفا وأربعَمائةٍ في أكثر تَقْدِيرٍ ذكره المؤرخون[2]؛ **وماذا فَعَلَتْ** قريش برسول الله ﷺ والمؤمنين في مكة؟ أَلَمْ تُنْزِلْ بهم ألوان الأذى والبطش والقمع؟ ألم تصادر حريتهم، وديارهم، وأموالهم،

---

(1) البخاري 3/ 1030 رقم 2644، ومسلم 3/ 1495 رقم 1876، والنسائي 6/ 8 رقم 3098، وعبدالرزاق 5/ 254 رقم 9532، وابن أبي شيبة 4/ 202 رقم 19315.

(2) ومن خلال تتبع قتلى غزوات عهد النبوة من الجانبين، شهداء المسلمين، وقتلى المشركين على سبيل الحصر يكون عددهم (386) قتيلا، منهم (183) هم جملة شهداء المسلمين، و(203) هم جملة قتلى المشركين، **وأما** من قتل في غزوة بني قريظة فلم يقتلوا في الحرب وإنما قتلوا قضاء بالتحكيم الذي ارتضوه لأنفسهم؛ جزاء خيانتهم، فلم يُحْسَبُوا في قتلى المعارك **كما** ذكر الدكتور محمد عمارة – هذا هو الإسلام(1) ص 20.

وتضطرهم للهجرة؟ ثم مَدَّتْ أذاها إلىٰ الحبشة، والمدينة؟ **ولولا** أن النبي ﷺ أخذ بزمام المبادرة وقاد الحرب الدفاعية لإزاحة المستبدين المستكبرين -لَسَحَقُوا المهاجرين والأنصار، **ورغم** قسوة مشركي مكة، ومَا بَذَرُوهُ من المرارة في صدور المسلمين- ظفروا من رسول الله بالعفو العام؛ حين قال غير متردد ولا آسف: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**»[1]، فحرر بهذه الكلمة التي ما تزال تطن في أذن التاريخ أكثر من ألفي مقاتل من عتاة المشركين، وكانوا أهلا للتأديب وإنزال القصاص العادل، لكن نبي الرحمة لَقَّنَ الدنيا فَنَّ التسامح، ودَرْسَ الصبر، وحَوَّلَ دَارَ أَلَدِّ أعدائه أبي سفيان إلىٰ مَلْجَأٍ آمِنٍ، وقال: مَنْ دخله كان آمنا.

أين نبي الرحمة من قساة القلوب، غلاظ الأكباد في قديم الزمان وحديثه؟ مَنْ كان قَطْعُ الرقابِ، وقَلْعُ العيون، وتَمْزِيقُ الأطراف، وما تشيب له النواصي، وتقشعر له الجلود من التنكيل- أشهىٰ عندهم من الطعام والشراب، **يعرف** ذلك من قرأ فظائع المغول، وهولاكو، وجنكيز خان، **ومَنْ لَو** اسْتَمَرُّوا لأفنوا البشرية؛ **فالحرب** العالمية الأولىٰ والثانية أزهقت أرواح قرابة مائة مليون إنسان، **والفرنسيون** قتلوا مليونين في الجزائر، **والإيطاليون** قتلوا نصف الشعب الليبي، وارتكبوا في الحبشة فظائع تشيب لهولها رؤوس الأطفال، **والمستعمر** الأوربي أَبَادَ الهنود الحمر في أمريكا، واستعبد نصف قارة إفريقيا، ثم شَكَّلَ البِيْضُ دَوْلَةً عنصرية في أمريكا خاضت حروبًا دَاخِلِيَّةً أكلت الأخضر واليابس، **ولما** استقرت دولة امريكا الديمقراطية، ورسخت الحرية والمساواة- زَجَّتْ بجيشها في حرب قذرة بفيتنام تساقط فيها سكان تلك البلاد كالذباب بفعل القنابل الفتاكة، **وأمريكا** نَفْسُهَا هي التي ألقت القنابل الذرية فوق اليابان؛ فأحرقت ربع مليون إنسان في لحظات، وما زالت آثارها إلىٰ اليوم، **والحروب** الصليبية متهمة ومدانة بإزهاق

(1) ابن كثير 3/ 570، وابن هشام 4/ 55.

مئات الألوف من الأبرياء، **وحين** دخلوا القدس جزروا أهلها بوحشية مفرطة؛ فذبحوا سبعين ألفا في سبعة أيام من أطفال و شيوخ و نساء ورجال[1]، **بل** إن وحشية هؤلاء خلفت عشرة ملايين قتيل بين الكاثوليك والبروتستانت في بريطانيا وما حولها خلال عقود، ومحاكم التفتيش في أسبانيا تقشعر لبشاعتها الجلودُ، و تشيب النواصي، **والثورة** البلشفية الشيوعية بقيادة لينين وستالين قتلت خمسة وعشرين مليونًا، **وها هي** العراق قد فقدت ما يقارب أو يزيد على ثلاثة ملايين إنسان، **ولو** أضيف قتلى معارك صدام مع إيران والكويت وما فعله بشعبه من مجازر لتجاوز العشرة ملايين، **غير** الجرحى والمعوقين، **أما حصار** الغرب للعراق فقد أباد حوالي مليوني طفل عراقي، **ولا ننسى** ما لحق بفلسطين منذ الاحتلال الصهيوني حتى أحداث غزة الأخيرة التي أصابت العالم بالرعب لهول ما شاهده، وما جرى في حرب لبنان الأولى والأخيرة، كل ذلك حصدته الآلة الحربية الجهنمية التي أنتجها الغرب، كل ذلك مخزون في ذاكرة التاريخ، **ولَوِ انفجرت** حرب عالمية ثالثة، والعياذ بالله، واستخدم السلاح النووي لا سمح الله- لودع الْحَيَاةَ كُلُّ كَائِنٍ حَيٍّ على وجه الأرض؛ **أما النبي** ﷺ فهو رحمة للعالمين كما وصفه الله، ودينه يسر، وشريعته حزمٌ وعدل:

رحمةٌ كُلُّهُ وَحَزْمٌ وَعَزْمٌ ... وَوَقَارٌ وعِصْمَةٌ وَحَيَاءُ

وهذا أوان الشروع في سرد الغزوات، والسرايا، والبعوث:

1- سرية حمزة إلى سِيف البحر (رمضان لـ 7 أشهر من الهجرة):

خرج حمزة إلى سِيف البحر؛ مكان على شاطئ البحر الأحمر بين يَنْبُعَ والمَرْوَةِ في ثلاثين من المهاجرين[2]، **وقيل**: إن نصفهم من الأنصار[الواقدي 1/ 9]، **فلقي** أبا جهل في ثلاثمائة من أهل مكة؛ فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجُهَنِيُّ وكان مُوَادِعًا

(1) ينظر: مكسيموس مونروند 1/ 172-173.

(2) ابن هشام 2/ 245، الطبقات 2/ 6، والطبري 2/ 404.

للفريقين، ولم يكن قتال.

2- سرية عُبَيْدَةَ بن الحارث بن عبد المطلب (شوال لـ 8 أشهر من الهجرة):

بعثه النبي في ستين أو ثمانين من المهاجرين، فلقي أبا سفيان في جمع عظيم من قريش على ماء بالحجاز، فلم يكن بينهم قتال، **إلا** أن سعد بن أبي وقاص رمى بسهم؛ فكان أَوَّلَ سَهْمٍ رُمِيَ به في الإسلام[1]، وفي هذه السرية انحاز المقداد بن الأسود، وعتبة بن غزوان إلى المسلمين؛ وإنما خرجا مع الكفار؛ ليهاجرا إلى المدينة[الاستيعاب 3/ 559].

3- سرية سعد بن أبي وقاص (في ذي القعدة لـ 9 أشهر من الهجرة):

خرج في عشرين من المهاجرين، **وقيل**: ثمانية؛ إلى الخَرَّارِ[2] بالحجاز يريدون عِيْرًا لقريش، ففاتتهم[3].

4- غزوة وَدَّانَ، أو الأَبواء (في صفر لـ 12 شهرًا من الهجرة):

خرج النبيﷺ في أول غزواته يريد قريشًا وبني ضَمْرَةَ، فوادعته ضَمْرَةُ وَلَمْ يَلْقَ كَيْدًا[4].

5- غزوة سَفْوانَ: (وهي بدر الأولى)(في ربيع الأول لـ13 شهرًا من الهجرة[5]):

أغار كُرْزُ بن جابر الفِهْرِيّ على مواشي المدينة؛ فخرج النبي ﷺ في طلبه حتى بلغ وادي سَفوانَ ناحية بدر، وفَاتَهُ كُرْزٌ، **حمل** اللواءَ عليٌّ كرم الله وجهه، **واستخلف** على المدينة زَيْدَ بن حارثة؛ حَقًّا إن النبي ﷺ تصرف بحزم إزاء هذه اللصوصية، وربما العدوان السياسي؛ لارتباط كرز بقريش.

---

(1) ابن هشام 2/ 241، الطبري 2/ 404، الواقدي 1/ 10، الطبقات 2/ 7.

(2) موضع بالحجاز **يقال**: هو قرب الجُحفة، **وقيل**: واد من أودية المدينة، **وقيل**: ماء بالمدينة، **وقيل**: موضع بخيبر. معجم البلدان 2/ 350.

(3) ابن هشام 2/ 251، والواقدي 1/ 11، وعيون الأثر 1/ 356، والطبقات 2/ 7.

(4) ابن هشام 2/ 241، والطبري 2/ 403، والواقدي 1/ 12، والطبقات 2/ 8.

(5) ابن هشام 2/ 251، والطبقات 2/ 9، والواقدي2/ 12، وفاء الوفاء 1/ 275، وفي خليفة 57، والطبري 2/ 406. في جمادى الآخرة.

6- غزوة بُوَاطَ[1]: (ربيع الأول[2] لـ 13 شهرًا من الهجرة):

خرج النبيﷺ في مائتين من المهاجرين ليعترض ألفين وخمسمائة بعير لقريش، حتى بلغ بُوَاطَ إلى الغرب من المدينة ناحية الساحل على بُعْدِ ثمانية وأربعين ميلا، فَفَاتَتْهُ العير، **وكان** فيها أمية بن خَلَفٍ ومائة من قريش؛ **حمل** اللواء سعد بن أبي وقاص، ولونه أبيض، **واستعمل** على المدينة السائب بن مظعون، **وقيل**: سعد بن معاذ[3].

7- غزوة العُشَيَرَةِ: (في جمادى الآخرة لـ 16 شهرًا من الهجرة):

خرج النبي ﷺ في مائة وخمسين، وقيل: مائتين من المهاجرين، وحمل اللواء حمزة رضوان الله عليه؛ يريد أَلْفَ بعير لقريش ذَاهِبَةً إلى الشام، تحمل كل أموال قريش، في ثروة تقدر بخمسين ألف دينار، فبلغ العُشَيرةَ من بطن يَنْبُعَ، فوجد العير قد مضت منذ أيام؛ فأقام بها جمادى الأولى وليالي من الثانية، ووادع فيها بني مُدْلِجٍ وحلفاءَهم من بني ضَمْرَةَ، وفيها كَنَى عَلِيًّا كرم الله وجهه أبا تراب؛ روى عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال: كنت أنا وعَلِيٌّ رفيقين في غزوة العشيرة؛ فرآنا رسول الله ﷺ نائمين في دَقْعَاءَ من التراب، فقال: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ»، ثم قال: «ألا أُخْبِرُكَ بِأَشْقَى النَّاسِ أَجْمَعِيْنَ»؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «أُحَيْمِرُ ثَمُودَ الَّذِي عَقَرَ النَّاقَةَ، وَالَّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذَا»، ووضع يده على قرنه، «حَتَّى يَبُلَّ مِنْهَا هَذِهِ»، وأخذ على لحيته[4].

---

(1) **بُوَاطُ**: من جبال جهينة، قرب ينبع على أربعة بُرُدٍ من المدينة، **وقيل**: من أودية القبلية. معجم البلدان1/ 503.

(2) ابن هشام 2/ 248، **وقيل**: في ربيع الآخر، والطبري 2/ 405، والطبقات 2/ 80، والواقدي 1/ 12.

(3) سيرة ابن هشام 2/ 248، والمغازي للواقدي 1/ 12، وابن كثير 2/ 361، وتأريخ خليفة 57، والطبري 2/ 407، ومغلطاي 191، والطبقات 2/ 8-9.

(4) الخصائص130، والمسند 18349، والطحاوي مشكل الآثار 2/ 218، والبيهقي في الدلائل 3/ 12، وصححه الحاكم على شرط مسلم 3/ 141، **ووافقه** الذهبي، و ابن هشام 1/ 250، والحلبية 2/ 126، وعيون الأثر 1/ 357 وما بعدها، وابن كثير 2/ 363، وتأريخ خليفة 57، الطبقات 2/ 9.

8- سرية عبدالله بن جحش: (سرية نَخْلة) (في رجب سنة2من الهجرة):

بعثه رسول الله ﷺ ومعه ثمانية من المهاجرين[1]، **وقيل**: اثنا عشر[2]، **وكتب** له كتابًا، وأمره ألَّا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به، **ولا** يَسْتَكْرِهْ مِنْ أصحابه أَحَدًا؛ **ففتح** الكتاب بعد يومين فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نْخَلَةَ [مكانا] بين مكة والطائف فترصَّدْ بها قريشًا، وتَعَلَّمْ لنا من أخبارهم؛ **فقال بعد قراءته**: سمعًا وطاعةً، وأخبر أصحابه بما في الكتاب، **ثم قال لهم**: من كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فمضى ومضى معه أصحابُهُ لم يتخلف أحد، **وفي** الطريق أَضَلَّ سعدُ بن أبي وقاص وعُتبةُ بن غزوان بَعيرًا لهما كانا يَعْتَقِبَانِهِ؛ فتخلفا في طلبه، **ومضى** ابن جحش وبقية أصحابه حتى نزلوا بنخلة، فمرت بهم عير لقريش تحمل زبيبًا وجلودًا وتجارة لقريش جاءوا بها من الطائف، فيها عمرو بن الحضرمي، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة، وأخوه نوفل بن عبدالله، والحكم بن كَيْسَانَ، **فلما** رآهم القوم قريبًا منهم هَابُوْهُمْ، فأشرف لهم عُكَّاشَةُ[3] بنُ مِحْصَنٍ وكان قد حلق رأسه؛ فلما رأوه أَمِنُوا وقالوا: عُمَّارٌ لا بأس عليكم منهم، **وتشاور** القوم فيهم، وذلك في آخر يوم من رجب، **فقال** القوم: والله لئن تركتم القوم هذه الليلة لَيَدْخُلُنَّ الحَرَمَ فليمتَنِعُنَّ منكم به، ويخبرون قريشًا بمكانكم، ولئن قتلتموهم لَتَقْتُلُنَّهُمْ في الشهر الحرام؛ **فتردد** القوم وهابوا الإقدام عليهم، ثم شَجَّعُوا أنفسهم عليهم، وأجمعوا على قتل مَنْ قَدَرُوا عليه منهم وأَخْذِ ما معهم؛ **فرمى** وَاقِدُ بن عبدالله التميمي عَمْرًا بن الحضرمي بسهم فَقَتَلَهُ، **واستأسر** عُثْمَانُ بن عبدالله والحكمُ بن كيسَانَ، **وفرّ** نوفلُ بن عبدالله،

---

(1) ابن هشام 1/ 252 ، وابن الوردي 1/ 109.

(2)الطبقات 2/ 10، الواقدي 1/ 17 الطبري 2/ 410 .

(3)وقد يخفف فيقال: عُكاشة.

ولما قدموا على رسول الله ﷺ بالعير والأسيرين، قال: مَا أَمَرْتُكُمْ بِقِتَالٍ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ؛ فأوقفَ العيرَ والأسيرين، ولم يأخذ شيئًا؛ فَسُقِطَ في أيدي القوم وظنوا أنهم هَلَكُوا[1]، وعَنَّفَهُمُ المسلمون، **وقالت قريش:** قد اسْتَحَلَّ محمد وأصحابه الشهرَ الحرام، **فقال** مَنْ يَرُدُّ عليهم من المسلمين ممن كان بمكة: إنما أصابوا ما أصابوا في شعبانَ، **فلما** أكثر الناس في ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[البقرة:217]؛ **أي** إن كنتم قتلتم في الشهر الحرام فقد صدوكم عن سبيل الله مع الكفر به، وعن المسجد الحرام، وإخراجُكم منه -وأنتم أهله- أكبرُ عند الله من قتل من قتلتم منهم، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾؛ **فقد** كانوا يَفْتِنُوْنَ المسلم في دينه حتى يردوه إلى الكفر بعد إيمانه، وذلك أكبر عند الله من القتل، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾؛ **ثم** هم مقيمون على أَخْبَثِ ذلك وأعظمه غير تائبين ولا نازعين؛ فلما نزل القرآن بهذا، وفَرَّجَ اللهُ عن المسلمين ما كانوا فيه من الخوف- قبَضَ رسول الله ﷺ العير والأسيرين، **وقيل:** قد كان عبدالله بن جحش **أخرج الخمس** لرسول الله ﷺ **وقسم** الباقي بين أصحابه؛ **فهو** أول خمس في الإسلام، **وأول** غنيمة[2]، **وابن** الحضرمي **أول** قتيل بسيف المسلمين، **وعثمان** بن الحكم، والحكم بن كيسان أول أسيرين[3]، **وكانت** هذه **أول** سرية تقاتل، وتنتصر، وتغنم، **قال ابن سعد:** سُمِّيَ ابن جحش في هذه السرية بأمير المؤمنين[4] **وبعثت** قريش في فداء الأسيرين، فقال ﷺ: لا، حتى يَقْدُمَ سعد وعتبة؛ فإنا نخشاكم

---

(1) ندموا وتحيروا. عمدة الحفاظ 2/ 235.

(2) الطبري 2/ 412 وهو مشكل، فلم يكن قد فرض الخمس في الغنائم.

(3) سبل الهدى 6/ 30، والطبري 25/ 414.

(4) الطبقات 2/ 11، الواقدي 1/ 19، وقال الطبري: إن أول راية رفعت راية ابن جحش .

عليهما، فإن تقتلوهما نقتل صاحبيكم، فقدم سعد وعتبة، فأفداهما رسول الله ﷺ منهم، **فأما** الحكم بن كيسان فأسلم وحسن إسلامه، وأقام عند رسول الله ﷺ - حتى استشهد يوم بئر مَعُوْنَةَ، **وأما** عثمانُ بن عبدالله فَلَحِقَ بمكة فمات بها كافرًا.

صَرْفُ القبلةِ إلى الكعبة:

حدث ذلك في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهرًا من الهجرة[1] **وَقْتَ** صلاة الظهر: صلى نصفها إلى بيت المقدس، والنصف الثاني إلى الكعبة، **وقد** استدار النبي ﷺ، واستدارتِ النساءُ مكان الرجالِ، والرجالُ مكان النساءِ، وتحول مَنْ في المُقَدَّمِ إلى المؤخر؛ لأن من استقبل الكعبة من المدينة يلزم أن يستدبر بيت المقدس، **فَمَرَّ** عَبَّادُ بن بِشْرٍ -وقد صلى مع النبي- على قوم من الأنصار راكعين في صلاة العصر، **فقال:** أشهد لقد صليت مع رسول الله ﷺ قِبَلَ البيت؛ فاستداروا، **ومَرَّ** عباد إلى أهل قباء فألفاهم في صلاة الصبح من اليوم الثاني فأخبرهم فاستداروا[2]، **وقال البخاري:** إن تحويل القبلة على رأس (16)، أو (17) شهرًا من الهجرة[3]؛ **وكان** صَرْفُ القبلة سببًا لارتداد ضعفاء الإيمان، **وقد** أثار اليهود زوبعة عنيفة عند تحويل القبلة، **تولَّى** الرَّدَّ عليهم القرآنُ الكريمُ في مستهل الجزء الثاني من سورة البقرة، ويكفي ذلك المَطْلَعُ البديع: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[البقرة:142][4].

---

(1) ابن هشام 2/ 257، وابن الوردي 1/ 109، وابن كثير 2/ 373.

(2) البخاري رقم 395، والطبري 2/ 416، والثعالبي 168.

(3) رقم 390، **وقال في السبل** 3/ 541: **من قال:** 16 شهرًا لفَّق من شهر القدوم وشهر التحويل شهرًا، وألغى الأيام الباقية، **ومن قال** 17 شهرًا عَدَّ شهر القدوم وشهر التحويل؛ لأن القدوم في شهر ربيع الأول والتحويل في نصف شهر رجب على الصحيح، **لكن** الحساب على هذا يكون التحويل على رأس 18 شهرًا، وهو ما جاء في الطبري، **وقال:** إنه قول الجمهور. 2/ 416.

(4) وهذا مثال لنسخ السُّنَّةِ الفعلية بالقرآن الكريم.

9- غزوة بدر الكبرى: (17 رمضان 2هـ - يناير 624م)[1]:

سمع رسول الله ﷺ بِأَنَّ قافلةً من أَلْفِ بعيرٍ قادمةٌ من الشام تَحْمِلُ ثروةً هائلةً يقودها أبو سفيان ومعه ثلاثون أو أربعون من قريش؛ **فقال للمسلمين**: هذه عِيرُ قريشٍ، فيها أموالهم؛ فاخرجوا إليها لعل الله يُنفِلُكُمُوْهَا؛ فَخَفَّ بعضُ الناسِ وثَقُلَ بعضُهم؛ وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان؛ تخوفًا على أمر الناس؛ حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان: أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك؛ فَحَذِرَ عند ذلك؛ فَاسْتَأْجَرَ ضَمْضَمَ بنَ عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة، وأمره أن يأتي قريشًا فيستنفرَهم إلى أموالهم، ويُخْبِرَهُمْ بأن محمدًا قد عرض لها؛ فخرج ضمضمُ سريعًا إلى مكة فوصلها صارخًا وقد جَدَّعَ أنف بعيره، وَحَوَّلَ رَحْلَهُ، وَشَقَّ قميصه، وهو يقول: يا معشرَ قريش: اللَّطِيمَةَ اللَّطِيمَةَ[2] أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه، لا أرى أن تدركوها، الغَوْثَ الغَوْثَ[3]؛ **فتجهز** الناس سراعًا وقالوا: أيظن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي [الذي قُتِلَ في سرية عبدالله بن جحش]، كلا والله لَيَعْلَمَنَّ غير ذلك، **فكانوا** بَيْنَ رَجُلَيْنِ: **إما** خارجٍ، **وإما** باعثٍ مكانَه رجلًا، **ولم** يتخلف من أشراف قريش إلا أبو لهب فقد استأجر مكانه العاص بن هشام بن المغيرة بأربعة آلاف درهم كانت دينًا عنده، وأجمع أمية بن خلف على القعود، وكان شيخًا جليلًا جسيمًا ثقيلًا، فأتاه عقبة بن أبي مُعَيْطٍ - وهو جالس في

---

(1) الطبقات 2/ 11، ابن هشام 2/ 257، ومغلطاي ص197، وابن الوردي 1/ 110، **وقيل**: 19 رمضان، والطبري 2/ 421، والبداية والنهاية 3/ 313، والواقدي 1/ 19، وخليفة ص57، والمنتظم 3/ 91، وزاد المعاد 2/ 85. **والمسافة** بين المدينة وبدر تزيد على (160كم).

(2) **اللطيمة**: الإبل التي تحمل البَزَّ والطيب. اللسان 12/ 545، 559.

(3) الطبري 2/ 430، والواقدي 1/ 31، وابن هشام 2/ 258.

المسجد بين ظَهْرَانِي قومه - بِمَجْمَرَةٍ، وقال: يا أبا علي اسْتَجْمِرْ فإنما أنت من النساء؛ فقال: قبحك الله وقبح ما جئت به، ثم تجهز فخرج مع الناس، فلما أجمعوا على المسير ذكروا ما كان بينهم وبين بني بكر من الحرب؛ **فقالوا**: إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا؛ فكاد ذلك يُثْنِيْهِمْ، فَتَبَدَّى إبليس في صورة سُرَاقَةَ بْنِ مالك الْمُدْلِجِيِّ **وكان** مِنْ أشراف كنانة فقال لهم: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه؛ فخرجوا سراعًا.

استخلف النبي ﷺ على المدينة أبا لُبَابَةَ، رَدَّهُ من الطريق، **واستخلف** على الصلاة ابن أم مكتوم، **ودفع** اللواء إلى مصعب بن عمير، وكان أبيض، **ودفع** رايتين سَوْدَاوَيْنِ: **إحداهما**: لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه **يقال** لها العُقَاب، **والأخرى**: لسعد بن معاذ ﷺ، **وجعل** رسول الله ﷺ **شعار** المهاجرين: يا بني عبدالرحمن، **وشعار** الخزرج: يا بني عبدالله، **وشعار** الأوس: يا بني عبيد الله، **ويقال** كان شعار المسلمين جميعا يومئذ: يَا مَنْصُورُ أَمِتْ[1]، وكان مع أصحابه سبعون من الإبل يعتقبونها، **وكان** عددهم ثلاثمائة أو يزيدون قليلًا، **وكان** عَلِيٌّ ومَرْثَدُ بن أبي مَرْثَدٍ الغَنَوِيُّ[2] زميلا رسولِ اللهِ ﷺ على بعيره- **يحاولان** عبثًا أن يتنازلا عن حصتهما في الركوب لرسول الله ﷺ فيأبى ويقول: «**مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي عَلَى الْمشْيِ، وَمَا أَنَا بِأَغْنَى مِنْكُمَا عَنِ الْأَجْرِ**»[3]؛ فيتقاسم معهما الركوب أثلاثًا، **وَبَعَثَ** رجلين إلى بدر يتحسسان له الأخبار؛ فأتياه بخبر مسير قريش.

---

(1) ابن سعد 1/ 14. **ومعنى يا منصور أمِتْ**: أي أمت أعداء الله، تفاؤلا بالنصر بعد الأمر بالإماتة، والشعار علامة بينهم، يتعارفون به، ولا سيما بين الظلام والاختلاط. السبل 4/ 225.

(2) مرثد بن كنَّازٍ الغنوي، **هو** وأبوه حليفا حمزة، وهما من قيس بن غيلان بن مضر، **آخي** النبي ﷺ بينه وبين عبادة بن الصامت، هاجر فنزل على كلثوم بن الهدم، **وقيل**: على سعد بن خيثمة. الطبقات 3/ 47.

(3) مسند أحمد رقم 4029، والمستدرك 3/ 20، والبداية والنهاية 3/ 319.

الرسول ﷺ يستشير أصحابه في القتال:

روى مسلم [رقم 1779] عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ؛ فَقَامَ سَعْدُ ابْنُ عُبَادَةَ[1] فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا [أي الخيل] الْبَحْرَ لأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا- قَالَ- فَنَدَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاسَ فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا[2].

استطلاع أخبار قريش:

نزل رسول الله ﷺ قريبًا من بدر، فركب هو وأبو بكر ﷺ حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريشٍ، وعن محمد ﷺ وأصحابه وما بلغه عنهم؛ **فقال الشيخ**: لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما؟ **فقال** رسول الله ﷺ: إذا أخبرتنا أخبرناك، **قال**: أَذَاكَ بِذَاكَ؟ **قال**: نعم، **فقال الشيخ**: إنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان صَدَقَ الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا -لِلْمَكان الذي به رسول الله ﷺ- **ويلغني** أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا-للمكان الذي فيه قريش- **فلما** فرغ من خبره قال: ممن أنتما؟ فقال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ مِنْ مَاءٍ»! ثم انصرف عنه، فقال الشيخ: من ماء! أمن ماء العراق؟

---

(1) **وروي** أن القائل سعد بن معاذ، **قال ابن سَيِّدِ الناس**: وإنما يعرف ذلك عن سعد بن معاذ، كذلك رواه ابن إسحاق، وابن عقبة، وابن سعد، وابن عائذ، وغيرهم. **واختلف** في شهود سعد بن عبادة بدرًا؛ فلم يذكره ابن عقبة، ولا ابنُ سعد في البدريين، **وذكره** الواقدي، والمدائني، وابن الكلبي فيهم. **وروينا** عن ابن سعد أن سعد بن عبادة كان يتهيأ للخروج إلى بدر، ويأتي دور الأنصار يحثهم على الخروج؛ فَنُهِشَ قبل أن يخرج، فأقام، **فقال** رسول الله ﷺ: «لَئِنْ كَانَ سَعْدٌ لَمْ يَشْهَدْهَا، لَقَدْ كَانَ عَلَيْهَا حَرِيصًا». ينظر: عيون الأثر 1/ 386، وأسد الغابة 2/ 441.

(2) ابن هشام 2/ 266، والنهاية 3/ 319، والمغازي للواقدي 1/ 19، والطبقات 2/ 14، ومسلم 3/ 1403 رقم 1779، وتاريخ الطبري 2/ 34.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى أصحابه، **فلما** أمسى بعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه إلى ماء بدر يلتمسون الخبر، فأصابوا غلامين فأتوا بهما فسألوهما - ورسولُ الله ﷺ قائمٌ يصلي- فقالا: نحن سُقَاةُ قريش بعثونا نسقيهم من الماء؛ فَكَرِهَ القوم خبرهما ورَجَوْا أن يكونا لأبي سفيان؛ فضربوهما، فلما أذلقوهما[1] قالا: نحن لأبي سفيان؛ فتركوهما، **فلما** سَلَّمَ النبي ﷺ من صلاته قال: إذا صدقاكم ضربتموهما[2]، وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا والله إنهما لقريش، أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْشٍ، قالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعُدْوَةِ القُصْوَى، فقال لهما رسول الله ﷺ: كَمِ القَوْمُ؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون كل يوم؟ قالا: يومًا تسعًا، ويومًا عشرًا، فقال رسول الله ﷺ: القوم فيما بين التسعمائة والألف، ثم قال لهما: فَمَنْ فيهم من أشراف قريش؟ قالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوفل، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عَبْدِ وُدٍ؛ فَأَقْبَلَ رسولُ اللهِ ﷺ عَلَى الناس فقال: هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا. **والفِلْذَةُ**: القطعة، **وكان** بَسْبَسُ بنُ عَمْرٍو، وَعَدِيُّ بنُ أَبِي الزَّغْبَاءَ اللذان أرسلهما رسول الله ﷺ لتحسس الأخبار قد مضيا حتى نزلا بدرًا، فأناخا إلى تَلٍّ قريب من الماء، ثم أخذا شَنًّا لهما يستقيان فيه- ومجديُّ بن عمرو الجُهَنِيُّ على الماء- فسمعا جاريتين تقول إِحْدَاهُمَا لصاحبتها: إنما تأتي العير غدًا أو بعد غد فَأَعْمَلُ لَهُمْ ثُمَّ أقضيك الذي لك، قال مجدي: صَدَقْتِ؛ فأخبرا رسول الله ﷺ بما سمعا، **وأقبل** أبو سفيان بن حرب يَقْدُمُ العير حَذِرًا

---

(1) **اذلقوهما**: بالغوا في ضربهما حتى أجهدوهما.

(2) لا أظن أَجِلَّةَ الصحابة يضربون صبيًّا، إلا إذا كانت ظروف الحرب اقتضت ذلك.

حتىٰ ورد الماء، **فقال** لمجدي: هل أحسست أحدًا؟ قال: ما رأيت أحدًا أُنْكِرُهُ إلا راكبين أناخا إلىٰ هذا التل ثم انطلقا، فأتىٰ أبو سفيان مُنَاخَهُمَا فأخذ من أبعار بعيريهما فَفَتَّهُ فإذا فيه النوىٰ؛ فقال: هذه والله عَلَائِفُ يَثْرِبَ، فرجع إلىٰ أصحابه سريعًا فضرب وجه العير عن الطريق فَسَاحَلَ بها وترك بدرًا علىٰ يساره.

عِنَادُ أبي جهل وشُؤْمُهُ:

لَـمَّا أحرز أبو سفيان القافلة أرسل إلىٰ قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا أموالكم، وقد نجاها الله فارجعوا، **فقال أبو جهل**: والله لا نرجع حتىٰ نَرِدَ بدرًا- وكان بدرٌ موسمًا من مواسم العرب، يجتمع لهم به سوق كل عام- فَنُقِيمَ عليه ثلاثًا، فَنَنْحَرَ الجَزُورَ، ونُطْعِمَ الطَّعَامَ، ونُسْقَىٰ الخَمْرَ، وَتَعْزِفَ عَلَيْنَا القِيَانُ، وَتَسْمَعَ بِنَا العَرَبُ وَبِمَسِيرِنَا وَجَمْعِنَا؛ فَلاَ يَزَالُونَ يَهَابُونَنَا أَبَدًا بَعْدَهَا، ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾[الزخرف:54].

الجمعان في بدر، ومشورة الحُبَابِ بن المنذر:

نزلت قريش بالعدوة القُصوىٰ من الوادي، وبعث الله السماء، وكان الوادي دَهْسًا[1]، **فأصاب** رسولَ الله ﷺ وأصحابَهُ منها **ما** لَبَّدَ لهم الأرض ولم يمنعهم عن السير، **وأصاب** قريشًا منها **ما** لم يقدروا علىٰ أن يرتحلوا معه، فنزل رسول الله ﷺ بمكانٍ في بدر، **فقال الحُبَابُ**: يا رسول الله أرأيتَ هذا المنزل أَمَنْزِلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمَه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فقال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل؛ فانهض بالناس حتىٰ نأتي أدنىٰ ماء من القوم فَنَنْزِلَهُ، ثُمَّ نُغَوِّرَ[ندفن] ما وراءه مِن القُلُبِ، ثم نبني عليه حوضًا فنملأه ماءً، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ: لقد أَشَرْتَ بالرأي؛ فنهض بالناس حتىٰ نَزَلَ علىٰ أدنىٰ ماء من القوم، ثم أمر بالقُلُبِ فغُوِّرَتْ،

(1) **الدَّهْسُ**: اللين الذي لم يبلغ أن يكون رملًا، (ليس برمل ولا تراب). القاموس ص 506.

وَبَنَىٰ حوضًا علىٰ القَلِيبِ الذي نزل عليه، فمُلِئَ ماءً، ثم قذفوا فيه الآنية[1]، **وقد ذَهَبَ** بعض الباحثين إلىٰ عدم صحة الرواية التي فيها مشهورة الحباب؛ لأسباب: **الأول**: أن الماء موجود بالعدوة القصوىٰ ولا ماءَ بالعدوة الدنيا، **الثاني**: أن المشركين هم الذين سبقوا بالنزول في بدر، ولا يعقل أن ينزلوا في مكان لا ماء فيه، **الثالث**: نص ابن إسحاق علىٰ أن المشركين وردوا الحوض **فَأَمَرَ** النبي ﷺ ألا يعترضوهم، **الرابع**: أن مَنْعَهُمْ من الماء لا ينسجم مع أخلاقيات الإسلام ونبيه الأعظم ﷺ؛ **والصحيح** أن المسلمين لم يكونوا علىٰ الماء؛ فأرسل الله عليهم السماء ليلا حتىٰ سال الوادي؛ فاتخذوا الحياض، وشربوا، وسقوا الركائب، واغتسلوا وملؤوا الأواني.

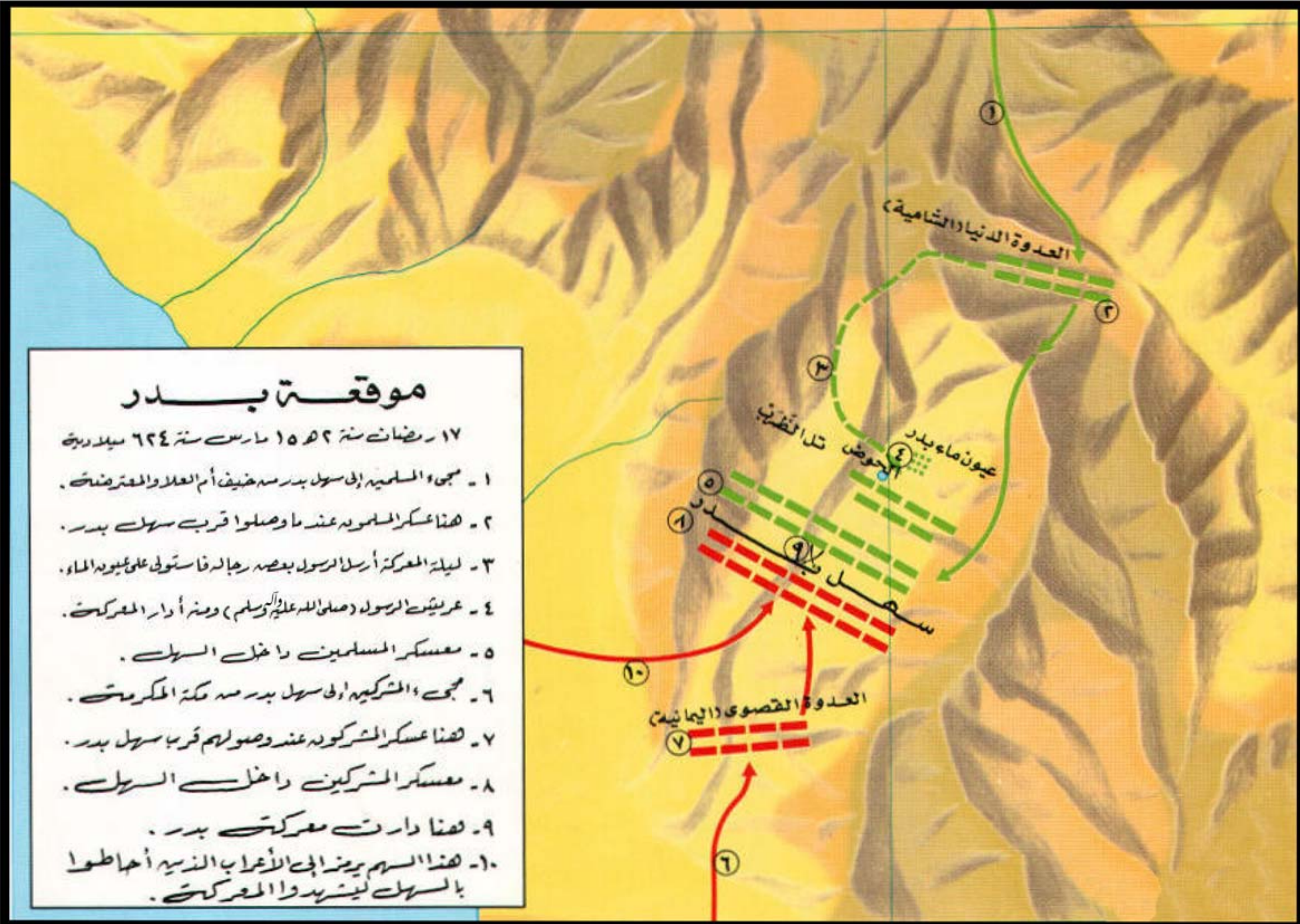
بناء العَريش:

قال سعد بن معاذ: يا نبي الله، ألا نبني لك عريشًا تكون فيه، ونُعِدُّ عندك ركائبَك، ثم نلقىٰ عدونا، فإن أعزنا الله وأظهرنا علىٰ عدونا كان ذلك ما أحببنا، وإن كانت الأخرىٰ جلستَ علىٰ ركائبك **فَلَحِقْتَ** بِمَنْ وراءنا مِنْ قومنا، فقد **تَخَلَّفَ** عنك أقوامٌ يا نبي الله ما نحن بأشدَّ حُبًّا لك منهم، ولو ظنوا أنك تلقىٰ حربًا ما تخلفوا عنك؛ يمنعك الله بهم، يناصحونك ويجاهدون معك؟ فأثنىٰ عليه خيرًا ودَعَا له؛ **فَبُنِيَ** عريش في مكان مرتفع مُطِلٍّ علىٰ ساحة المعركة، فكان فيه[2]. **وفي** الصباح رأىٰ ﷺ قريشًا منحدرة إلىٰ الوادي؛ فقال: اللهم هذه قريش قد أقبلتْ بِخُيَلائِهَا وفخرها، تُحَادُّكَ وتُكَذِّبُ رسولك؛ اللهم فَنَصْرَكَ الذي وعدتني، اللهم أَحْنِهُمُ الغَدَاةَ [أهلكهم]؛ **فلما** نزل الناسُ أقبلَ نفرٌ من قريش حتىٰ وردوا حوضَ رسول الله ﷺ، فيهم حكيم بنُ حِزام، فقال رسول الله ﷺ: **دَعُوهم** فما شرب منه رجل يومئذ إلا قُتِلَ، إلا ما كان من حكيم بن حزام، فإنه لم يُقْتَلْ، ثم أسلم بعد ذلك فحسن إسلامه، فكان إذا اجتهدَ في يمينه قال: لا، والذي نَجَّانِي يوم بدر.

---

(1) طبقات ابن سعد 2/ 15، وفيه: أن جبريل نزل فقال: الرأي ما أشار به الحباب.

(2) سيرة ابن هشام 2/ 272، وذكر ذلك محمد يماني في غزوة بدر ص 138.


موقعة بدر
١٧ رمضان سنة ٢هـ ١٥ مارس سنة ٦٢٤ ميلادية
١ ـ مجيء المسلمين إلى سهل بدر من خيف أم العلا والمعترضة .
٢ ـ هنا عسكر المسلمون عند ما وصلوا قرب سهل بدر .
٣ ـ ليلة المعركة أرسل الرسول بعض رجاله فاستولى على عيون الماء .
٤ ـ عريش الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنه أدار المعركة .
٥ ـ معسكر المسلمين داخل السهل .
٦ ـ مجيء المشركين إلى سهل بدر من مكة المكرمة .
٧ ـ هنا عسكر المشركون عند وصولهم قرب سهل بدر .
٨ ـ معسكر المشركين داخل السهل .
٩ ـ هنا دارت معركة بدر .
١٠ ـ هذا السهم يرمز إلى الأعراب الذين أحاطوا بالسهل ليشهدوا المعركة .
العدوة الدنيا (الشامية)
عيون ماء بدر
الحوض
تل الظرب
سهل بدر
العدوة القصوى (اليمانية)

السعي في تفادي القتال: ولما اطمأن القوم بعثوا عُمَيْرَ بنَ وَهبٍ الجُمَحِي فَقَالُوا: احْزُرْ لنا أصحابَ محمد، فجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلًا أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى أَنْظُرَ أَلِلْقَومِ كمينٌ أو مَدَدٌ؟ فضرب في الوادي حتى أَبْعَدَ فلم يَرَ شيئًا فرجع إليهم فقال: ما وجدتُ شيئًا ولكني رأيت الَبلايَا[1] تحمل المنايا، نَوَاضِحَ يثرب تحمل الموت النَّاقع[2]؛ قوم ليس معهم مَنَعةٌ ولا ملجأ إلا سيوفهم، والله ما أرى أن يُقتَلَ رجلٌ منهم حتى يَقْتُلَ رجلًا منكم، فإذا أصابوا منكم أعدادَهم فما خيرُ العيش بعد ذلك؛ فَرَوْا رَأْيَكُمْ؛ فلما سَمِعَ حكيمُ بنُ حزام ذلك مشى في الناس فأتى عتبةَ بنَ ربيعةَ فقال: يا أبا الوليد، إنك كبيرُ قريش وسيدها والمطاع فيها، هَلْ لَكَ أَلَّا تزال تُذْكَرُ فيها بخير إلى آخر الدهر؟ قال: وماذاك يا حكيم؟ قال: ترجع بالناس، وتحمل أَمْرَ حليفك عمرو بن الحضرمي[3] قال: قد فعلتُ، أنتَ عَلَيَّ بذلك، إنما هو حليفي فَعَلَيَّ عَقْلُهُ [ديته]، وما أُصيبَ من ماله؛ فَأْتِ ابْنَ الحَنْظَلِيَّةِ فإني لا أَخْشَى أَنْ يَشْجُرَ أَمْرَ الناس غَيْرُهُ[4]؛ **ثم جلس** عُتْبَةُ على جمله؛ فسار في المشركين من قريش يقول: ياقوم أطيعوني ولا تقاتلوا هذا الرجل وأَصَحابَهُ، واعْصِبُوا هذا الأمر برأسي، واجعلوا جُبْنَهَا بي؛ فإن منهم رجالا قَرَابَتُهُمْ قريبة، ولا يزال الرجل منكم ينظر إلى قاتل أبيه وأخيه، فَيُورِثُ ذلك بينهم شَحْنَاءَ وَأَضْغَانًا، ولن تخلصوا إلى قتلهم حتى يُصيبوا منكم عددهم، مع أني لا آمن أن تكون الدائرة عليكم، وأنتم لا تطلبون إلا دم هذا الرجل والعير التي أصاب، وأنا أحتمل ذلك، وهو عَلَيَّ! يا قوم، **إن** يَكُ محمد كاذبًا يكفيكموه ذؤبان العرب[أي صعاليكهم] **وإن** يَكُ ملكا أكلتم في ملك ابن أخيكم، وإن يك نبيا كنتم

---

(1) **البلايا**: جمع بلية، وهي الناقة أو الدابة تُرْبَطُ إلى قبر الميت فلا تُعْلَفُ وَلَا تُسْقَى حتى تموت.

(2) **النواضح**: الإبل يستقى عليها. **والناقع**: الثابت، البالغ في الإفناء.

(3) انظر ما مضى في سرية عبدالله بن جحش ص132.

(4) هو أبو جهل، أمه من بني حنظلة بن مالك. **ويشجر**: يخالف بينهم.

أسعد الناس به! يا قوم لا تردوا نصيحتي، ولا تسفهوا رأيي[الواقدي 1/ 63]. **قال الواقدي**: فحسده أبو جهل حين سمع خطبته.

صَلَفُ أبي جهل: قال حكيم: فانطلقت حتى جئتُ أبا جهل فوجدته قد نَثَلَ[أخرج] درعًا له من جِرابها؛ **فقلت له**: إن عُتْبَةَ أرسلني إليك بكذا وكذا -لِلَّذي قال- **فقال**: انتفخ والله سَحْرُه[1] حين رأى محمدًا وأَصْحَابَهُ، **كلا** والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، **ثم قال**: إن عتبة لما رأى أن محمدًا وأصحابه أَكَلَةَ جَزُورٍ[2] وفيهم ابنه [أبو حذيفة] فقد تَخَوَّفَكُمْ عليه، **ثم** بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال: هذا حليفُك يريد أن يرجع بالناس، وقد رأيتَ ثأرَك بعينك، فقم فَأَنْشُدْ خُفْرَتَك[3] وَمَقْتَلَ أخيك؛ **فقام** عامر فكشف سوأته وصرخ: وَاعَمْرَاه [يندب أخاه عمرًا] فَحَمِيَتِ الحَرْبُ، وحَقِبَ أَمْرُ الناس، واستوسقوا[4] على ما هم عليه من الشر، وخابت محاولة عتبة، **وخرج** الأَسْوَدُ بن عبدالأسد المخزومي- وكان شَرِسًا سَيِّءَ الخُلُقِ- فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه، أو لأموتن دونه، فلما خرج- خرج إليه حمزة بن عبدالمطلب فضربه فأطار قَدَمَهُ بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره تَشْخُبُ رِجْلُهُ دمًا[أي تسيل بصوت]، ثم حَبَا إلى الحوضِ حتى اقتحم فيه، يريد أن يُبِرَّ بيمينِه فضربه حمزة حتى قتله في الحوض.

بداية المعركة: غضب عتبة من كلام أبي جهل وقال: سيعلم غدًا من الجبان؟ **فخرج** مع أخيه شيبةَ وابْنِهِ الوليدِ بْنِ عُتْبَةَ، فدعا إلى المبارزة، وقد تعمم؛ إذ لم يَجِدْ مِغْفَرًا لضخامة هامته كما قيل، **فخرج** إليه عوفٌ وَمُعَوِّذٌ ابنا الحارث، وآخر يقال: إنه عَبْدُالله ابْنُ رَوَاحَةَ، **فقالوا**: من أنتم؟ فقالوا: رهط من الأنصار، **قالوا**: ما لنا

(1) **السَّحْرُ**: الرئة. **وهذا** كناية عن الجبن.
(2) أي قليلوا العدد. وأكلة الجزور نحو المائة.
(3) أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك: أي عهدهم، فقد كان جارًا لهم وحليفًا.
(4) **حَقِبَ الأمر**: تعسر. **واستوسقوا**: اجتمعوا.

بكم من حاجة، **ثم** نادى مناديهم: يا محمد، أَخْرِجْ إلينا أَكْفَاءَنَا من قومنا، **فقال** ﷺ: **قم** يا عبيدة بن الحارث، **وقم** يا حمزة، **وقم** يا علي، **فلما** دنوا منهم **قالوا**: من أنتم؟ فانتسبوا، **فقالوا**: نَعَمْ أَكْفَاءُ كرام؛ وبارز عُبَيْدَةُ -وكان أسنَّ القوم- عُتْبَةَ بْنَ رَبِيْعَةَ فأثبت كلاهما صاحبه، وبارز حمزةُ شيبةَ فقتله، وبارز عليٌّ الوليد فقتله، **وأقبل** حمزةُ وعلي على عتبةَ فَذَفَّفَا عليه[1] واحتملا صاحبَهما، ثم **تزاحف** الناس ودنا بعضهم من بعض، وقد أَمَرَ ﷺ أصحابَه ألا يهاجموا حتى يأمرهم، وقال: إن اكتنفكم القومُ فَانْضَحُوهُمْ عنكم بالنَّبْلِ، **ثم** خرج رسول الله من العريش إلى الصفوف يُعَدِّلُهَا تَالِيًا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٌ مَّرۡصُوصٌ﴾[الصف:4] وقال ﷺ لأصحابه مُحَرِّضًا لهم مُلْهِبًا حَمَاسَهُمْ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمدٍ بِيَدِهِ لا يُقَاتِلُهُمْ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيُقْتَلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ»[2]؛ فقال عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ أخو بني سَلِمَةَ، وفي يده تَمَرَاتٌ يأكلهن: بَخٍ بَخٍ[3]، **أَفَمَا** بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء! **ثم** قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل[4]، ثم **مَرَّ** ﷺ وهو يُسَوِّي الصفوف بِسَوَّادِ بْنِ غَزِيَّةَ مُنْفَتِلًا عن الصف، فطعن في بطنه بِالقِدْحِ، **وقال**: استوِ يا سَوَّادُ، **فقال**: يا رسول الله أوجعتني- وقد بعثك الله بالحق والعدل- فأَقِدْنِي؛ فكشف ﷺ عن بطنه، **وقال**: «اسْتَقِدْ»؛ فاعتنقه فقبَّل بطنه، **فقال** ﷺ: ما حملك على هذا؟ قال: قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جِلْدُكَ؛ فدعا له بخير. **رجع** رسول الله ﷺ

(1) **ذفف عليه**: أجهز وأسرع. **أما الإمامية فيقولون**: إن عليًّا قتل الوليد وأجهز على عتبة، ولما أراد شيبة أن يضرب حمزة صرخ علي وقال: طأطئ رأسك يا عم؛ فوجه ضربة إلى شيبة فقطف رأسه؛ **فعلى** هذا قتل اثنين وشارك في الثالث. بحار الأنوار 19/ 464.

(2) البداية والنهاية 3/ 337، وابن هشام 2/ 279، والطبري 2/ 448، وابن كثير 2/ 421.

(3) كلمة تقال عند الإعجاب.

(4) البداية والنهاية 3/ 337، وابن هشام 2/ 279، والطبري 2/ 448، وابن كثير 2/ 421، وعيون الأثر 1/ 393.

إلى العريش رافعًا كفيه داعيًا ربه، قائلا: «اللهم إن تَهْلِكْ هذه العصابةُ اليومَ لا تُعْبَدْ»، وأبو بكر ﷺ ملازم له في العَرِيشِ يقول: بَعْضَ مُنَاشَدَتِكَ رَبَّكَ فإنه منجز لك ما وعدك؛ **فَنَعَسَ** ﷺ ثم انتبه فقال: أبشر يا أبا بكر أتى نصر الله، هذا جبريل آخِذٌ بِعِنَان فرسه يقوده على ثنايا النَّقْعِ؛ **وفي المقابل** أبو جهل يدعو على محمد ﷺ قائلًا: اللهم إنه قطع الرحم، وآتانا بما لا نعرف؛ فَأَحْنِهِ الغَدَاةَ، فكان هو المُسْتَفْتِحَ، ثم **إنَّ رسول الله** ﷺ أخذ حفنة من الحصباء فرمى بها قريشا وقال: شَاهَتِ الوجوه، وأمر أصحابه فقال: شُدُّوا؛ فكانتِ الهزيمة فَقُتِلَ من صناديد قريش وأشرافهم سبعون، وَأُسِرَ مِثْلُهُمْ، **عن ابن عباس**[الدلائل للبيهقي 3/ 140] أن النبي ﷺ قال لأصحابه يومئذ: إن رجالًا من بني هاشم وغيرهم أُخْرِجُوا كرهًا، لا حاجة لهم بقتالنا؛ **فمن** لقي منكم أحدًا من بني هاشم فلا يقتله، **ومن** لقي أبا البَخْتَرِي فلا يقتله(1)، **ومن** لقي العباس بن عبدالمطلب فلا يقتله، **فقال** أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة: أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ونترك العباس؟ والله لئن لقيتُه لأُلْحِمَنَّهُ السيفَ(2)، **فبلغتْ** رسول الله ﷺ **فقال** لعمر بن الخطاب: يا أبا حفص، أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رسول الله بالسيف؟ **فقال** عمر: يا رسول الله دعني فلأضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق، **فكان** أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمنٍ من تلك الكلمة التي قلت يومئذ، ولا أزال منها خائفًا إلا أن تكفرها عني الشهادة؛ **فقتل** رحمه الله يوم اليمامة شهيدًا، **ولم تقاتل** الملائكةُ في يومٍ سوى بدر، وإنما يكونون عددًا ومددًا لا يقاتلون.

---

(1) لأنه كان لا يؤذي رسول الله ﷺ بمكة، ولا يبلغه عنه شيء يكرهه، **وكان** ممن قام بنقض الصحيفة، فلقيه المجذر بن زياد البلوي وأخبره أن رسول الله ﷺ نهى عن قتله، وكان مع أبي البختري زميل له فقال: أنا وزميلي قال: لا والله ما نحن بتاركي زميلك، فقال: إذن نموت جميعًا، لا تتحدث نساء مكة أني تركت زميلي حرصًا على الحياة، **فقال** المجذر لرسول الله ﷺ: والذي بعثك بالحق لقد جهدت أن يستأسر فأبى إلا أن يقاتلني فقتلته.

(2)أي لأمكنن منه السيف، ويروى «لأجمنه» أي لأضربنه به في وجهه.

مصرع أبي جهل: فلما فرغ رسول الله ﷺ من عدوه أمر أن يُلتَمَسَ أبو جهل في القتلى؛ قال ابنُ مسعود: فاحتززتُ رأسه ثم جئت به رسول الله ﷺ؛ فحمد الله، وأمر بالقتلى فطرحوا في القَلِيبِ إلا أمية بن خلف فغيبوه مكانه؛ لأنه قد انتفخ في درعه فملأها، ثم وقف الرسول ﷺ على أهل القليب ونادى رجالا بأسمائهم فقال: هل وجدتم ما وعد ربكم حَقًّا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حَقًّا، **فقال المسلمون**: يا رسول الله، أتنادي قومًا قد جيَّفوا؟! قال: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يُجِيْبُونِي[1].

ذكر مَنْ اسْتُشْهِدَ يوم بدر من المهاجرين والأنصار [سيرة ابن هشام 2/ 364]:

من المهاجرين: 1- عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب 2- عمير بن أبي وقاص، أخو سعد بن أبي وقاص، فيما قال ابن هشام 3- ذو الشمالين عمير بن عبد عمرو بن نضلة حليف بين زهرة من خزاعة، ثم من بني غبشان 4- عاقل بن البكير، من بني سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة 5-مهجع مولى عمر بن الخطاب 6- صفوان بن بيضاء من بني الحارث بن فهر. ومن الأنصار: 1- سعد بن خيثمة، 2-مبشر بن عبد المنذر بن زَنْبَرَ، 3- يزيد بن الحارث، وهو الذي يقال له: ابْنُ فُسْحِمَ من بني الحارث بن الخزرج، 4- عمير بن الحمام، 5-رافع بن الْمُعَلَّى بن لَوْذَانَ بن حارثة، 6-حارثة بن سراقة بن الحارث من بني النجار، 7، 8- عوف ومعوذ ابنا الحارث، وهما ابنا عفراء من بني النجار.

اختلاف المسلمين حول المغنم:

جُمِعَتِ الغنائمُ، واختلف المسلمون **فقال** منْ جَمَعَهَا: لنا، **وقال** المقاتلون: لنا، **وقال** حُرَّاسُ رسول الله ﷺ: لنا، **قال** بعض الصحابة: حتى ساءت أخلاقنا، **فنزلت**

---

(1) مسلم 4/ 2203، والبداية والنهاية 3/ 359 ، وابن هشام 2/ 292.

سورة الأنفال، **فأخرج** رسول الله ﷺ الخُمُسَ فَقَسَمَهُ على المسلمين بالسواء، وفي **طريقه** إلى المدينة ومعه الأسرى أمر عليًّا كرم الله وجهه بقتل النَّضْرِ بن الحارث[1]، **ثم** أمر عاصم بن ثابت بقتل عقبة بن أبي مُعَيْطٍ[2]، **فقال** عقبة: فمن لِلصِبْيَةِ يَا مُحَمَّدُ؟ قال: النار، **ثم** فَرَّقَ الأُسَارَى بين أصحابه **وقال**: استوصوا بهم خيرًا؛ وقد **أكثر** المستشرقون الطعن على رسول الله لقتله الأسيرين، وتناسوا مذابح الصليبيين عبر تأريخهم الأسود، وظلوا يتباكون على أَسِيْرَيْنِ مجرمين قد ارتكبا كل الفظائع [هيكل ص273]؛ **والسبب** في قتل هذين الأسيرين: أنه ينبغي قطع رؤوس الأفاعي؛ لتأمن طريق قافلة الخير.

قريش تفدي أسراها:

وافق النبي ﷺ على فداء الأسرى، وَقَدْرُه أربعة آلاف درهم إلى ألف، إلاَّ مَنْ أُطلِقَ بدون فداء ممن لا مال له، **فإن** كان يجيد القراءة والكتابة كُلِّفَ بتعليم عشرة من غلمان المدينة. **ولما وصل** الخبر إلى قريش بأن رسول الله ﷺ سيقبل الفدية مقابل الأسرى- اتفقوا على ألا يستعجلوا في الفداء؛ لئلا يتشدد المسلمون في الفداء ويثقلونه عليهم. **وكان أول** أسير فُدِيَ أبو وَدَاعَةَ بْنُ ضُبَيْرَةَ السَّهْمِيُّ- كان في الأسارى- **فقال** رسول الله ﷺ: «إن له بمكة ابنا كَيِّسًا تاجرًا ذا مال، وكأنكم به قد جاء في طلب فداء أبيه». **فلما** قالت قريش: لا تعجلوا بفداء أسراكم، لا يأرب[يتشدد] عليكم محمد وأصحابه، قال المطلب بن أبي وداعة -وهو الذي كان رسول الله ﷺ عنى-: صدقتم، لا تعجلوا،

---

(1) ولقد قالت أخته قتيلة ترثيه:

أَمحمّد يا خير ضنء كريمة ... في قَوْمِها والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
ما كانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ ورُبَّما ... مَنَّ الفَتَى وهوَ المَغيظُ المُحْنَقُ

فقال ﷺ: «لو بلغني قبل قتله لمننت عليه». الروض الأنف 3/ 124. **وضنء كل شيء**: نسله.اللسان1/ 111.
(2) قال ابن هشام2/ 298: ويقال قتله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وانْسَلَّ من الليل، وقدم المدينة، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم، فانطلق به.

وكان في الأسرى أيضًا أبو عزة عمرو بن عبدالله بن عثمان بن أهيب ، وهو مِمَّنْ مَنَّ عليهم رسول الله ﷺ، وأطلقه بدون فداء، وأخذ عليه أَلَّا يظاهر عليه أحدًا، ولا يحرض عليه ولا يهجوه، فلعب بعقله المشركون، ورجع إلى التحريض والهجاء، فأسر يوم أحد، وسأل النبي ﷺ أن يمن عليه، فقال له النبي ﷺ: «لا أدعك تمسح عارضيك، وتقول: خدعت محمدًا مرتين». **ويقال**: إن رسول الله ﷺ قال فيه: «لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين».[فتح الباري 10/ 530].

زينب رضي الله عنها تفدي زوجها أبا العاص:

كان في الأسرى أبو العاص بن الربيع بن عبدالعزى زوج زينب بنت رسول الله ﷺ، **وقد** أقامت معه على إسلامها وهو على شِرْكِهِ حتى هاجرت، **ولما** فدى أهل مكة أسراهم بعثت زينب في فداء زوجها بمال، وبعثت فيه بِقِلَادَةٍ لها كانت خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، **فلما** رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها رقة شديدة **وقال**: إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها وَتَرُدُّوا عليها مالها فَافْعَلُوا، فقالوا: نعم يا رسول الله؛ فأطلقوه وردوا عليها الذي لها، **لكنه** ﷺ اشترط على أبي العاص أن يترك زينب تهاجر إلى المدينة؛ فَفَعَلَ، **ولما** أسلم **ردها** عليه بنكاحها الأول، **وقيل**: بعقد جديد.

الدروس والعبر: **كانت** قُوَّةُ المسلمين في بدر قليلة العدد والعُدَّةِ قياسًا بقوة قريش التي تفوقهم ثلاثة أضعاف مسلحين تسليحًا كاملًا، فلا أمل للنصر بالمقياس المادي، **ولكن** هناك اعتبارات أخرى:

1- المسلمون تُحَرِّكُهُمْ مشاعرُ العقيدة، وتُحَفِّزُهُمْ الجنةُ لاعتناق الشهادة، **وهذه** الشحنات الإيمانية عاملُ تفوُّقٍ لدى المقاتل المسلم.

2- النبي ﷺ والمهاجرون أُخْرِجُوا من ديارهم، ونُكِّلَ بهم؛ فهم موتورون مظلومون، سُلِبُوا كل شيء؛ فليس وراءهم ما يخافون عليه، وقريشٌ ظالمة؛ **وَمَنْ سَلَّ** سيف البغي قُتِل به؛ **وعلى** الباغي تدور الدوائر.

3- الأنصار وجدوا أنفسهم أمام أول تجربة في حماية رسول الله ﷺ ونصرته، فكان قتالهم شديدَ الضَرَاوَةِ.

4- النبي ﷺ ومن معه يذكرون الله تعالى ويسألونه العون بأدب جم، ويسعون لإصلاح الفساد في الأرض، وترسيخ عبادة الله وحده، وأبو جهل وقومه يَخْطُرُون خيلاء، ويقول لهم: لا نرجع حتى نشرب الخمر ببدر، وتعزف علينا القيان؛ فالفارق كبير بين اللهو والجد، والبناء والهدم.

5- النبي ﷺ وأصحابه ﷺ يقاتلون قتال المستميت: فإما النصر، وإما الشهادة؛ **فهي** أول مواجهة لهم؛ إن انهزموا فيها فقد حكموا على أنفسهم بالإعدام؛ فلا فرق بين الموت والبقاء؛ لذا فقتالهم مختلف عن قتال قريش.

6- المسلمون موصولون بالله، واثقون بنصره؛ فمعنوياتهم عالية.

7- النبي ﷺ أدار المعركة إدارة بارعة، وراعى كل العوامل المادية والمعنوية لكسب المعركة؛ **فقد** عبأ أصحابه تعبئة إيمانية فائقة، **فأَحَسَّ** بهم وأحَسُّوا به وامتزج بهم، وأصبح أغلى من أنفسهم، **كما** أنه استشارهم وطَيَّب خواطرهم، وجعلهم هم الذين يقررون الإقدام على القتال، **ثم** إن الرسول ﷺ وأصحابه سبقوا إلى الميدان فسيطروا على ساحة القتال المناسبة، وتحكموا في الماء **كَمَا قِيلَ**، وامتلكوا زمام المبادرة؛ **وهذه** العوامل كلها **عجَّلتْ** بالنصر؛ ووراء ذلك كله عناية الله بهم: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[الأنفال:10]، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[آل عمران:123].

8- كان بالمسلمين أبطال ضرباتهم فتاكة لا تقوم لهم قائمة؛ **فقد** قتل عليٌّ وحده

نيفا وعشرين من كبار المشركين[1]، وبجانبه عَمُّهُ الحمزة أسد الله يَدُكُّ الأبطال دكا.

9- الشورى أمانٌ من الخطأ، وحِرْزٌ من الخطر؛ **وما سَبَّبَ** الكوارِثَ عبر التأريخ أكثرُ من الاستبداد، ولا حَوَتِ القَوَامِيسُ أشأَمَ منه ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[القصص:4]، إن فسادَه هو استِبْدَادُه؛ والشعوب قد تصنع المستبد؛ فالفَرْعَنَةُ أنجبتها الطاعة العمياء ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزخرف: 54]؛ وقد لاحقتْ لعنةُ الاستبدادِ قومَ فرعون إلى يوم القيامة ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: 98-99]، **هذا** العرض القرآني يحذر من سلوك الفراعنة، ويُزْرِي على أتباعهم، ويُسَجِّلُ في نفس الوقت موقف الإسلام الرافض لسلوك يَجْلُبُ اللعنة، ويوجب النقمة، وحين يتحدث

(1) اتفق المؤرخون وأصحاب السير أن عدد القتلى من المشركين سبعون، ولم تُحْصَ أسماؤهم كلهم؛ **فقد** أحصى الواقدي اثنين وخمسين قتيلا، **قتل** الإمام علي أربعة وعشرين، شاركه في نفر منهم غيره، **وذكر** ابن هشام خمسين قتيلا، اشترك الإمام علي في قتل واحد وعشرين رجلا. الواقدي 1/ 152، وابن هشام2/ 365، وشرح نهج البلاغة 4/ 425. ولقد آثرت نقل أسماء من قتلهم الإمام علي عليه السلام يوم بدر من المشركين أو اشترك مع غيره في قتلهم من كتابي (المغازي) للواقدي، و(سيرة ابن هشام) وهم: 1-حنظلة بن أبي سفيان. 2-العاص بن سعيد. 3-الوليد بن عتبة بن ربيعة. 4-عامر بن عبدالله. 5-الحارث بن ربيعة. 6-نوفل بن خويلد. 7-النضر بن الحارث بن كلدة. 8-زيد بن مُليص مولى عُمير بن هاشم. 9-عمير بن عثمان بن عمرو من تميم. 10-يزيد بن تميم التميمي. 11-مسعود بن أبي أمية. 12-عبدالله بن أبي رفاعة. 13-حاجز بن السائب بن عُمير بن عائذ. 14- منبه بن الحجاج. 15-نبيه بن الحجاج. 16-العاص بن منبه بن الحجاج. 17-أبوالعاص بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم. 18-طعيمة بن عدي بن نوفل. 19-حرملة بن عمرو. 20-أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة. 21-عبدالله بن المنذر بن أبي رفاعة. 22-معاوية بن عامر. **وهؤلاء** قتلهم بمفرده على اختلاف في بعضهم، **قال الواقدي**: فجميع من يُحْصَى قَتْلُهُ تسعة وأربعون رجلا منهم من قتله أمير المؤمنين علي عليه السلام، وشارك الإمام علي مع عمه الحمزة في قتل : 1- شيبة بن ربيعة. 2- عقيل بن الأسود بن المطلب.

القرآن الكريم عن سلوك الملكة اليمنية بلقيس الشوروي يَعْرِضُهُ في صورة يَخْلُبُ جمالُها العقول؛ فالسيدة بلقيس جمعت قومها الأشداء، وجندها الأبطال وأخبرتهم بكتاب نبي الله سليمان الصارم ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾[النمل:31]، **وهي** تدرك أن دولتها ستذهب أدراج الرياح إِنِ ارتكبت أي حماقة؛ ولذلك أشركت شعبها في القرار الخطير ﴿قَالَتۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ۝٣٢ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ﴾ [النمل: 32-33]، فأخبرتهم بطبائع الملوك الإستبدادية ﴿قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [النمل:34]؛ **وإزاء** هذا الامتحان الصعب بارك الله للملكة العظيمة تَوَجُّهَهَا الشوروي، واستشارةَ قومها، **ولما** أجابوها بالطاعة، وأخبروها عن الشدة والبأس- لم تنتفخ غرورًا وقد أسندوا إليها صلاحية القرار، وحرية التصرف- بل ازدادت شعورا بالمسؤلية إزاء هؤلاء الرجال الكرام المتحضرين؛ فوفقها الله إلىٰ الإسلام وصيانة قومها وأرضها؛ والسياق القرآني لا يتوقف عند السرد التأريخي بل يدعو أتباعه إلىٰ اعتناق هذه المبادئ وممارستها عملا؛ ليتجنبوا عواقب الاستبداد والظلم، وينعموا بالاستقرار والعدل، **وقد** أَمَرَ الله نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه رغم تأييده بالوحي، وعدم الخوف من الخطأ، لكنه المبدأ الذي ينبغي أن يُرَشَّحَ بجوار كلمة التوحيد؛ **قال** تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:159]، **وها** هو النبي ﷺ يكرر قوله لجيشه قبل معركة بدر: «أَشِيْرُوْا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ» فما دخل ساحة المعركة حتىٰ اطمأن إلىٰ إجماع جيشه المبارك، **وقد** جاءت رواية أن النبي ﷺ استمع لرأي جندي مسلم طلب منه تغيير المكان إن لم يكن بأمر من الله،

واسْتَصْوَبَ رَأْيَهُ، وبادر فورًا للعمل بمشورته، **وفي أُحُدٍ** ظل يشاور أصحابه حول البقاء في المدينة، أو قتال المشركين خارجها؛ فانصاع لرأي الأغلبية، وكان مخالفا لرأيه صلوات الله عليه وآله وسلم.

10- **اختلف** البدريون الكرام على المغانم: **فالمقاتلون** قالوا: نحن أحق بها، **والحارسون** لرسول الله ﷺ قالوا كذلك، **قال الراوي**: حتى ساءت أخلاقنا؛ فنزل القرآن الكريم يعالج النفوس البشرية، ويؤدبها بآداب الله، ويعيد لها صوابها، **وهذا** هو نهج الإسلام في التعهد الدائم للمؤمنين، **فإذا** كان مثل أولئك الرجال الأحرار المخلصين قد بدأوا الوقوع في فخ الدنيا لولا أن الله سبحان تداركهم، وطهر نفوسهم بالقرآن الكريم من فم النبي الزكي الطاهر ﷺ؛ فكيف بغيرهم؟! نسأل الله الهداية، فلنستمع إلى كلام الله وسرده للقصة، **وقد** سجل القرآن الكريم معركة بدر الكبرى فقال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۗ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾[الأنفال: 41-44]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ

مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [آل عمران:122-126].

11- أَكْسَبَ النَّصْرُ الإسلامَ هيبةً ومكانة **أَحَسَّ** بنشوتها بعض المقاتلين لَـمَّا سئل في المعركة، فقال: إنْ هُمْ – يعني قريشا – إلا عجائز صُلْعًا فَلَّقْنَا رُؤُوسَهُمْ ورجعنا؛ فتبسم النبي ﷺ، **وقال**: إنهم الملأ لولا الحَيْنُ ومصارع السوء؛ إن النبي ﷺ لا يريد للنشوة أن تُسْكِرَ الأصحابَ؛ فإن المخاطر ما زالت كبيرة، والمستقبل قادم بأمور عظيمة تحتاج إلى تفوق عقلي وإداري بالإمكانيات اليسيرة؛ فما زال عُودُ الدولة طريا، وقاعدتها ضعيفة، فلا يتجاوز المقاتلون بضع مئات، فكان يدور في ذهن النبي ﷺ ليل نهار كيف يعزز قوة دولته؛ لتكون لها الغلبة وسط البحر الهائج من الأعداء المتربصين، ذلك ما نراه في الأحداث التالية:

10- غزوة بني سُلَيم بالكُدر (سنة 2هـ)[1]:

لم يُقِمْ ﷺ بالمدينة إلا سبع ليال حتى غزا بني سُليم؛ لتوسيع رقعة نفوذ الإسلام، وتأديب المشاغبين، فبلغ ماءً من مياههم يُقال له: «الكُدْرُ» ناحية الحجاز؛ فأقام عليه ثلاث ليال، ثم رَجَعَ ولم يلق كيدًا، **وقد** ظَفِرَ من غنائمهم بخمسمائة بعير، **وكان** حامل لوائه عليًّا ﷺ، وأفدى لما رَجَعَ إلى المدينة جُلَّ الأسارى من قريش، **واستعمل** على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَةَ الغفاري، **وقيل**: ابن أم مكتوم.

11- غزوة بني قَيْنُقَاعَ[2] (يوم السبت 15 شوال على رأس 20 شهرًا من الهجرة):

وبنو قينقاع هم: قوم عبدالله بن سَلَام حلفاء عبدالله بن أُبيّ، وعبادة بن الصامت

(1) ذكر ابن هشام 3/ 46، وذكر الواقدي 2/ 182، والطبقات 2/ 31، والطبري 2/ 484 أنها في 15 محرم.
(2) ابن هشام 3/ 50، الطبقات 2/ 28، الواقدي 1/ 176، والطبري 2/ 479، وابن سيد الناس 1/ 443، وأسباب النزول 167.

كانوا أشجع اليهود، حِرْفَتُهُمْ الصياغة، وقد كانوا وادعوا النبي ﷺ مع اليهود كلها، وجعل بينه وبينهم أمانًا، **وَشَرَطَ** عليهم شروطًا: **منها**: ألا يظاهروا عليه عَدُوًّا، **فلما** كان يوم بدر كانوا أول مَنْ نَقَضَ العهد، وأظهروا البغي والحسد؛ **فجمعهم** ﷺ فقال: يا معشر يهود أسلموا؛ فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله، يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النِّقْمَةِ؛ فأَسْلِمُوا؛ فإنكم قد عرفتم أني مُرْسَلٌ؛ تجدون ذلك في كتابكم، وعهد الله إليكم؛ فقالوا: يا محمد، إنك ترى أنّا مثل قومك، لا يَغُرنّك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب؛ فأصبت منهم فرصة، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمنَّ أنا نحن الناس، **حدث** بعد ذلك أن امرأة من المسلمين دخلت إلى صائغ من بني قينقاع، فجعلوا يراودونها على كشف وجهها فلم تفعل؛ فَعَمَدَ الصائغُ إلى طرف ثوبها من ورائها فَحَلَّهُ وهي لا تشعر؛ فلما قامت بَدَتْ عَوْرَتُها فضحكوا منها؛ فصاحت؛ فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وقتلت اليهود المسلم، ونبذوا العهد؛ **واستصرخ** أهلُ المسلم المسلمين على اليهود، وغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع؛ وأنزل الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:58]؛ فقال ﷺ: إنما أخاف من بني قينقاع؛ إنهم قنبلة لا يسمح لها النبي ﷺ أن تُفَجِّرَ دولته الوليدة، وها هي الفرصة قد سنحت لحسم شرهم؛ فغزاهم، وحمل لواءه حمزة وكان أبيض، **واستخلف** أبا لبابة بنَ عبدالمنذر، فحاصرهم نصف شهر، وقذف الله في قلوبهم الرعب؛ فنزلوا على حكم رسول الله، ومعنى ذلك: أن يَقْتُلَ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَيَسْبِيَ ذَرَارِيَهُم، وَيَأْخُذَ أموالهم، وبعد أن مكَّنَهُ اللهُ منهم تَبَرَّأَ عبادة ابن الصامت رضي الله عنه مِنْ حِلْفِهِمْ وقال: أتولى الله ورسوله والمؤمنين، **وأما** ابن أُبَيّ فقد أدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ من خلفه، وقال: يا محمد أَحْسِنْ في مَوَالِيَّ، فأعرض عنه فكرر طلبه؛ فغضب رسول الله ﷺ وقال: ويحك أرسلني، قال: والله لا أرسلك حتى

تحسن في مواليّ: أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دَارِعٍ قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر؛ فقال ﷺ: خَلُّوهُمْ لعنهم الله ولعنه معهم؛ فأمر بهم أن يُجْلَوْا من المدينة بعد ثلاث مع ذراريهم تاركين أموالهم، فخرجوا إلى أَذْرِعَاتٍ بالشام[1] فَهَلَكُوا بها؛ فنزل في ابن أبيّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾[المائدة:51-52].

الدرس والعبرة:

1- استفزاز بني قينقاع للرسول جعلهم كالباحث عن حتفه بظلفه،والبادي أظلم.

2- تحرشهم بالمرأة المسلمة برهان على دناءتهم، وسفالة أخلاقهم، ولعل هذه الأمور توارثها أحفادهم؛ فشركات الجنس اليوم يدير معظمها يهود.

3- بمجرد أن صاحت المرأة قفز مسلمٌ حُرٌّ غيور فصرع اليهودي الماجن، ودفع حياته ثمنًا للرجولة، والشهامة، والكرامة، وبرهن اليهود بقتلهم للمسلم، ومؤازرتهم لما فعل صاحبهم أنهم مشتركون جميعا؛ لذلك نهض النبي ﷺ بالمسلمين؛ لإستئصال هذا المرض الخبيث، **ومن** حق المسلمين أن يغضبوا لأعراضهم؛ فمن اسْتُغْضِبَ ولم يغضب فهو حمار؛ **فالمرأة** عضو من الجسد المسلم؛ والمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا، وكالجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

4- مَثَّلَ عُبَادَةُ الذي تولى الله الإنسان المؤمن الحر التقي؛ فقد انحاز لله ورسوله، ومَثَّلَ ابْنُ أُبي في انحيازه لليهود الوجه العربي القبيح، وقد ورَّث تلك الخسة

(1) بلد في أطراف الشام، يجاور أرض البلقاء وعمَّان. معجم البلدان 1/ 130.

والنذالة والتخلي عن النبي الكريم وقومه من المسلمين الأخيار لِأَشْباهٍ له اليوم منحازين علنا للصهاينة والصليبيين ضد المجاهدين والمقاومين الكرام.

5- كان اللائق بالمسلمين والعرب خاصة، أو بالأحرى حكامهم أن يتذكروا هذه الأمجاد؛ فتتحرك الغِيرَةُ والحمية الإسلامية تجاه ما حدث للسلمين من نكبات ومآسٍ استبيحت فيها حرماتهم، وانتهكت أعراضهم، واغتصب ألوف النساء المسلمات، منذ أن طارت الأندلس من أيديهم، ولحقتها الهند وفلسطين، وما جرى في البوسنة ليس ببعيد ، والعراق محتل، لكن المؤسف أن الحكام بغير كرامة.

مَنْ يَهُنْ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ ... مَا لِجُرْحٍ بِمَيِّتٍ إِيلَامُ

ولكن :

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ إِنَّهُ ... لَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرُ

6- لا بد من كلمة تقطع ألسنة المروجين للحقد اليهودي الصهيوني؛ إذ يقول قائلهم: إن محمدًا قتل اليهود لأعذار واهية لا تبرر إجلاء بني قينقاع لمجرد كشف امرأة كما قيل، ولا إجلاء بين النضير لمجرد محاولة إلقاء أحدهم رحى على النبي كما روي، ولا إبادة بني قريظة؛ لتآمر مزعوم، وكذا مهاجمة خيبر، وقتل وإذلال أهلها؟!

والجواب على مثل هذا الهراء تتولاه جرائم الصهاينة في فلسطين، وما ارتكبوه ويرتكبونه من فظائع لو اجتمع بُلغاء البشرية قاطبة لما قَدَروا على وصف الحقد اليهودي، والخُبث الصهيوني، **ولو لم** نشاهد ومعنا العالم أجمع فظائعهم في لبنان وغزة لما صدقنا أن تلك البشاعة يفعلها بشر، **ومَنْ** يصدق أنهم بربريون وحشيون قراصنة حاقدون على كل من ليس يهوديا لو لم يشاهد هجومهم في عرض البحر على قافلة الحرية التي تجمع على متنها أحرار العالم، وفي مقدمتهم الأتراك، وقتل تسعة أتراك بدم بارد، واقتياد جميع القافلة نساء ورجالا وأطفالا إلى السجون بغطرسة ووقاحة وقسوة هزت

الضمير العالمي؛ إنهم أعداء البشرية، وقتلة الأنبياء، **فما** قَتَلَ النبي ﷺ من قتل وأجلى مَنْ أجلى إلا بعد أن أعيته الحيل في المحافظة عليهم ضمن رعايا الدولة الإسلامية مكفولة حقوقهم، ولم يجد بدا من الحسم، كالورم الخبيث: إما أن يستأصل، وإما أن يهلك الجسد، والقرآن الكريم حافل بالعجب العجاب من دعوتهم إلى الإسلام وكشف للرسول ﷺ خبايا طبائعهم، وما بالك بقوم فلق الله لهم البحر، وأنجاهم من فرعون، فما جفت أقدامهم حين خرجوا ناجين حتى قالوا لموسى عليه السلام: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾[الأعراف:138]!! لقد طلبوا عجلا يعبدونه؛ إسوة بقوم رأوهم يعبدون الأبقار؛ إن العرق اليهودي مُعرق في اللؤم والخسة، مغرق في النذالة والدناءة، إن العالم المعاصر يكتوي بشرهم لما أحكموا قبضتهم بأمريكا وصار القرار والمال والإعلام تحت سيطرة اللوبي اليهودي الصهيوني، فصارت أمريكا بشؤمهم عملاق الشر العالمي، ومنبع صنع الإرهاب الدولي، **وأتوقع** أن يقود الصهاينةُ أمريكا والعالم إلى هوة بعيدة القعر إن لم ينتبهوا لخطرهم؛ إنهم هم الذين فعلوا بموسى وهارون ما فعلوا، فماذا عسى أن يفعلوا بمحمد؟! لقد أمعنوا في تكذيبه وأذيته والاستهزاء به، وتعدوا ذلك إلى تثوير قريش وقبائل غفار، وذئاب الأعراب، وجندوا جيشا من المنافقين لتفجير الصف الإسلامي في الداخل، **فمن** زعم أن العقارب والأفاعي كالحمام والحجل فليدافع عن اليهود الذين لم يحفظوا الجميل للمسلمين الذين كانوا لهم خير حاضن عبر القرون، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾.

12- غزوة السَّوِيقِ[1] (في ذي الحجة 2هـ):

نَذَرَ أبو سفيان بعد نكبة قريش أن لا يَمَسَّ رَأْسَهُ ماءٌ من جنابة[2] حتى يغزو

(1) **السَّوِيقُ**: قمح أو شعير يُقْلَى ثم يطحن فيؤكل ملتوتًا بلبن أو سمن أو عسل .
(2)كان الغسل من الجنابة معمولًا به في الجاهلية: كالحج، والنكاح.

محمدًا ﷺ؛ فخرج في مائتي رجل حتى وصل المدينة، فضرب باب حُيَيِّ بن أَخْطَبَ اليهودي فأبى أن يفتح له؛ فانصرف إلى سلَّام بن مِشْكَمٍ سَيِّدِ بني النضير في زمانه، وصاحب كنزهم(1)؛ فأخبر أبا سفيان بأحوال المدينة؛ فبعث أبو سفيان رجالًا من أصحابه فحرقوا نخلًا، ووجدوا بها رجلًا من الأنصار وحليفًا له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين، فعلم بهم النبي ﷺ فخرج في طلبهم، واستعمل على المدينة أبا لبابة بنَ عبدالمنذر، حتى بلغ «قَرْقَرَةَ الكُدْرِ»، ثم رجع وقد فاته أبو سفيان هاربًا مُلْقيًا جُرُبَ السويق يتخففون منها للنجاء؛ فسميت الغزوة بذلك؛ فقال المسلمون: يا رسول الله، أتطمع لنا أن تكون غزوة؟ قال: نعم(2).

الدرس والعبرة: سَلَّامُ بْنَ مِشْكَمٍ من رعايا الدولة الإسلامية، **وقد** ارتكب الخيانة العظمى باستضافته الغزاة، وتَجَسَّسَ لصالح العدو؛ وعقوبةُ هذا المجرم الإعدام؛ فلا لوم على المسلمين أن يستأصلوا هؤلاء الخونة فيما بعد.

13- مقتل كعب بن الأشرف (في 14 ربيع أول على رأس 25 شهرًا هـ)(3):

وسبب قتله أنه كان شاعرًا يهجو النبي ﷺ وأصحابه، ويحرض عليهم في شِعْرِهِ ويؤذيهم، ويتعرض في شعره لنسائهم، **فلما** كانت وقعة بدر كُبِتَ وَذَلَّ، **وقال**: بطن الأرض خير من ظهرها، فخرج إلى مكة فبكى قتلى قريش وحَرَّضَهُمْ بالشعر، فلما قدم المدينة وبَلَغَ النبيَّ ﷺ قُدُوْمُهُ قال: اللهم اكفني ابن الأشرف بما شئت؛ في إعلانه الشر، وقوله الأشعار، **ثم قال** ﷺ: مَنْ لي بابن الأشرف فقد آذاني؟ فقال محمد بن مسلمة: أنا لك به يا رسول الله وأنا أقتله، قال: فافْعَلْ؛ فاجتمع محمد بن

(1) يراد بالكنز ما كانوا يجمعونه من مال بينهم، لنوائبهم وما يعرض لهم.
(2) ابن هشام 3/ 47، والطبقات 2/ 30، والواقدي 1/ 181.
(3) الطبقات 2/ 31، والواقدي 1/ 184، وابن هشام 3/ 54، والطبري 2/ 487.

مسلمة ونفر من الأوس منهم: عبّاد بن بشر، وأبو نائلة سِلْكَانُ[1] بن سلامة، والحارث بن أوس، وأبو عبس بن جَبْرٍ، فقالوا: يا رسول الله: نحن نقتله، فَأْذَنْ لنا أن نقول ما لا بد لنا منه؛ فَأَذِنَ لهم، **ثم** قدموا إلى عدو الله، فحادثه أبو نائلة قائلًا: إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك فاكتم عني، قال: أَفْعَلُ، قال: كان قُدُومُ هَذَا الرَّجُلِ[2] علينا بَلَاءً من البلاء؛ عَادَتْنَا به العرب، ورمتنا عن قوسٍ واحدة، وقطعتْ عنا السبل حتى ضاع العيال، وَجَهِدَتِ الأنفس، وأصبحنا في جُهْدٍ، وجَهِدَ عيالُنا؛ فقال كعب: أنا ابن الأشرف، أما والله لقد كنتُ أخبرك يا بن سلامةَ أن الأمر سيصير إلى ما أقول؛ فقال له سِلكانُ: إني قد أردتُ أن تبيعَنا طعامًا ونَرهنَك ونُوْثِقَ لك ونُحْسِنَ في ذلك؛ فقال: أترهنوني أبناءكم؟ قال: لقد أردتَ أن تفضحنا، إن معي أصحابًا لي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعَهم وتحسن في ذلك ونَرْهنَك من الحَلَقَةِ [السلاح] ما فيه وفاء، **وأراد** سِلكانُ أن لا يُنْكِرَ السلاحَ إذا جاءوا به، فقال: إن في الحلقة لَوفاءً، فرجع سِلكانُ إلى أصحابه فأخبرهم خبره وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه؛ فاجتمعوا عند الرسول ﷺ، **قال ابن إسحاق:** فمشى معهم رسولُ الله ﷺ إلى بَقيعِ الغَرْقَدِ، ثم وَجَّهَهُمْ فقال: انطلقوا على اسمِ الله، اللهم أَعِنْهُمْ، ثم رَجَعَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى بيته، **وأقبلوا** حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة وكان كعب حديث عَهْدٍ بِعُرْسٍ؛ فوثب في مِلْحَفَتِهِ فأخذت امرأته بناحيتها، وقالت: إنك امرؤ محارب؛ وإن أصحاب الحرب لا ينزلون في هذه الساعة، قال: إنه أبو نائلة لو وجدني نائمًا لما أيقظني؛ فقالت: والله إني لأعرف في صوتِه الشَّرَّ، قال لها كعبٌ: لو يُدْعَى الفتى لِطَعْنَةٍ لأجابَ؛ فنزل فتحدثوا ساعة، ثم قال: هل لك أن نَتَمَاشَى إلى

(1) اسمه سعد بن سلامة بن وَقْشٍ، وسلكان لقب له. الاستيعاب 2/ 159.

(2) يعني رسول الله ﷺ يخادعه بذلك.

شِعْبِ العَجُوزِ؛ فنتحدث به بقية ليلتنا هذه؟ قال: إن شئتم، فخرجوا يتماشَوْنَ فَمَشَوْا ساعة، ثم إنَّ أبا نائلة أدخل يَدَهُ في رأس كعب ثم شم يده فقال: ما رأيت طيبًا أعطر منه، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها، فأخذ بفَوْدِ رأسه [مُقَدَّمِهِ]، ثم قال: اضربوا عدو الله فضربوه، فاختلفت عليه أسيافهم فلم تُغْنِ شيئًا، وَلَصِقَ بأبي نائلة، **قال محمد بن مَسْلَمَةَ**: فذكرتُ مِغْوَلًا [سكينًا] حين رأيت أسيافَنا لا تُغني شيئًا فأخذتُه، وقد صاح عدوُّ الله صيحةً لم يبق حولنَا حِصْنٌ إلا وقد أُوقِدَتْ عليه نارٌ! قال: فوضعتُه في سُرَّتِهِ ثم تحاملتُ عليه حتى بلغتُ عَانَتَهُ فوقع عدوُّ الله؛ فجئنا رسول الله ﷺ آخر الليل -وهو قائم يصلي- فَسَلَّمْنَا عليه فخرج إلينا فأخبرناه بقتل عدوِّ الله، فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتِنا بعدو الله فليس بها يهوديٌّ إلا وهو يخافُ على نفسهِ.

الدرس والعبرة: 1ـ قَتْلُ كعب ابن الأشرف يدخل في الدفاع عن النَّفسِ، والدفاع عن العرض؛ **فهو** بمثابة حية قاتلة تنفث سمها في وجه النبي ﷺ وأصحابه غمزًا، ولمزًا، وشتمًا، وتعريضًا بالحرمات، وتحريضًا على النبي، فلم يكن أنسب من قتله؛ لتستريح منه الأرض. 2ـ نفذ المهمة رجال من الطراز الرفيع، لم يَفُتْهُمْ مع الشجاعة أن يلحظوا جانب الأدب مع رسول الله واستشعار حرمته؛ **فاستأذنوه** وهم ذاهبون لطاعة الله ورسوله أن يقولوا ما لا بد منه، والحرب خدعة، لكنهم أرادوا إذنًا خاصًّا. 3ـ برهنوا بدقة التنفيذ وبراعة الأداء أنهم سادة الدنيا القادمة، وقادتها. 4ـ مما يلفتُ النظر قول كعب: لو يُدْعَى الفتى لطعنة لأجاب؛ فهو تفسير للخبر: «البلاء موكل بالمنطق»[1]، **واستصغاره** لأبي نائلة **يلفت** النظر إلى أنه لا

---

(1) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب 1/ 161 رقم 227 عن حذيفة، ورقم 228 عن علي، **وقد** أورد الحديث ابن الجوزي في الموضوعات 3/ 489، وللحديث طرق مرفوعة وموقوفة، ذكرها السيوطي في

ينبغي أن يُسْتَصْغَرَ الإنسانُ، ولله در القائل:

ولاَ تَحْقِـــرَنَّ عَـــدوًّا رمـــا ... كَ وإنْ كـــانَ في سَـــاعديهِ قِـــصَـرْ
فـــإنَّ الـــسُّيُوْفَ تَحُـــزُّ الرِّقَـــا ... بَ وَتَعْجِـــزُ عمَّـــا تنـــالُ الإِبَـــرْ

والقائل:

وَلَا تَحْتَقِـرْ كَيْـدَ الـضَّعِيفِ فَرُبَّمَـا ... تَمُوتُ الأَفَاعِي مِنْ سُـمُومِ العَقَـارِبِ
فَقَدْ هَدَّ قِدْمًا عَـرْشَ بِلْقِيسَ هُدْهُـدٌ ... وَخَـرَّبَ فَـأْرٌ قَبْلَـهُ سَـدَّ مَـارِبِ

5- من حكمة النبي ﷺ أن وَكَّلَ قتله لحلفائه لئلا يغضبَ له أحدٌ، وهذا الخبيث الذي قال في أبي نائلة: لو كان نائمًا ما أيقظه- قد أسكته إلى الأبد، وحُكْمُ قَتْلِ ابن الأشرف كحكم قتل الحية، والعقرب، والأفعى، والكلب العقور ونحوها.

14- غزوة ذي أَمَرٍ أو أنمار[1] (في محرم 3هـ)[2]:

بلغ النبي ﷺ أن جمعًا من بني ثعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا بذي أمر يريدون الغارة على المدينة؛ **فخرج** إليهم في أربعمائة وخمسين من المهاجرين والأنصار، **ولَقِيَهُ** رجلٌ يقال له: جَبَّارٌ فأسلم، وقال لرسول الله ﷺ: إنهم لن يلاقوك، ولو سمعوا بمجيئك لهربوا، ولكني سَأَدُلُّكَ على عورتهم، لكن القوم أحسُّوا برسول الله ﷺ فهربوا في رؤوس الجبال، وعسكر المسلمون على ماء يقال له: أمر، فأصابهم مطر، فنزع رسول الله ﷺ ثيابه ونشرها على شجرة؛ واستلقى منتظرًا جفافها، والمشركون يراقبونه، والمسلمون

اللآلئ 2/ 293، والسيد أحمد بن الصديق الغماري في فتح الوهاب 1/ 88، **وقال**: ولم يتهيأ مع هذه الشواهد الحكم بالوضع، كما فعل ابن الجوزي، وتنزيه الشريعة 2/ 296.

(1) بالأول سماها ابن إسحاق ومن تبعه، **وذو أَمَرٍ**: واد ناحية النخيل، وهو بنجد من ديار غطفان، واليوم توجد قرية بهذا الاسم على بعد (100كم تقريبا) عن المدينة، شرقا تجاه نجد، وسماها الحاكم: ذي أنمار. الطبري 2/ 492، والبخاري رقم 1440.

(2) ابن هشام 3/ 49، وفي الطبقات 2/ 34 والواقدي 1/ 193: وقعت في 12 من ربيع الأول 3هـ. ومغلطاي 224، وفتح الباري 7/ 429، والطبري 1/ 487، ودلائل النبوة 3/ 163.

منشغلون بشئونهم؛ **فتسلل** من المشركين دُعْثُورٌ -وقيل: غورث أو غورك- **وهو** سيد القوم وأشجعهم والـمُجَمِّعُ لهم، **وفي** يده سيف حتى قام على رأسه وقال: من يمنعك مني اليوم؟ قال: الله؛ فدفعه جبريل فوقع السيف من يده؛ فأخذه رسول الله ﷺ وقال: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي»؟ قال: لا أحد؛ فعفى عنه وأسلم، وجعل يدعو قومه للإسلام؛ فأنزل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المائدة:11](1).

غاب ﷺ في هذه الغزوة عن المدينة 11 أو 15 يومًا، **وقيل**: صَفَرًا كله، **واستخلف** على المدينة عثمان بن عفان، ورجع ولم يلق كيدًا.

الدرس والعبرة:

1- جَبَّارٌ رغم حداثة إسلامه نصح وأعان، وبرهن على نباهة المؤمن و ولائه.

2- مبادرة النبي بقمع الشر في موطنه؛ قال الإمام علي عليه السلام: «اغْزُوْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلاَّ ذَلُّوا».

3- النبي ﷺ محفوظ من الله؛ فقد قام بحراسته جبريل عليه السلام، ولعل المسلمين تعلموا أن لا يتركوا نبيهم يتعرض للخطر؛ فالحِيطَةُ واجبة.

4- عفو النبي ﷺ عن دعثور حَوَّلَهُ من عدو إلى داعية في تلك اللحظة.

15- غزوة الفُرُع من بُحْرَانَ (6 جمادى الأولى لـ 27 شهرًا هـ):

خرج رسول الله ﷺ يريد قريشًا وبني سُلَيمٍ، ومعه ثلاثمائة، **واستخلف** ابن أم مكتوم، وكتم وجهته حتى بلغ بُحْرَانَ ناحية الفُرُعِ على بعد 32 فرسخًا(2) من

(1) مسند أحمد 5192، والحاكم في المستدرك 3/ 29 وصححه ووافقه الذهبي، وأسد الغابة 2/ 200 وفيها ودفعه جبريل، وفتح الباري 7/ 427، وسبل الهدى 4/ 261، ووفاء الوفاء 1/ 280، ومغلطاي 224، والحلبية 212، ونور اليقين 132، وابن هشام 2/ 44، والطبقات 3/ 215.

(2) **الفرسخ**: (3) أميال وهو ما يقارب (176) كيلو مترا.

المدينة، **فأقام** بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى، ثم رجع ولم يَلْقَ كيدًا(1).

16- سرية زيد بن حارثة إلى القَرْدة(2) من مياه نجد (غرة جمادى الآخرة لـ27 شهرًا هـ):

وكان من حديثها أن قريشًا خافوا طريقهم الذي كانوا يسلكونه إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان؛ فسلكوا طريق العراق فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان، ومعه فِضَّةٌ كثيرةٌ، وهي عُظْمُ تجارتهم، فعلم النبي ﷺ بخبر القافلة؛ وذلك أن نُعَيْمَ بْنَ مسعود الأشجعي قدم المدينة، وهو على دين قومه، فنزل على كنانة بن أبي الحُقَيْقِ فشرب معه، وشرب معهم سَلِيطُ بن النعمان بن أسلم-ولم تكن الخمر قد حرمت - **فذكر** نعيم خروج القافلة؛ فخرج سليط من ساعته فأبلغ النبي ﷺ؛ فبعث زيد بن حارثة في مائة راكب؛ فلقيهم على ذلك الماء، فأصاب تلك العير وما فيها، وأَسَرَ فرات بن حيان، **وكان** دليلهم فأسلم، وأفلت الرجال، فقدم بها على رسول الله ﷺ فخمَّسَهَا وقسم الباقي للسرية، وكان خُمُسُهَا عشرين ألف درهم(3).

الدرس والعبرة:

1- هذا المغنم ببركة إخلاص هذا المسلم الذكي ومبادرته بإخبار النبي ﷺ.

2- تدل هذه السرية البعيدة على تصميم النبي ﷺ على إزاحة قريش عن طريق الإسلام، وتقليم أظافرهم في كل فرصة تَسْنَحُ لا سيما ثروتهم التي يُسَخِّرُونَهَا لحربه.

أحداث أخرى في سنة 2 هـ:

1- بنى النبي ﷺ بعائشة رضي الله عنها في شوال.

2- ماتت رقية رضي الله عنها بنت رسول الله، وأسهم ﷺ لزوجها من غنائم بدر.

3- تزوج علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام في ذي الحجة، وكان عمرها أربعة عشر عامًا في

---

(1) ابن هشام 3/ 50، والطبقات:2/ 53، والواقدي 1/ 196.

(2) **والقردة**: من أرض نجد بين الربذة والغمرة ناحية ذات عرق،الطبقات2/ 36. وقيل: بالفاء .

(3) الطبقات 2/ 36، الواقدي 1/ 197. والطبري2/ 492، وابن هشام 3/ 53. ومغلطاي226.

قول القاسم الرَّسِّيِّ، وثمانية عشر عامًا في قول غيره، **وقيل**: خمسة عشر[1].

4- زِيْدَ في صلاة الحَضَرِ[2].

5- فُرِضَ صيام رمضان، في شعبان قبل بدر[3].

6-فُرِضَتِ الزَّكَاةُ ذَاتُ النُّصُبِ، وزكاة الفطر، **وفيها** صلى العيد وَأَمَرَ بالأضحية.

17- غزوة أُحُد (السبت 7 شوال 3هـ 32 شهرا من الهجرة - يناير 625م)[4]:

وقعت المعركة جنوب المدينة جوار جبل أحد من الغرب؛ **وسببها**: الثأر لقتلى بدر، **والثأر** طبيعة عربية راسخة؛ لذلك احتشدت قريش بقيادة أبي سفيان، **وكانوا** ثلاثةَ آلاف مقاتل، فيهم سبعمائة دارع، ومئتا فرس، وثلاثة آلاف بعير، **وخمس** عشرة امرأة، **على** رأسهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان، **ومن** الأموال ما يزيد على خمسة وعشرين ألف دينار من أرباح التجارة التي نجت يوم بدر وحدها، ناهيك عن

---

(1) المصابيح 232، وتيسير المطالب ص 87، وتاريخ دمشق ترجمة الإمام علي 1/ 256، وذخائر العقبى ص 32.

(2) **عن** عائشة أنها قالت: فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فَأُقِرَّتْ في صلاة السفر وزِيدَتْ في صلاة الحضر، **وقال غيرها** من الصحابة كعمر، وابن عباس، وجبير بن مطعم: إن الصلاة فرضت في الحضر أربعًا وفي السفر ركعتين، **وقال القرطبي**: وقولها: فرضت الصلاة ليس على ظاهره؛ **فقد** خرج عنه المغرب والصبح، فإن المغرب ما زيد فيها ولا نقص، وكذلك الصبح، **وهذا** كله يضعف المتن. أحكام القرآن للقرطبي 3/ 5/ 226، **وحديث عائشة في** البخاري 1/ 369 رقم 1040، ومسلم 1/ 478 رقم 685، وابن حبان 6/ 446، والموطأ 1/ 123رقم 413، وأبو داود 2/ 5 رقم 1198، ومعاني الآثار 1/ 415، والتجريد 1/ 206، **وحديث ابن عباس في** مسلم 1/ 478 رقم 687، وأبو داود 2/ 40 رقم 2832، والنسائي 3/ 118 رقم 1441، 1442، والتجريد 1/ 206.

(3)الطبري 2/ 411، وابن كثير 2/ 377، وعيون الأثر 1/ 373، والبداية والنهاية 3/ 311، والتمهيد لابن عبدالبر 3/ 373.

(4) الكامل 2/ 103، والطبقات 2/ 36، والبداية والنهاية 4/ 11، والطبري 2/ 499، وابن هشام 3/ 64، وخليفة 67، وسيد المرسلين 2/ 132، وابن الوردي 1/ 112، وسبل الهدى 4/ 271، وهيكل 277، ودلائل النبوة 3/ 201، ومغلطاي 230، والاكتفاء 2/ 660، والروض الأنف 3/ 158، والبخاري برقم 1485، ومحمد رسول الله 188.

غيرها، رصدوها للثأر لقتلى بدر؛ **فلما** أجمعوا على المسير قالوا: نسير في العرب فنستنصرهم؛ فإن عَبَدَةَ مناة غيرُ متخلفين عنا، فهم أوصل العرب لأرحامنا، ومن اتبعنا من الأحابيش(1)؛ فأجمعوا على أن يبعثوا أربعة من قريش يسيرون في العرب يدعونهم إلى نصرهم؛ فبعثوا عمرو بن العاص، وهبيرة بن وهب، وابن الزبعرى، وأبا عزة الجمحي، فأبى أبو عزة أن يسير، وقال: مَنَّ عَلَيَّ محمدٌ يوم بدر، وحلفت ألا أظاهر عليه عدوًّا أبدا، فَأَلَحَّ عليه صفوان بن أمية فَقَبِلَ بعد أن تعهد له بالمال إن رجع، وبكفالة عياله إن قُتِلَ؛ فخرجوا فَأَلَّبُوْا العربَ؛ فلما أجمعوا المسير وتَأَلَّبَ من كان معهم اختلفتْ قريش في إخراج الظعن معهم؛ فقال صفوان بن أمية: اُخْرُجُوا بالظَّعَنِ. **فلما** وصل الخبر إلى النبي ﷺ بكتاب بعثه عمه العباس رضي الله عنه [المغازي للواقدي 1/ 200]؛ **جمع** أصحابه وشاورهم **وقال:** إني رأيت في منامي كأني في درع حصينة، ورأيت في سيفي ثَلْمًا، ورأيتُ بقرًا تُذْبَحُ، ورأيت كأني مُرْدِفٌ كَبْشًا؛ **فقال الناس:** يا رسول الله فما أَوَّلْتَهَا؟ قال: **أما** الدرع فالمدينة، **وأما** الثلم فمصيبة في نفسي، **وأما** البقر فقتلى في أصحابي، **وأما** الكبش فكبش الكتيبة(2) يُقتَلُ إن شاء الله؛ **وأشار** عليهم أن يتحصنوا بالمدينة، **وكان** كارهًا للخروج، **وعَزَّزَ** رأيه ابن أُبَيٍّ وقال: أَقِمْ يا رسول الله بالمدينة ولا تخرج؛ فوالله ما خرجنا إلى عدو إلا أصاب منا، وما دخل علينا إلا أصبنا منه؛ فَدَعْهُمْ فإن أقاموا فَبِشَرِّ مَحْبِسٍ، وإن دخلوا قَاتَلَهُمُ الرجالُ في وجوههم، ورَمَاهُمُ النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، **وكان** هذا رَأْيَ الكبار من أهل المدينة، **لكن** الفِتيان ممن لم يحضروا بدرًا كانوا متحمسين للخروج، **وَأَيَّدَ** حَمَاسَهُمْ حمزةُ رضي الله عنه، وقالوا: يا رسول الله لا يرى عدونا أنا جَبُنَّا، وأبدوا حرصًا شديدًا على

---

(1) **الأحابيش**: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبنو المصطلق من خزاعة، وبنو الهُون بن خزيمة، تحالفوا جميعا فسموا الأحابيش؛ لأنهم تحالفوا بواد يقال له: الأحبش بأسفل مكة.

(2) أي حامل راية المشركين، وقد قُتِلَ عددٌ منهم بيد علي وشاركه حمزة، وسعد، والزبير، وطلحة، وعاصم بن ثابت.

الخروج **حتى** قال الحمزة: يا رسول الله، والذي أنزل عليك الكتاب لا أَطْعَمُ اليوم طعامًا حتى أُجَالِدَهُم بسيفي خارج المدينة، **وكان** رحمه الله يوم الجمعة صائمًا ويوم السبت صائمًا فلاقاهم وهو صائم.

النبي ﷺ يحسم الأمر:

صلى النبي ﷺ بالناس العصر، وقد احتشدوا ولبسوا السلاح، فدخل بيته ولبس آلة حربه، والناس مصطفُّون ما بين حجرته ومِنْبَرِهِ ينتظرون خروجه، **فجاء** سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير رضي الله عنهما فقالا: قد استكرهتم رسول الله على الخروج -والوحيُ ينزل عليه- فَرُدُّوا الأمر إليه وافعلوا ما أمركم، وندموا جميعًا على ما صنعوا، **ولما** خرج رسول الله ﷺ لابسًا آلةَ حربه قالوا: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما بدالك؛ فقال: قد دعوتكم إلى هذا فأبيتم؛ وما كان لنبي إذا لبس لأْمَتَهُ[1] أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه، وحثهم على الجهاد والصبر؛ **فخرج** في ألف مقاتل، **وقيل**: تسعمائة، **واستخلف** على المدينة ابن أم مكتوم ليصلي بالناس، **وعقد** ثلاثة ألوية: **فأعطى لواء** المهاجرين لعلي بن أبي طالب[2]، **ولواء** الأوس إلى أسيد بن حضير، **ولواء** الخزرج إلى الحُبَابِ بن المنذر، **وقيل**: أعطاه إلى سعد بن عبادة الأنصاري؛ **فانخزل** عبدالله ابن أُبَيٍّ في ثلاثمائة من أهل النفاق، وقال: عَلاَمَ نقتل أنفسنا؟ **وتعلل** بأن الرسول ﷺ ترك رأيه؛ **فلم** يبق مع النبي ﷺ إلا سبعمائة، **وكان** النبي ﷺ حينما استعرض جيشه أرجع غلمانا من المسلمين قد استصغرهم: منهم

(1) **اللأْمَةُ**: الدرع، **وقيل**: السلاح، وَلأْمَةُ الحربِ: أداته، **وقد** تترك الهمزة تخفيفا. غريب الحديث 4/ 220.

(2) **وقيل**: مصعب بن عمير. **قال الواقدي**: إن رسول الله ﷺ سأل: «مَنْ يحمل لواء المشركين»؟ قيل: عبدالدار، قال: «نحن أحق بالوفاء منهم، أين مصعب بن عمير»؟ قال: ها أنا ذا، قال: «خذ اللواء، فأخذه مصعب، فتقدم به بين يدي رسول الله ﷺ. **قال البلاذري**: أخذه من علي، فدفعه إلى مصعب بن عمير؛ لأنه من بني عبدالدار. ينظر: الواقدي 1/ 221، وأنساب الأشراف 1/ 374، وشرح النهج 4/ 440.

عبدالله بن عمر، وأسامة بن زيد، وزيد بن ثابت من بني مالك بن النجار، وأُسَيْدُ بنُ ظُهَيْرٍ الأنصاري الخزرجي، **ورَدَّ** سمرة بن جندب، ورافع بن خديج إلى الجيش بعدما أمرهما بالانصراف وهما ابنا خمس عشرة سنة؛ لأنهما يجيدان الرمي، **حاول** عبدالله بن حرام والد جابر عَبَثًا أن يُثْنِيَ ابن أُبَيٍّ عن تراجعه؛ فنزل قول الله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾[آل عمران:167]، **وقال الأنصار يومَ أحد:** يا رسول الله، ألا نستعينُ بحلفائنا من يهود؟ فقال: لا حاجة لنا فيهم، **وكان** شعار المسلمين يومئذ: «أَحَدٌ أَحَدٌ»، وقيل: «أَمِتْ أَمِتْ»[1]، **وأطبق** المشركون على المدينة من ناحية أحد، وأكلت إبلهم الأخضر واليابس، ولاحظ النبي ﷺ شُجْعَانَ أصحابه يَخْطِرون في سلاحهم كالفحول، متشوقين للخروج، وإن هي إلا إحدى الحسنيين: الظَّفَرُ، أو الشهادةُ، **كما** قال مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

الرسول ﷺ يرسم خطة المعركة ببراعة فائقة؛ وكانت كالآتي:

1- جَعَلَ ﷺ جبلَ أحدٍ وراءه، وهو مانع طبيعي يكفي لحراسته بضعة رجال يَذُبُّوْنَ المتسللين.

2- انتدب خمسين راميًا، وأَمَّرَ عليهم عبدالله بن جُبَيرٍ، وجعلهم على هضبة تسمى عَيْنَيْنِ، في ساحة أُحُدٍ تُعْرَفُ اليوم بجبل الرماة، وقال: «لا تَبْرَحُوا: إن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تُعِيْنُوْنَا»[البخاري رقم 3817]؛ هكذا شدد عليهم **وهو** يدرك أن حماية الظهر من عَدْوَةِ الخيل من أخطر المهام، وَالْـمُبَاغَتَةُ من الخلف طعنة قاتلة لا تُشْفَى؛ فكان موقع الرماة بمثابة صمام الأمان.

3- بعث رسول الله ﷺ الحباب بن المنذر إلى قريش سِرًّا لِيَحْزُرَهُمْ؛ فدخل فيهم

---

(1) سيرة ابن هشام 3/ 72، والمغازي للواقدي 2/ 262.

وحزر ونظر إلى جميع ما يريد وقال له: «إذا رجعت فلا تخبرني بين أحد من المسلمين إلا أن ترى في القوم قِلَّةً»؛ فرجع إليه فأخبره خاليًا وقال له: رأيت عددًا حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلا أو ينقصون قليلا، والخيل مائتي فرس، ورأيت دروعًا ظاهرة حزرتها سبعمائة درع، قال ﷺ: «هل رأيت ظُعُنًا»؟ قال: نعم، رأيت النساء معهن الدفوف؛ فقال رسول الله ﷺ: «أَرَدْنَ أَنْ يُحَرِّضْنَ القومَ، ويُذَكِّرْنَهُمْ قتلى بدرٍ»، وقال له: «هكذا جاءني خبرهم، لا تذكر من شأنهم حرفًا، حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أَجُوْلُ، وبك أَصُوْلُ»[الواقدي 2/ 208].

4- أَحْكَمَ تعبئة أصحابه، وَحَرَّضَهُمْ على القتال، وذَكَّرَهُمْ بما لهم من الأجر، وبمنازل الشهداء؛ حتى أضحوا كالقنابل وشيكة الانفجار، **وقد** وضع الأبطال علامات على رؤسهم مُعْلِمِينَ؛ وهي عادة للأبطال الكبار مثل: الحمزة، وعلي، والزبير، وأبي دجانة ونحوهم، ومن مظاهر التعبئة التي أتقن النبي ﷺ صنعها أن أخذ سيفًا وهزه بيده وقال: مَنْ يأخذه بحقه؟ فقال أبو دجانة رضي الله عنه: أنا، وكان شجاعًا؛ فأخذ السيف ومشى مختالًا بين الصفوف، فقال ﷺ: «إن هذه لَمِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا الله إلا في مثل هذا الموطن»[1].

بداية المعركة:

دنا القوم بعضهم من بعض - والرماةُ يرشقون خيل المشركين بالنَّبل- فصاح طلحة بن أبي طلحة: من يبارز؟ **فبرز** له علي فقتله، وهو كبش الكتيبة؛ **فكبر** الرسول وكبر المسلمون، وهجموا على كتائب المشركين يضربونهم حتى تفككت صفوفهم، **ثم** حمل اللواء عثمان بن أبي طلحة وهو يرتجز:

إِنَّ عَلَى أَهْلِ اللِّواءِ حَقًّا ... أن تُخْضَبَ الصَّعْدَةُ أَوْ تَنْدَقَّا

---

(1) ابن هشام 3/ 71، والبداية والنهاية 2/ 337، وتاريخ الطبري 2/ 64، وعيون الأثر 2/ 5، وسيرة ابن كثير 3/ 19، والمعجم الكبير للطبراني 7/ 104 رقم 6058.

فشدخه علي بالسيف **وأجهز** عليه الحمزة، **ثم** حمله أبو سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص في حَنْجرته فقتله[1]، **وقيل**: قتله علي بن أبي طالب، **ثم** حمله مُسَافِعٌ بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت فقتله[2]، **ثم** حمله الحارث بن طلحة ابن أبي طلحة فقتله الزبير، **ثم** حمله الجُلَاسُ بن طلحة بن أبي طلحة فقتله طلحة بن عبيدالله، **ثم** حمله أرطأة بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب، **ثم** حمله قارظ[وقيل: قاسط] بن شريح فَقُتِل، **ثم** حمله صُؤَابٌ غُلَامُهُمْ فقتله علي، **وقيل**: سعد، **وقيل**: قُزْمَانُ، وبعد أن قتل أصحاب الألوية اندفع المسلمون كحمم البركان فزلزلوا أركان المشركين الذين لم يستطيعوا الثبات أمام طلاب الشهادة، وولَّوا الأدبار، ولم ينفع ضرب الدفوف والتحريض الذي كانت تتغنى به هند وزميلاتها:

ضَرْبًا بَنِي عَبْدِ الدَّارْ * ضَرْبًا بِكُلِّ بتَّارْ * ضَرْبًا حُمَاةَ الأَدْبَارْ

ولا نشيدُهُنَّ:

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ * وَنَفْرِشُ النَّمَارِقْ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ * فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ

وولَّتْ هندٌ مُوَلْوِلَةً لا يوجد مانع مِنْ أَسْرِهَا.

عِصْيَانُ الرُّمَاةِ لوصية رسول الله ﷺ يُغَيِّرُ سَيْرَ المعركة

فرح المسلمون بالنصر، واستهوتهم الغنائم المتناثرة في ساحة المعركة؛ فتسابقوا لجمعها، وسَرَتِ العدوى إلى الرماة، **وقالوا**: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ[3]، **وَتَخَلَّوْا** عن موقعهم

---

(1) قال السهيلي في الروض الأنف 3/ 163: روى الكشي في تفسيره: عن سَعْدٍ: لَـمَّا كَفَّ عَنْهُ عَلِيٌّ طَعَنْتُهُ في حنجرته؛ فدلع لسانه إِلَيَّ كما يصنع الكلب، ثم مات.

(2) روى الإمام الناصر الأطروش أن الذي قتل مسافع بن طلحة هو الإمام علي. السيرة للشرفي 124.

(3) البخاري 3817، وأبو داود 3/ 58 رقم 2662، والنسائي 8/ 86 رقم 5019، وصحيح ابن حبان =

وتناسوا وصية الرسول ﷺ، ولم يلتفتوا إلى تذكير أميرهم عبدالله بن جبير رضي الله عنه بتشديد رسول الله ﷺ على عدم تركهم موقعهم؛ فبقي في عشرة، **وكان** الحارث بن أنس ينادي فيهم: يا قوم اذكروا عهد نبيكم، وأطيعوا أميركم، فلم يلتفت إليه أحد، **وهنا** بدأت الفاجعة؛ إذ لمح خالد بن الوليد قائد خيالة المشركين مَوْقِعَ الرماة شاغرًا؛ فالتفَّ من وراء الجبل فسحق بقية الرماة، وباغت المسلمين من ورائهم؛ فاختلط الحابل بالنابل، وفَرَّ المسلمون لا يلوون على شيء، وثَبَتَ مع النبي ﷺ عدد قليل، وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ

11/ 40 رقم 4738، والبداية والنهاية 4/ 28.

تُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١٥٦ وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ١٥٧ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ ١٥٨ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾[آل عمران:152– 160].

فداء وحب وبطولات نادرة:

ثبات النبي ﷺ هو المحور الذي أبقى على الدعوة الإسلامية مِنْ أن تذهب أدراج الرياح، ودفع عن المدينة والمسلمين خطر الاجتياح رغم ما تعرض له من خطر شديد، **وسنسوق** شيئًا من ذلك:

اشتد الهجوم على رسول الله وتفاقم الخطر؛ فقد وصلت إليه أَسِنَّةُ الكفار، وشقت سُيُوفُهُمْ فَمَهُ الطاهر؛ فكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وجَرَحَ شَفَتَهُ عتبةُ بن أبي وقاص، وشَجَّهُ عبدالله ابن شهاب الزهري في جبهته، وجرح ابنُ قَمِيئَةَ وَجْنَتَهُ، فانغرزت حلقةُ المِغْفَرِ فيها، ووقع ﷺ في حفرة من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق والد حنظلة غسيل الملائكة ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون؛ فَجُحِشَتْ ركبتاه؛ **فأخذ** علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بيده، **ورفعه** طلحة بن عبيدالله حتى استوى قائمًا، **وبادر** مالك بن سنان فلحس الدم من وجهه وازدرده، **وفي** هذا الموقف الصعب ارتصَّ أهل البصائر من أصحابه وباعوا أرواحهم لله، وتواصوا ألَّا يُجْهَزَ على النبي وفيهم عين تَطْرِفُ؛ فبايعه يومئذ ثمانية على الموت– **ومن حسن** الحظ أنه لم يقتل منهم أحد– وهم: علي، والزبير، وطلحة من المهاجرين، ومن الأنصار: أبو دجانة، والحُبَابُ بن المنذر، والحارث بن الصمة، وعاصم ابن ثابت، وسهل بن حنيف، **وقد اضطر** النبي ﷺ للقتال بنفسه؛ فكان يَرْمِي ويُنَبِّلُ

للرماة، **وتصدى** لأُبَيٍّ بن خَلَفٍ الذي جاء صارخًا بجوار ابن قميئة: أين محمد لا نجوت إن نجا؟ فاستقبله مصعب يَقِي رسولَ اللهِ فقتله ابنُ قميئة؛ فاعترض أُبَيًّا رجال من المدافعين عن رسول الله؛ فقال رسول الله ﷺ: دعوه وخَلُّوْا طريقَه، فلما دنا من رسول الله قال: يا كذاب أين تفر؟ فتناول رسول الله ﷺ حربة من الحارث بن الصمة وانتفض انْتِفَاضَةً تطاير عنه أصحابه تطاير الذباب من ظهر البعير، ثم استقبل أُبَيًّا فطعنه في عنقه طعنة تدحرج مرارًا على إثرها عن فرسه، وجعل يخور كالثور: قتلني محمد، فقال أصحابه: ذهب فؤادك؛ إنما هو خدش، ولو كان هذا الذي بك بِعَيْنِ أحدنا ما ضَرَّهُ، فيقول: لا واللات والعزى لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المَجَازِ[1] لماتوا أجمعون؛ إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بَصَقَ عَلَيَّ لقتلني! فمات عدو الله بِسَرِفَ قرب مكة وهم عائدون[2]. **ومن العجب** قوله: يا كذاب وهو معتقد صدقه بهذه الصورة!.

الأبطال يرون النبي ﷺ في موقف حرج، والإسلام يتعرض للخطر؛ فلم يبق في ساحة القتال من المسلمين إلا نفر قليل؛ **فكانت** المسؤولية على هؤلاء ضخمة وثقيلة كالجبال؛ **فتقاسموا** الأدوار بينهم متناوبين على الكَرِّ والفَرِّ؛ **فشكل** سعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيدالله، وأبو طلحة ﷺ درعًا بَشَرِيًّا على الرسول وكانوا رماة؛ فكانوا يطلقون سهامهم في الحدقة وفوق القلب، **وقد** هوى سهم سعد على حنجرة واحد من حملة الألوية فدلع لسانه كالكلب؛ **والنَّبِيُّ** يقول له: ارم سعد فداك أبي وأمي، **وكانت** السهام تُنْثَلُ بين يدي أبي طلحة وكان راميًا قوي الصوت يزأر كالأسد **فقال** الرسول ﷺ: صوت أبي طلحة في الجيش خير من أربعين رجلًا، وكان النبي ﷺ ينظر إلى موقع سهامه التي لا تخطئ، وأبو طلحة يقول: يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا

---

(1) كان ذو المجاز سوقًا من أسواق العرب، عن يمين الموقف بعرفة. معجم ما استعجم 1185.

(2) مصنف عبدالرزاق 5/ 355، والبداية والنهاية 4/ 26، والحاكم 2/ 327، ومغلطاي 2/ 334، والبيهقي في الدلائل 3/ 258-259، والطبقات 2/ 46، وعيون الأثر 2/ 24.

تنظر لئلا تصاب بسهام القوم، نحري دون نحرك،[الاستيعاب 2/ 361] **وشاركهم** خمسة فتية من الأنصار سقطوا فداء لنبيهم، **ولَفَظَ** أحدهم أنفاسه على فخذ الرسول، ومن مشاهير الرماة سهل بن حنيف، **وكان** أيضًا بجوار النبي ينضح عنه بالنبل، ويضرب بالسيف لا يشبهه إلا سِمَاكُ بن خَرَشَةَ أبو دجانة، **وهما** وعاصم بن ثابت من الأبطال الذين خُلِّدُوا في لوحة الشرف والمجد التي فاز بها الأنصار، أما أم عمارة نُسَيْبَةُ بنت كعب فكانت قابضة على خنجرها معتجرة تقول للنبي: لئن اقترب منك مشرك بَعَجْتُ بطنه، فقال: لَمَقَامُ نسيبة اليوم خير من مقام فلان وفلان، **وهناك** مواقف رُسِمَتْ على جبهة الزمان لأبطال عظام لابد لنا من ذكر أبرزهم بصورة خاصة:

1ـ الحمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله:

كان حمزة رضوان الله عليه وسلامه من الأبطال الذين لا يقف أمامهم أحد، يقاتل كالجمل الهائج لا يرى إلا أمامه، وظل يَهُدُّ الناس بسيفه، **وقد** كان في صفوف المشركين عبدٌ حبشي لجبير بن مطعم يقال له: وَحْشِيٌّ، يرمي بالحربة لا يخطئ، فقال له جبير: إن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة بن عدي -الذي قتله الحمزة يوم بدر- فأنت حر، **وحَرَّضَتْهُ** هند أيضًا فترصد لحمزة؛ فبينما هو يقاتل كالفحل الأورق لا يرده شيء أطلق عليه العبد حربته فلم تخطئ بطنه؛ فسقط أبو الشهداء وسيدهم، **وبادرت** هندٌ زوج أبي سفيان كالضَّبُعِ **فبقرت** بطنه، **ولاكَتْ** كبده، **وجدعت** أنفه وأذنيه، **ومَثَّلَتْ** به أقبح تمثيل، **وقد** سُمِّيَتْ بآكلة الأكباد؛ **إن** هندًا جعلت أشلاء حمزة قلادة في عنقها، ومِسْكَتَيْنِ في عضدها، وقُرْطَيْنِ في أذنيها، **ومَرَّ** الحُلَيسُ سيدُ الأحابيش وأبو سفيان يضرب شِدْقَ حمزة بِزُجِّ الرمح، ويقول: ذُقْ عُقَقُ؛ فقال الحليس: يا بني كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ما ترون لَحْمًا؛ فقال: ويحك اكتمها عَلَيَّ فإنها كانت زلة، **وقف النبي** ﷺ وهاله مَنْظَرُ عمه الحمزة وقال- وقَلْبُهُ

يَتَقَطَّعُ أَلَـمًا وحسرة لفقدان عمه الحبيب، وما نال جسده الشريف من التشويه والتمزيق-: مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ من هذا، ولن أُصَابَ بمثلك أبدا، ولئن أظهرني الله لأُمَثِّلَنَّ بسبعين منهم(1)، **لكن** القرآن الكريم نزل على هذا القلب الكبير المحزون الذي يسع الدنيا بكل همومها فقال الله له: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[النحل: 126-127]؛ **فعفى** ولم يمثل بأحد، وقال: بل سأصبر، **ولَـمَّا رأى** المسلمون غَيْظَ رسول الله على مَنْ فعل بعمه ما فعل، وحُزْنَهُ الشديدَ عليه- أقسموا جميعًا لئن ظفروا لينتَقِمُنَّ شَرَّ انتقام، لولا أن النبي ﷺ عفى وصبر.

2ـ **مصعب بن عمير**: **صُرِعَ** بجوار الحمزة سبعون شهيدًا، فيهم: سفير الإسلام الأول مصعب بن عمير، الذي كان أَنْضَرَ وَأَعْطَرَ فَتًى بمكة، فباع لله نفسه وشبابه **وقد** رآه النبي يومًا داخلًا المسجد شاحبَ اللون فَرَثَى له وقال: أما والله لقد رأيتُ مصعبًا وما بمكة أنضر منه؛ فصنع به إيمانه ما ترون[أسد الغابة 5/ 176] ؛ **بَحَثُوا** له عن كفن فلم **يجدوا** إلا شملته: **إِنْ** غَطَّوْا بها رأسه ظهرت رجلاه، **وإن** وضعوها على رجليه بدا رأسه؛ فأمرهم النبي ﷺ أن يغطوا رأسه، وأن يكفنوا رجليه بالشجر رحمه الله و رضي الله عنه[البخاري3821] .

3ـ **حنظلة بن أبي عامر (غسيل الملائكة)**: الذي وَدَّعَ حبيبته ليلة عرسها، ولم يهنأ بعناقها وجمالها، ولم يجد فرصة ليغتسل من الجنابة؛ لأن هاتف الجهاد ألهاه عن ذلك فألقى بنفسه في ساحة الوغى يضرب بسيفه يمينًا وشمالًا مستعجلًا عناق الحور العين، **وقد** رفع هذا الشاب المغوار سيفه ليشدخ أبا سفيان، فعاجله شداد بن الأسود فصرعه؛ **فقال** أبو سفيان: حنظلة بحنظلة، **ومن** المفارقات أن والد حنظلة

---

(1)أسباب النزول 239، وفي الواقدي 1/ 290: لأمثلن بثلاثين.

من أخبث المعادين للإسلام- لم يُطِقِ البقاء في المدينة؛ فذهب إلى مكة، وقدم مع قريش، وحفر الحفر في أُحُدٍ ليقع فيها المسلمون، **ولما** فُتِحَتْ مَكَّةُ هرب إلى هِرَقْلَ، فسبحان من يخرج الحي من الميت! **وإكرامًا** لحنظلة فقد غسلته الملائكة فوق أطباق الجنة، ومناشف الحرير؛ إنه غسيل الملائكة، **وقد** عَلِقَتِ امرأتُه ببطل مبارك **هو**: عبدالله بن حنظلة، الذي قاد الثورة ضد يزيد بن معاوية في وقعة الحَرَّةِ الشهيرة.

4- **عبدالله بن جحش**: **قد** كان سأل الله أن يلقى رجلًا شديدًا بَأْسُهُ ليقتله ويجدع أنفه وأذنه؛ فإذا لقي الله وقال: يا عبدي فيم قُتِلْتَ وجُدِعَتْ أَنْفُكُ وَأُذُنُكَ؟ فأقول: فيك وفي رسولك؛ فيقول الله: صدقت، **وقد** تقبل الله منه سؤاله، وقُتِلَ، وجُدِعَ، ودفن مع خاله الحمزة في قبر واحد فهنيئًا لهما.

5- **أبو دجانة**: **هذا** الفارس الأنصاري لَبِسَ عِمَامَةً حمراء مُعْلِمًا بها، **وقد** عُرِفَ حين يلبسها أنه سيقاتل، **وهو** الذي أخذ السيف من رسول الله ﷺ بحقه، فسالت على ظُبَاهُ من أعداء الله دماء غزيرة، **وقد** كان هذا البطل تارة يَنْحني على رسول الله ﷺ يرد عنه السهام بظهره، وتارة يقف بجوار عَلِيٍّ في حومة الميدان، **وقد** أبلى رضي الله عنه بلاءً حسنًا، وظفر بالشهادة في يوم اليمامة رضوان الله عليه.

6- **علي بن أبي طالب** عليه السلام: **كان** على كاهله مهام كثيرة؛ **فقد** حمل اللواء بعد أن استشهد مصعب ؛ فوجد نفسه مسئولًا عن التصدي لكتائب المشركين المتجهة صوب الرسول ﷺ، فاصطدم بِكَتِيبَةٍ فيها عكرمة بن أبي جهل فبدد شملها؛ **قال** ابن إسحاق: لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله ﷺ تحت راية الأنصار، وطلب من علي بن أبي طالب أن يُقَدِّمَ الرايةَ؛ فتقدم عَلِيٌّ فقال: أنا أبو القُصَمِ فناداه أبو سعد بن أبي طلحة صاحب لواء المشركين: هل لك يا أبا القُصَمِ في البِراز من حاجة؟ قال: نعم؛ فبرزا بين الصفين فاختلفا ضربتين فضربه عَلِيٌّ فصرعه، ثم انصرف عنه ولم يُجْهِزْ عليه فقال

له أصحابه: أفلا أجهزت عليه؟ قال: إنه استقبلني بعورته فعطفتني عنه الرحم، وعرفت أن الله عزوجل قد قتله [ابن هشام 3/ 77]، **وقال ابن الأثير**[2/ 107]: وكان الذي قتل أصحاب اللواء عَلِيٌّ -قاله أبو رافع- فلما قتلهم أبصر النبي جماعة من المشركين، **فقال** لِعَلِيٍّ: «احْمِلْ عَلَيْهِمْ»؛ فحمل عليهم، وفرقهم، وقتل فيهم، ثم أبصر جماعة أخرى **فقال** له: «احْمِلْ عَلَيْهِمْ»؛ فحمل عليهم، وفرقهم، وقتل فيهم؛ **فقال** رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ»؛ فقال جبريل: «وَأَنَا مِنْكُمَا». **وفي** شرح النهج [4/ 453]: أن رسول الله ﷺ لما فر معظم أصحابه عنه يوم أحد- كثرت عليه كتائب المشركين، وقصدته كتيبة من بنى كنانة، ثم من بنى عبد مناة بن كنانة، فيها بنو سفيان بن عويف: وهم خالد بن سفيان، وأبو الشعثاء بن سفيان، وأبو الحمراء بن سفيان، وغراب بن سفيان، فقال رسول الله ﷺ: «يَا عَلِيُّ، اكْفِنِي هَذِهِ الكَتِيبَةَ»؛ فحمل عليها وإنها لتقارب خمسين فارسا، وهو عليه السلام راجل، فما زال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه ثم تجتمع عليه، هكذا مرارا حتى قَتَلَ بنى سفيان بن عويف الأربعة، وتمام العشرة منها ممن لا يعرف بأسمائهم؛ **فقال** جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: «يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ هَذِهِ لَلْمُوَاسَاةُ، لَقَدْ عَجِبَتِ المَلاَئِكَةُ مِنْ مُوَاسَاةِ هَذَا الفَتَى»؛ **فقال** رسول الله ﷺ: «وَمَا يَمْنَعُهُ وَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ»؟ فقال جبريل عليه السلام: «وَأَنَا مِنْكُمَا»، **قال**: وسُمِعَ ذلك اليومَ صَوْتٌ مِنْ قِبَلِ السَّمَاءِ، لاَ يُرَى شَخْصُهُ، ينادى مرارا: «لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الفَقَارِ، وَلَا فَتَى إِلَّا عَلِيٌّ»؛ **فَسُئِلَ** رسولُ الله ﷺ عنه؟ فقال: «هَذَا جِبْرِيلُ»، **وما** زالت الكتائب تزحف نحو النبي ﷺ وعليٌّ يدافع في الخط الأمامي قريبًا منه؛ لأنه كرم الله وجهه لو ابتعد لفتح ثغرة إلى النبي ﷺ لا يسدها غيره؛ فجعل النبي كلما رأى كتيبة مندفعة قال لعلي: احمل عليهم، وكأنه مدفع عملاق في يد الرسول تترك قذائفه خسائر فادحة؛ فمعظم قتلاه قادة الألوية، وكباش القوم وفرسانهم: كعمرو بن عبدالله الجُمَحِي، وشيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي،

وطلحة بن أبي طلحة، وأرطأة بن شرحبيل، وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة، وغيرهم يتجاوزون العشرة، **قال الطبري**: ولما قَتَلَ عَلِيٌّ أصحابَ الألوية قال جبريل: يا رسول الله إن هذه لَلْمُوَاسَاةُ، **فقال** ﷺ: إنه مني وأنا منه؛ فقال جبريل: وأنا منكما، قال: فسمعوا صوتًا يقول: «لاَ سَيْفَ إِلاَّ ذُو الفَقَارِ وَلاَ فَتَىٰ إِلاَّ عَلِيٌّ»[1]، **والتجأ** رسول الله ﷺ إلىٰ فم الشِّعب، **وخرج علي بن أبي طالب فملأ دَرَقَتَهُ** [وهي تُرْسٌ مِنْ جلد] من ماء المهراس[2] فجاء به رسولَ الله ﷺ ليشرب منه فوجد له ريحًا فَعَافَهُ فلم يشرب منه، وغسل عن وجهه الدم، وصَبَّ علىٰ رأسه وهو يقول: اشتد غضب الله علىٰ من أدمىٰ وجه نبيِّهِ، **وبعد قليل قال**: اللهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون.

مواقف طريفة:

1- لما كان يوم أحد قال مخيريق: يا معشر يهود، والله لقد علمتم أَنَّ نَصْرَ محمد عليكم لَحَقٌّ، قالوا: إن اليوم يَوْمُ السبت، قال: لَا سَبْتَ لكم فأخذ سيفه وعُدَّتَهُ، وقال: إن أُصِبْتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، **ثم** غدا إلىٰ رسول الله ﷺ فقاتل معه حتىٰ قتل؛ فقال رسول الله ﷺ: "**مُخَيْرِيْقُ خَيْرُ يَهُوْدٍ**"[ابن هشام 3/ 94].

2- كان أبو هريرة يقول: حَدِّثُونِي عن رجل دخل الجنة لم يُصَلِّ قط؟ فإذا لم يعرفه الناس سألوه: من هو؟ فيقول: أُصَيْرِمُ بني عبدالأشهل عمرو بن ثابت بن وَقْشٍ، كان يأبىٰ الإسلام علىٰ قومه، **فلما** كان يَوْمُ أُحُدٍ بدا له في الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه فعدا حتىٰ دخل في عُرْضِ الناس فقاتل حتىٰ أثبتته الجراحة وأثقلته فلم

(1) الطبري 2/ 514، وذخائر العقبىٰ 74 عن الحسن بن عرفة العبدي، وابن هشام 3/ 106، وسيرة ابن كثير 4/ 707، والبداية والنهاية 4/ 54، 6/ 6، والأمير الصنعاني في الروضة الندية 45-50 بتحقيقنا، والكامل لابن الأثير 2/ 107، وفرائد السمطين 1/ 251 رقم 194، 195، ومناقب ابن المغازلي 190، 191 رقم 234-236، وكفاية الطالب 277-280، والعمدة لابن البطريق 442 رقم 679- 680، وبحار الأنوار 20/ 549، وابن أبي الحديد 4/ 453، **وقال**: إن كلام جبريل موجود ببعض نسخ ابن إسحاق، وبعضها خالٍ عنه.

(2) **المهراس**: ماء بأحد، أو حجر ينقر ويجعل إلىٰ جانب البئر ويودع فيه الماء.

يتحرك، فبينما رجالٌ من بني عبدالأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به فقالوا: والله إن هذا لَلْأُصَيْرِمُ، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لَمنكِرٌ لهذا الحديث؛ فَاسْأَلُوهُ: ماجاء به؟ فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أَحَدَبٌ على قومِك، أم رغبةٌ في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت، ثم أخذت سيفي فغدوت على رسول الله ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني، **ثم** لم يلبث أن مات في أيديهم، فذكروه لرسول الله ﷺ فقال: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ».

3- كان عمرو بن الجموح شديدَ العَرَجِ، وكان له بنون أربعة كالأُسُودِ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد، **فلما** كان يوم أحد أرادوا حبسه وقالوا له: إن الله عزوجل قد عذرك؛ فأتى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ بَنِيَّ يريدون أن يحبسوني عن الخروج معك، فوالله إني لأرجو أن أَطَأَ بِعَرَجَتِيْ هذه في الجنة، **فقال** رسول الله ﷺ: "أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللهُ؛ فَلا جِهَادَ عَلَيْكَ"، وقال لبنيه: "مَا عَلَيْكُمْ أَلَّا تَمْنَعُوهُ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ"، فخرج معه فاستشهد [ابن هشام 3/ 95].

رجوع أبي سفيان بالناس:

يتساءل المرؤ عن سبب رجوع المشركين وعدم مواصلة استئصال المسلمين- والفرصة سانحة بعد هزيمة المسلمين؟- فيأتي الجواب في ثبات رسول الله، وصلابة المدافعين؛ فإن ذلك رسالة درسها أبو سفيان جيدًا، ثم إنَّ الفارين سيعودون، والمدينة قريبة، وجُرْحُ المسلمين غائر، وقتالُ الجريح مُرُّ المَذَاقِ، **ثم** إن المشركين أدركوا ثأرهم **كما** قال شاعرهم ابن الزِّبَعْرَى:

قَدْ قَتَلْنَا النِّصْفَ مِنْ سَادَاتِهِمْ   وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فَاعْتَدَلْ

فاكتفى بالنصر الذي أحرزه؛ خَشْيَةَ العَوَاقِبِ؛ فصرخ بأعلى صوته: إن الحربَ سِجَالٌ[1]

(1) أي مداولة، مرة لهذا الفريق ومرة لذاك.

يوم بيوم، فاعْلُ هُبَلُ[صنم] - أي أَظْهِرْ دِيْنَكَ؛ **فقال** رسـول الله ﷺ لعمـر[1]: أَجِبْـهُ: "اللهُ أعلى وأَجَلُّ، لا سَوَاءَ؛ قَتْلانَا في الجنة، وقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ"، **فلـما** أجـاب عمـرُ أبـا سفيان قال له أبو سفيان: هَلُمَّ إليَّ يا عمـرُ ، **فقـال** رسـول الله ﷺ لعمـر: "انظـر مـا شَأْنُهُ؟" **فجاءه فقال له**: أَنْشُدُكَ اللهَ يا عمرُ، أَقَتَلْنَا محمدًا؟ قال عمـر: اللهـم لا، وإنـه ليسمع كلامك الآن، قال: أنت أصدق عندي من ابنِ قَمِئَةَ وأَبَـرُّ؛ لِقَـوْلِ ابـن قَمئـةَ لهم: إني قد قتلتُ محمدًا، **ثم** نادى أبو سفيان: إنه قد كان في قـتلاكم مُثَـلٌ [أي التمثيـل بالقتيـل] والله ما رَضِيتُ وما سَخِطْتُ، وما نَهَيْتُ وما أَمَرْتُ، **ثم** نـادى: إن موعـدكم بَدْرٌ للعام القابل؛ فقال رسول الله ﷺ لرجل مـن أصـحابه: "قُـلْ: نَعَـمْ، هُـوَ بَيْنَنَـا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ"[2]، **ثم بعث** رسول الله ﷺ علي بن أبي طالـب فقـال: اخـرج في آثـار القوم فانظر ماذا يصنعون، وما يريدون: **فإن** كانوا قد جَنَّبُوا الخيل[3] وامتطوا الإبـل فإنهم يريدون مكة، **وإن** ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريـدون المدينـة؛ **والـذي** نفسي بيده لئن أَرَادُوهَا لأَسِيْرَنَّ إليهم فيها ثم لأُنَـاجِزَنَّهُمْ، **قـال** عـليٌّ: فخرجـتُ في آثارهم أنظر ماذا يصنعون، فَجَنَّبُوا الخيل، وامْتَطَوُا الإبل، وتوجهوا إلى مكة[4].

حصاد المعركة:

فرغ الناس لقتلاهم فقال رسول الله ﷺ: مَنْ رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيـع، أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ فقال محمد بن مسلمة الأنـصاري: أنـا، فنظـر فوجـده

---

(1) **اختلف** في عمر هل ثبت يوم أحد أو لا؟ **واتفق** الرواة كافة أن عثمان فَرَّ ، **وأن** ضرار بن الخطاب قرع رأسـه بالرمح، فقال: إنها نعمة مشكورة يا آل الخطاب. شرح نهج البلاغـة لابـن أبي الحديـد 4/ 484، والكامـل لابن الأثير 2/ 110، ولعل أبا بكر وعمر انحازا إلى الجبل ولا سيما عندما أُشِيعَ: أن رسول الله قد قُتِلَ.

(2) الطبقات الكبرى 2/ 47، والثقات لابن حبان 1/ 231، وأحمد 6/ 425 رقم 18617، والمعجم الكبـير للطبراني 10/ 301 رقم 10731، ومصنف عبدالرزاق 5/ 363 رقم 9735.

(3) **جنبوا الخيل**: قادوها ولم يركبوها.

(4) ابن هشام 3/ 100، وعيون الأثر 2/ 218.

جريحًا في القتلى وبه رَمَقٌ، **فقال له**: إن رسول الله ﷺ أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم الأموات؟ قال: أنا في الأموات؛ **فَأَبْلِغْ** رسول الله ﷺ عني السلام، وقل له: إن سعد بن الربيع يقول لك: جزاك الله عنا خَيْرَ ما جزى نَبِيًّا عن أمته، **وَأَبْلِغْ** قومك عني السلام وقل لهم: إن سعد بن الربيع يقول لكم: إنه لا عذر لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيكم ﷺ ومنكم عين تَطْرِفُ[1]، **قال**: ثم لم أبرح حتى مات، فَجِئْتُ رسول الله ﷺ فَأَخْبَرْتُه خبره؛ فقال النبي ﷺ: «يَرْحَمُهُ اللهُ لَقَدْ نَصَحَ حَيًّا وَمَيِّتًا»[أسد الغابة 2/ 433]، **وكان** قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة فدفنوهم بها، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك وقال: «**ادْفِنُوهُمْ حَيْثُ صُرِعُوا**»، **عن** عبدالله بن ثعلبة أن رسول الله ﷺ لما أشرف على قتلى أحد قال: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ أَنَّهُ مَا مِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِي اللهِ إِلَّا وَيَبْعَثُهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحُهُ: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، والرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ، انْظُرُوا أَكْثَرَ هَؤُلَاءِ جَمْعًا لِلْقُرْآنِ فَاجْعَلُوهُ أَمَامَ أَصْحَابِهِ فِي القَبْرِ**[2]» **وكانوا** يَدْفِنُونَ الاثنين والثلاثة في القبر الواحد، وكان عدد قتلى المسلمين سبعين، **وقيل**: خمسةً وستين: **أربعة من المهاجرين**: حمزة، وعبدالله بن جحش، ومصعب بن عمير، وشَمَّاسُ بن عثمان بن الشريد، والبقية من الأنصار، **وكان** عدد قتلى المشركين اثنين وعشرين قتيلًا، **ثم** انصرف ﷺ إلى المدينة فَلَقِيَتْهُ حَمْنَةُ بنت جحش فنعى إليها أخاها عبدالله فاسترجعت واستغفرت له، **ثم** نعى لها خالها حمزة فاسترجعت واستغفرت له، **ثم** نعي لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وَوَلْوَلَتْ؛ فقال رسول الله ﷺ: **إِنَّ زَوْجَ الْمَرْأَةِ مِنْهَا لَبِمَكَانٍ؛ لِمَا رَأَى مِنْ تَثَبُّتِهَا عِنْدَ أَخِيهَا وَخَالِهَا، وَصِيَاحِهَا عَلَى زَوْجِهَا**[3]، **ومرَّ** رسول الله ﷺ بِدَارٍ من بني عبدالأشهل وظَفَرٍ فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم؛ فذرفت عَيْنَاهُ، ثم قال:

---

(1) **تطرف**: تضرب بجفنها الأعلى على الأسفل.
(2) أحمد 9/ 176 رقم 23720، والنسائي 4/ 178 رقم 2002.
(3) الكامل 2/ 113، وسيرة ابن كثير 3/ 93.

«وَلَكِنَّ حمزةَ لاَ بَوَاكِيَ له»[1]، **فلما** رَجَعَ سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير ﷺ إلى دار بني عبدالأشهل أمروا نساءهم أن يَتَحَزَّمْنَ ثم يَذْهَبْنَ فيبكين على عم رسول الله ﷺ، **ولَـمَّا** سمع ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه- **قال**: ارْجِعْنَ يَرْحَمُكُنَّ اللهُ، فَقَدْ آسَيْتُنَّ بِأَنْفُسِكُنَّ[2].

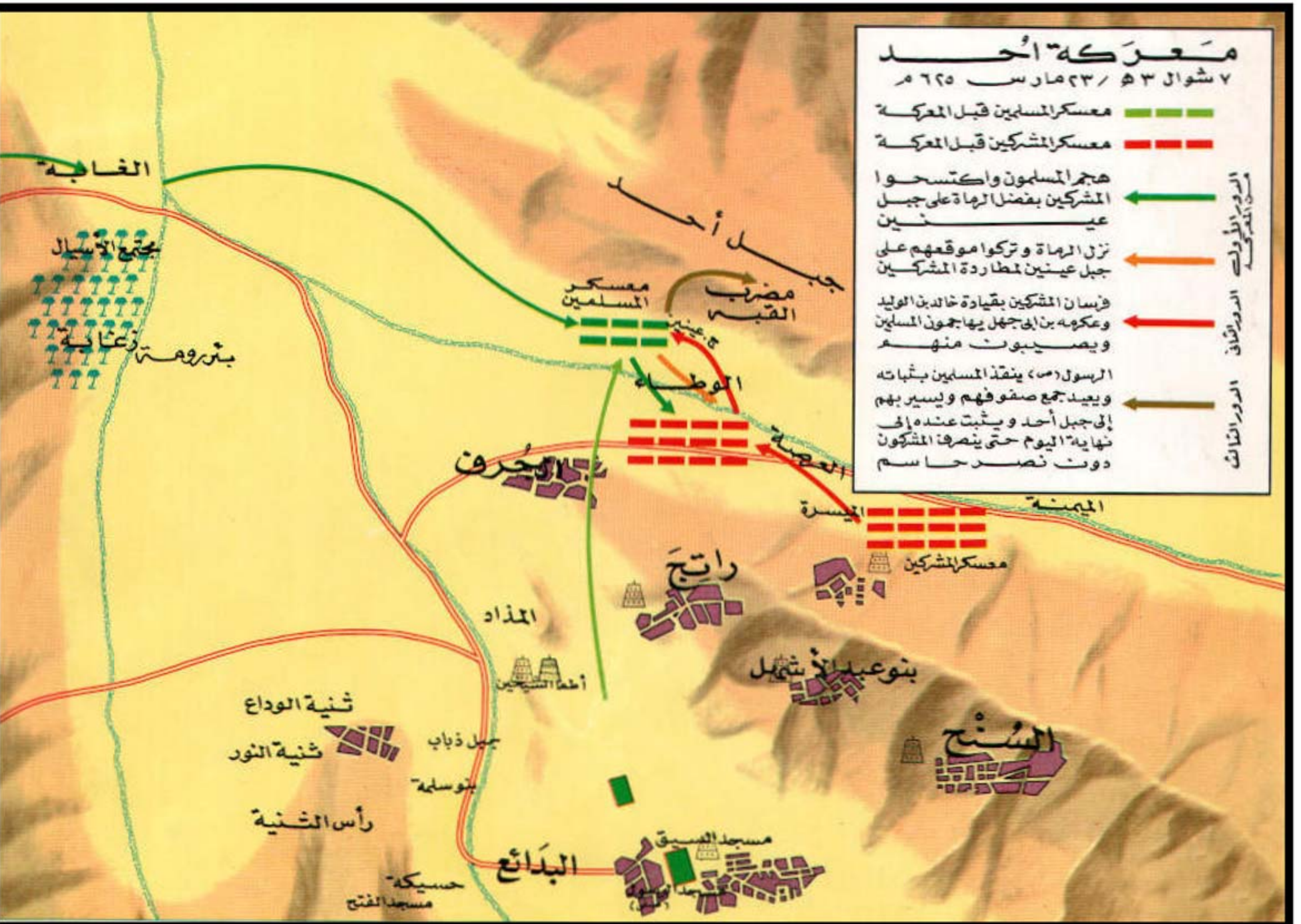
حُبٌّ خالدٌ:

ومر رسول الله ﷺ بامرأة من بني دِينار وقد أصيب زوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بِأُحُدٍ، فلما نُعوا لها قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أروني حتى أنظرَ إليه، فَأُشِيرَ لها إليه حتى إذا رأته قالت: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ!! تريد صغيرة، فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى أهله ناولَ ابنتَهُ فاطمةَ سيفه فقال: اغسلي عن هذا دَمَهُ يا بنية، فوالله لقد صَدَقَنِيْ اليوم، وناولها عليٌّ بن أبي طالب سيفه فقال: وهذا أيضًا فاغسلي عنه دمه فوالله لقد صدقني اليوم، فقال رسول الله ﷺ مشيدًا بموقف عَلِيٍّ ورجالٍ معه: لئن كُنْتَ صدقتَ القتالَ لقد صدق معك سَهْلُ بن حنيف وأبو دُجانة، فأنشد علي حين ناول فاطمة السيف[3]:

أفَاطِمَ هَاكِ السيفَ غيرَ ذَمِيْمِ فَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ ولا بِلَئِيْمِ
لَعَمْرِيْ لقد أَعْذَرْتُ في نَصْرِ أحمدٍ وَمَرْضَاةِ رَبٍّ بِالعِبَادِ رحيمِ

قال ابن سعد في الطبقات [2/ 48]: فكانت فاطمة عليها السلام تغسل جرحه، وعَلِيٌّ يسكب الماء عليها بالمجن يعني الترس، فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت فاطمة قِطْعَةَ حَصِيرٍ فأحرقته فألصقته عليه فاستمسك الدم.

(1) وابن ماجة 1/ 705 رقم 1591، وأحمد 2/ 287 رقم 4984، والطبراني في الكبير 11/ 391 رقم 12096، ومصنف عبدالرزاق 3/ 561 رقم 6694، وابن أبي شيبة 3/ 63 رقم 12127، والبيهقي 4/ 70.
(2) **آسيته**: عزيته وعاونته، **والمؤاساة**: التعزية والمعاونة.
(3) المستدرك 3/ 24. والطبري 2/ 535.



معركة أحد
٧ شوال ٣ هـ / ٢٣ مارس ٦٢٥ م
معسكر المسلمين قبل المعركة
معسكر المشركين قبل المعركة
هجم المسلمون واكتسحوا المشركين بفضل الرماة على جبل عينين
نزل الرماة و تركوا موقعهم على جبل عينين لمطاردة المشركين
فرسان المشركين بقيادة خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل يهاجمون المسلمين ويصيبون منهم
الرسول (ص) ينقذ المسلمين بثباته ويعيد جمع صفوفهم ويسير بهم إلى جبل أحد و يثبت عنده إلى نهاية اليوم حتى ينصرف المشركون دون نصر حاسم
الدور الثاني
الدور الثالث
جبل أحد
مضرب القبة
معسكر المسلمين
الوطاء
العرصة
الميمنة
الميسرة
معسكر المشركين
الجرف
راتج
المذاد
بنو عبد الأشهل
السنح
الغابة
مجتمع الأسيال
بئر رومة
زغابة
ثنية الوداع
ثنية النور
جبل ذباب
بنو سلمة
رأس الثنية
البدائع
حسيكة
مسجد الفتح
مسجد السبق

العبر والدروس:

1- شُؤْمُ المعصية هو الذي سبب النكبة، وعصيانُ الرماة -غفر الله لهم- كاد أن يُقَوِّضَ ما شيده الرسول، ويمسح نصر بدر، ولحق بالنبي من الألم ما لا تقوم به الجبال؛ إذ خسر سبعين شهيدًا من خيرة أصحابه، على رأسهم عمُّه الحمزة، ولم يَسْلَمِ النبيُّ نَفْسُهُ من الجراح.

2- المسلمون هم المؤهلون للدفاع عن عقيدتهم؛ لذلك امتنع النبي ﷺ عن الاستنصار باليهود، **ولولا** أن المنافقين اعتصموا بالإسلام- ما قَبِلَهُمُ النبيُّ ﷺ في غزوة قط، لكن عَظَمَةَ الإسلام في العمل بالظاهر غَطَّتْ سَوْأَتَهُمْ.

3- الأزمات تفرز الرجال، وتُمَحِّصُ العقائدَ الراسخةَ؛ **فقد** صرخ صارخ أن محمدًا قد قُتِلَ، وأمام هذه الفاجعة برز أنس بن النضر بين القلة الباقية حول النبي ﷺ قائلا: لئن كان قد قتل فإن الله حيٌّ لا يموت، اللهم إني أبرأ إليك من هؤلاء وأشار إلى المشركين، ومن هؤلاء وأشار إلى الفارين، وغاص بسيفه حتى قتل؛ **فَوُجِدَ** فيه بِضْعٌ وثمانون ما بين ضربة بسيف، أو طعنة برمح أو سهم، ومَثَّلَ به المشركون فما عرفته أخته إلا بثيابه[1].

4- كانت مصيبةُ أُحُدٍ ضارةً نافعةً فهي ابتلاء وتمحيص؛ لئلا يركن المسلمون إلى أن النصر حليفُهم، والملائكة معهم؛ فَتَفْتُرَ عزائمهم؛ فأراد الله سبحانه أن يعيشوا السراء والضراء، وأن لا يُفَرِّطُوا في تعاليم دينهم، والعمل بالأسباب:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا   وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرّ

5- عَلَّمَنَا النَّبِيُّ ﷺ قُوَّةَ التحمل، وصلابةَ الإرادة، ومواجهةَ الصِّعاب، واستئنافَ السير، وعدمَ الاستسلام؛ فلكل ليل صُبْحٌ، ولكل طريق نِهَايَةٌ، وهو ما فعله ﷺ بعد

---

(1) الاستيعاب 1/ 198، وأسد الغابة 1/ 300، وعيون الأثر 2/ 32 **وفيه**: فما عرفته إخته إلا ببنانه.

أحد؛ إذ نهض بالمسلمين من كبوتهم، ولَـمْلَمَ على هدي القرآن جراحهم.

6- **قال ابن إسحاقَ:** كان يومُ أُحُدٍ يَوْمَ بلاء ومصيبة وتمحيص اختبر الله به المؤمنين، وامتحن به المنافقين ممن كان يُظْهِرُ الإيمان بلسانه، وهو مُسْتَخْفٍ بالكفر في قلبه، ويومًا أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته.

7- صمود القلة القليلة يُعَدُّ انتصارًا بذاته؛ فهؤلاء استطاعوا-وخلافا لتوقعات العدو- أن يردوا عن رسول الله ﷺ خطر الموت الذي كاد يكون محققًا.

8- من الأحكام الفقهية: أن صلاة الجنازة تكفي لجماعة، ويندب أن يُقَدَّمَ من جهة الإمام الأفضل فالأفضل؛ حيث قَدَّمَ النبي ﷺ الحمزة، ثم الذي يليه، ولا يُغَسَّلُ الشهيد، وَيُكَفَّنُ بما قُتِلَ فيه ما عدا آلَةَ الحربِ، ويجوز دفن جماعة في قبر، ويُقَدَّمُ إلى القبلة أفضلُهم، **وقد** اختلف الفقهاء في عدد التكبيرات في صلاة الجنازة، وأشهرها خمس أو أربع[1]، **ورجح** المذهب الزيدي الخمس؛ لأن عَلِيًّا كبر بها على فاطمة، وكبر بها الحسن على أبيه، وتناقلها الأئمة من أبنائهم.

9- أُؤَكِّدُ مَرَّةً أخرى على أن فضيلة الشورى تخفف من وقع المصاب؛ **فما** دام الخروج بناء على رأي الأغلبية فالنتيجة يتحملها الجميع؛ **فلا** يجوز أن يقاد الناس إلى مصارعهم دون إبداء رأيهم، حتى في ميدان الله ورسوله؛ فالشورى أَمَانٌ من الأخطار.

10- يندب صنع الطعام لأهل الميت؛ لقول النبي: «اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا»[2]، وليس كما يُصْنَعُ اليوم؛ إذ يقوم المصابون وعُيُونُهُمْ تَقْطُرُ من الدمع بإطعام غير المصابين.

---

(1) شرح الأزهار 1/ 436،440، ومعرفة السنن للبيهقي 3/ 162.

(2) الترمذي 3/ 323 رقم 998، وسنن أبي داود 3/ 499 رقم 3132.

18-غزوة حمراء الأسد[1] (الأحد 16 شوال على رأس 32 شهرًا هـ)[2]:

بات النبي ﷺ بعد أحد في بيته، وباتت وجوه الأنصار على بابه تحرسه، **ولما** صلى الفجر أتاه عبدالله بن عمر بن عوف المزني، فأخبره أنه أقبل من أهله، وأنه مر بقريش، وأنه سمع قريشًا تتهامس بالرجوع لاستئصال المسلمين؛ **فنادى** المسلمين أن يخرجوا في طلب العدو، **وأن** لا يخرج إلا من شهد أُحُدًا ، فقال جابر بن عبدالله: يا رسول الله، إن أبي كان خلَّفني على سبع أخواتٍ، وقال: إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رَجُلَ فيهن، ولا أُوْثِرُكَ بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي! فَتَخَلَّفْتُ عليهن؛ **فَأَذِنَ** له رسول الله ﷺ فخرج معه؛ **وقد أراد** النبي ﷺ بِبُعْدِ نظره، وثاقب رأيه أن يستعيد شيئًا من هيبة المسلمين التي اهتزت، والمعنويات التي انهارت؛ **ثُمَّ** إنه يريد أن يصنع شيئًا يخفف من شماتة المنافقين واليهود، **وليوجه** رسالة إلى قريش بأن المسلمين ما يزالون أقوياء، **وَيَغْلِبُ** على ظني أنه كان سيخرج إلى حمراء الأسد ولو لم يبلغه أن قريشًا تنوي أن تعود؛ لأنه ﷺ يُدْرِكُ حجم النكبة التي لحقت بهيبته ومركزه القوي، **ولا بد** من محاولة محو آثارها بأي وسيلة؛ **فلم يلبث النبي ﷺ في المدينة بعد عودته من أحد غير ليلة، فخرج** في سبعين رجلا، هم الذين استجابوا لله وللرسول، وخرج رسول الله ﷺ وهو مجروح متوهن، وخرج من الأنصار نحو أربعين جريحا، ودفع اللواء إلى الإمام علي كرم الله وجهه، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، وبعث ﷺ مِنْ قبيلة أَسْلَمَ طليعةً في آثار القوم: سليطًا ونعمان ابني سفيان بن طلق بن عوف ومعهما ثالث، فَلَحِقَ اثنان منهم بالقوم بحمراء الأسد، وللقوم زَجَلٌ، وهم يأتمرون بالرجوع، وصفوان بن أمية ينهاهم عن

---

(1) ابن هشام 3/ 107، الطبقات 2/ 148، والواقدي 1/ 334، والطبري 2/ 534، والسبل 4/ 438.

(2) موضع على ثمانية أميال من المدينة، أي ما يقارب (15كم).

ذلك؛ فَبَصُرُوا بالرجلين فعطفوا عليهما فقتلوهما، ومضوا ومضى رسول الله ﷺ بأصحابه حتى عَسْكَرَ بحمراء الأسد، فَدَفَنَ الرجلين في قبر واحد وهما القرينان، فأقام بحمراء الأسد ثلاثة أيام يوقد النيران، **وفي** هذه الأثناء مَرَّ به مَعْبَدُ الخُزَاعِيُّ وهو مشرك، وكانت خزاعةُ مُسلمهم ومشركهم يحبون رسول الله ولا يُخْفُونَ عنه شيئًا يَحْدُثُ بتهامة، **فقال**: يا محمد لقد عَزَّ علينا ما أصابك، ثم ودعه ومضى حتى لقي أبا سفيان وقريشًا بالرَّوْحَاءِ[1] وهم يقولون: لا مُحَمَّدًا أَصَبْتُمْ، ولا الكواعبَ أَرْدَفْتُمْ؛ فبئس ما صنعتم، وقد أجمعوا الرَّجْعَةَ، **فلما** رأى أبو سفيان معْبدًا **قال**: ما وراءك يا معبد؟ **قال**: محمد قد خرج في أصحابه يطلبُكم في جمع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم بمثل النيران غيظًا، **قد** اجتمع معه من كان تَخَلَّفَ عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا، فيهم من الْحَنَقِ وشدة الغيظ عليكم شيء لم أر مثله قط، وتعاهدوا أن لا يرجعوا حتى يلحقوكم ويثأروا منكم، **قال**: ويحك ما تقول؟ **قال**: والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصيَ الخيل، **قال**: فوالله لقد أجمعنا الْكَرَّةَ عليهم لنستأصل بقيتهم، **قال**: فإني أنهاك عن ذلك فوالله لقد حَمَلَنِيْ ما رأيتُ على أن قلت فيهم أبياتا، **قال**: وما قلت؟ **قال**: قلت:

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الأصواتِ رَاحِلَتِيْ ... إِذْ سَالَتِ الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيلِ[2]

تَعْدُو بِأُسْدٍ كِرَامٍ لاَ تَنَابِلَةٍ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلا مِيْلٍ مَعَازِيلِ[3]

فَقُلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمُ ... إِذَا تَغَطْمَطَتِ البَطْحَاءُ بِالجِيلِ[4]

---

(1) **الروحاء**: قرية لمزينة على ليلتين من المدينة، وكان سير المشركين بطيئا؛ لغرض الاستجمام، ولبعث القلق في نفوس المسلمين من عودتهم للحرب؛ فهي حرب نفسية يفعلها المنتصر ؛ إمعانا في أذية المهزوم.

(2) **تهد**: تسقط لهول ما رأت، **والجرد**: جمع أجرد، وهو الفرس القصير الشعر، **والأبابيل**: الجماعات.

(3) **تَعْدُو**: تسرع، **التنابلة**: القصار، **الأَمْيَلُ**: الذي لا يثبت على السرج، **والمعزال**: الذي لا سلاح معه.

(4) **تغطمطت**: اهتزت.، **الجيل**: الصنف من الناس.

فَثَنَى ذلك أبا سفيان ومن معه، **وكان** رأيُ صفوانَ بنِ أمية أن يكتفوا بالنصر الذي حققوه، **وَمَرَّ** به رَكْبٌ من عبدالقيس **فقال**: أين تريدون؟ **قالوا**: نريد المدينة، **قال**: ولِمَ؟ **قالوا**: نريد المِيرَةَ[1]، **قال**: فهل أنتم مبلغون عني **محمدًا** رسالة **أُرْسِلُكُمْ** بها إليه، وأحملُ لكم غدًا زبيبًا بعكاظ إذا وافيتموها؟ **قالوا**: نعم، **قال**: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتَهم، **فَمَرَّ** الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي **قال** أبو سفيان، فقال: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:173] [2].

الدرس والعبرة:

1-هذه الغزوة تُبْرِزُ حُنْكَةَ القائد، والدَّهاءَ الذي يجب أن يستخدمه، **وقد** لاحظنا كيف قام الرسول ﷺ بمناورة بارعة، واستخدم سلاح الحرب النفسية؛ **فقد** شحذ لسان معبد الخزاعي الذي قيل: إنه أسلم، **وأمره** أن يكتم إسلامه[زاد المعاد 2/ 108]، **وعلمه** قبل أن يودعه كيف يُخَذِّلُ أبا سفيان؛ فقال لأبي سفيان ذلك الكلام الذي أصابه بالهزيمة النفسية وهو لا يعلم بإسلامه، **وأبو** سفيان من الدهاة، ولعله اكتشف بعد فوات الأوان أن محمدًا ﷺ قد تفوق عليه في حرب المناورات؛ فحاول يائسًا أن يُبَلِّغَ محمدًا ﷺ رسالة بأنه عائد، ولكن الله كفى المؤمنين القتال.

2-أظهر المسلمون الذين اشتركوا في معركة أحد وذهبوا لحمراء الأسد صبرًا وجَلَدًا يَعْجِزُ عنه الوصف؛ **إذ** كان الأخ يحمل أخاه على ظهره، والصاحب يُضَمِّدُ جراح صاحبه غير مكترثين بجراحهم النازفة، وعظامهم المهشمة ما دام ذلك في سبيل الله، وطاعة رسوله؛ وما أَجْدَرَهُمْ بقول اللهِ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ

---

(1) **الميرة**: الطعام يجلب من بلد إلى آخر.

(2) **قيل**: إن هذه الآية نزلت في هذه الغزوة، **وقال مجاهد وعكرمة**: نزلت الآية وما قبلها في غزوة بدر الصغرى. **ينظر**: مجمع البيان 1/ 449، والسبل 4/ 444.

مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾[آل عمران:172-174].

3- كان النبي ﷺ حكيمًا حين منع المنافقين من شرف المشاركة في هذه الغزوة؛ لئلا يَدَّعُوا شرفًا على حساب الشرفاء، وليعرفوا أن النبي والمؤمنين قادرون على تجاوز المصاعب.

4- ومن المواقف الحازمة التي يتطلبها موقفُ المسلمين الحَرِجُ- إعدامُ أبي عَـزَّةَ الجُمَحيَّ الذي قُبِضَ عليه في الطريق، **وقد** سبق للنبي ﷺ أنْ مَنَّ عليه حين أُسِرَ ببدر، فقال: يا رسول الله أَقِلْنِي؛ فقال رسول الله ﷺ: والله لا تَمْسَحُ عَارِضَيْكَ بمكة بعدها وتقول: خَدَعْتُ محمدًا مرتين، اضْرِبْ عُنُقَهُ يا زبير، فضرب عنقه، **وقيل**: قال له: إن المؤمن لا يُلْدَغُ من جُحْرٍ مرتين! اضرب عنقه يا عاصم بن ثابت فضرب عنقه، **وَأُلْقِيَ** القَبْضُ عَلَى جاسوس لقريش هو معاوية بن المغيرة بن أبي العاص لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسولَ الله فَأَمَّنَهُ عَلَى أنه إن وُجِدَ بعد ثلاثٍ قُتِلَ، فأقام بعدها متواريًا يجمع الأخبار، لكن النبي ﷺ لَيْسَ غافلًا فكانت عُيُونُهُ مَفْتُوحَةً تلتقط له كل شاردة وواردة؛ **فبعث** زَيْدَ بْنَ حارثة وعمار بن ياسر وقال: سَتَجِدَانِهِ في موضعِ كذا؛ فوجداه فقتلاه.

5- عدم التهاون في شأن المنافقين؛ **فلما** قَدِمَ رسول الله ﷺ المدينة، وكان عبدالله بن أُبَيٍّ له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكَرُ شَرَفٌ لَهُ في نفسه وفي قومه، وكان فيهم شريفًا، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو يَخْطُبُ الناس، قام فقال: أيها الناس هذا رسول الله ﷺ بين أَظْهُرِكُمْ، أكرمكم الله وأعزكم به؛ فانصرُوه

وعَزِّرُوهُ[1]، واسمعوا له وأطيعوا، **ثم يجلس**، حتى إذا صنع يوم أحد ما صنعَ ورجع بالناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله؛ فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس يا عدوَّ اللهِ لستَ لذلك بأهل وقد صنعتَ ما صنعت؛ فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بُجْرًا[2] أَنْ قُمْتُ أَشْدُدُ أَمْرَهُ، فلقيه رجلٌ من الأنصار بباب المسجد فقال: مَالَكَ وَيْلَكَ؟ فأخبره بما جرى، قال: ويلك ارجع يَسْتَغْفِرْ لك رسولُ الله ﷺ، قال: والله ما أبتغي أن يستغفر لي.

19- سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي[3] (في محرم على رأس 35 شهرًا هـ):

ما زالت نَشْوَةُ قريش بنصرها يوم أحد تُلْقِيْ بظلالها على الجزيرة، وَجَرَّأَتْ أعراب البادية: طُلَيْحَةَ وسلمةَ ابني خويلد على تحريض بني أسد وحلفائهم للهجوم على المدينة؛ فجاء رجل من بني أسد كان في زيارة رحم له في المدينة فأخبر النبي ﷺ بالأمر؛ فكافأه على نصيحته، **وبعث** على الفور أبا سلمة في مائة وخمسين إلى قَطَن[4] **وأمره** أن يسير ليلًا ويكمن نهارًا؛ ليباغت العدو على حين غِرَّةٍ، فنفَّذ ما أمره به وأحاط بهم في غَبَشِ الصبح فولوا الأدبار، فساق المسلمون ما غنموه ورجعوا ظافرين؛ **واستعاد** المسلمون شيئًا من هيبتهم، **وعلى إثر ذلك توفي أبو سلمة** من جُرْحٍ بأحُدٍ لم يكن قد شُفِيَ[5]، فَنَغَرَ جُرْحُهُ فمات لثلاث بقين من جمادى الآخرة

(1) **التعزير**: التفخيم والتعظيم . اللسان 4/ 562.

(2) **البُجْرُ**: الشر والأمر العظيم.

(3) المصابيح ص 238، والواقدي 1/ 340، والطبقات 2/ 50، وعيون الأثر 2/ 59 عن ابن سعد، وابن كثير في البداية 4/ 70، ومغلطاي 238، والإصابة 2/ 326 رقم 4783، وأسد الغابة 1/ 148، والاستيعاب 2/ 76 رقم 1607، و 3/ 244 رقم 3043. **واسم** أبي سلمة عبدالله، وهو ابن عمة النبي ﷺ برة بنت عبدالمطلب.

(4) ماء، وقيل: جبل لبني أسد بناحية فيد. معجم البلدان 4/ 375.

(5) مكث بعد أُحُدٍ شَهْرًا يداوي جرحه حتى اندمل ثم انتقض. انظر: المصادر السابقة.

السنة الرابعة للهجرة[1]، **وقيل**: إنه توفي بعد بدر، وأرخه ابن عبدالبر في السنة الثالثة، **والأول** هو الراجح عند الجمهور.

ولعل في اختياره -رغم جرحه- كَفَاءَةً وَبَرَاعَةً لوحظت فيه فكان مناسبًا لتنفيذ المهمة، وَلاَ يَبْعُدُ - وأبو سلمة من المسلمين الأُوَلِ- أن يكون أبدى رغبته في قيادة هذه السرية طالبًا الشهادة[2]، **وهذا** لا يُستبعد من هؤلاء الرجال الذين كانت الشهادة أعذبَ لديهم من الماء البارد في اليوم الصائف. واشتشهد في هذه السرية مسعود بن عروة [أسد الغابة 5/ 159].

الزواج بأم سلمة رضي الله عنها:

أَكْرَمَ النبيﷺ أسرة أبي سلمة بأن تزوج أم سلمة بعد تمام العدة، **قيل**: في ليال بقين من شوال لأربعة أشهرٍ وعشر، ولا نستطيع الجزم بتاريخ الزواج؛ للخلاف حول وفاة أبي سلمة، لكن المعلوم أن الزواج بعد وفاته قطعا، وبعد تمام العدة[3]، **وقد ضم** أولادها إليه، فدخلت عالم الخلود من بابه العريض، وصارت أم سلمة رضي الله عنها غُرَّةً في نساء النبي ﷺ، وصار أولادها بمثابة أولاده، يأكلون معه، **وقد نقل** لنا الطفل عمر بن أبي سلمة وهو يأكل مع النبي ﷺ قال: كانت يدي تطيش في الصحفة وآكل بشمالي، فقال: «يا غُلاَمُ سَمِّ اللهَ تعالى، وكُلْ بيمينك، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»؛ **أقول**: لو كان هناك عظيم يستحق أن يموت من أجله أبو سلمة شهيدا فليس سوى النبي ﷺ.

---

(1) الطبقات 8/ 95، وتاريخ دمشق 34/ 266، والبداية والنهاية 4/ 104، وشرح المواهب اللدنية 3/ 239.

(2) **ومما يدل** على رغبة أبي سلمة في الجهاد أنه كان نازلا في العالية مع زوجه أم سلمة، فبلغه خروج رسول الله إلى حمراء الأسد بعد غزوة أحد فبادر فركب حمارا حتى لقي رسول الله ﷺ في العصبة بالعقيق- **والعُصَبَةُ**: دار بني جَحجبَا غربي مسجد قبا- فسار معه. انظر: معجم البلدان 4/ 128، ووفاء الوفاء 2/ 346 والمصارد السابقة.

(3) **وفي الاستيعاب** 4/ 472: أنها تزوجت النبي بعد بدر سنة 2هـ، **ورجحه** العاملي في الصحيح من سيرة النبي 5/ 285، **وهذا** لا يصح إلا إن استشهد أبوسلمة في بدر أو بعد بدر بقليل.

20- سرية عبدالله بن أُنَيس الجُهَنِيُّ (5 محرم لـ 35 شهرًا هـ)[1]:

بَلَغَ النبيَّ ﷺ أن سفيان بن خالد الهذلي يحشد الجموع بِنَخْلَةَ أو بِعُرَنَةَ من ناحية نجد؛ **فبعث** عبدالله بن أنيس وكان جريئًا ليستطلع الخبر، **وأَوْعَزَ** إليه أن يقتله إن سنحت له فرصة، **فلقي** سفيان فأوهمه أنه جاء لينصره على محمد، وخَدَّرَهُ بحديث ساحر، **فلما** خَلَا به أجهز عليه[2]، **وبهذا الاسلوب الصارم** كفى الله المؤمنين القتال، **وهذه** السرية والتي قبلها بُرهان على أن النبي ﷺ يؤسس لدولة الإسلام على فوهة بركان، لولا الحزم والهمة العالية والبراعة والاقتدار على مواجهة المخاطر والمتاعب وإطفاء الحرائق في مهدها قبل اشتعالها مهما أمكنه ذلك وبأقل الخسائر.

21- يوم الرجيع (صفر على رأس 36 شهرًا هـ 635 م):

لما قُتِلَ سفيان الهذلي مشى قومه إلى قبائل عُضَلَ والقَارَةِ[3] وبذلوا لهم مالًا على أن يذهبوا إلى رسول الله؛ لاستدراج نفر من أصحابه للثأر منهم بصاحبهم؛ فطاوعوهم، **ووفد** عَلَى رسول الله ﷺ رهطٌ من عُضَلَ والقَارَةِ، **فقالوا**: إن فينا إسلامًا فابعث معنا من يفقهنا في الدين، **وكان** النبي ﷺ يبعث أصحابه لهذه المهمات المقدسة، فبعث معهم بعشرة من القراء ، وقيل: ستة منهم: مَرْثَدَ بْنَ أبي مرثد الغَنَوِيِّ، وخالدَ بْنَ البُكَيرِ الليثي، وعاصمَ بْنَ ثابت بن أبي الأَقلح، وخُبيبَ بْنَ عَدِي، وزَيْدَ بنَ الدَّثِنَّةِ، وعبدَالله بْنَ طارق البَلَوِيِّ، **وأَمَّرَ** عليهم مَرْثَدًا، **وقيل**: عاصمًا، **فلما** بلغوا ماءً لهذيل يقال له: الرجيع غَدَرَ بهم بنو لِحْيَانَ من هذيل[4]،

(1) وقيل: خرج إليه يوم الاثنين 6 محرم لـ54 شهرا. ينظر: المغازي للواقدي 2/ 531، والإمتاع 1/ 256.

(2) الطبقات 2/ 50، ومغلطاي 239، وابن هشام 4/ 267، وثقات ابن حبان 1/ 279،وعيون الأثر 2/ 59.

(3) قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة.

(4) ابن هشام 3/ 178، والمغازي للواقدي 1/ 354-363، ومغلطاي ص 241 رقم 4086، وسيرة ابن كثير 3/ 123، والطبقات 2/ 55، والبداية 4/ 73، وعيون الأثر 2/ 62.

وقيل في سبب إرسالهم: إن الرسول بعثهم عيونًا إلى مكة، **روى البخاري**[2880(ر)]: أنه بعث سرية عَيْنًا، وأَمَّرَ عليهم عاصم بن ثابت، فانطلقوا حتى إذا كانوا بين عُسْفَانَ ومكةَ ذُكِرُوا لِحَيٍّ من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فَتَبِعُوهُمْ بقريبٍ من مائة رام، فاقتصوا آثارهم حتى أتوا منزلا نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة، فقالوا: هذا تمر يثرب، فَتَبِعُوا آثارهم حتى لحقوهم، **فلما** انتهى الخبر إلى عَاصِمٍ وأصحابه لجؤوا إلى فَدْفَدٍ[1]، **وجاء** القوم فأحاطوا بهم، فقالوا: لكم العهد والميثاق إن نزلتم إلينا أن لا نقتل منكم رجلًا، **فقال عاصم**: أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم أَخْبِرِ عَنَّا نَبِيَّكَ، فرموهم حتى قتلوا عاصمًا في سبعة نفر بالنبل، وبقي خُبيبٌ، وزيد، وعبدالله بن طارق البلوي، فَأَعْطَوْهُمُ العهدَ والميثاقَ، **فلما** أعطوهم العهد والميثاق نزلوا إليهم، **فلما** استمكنوا منهم حَلُّوْا أوتار قِسِيِّهِمْ فربطوهم بها، **فقال** عبدالله بن طارق البلوي: هذا أول الغدر؛ فأبى أن يصحبهم فَجَرُّوهُ وعالجوه على أن يصحبهم فلم يفعل فقتلوه، وانطلقوا بخبيبٍ وزيد حتى باعوهما بمكة، فاشترى خُبيبًا بنو الحارث بن عامر بن نوفل، **وكان** خُبيبٌ قد قتل الحارثَ يوم بدر، فمكث عندهم أسيرًا، حتى إذا أجمعوا على قتله استعار مُوسىً من بعض بنات الحارث لِيَسْتَحِدَّ بها فأعارته، قالت: فغفلتُ عن صبي لي فدرج إليه حتى أتاه فوضعه على فخذه، فلما رأيته فزعت فزعة عرف ذلك مني وفي يده الْـمُوسَى؛ فقال: أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله، وكانت تقول: ما رأيت أسيرًا قط خيرًا من خُبَيْبٍ، لقد رأيته يأكل من قِطْفِ عِنَبٍ وما بمكة يومئذ ثمرة، **وإنه** لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقًا رزقه الله، فخرجوا به من الحرم ليقتلوه، فقال: دَعُونِي أصلي ركعتين، ثُمَّ انْصَرَفَ إليهم فقال: لولا أن تروا أَنَّ ما بي جَزَعٌ من الموت لَزِدْتُ، **فكان**

(1) **قيل**: الموضع المرتفع، **وقيل**: الأرض المستوية، **وقيل**: الرابية المشرفة. فتح الباري 7/ 381.

أول من سَنَّ الركعتين عند القتل هو، **وروى** الواقدي[3/ 360] عن موسى بن قدامة، عن عبدالعزيز بن رمانة، عن عروة بن الزبير، عن نوفل بن معاوية الدِّيلي قال: حضرتُ يومئذ دعوة خبيب وهو يقول: اللهم أَحْصِهِم عددًا، فما كنت أرى أحدًا ممن حضر ينفلت من دعوته، ولقد كنت قائمًا فأخلدت إلى الأرض فَرَقًا من دعوته، ولقد مكثت قريش شهرًا أو أكثر وما لها حديث في أنديتها إلا دعوة خبيب، **ويروى** أن خبيبًا أنشد قبل مقتله:

وَلَسْتُ أُبَالِيْ حِيْنَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا ... عَلَىٰ أَيِّ جَنْبٍ كَانَ في الله مَصْرَعِيْ

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وإنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَىٰ أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

ثم قام إليه عقبة بن الحارث فقتله، وبعثت قريش إلى عاصم ليُؤْتَوا بشيء من جسده يعرفونه، **وكان** عاصم قَتَلَ عظيمًا من عظمائهم يوم بدر، فبعث الله عليه مِثْلَ الظُّلَّةِ من الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ من رُسُلِهِم، فلم يقدروا منه على شيء[البخاري 2880]، **وفي سياق آخر**: فلما صلى الركعتين حملوه على خشبة، ثم وجهوه إلى المدينة وأوثقوه رباطا، ثم قالوا له: ارجع عن الإسلام نُخَلِّ سبيلك، قال: لا والله ما أحب أني رجعتُ عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعا، فقالوا: أما واللات والعزى لئن لم تفعل لنقتلنك! فقال: إن قتلي في الله لقليل، **فلما** أبى عليهم وقد حرفوا وجهه عن القبلة، قال: أما صَرْفُكُمْ وجهي عن القبلة، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[البقرة:115]، **ثم** قال: اللهم إني لا أرى إلا وَجْهَ عَدُوِّ الله، اللهم إنه ليس هاهنا أحد يبلغ رسولك عني السلام فبلغه أنت عني السلام، **ثم** دَعَوْا مِنْ أَبْنَاءِ مَنْ قُتِلَ ببدر فوجدوهم أربعين غلاما، فأعطوا كل غلام رمحًا، **ثم** قالوا: هذا الذي قتل آباءكم فطعنوه برماحهم طعنا خفيفا، فاضطرب على الخشبة، فانقلب فصار وجهه إلى الكعبة، فقال: الحمد لله الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه وللمؤمنين، **ثم قال**: وكان الذين أجلبوا على قتل خبيب:

عكرمة بن أبي جهل، وسعيد بن عبدالله بن قيس، والأخنس بن شريق، وعُبيدة بن حكيم بن أمية بن الأوقص السُّلَمِي، وكان عقبة بن الحارث بن عامر ممن حضر، وكان يقول: والله ما أنا قتلتُ خُبيبًا إن كنت يومئذ لغلامًا صغيرًا، ولَكِنَّ رجلا من بني عبدالدار يقال له أبو ميسرة بن عوف بن السَّباق أخذ بيدي فوضعها على الحربة، ثم أمسك بيدي، ثم جعل يَطْعُنُ بيده حتى قتله.

أما زيد بن الدثنة فقد اشتراه صفوان بن أمية وقتله ثأرًا لأبيه، **ولقتله** قصة عجيبة سَطَّرَ فيها أروع آيات المقاومة، والوفاء، والإخلاص، والتضحية، **فقد** حبسه صفوان في الحديد، **وكان** يتهجد بالليل ويصوم بالنهار، ولا يأكل شيئا مما أُتِيَ به من الذبائح، وهو في الأسر والحبس، **ثم** أُخْرِجَ إلى التنعيم لِيُصْلَبَ على مرأى حشد كبير من الناس، **وكان** فيهم أبو سفيان، فقال له حين قُدِّمَ للقتل: أَنْشُدُكَ الله يا زيد، أتحب أن مُحَمَّدًا عندنا الآن في مكانك نَضْرِبُ عنقه، وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي!

حَزِنَ النبي ﷺ والمسلمون لهذا المصاب حزنًا عظيمًا، **وأطلق** حسان رثاءه فيهم وفي قتلى أحد، **وقلق** النبي ﷺ من هذه الحوادث التي تَتَسَبَّبُ في استخفاف العرب به وبالمسلمين، **وانطلقت** ألسنة المنافقين بالسخرية فكانوا يقولون: يا ويح هؤلاء المفتونين هلكوا هكذا، لا هُمْ قعدوا في أهليهم ولا هُمْ أَدَّوْا رسالة صاحبهم! **فأنزل** الله تعالى في ذلك من قول المنافقين: وما أصاب أولئك النَّفَرَ من الخير بالذي أصابهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[البقرة: 204-207]،

وبينما النبي ﷺ يبحث عن مخرج مما نزل به إذ ابتلي بنكبة أعظم في:

22- سرية بئر مَعُونَة[1] (صفر سنة أربع - 620م):

قدم أبو بَرَاءٍ عامر بن مالك بن جعفر ملاعبُ الأسنة على رسول الله ﷺ، فدعاه إلى الإسلام فلم يُسْلِمْ وَلَمْ يَبْعُدْ من الإسلام، **وقال**: يا محمد، لو بعثتَ رجالًا من أصحابك إلى أهل نجد فدَعَوْهُمْ إلى أمرك رَجَوْتُ أن يستجيبوا لك، **فقال** رسول الله ﷺ: إني أخشى عليهم أهل نجد، **قال** أبو براء: أنا لهم جار، وكان مسموع الكلمة، لا خَوْفَ على مَنْ أجاره؛ **لذلك** بعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمروٍ في سبعين من خيار المسلمين ، **وقيل**: أربعين، كانوا يسمون القراء في زمانهم، وكانوا يقرأون ويتدارسون بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعون حطبهم ويشترون به طعاما لأهل الصفة وللفقراء ، حتى إذا نزلوا بئر معونة- **ماء** لبني سُلَيْم وبني عامر- بعثوا حَرَامَ بْنَ مِلْحَانَ بكتاب رسول الله ﷺ إلى عدو الله عامر بن الطُّفَيْلِ، فلم ينظر إلى الكتاب وقَتَلَ الرسول، **ثم** استصرخ بني عامر لقتل المسلمين، فأبوا أن يُخْفِرُوا ذِمَّة أبي براء؛ فاستصرخ عُصَيَّةَ، ورِعْلًا، وذَكْوَانَ قبائل من بني سُلَيْمٍ؛ فأجابوه وأحاطوا بالمسلمين، **فلما** رأوهم أخذوا سيوفهم وقاتلوهم حتى قُتِلُوا عن آخِرِهِمْ، إلا كعبَ بن زيد فإنهم تركوه وبه رَمَقٌ، فاندس بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيدًا بسهم[2]، **وأما عمرو** بن أمية الضَّمْرِيُّ، والمنذر بن أُحَيْحَةَ الأنصاري[3]، فلم يُنْبِئْهُمَا بمصاب أصحابهما إلا الطيرُ تحوم حول العسكر، فقالا: والله إن لهذه الطيرِ لشأنًا، فأقبلا لينظرا فإذا القوم

---

(1) ابن هشام 4/ 193، وابن سعد 2/ 51، والبداية 4/ 82، وتأريخ خليفة 76، والاكتفاء 2/ 106، والواقدي 1/ 346، وعيون الأثر 2/ 67.

(2) ينظر: أسد الغابة 4/ 451 رقم 4465، والاستيعاب 3/ 376 رقم 2219، والمغازي 1/ 346.

(3) **ذكر** في الواقدي أنه الحارث بن الصمة، **وكانا** في سرح القوم.

في دمائهم، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة، فقال الأنصاري لعمرو بن أمية: ما ترى؟ قال: أرى أن نلحق برسول الله ﷺ فَنُخْبِرَه الخبر، **فقال الأنصاري**: ما كنت لأرغب بنفسي عن مَوْطِنٍ قُتِلَ فيه المنذر بن عمرو، وقَاتَلَ القومَ حتى قُتِلَ، **وأخذوا** عَمْرًا أَسِيرًا، فلما أخبرهم أنه من مضر أعتقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته، **وفي** الطريق لقي عمرو رجلين من بني عامر نزلا معه في ظل هو فيه فقتلهما ثأرا لأصحابه غَيْرَ عالمٍ بما بينهما وبين رسولِ الله من عَقْدٍ وجِوَارٍ؛ فَوَدَاهُمَا رسولُ الله ﷺ؛ **كان وقْعُ الحادث** مؤلما على رسول الله ﷺ جعله يدعو على الغادرين شَهْرًا في صلاة الصبح، **وقال**: هَذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ، قد كنتُ لهذَا كارِهًا مُتَخَوِّفًا[مجمع الزوائد 6/ 129].

العبرة والدرس:

1-لا شك أنها نكبةٌ فادحة، **لِكنَّ** دَعْوَةً خَاتِمَةً عالميةً كدعوة الإسلام ليس كثيرًا عليها التضحياتُ الجسام، **وأيُّ** هدف لا بد له من ثمن وإن غلا .

2-كان نَشْرُ الدعوة وتعاليم الإسلام مَحَلَّ عناية الرسول الكريم، رغم الخسارة التي مُنِيَ بها بقتل صفوة من رجاله الذين كانوا من قُرَّاءِ المسلمين، **ولولا** تلك التضحيات ما ارتفعت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله.

3-ما من حَدَثٍ إلا وَيُبْدِي الصحابةُ الكرامُ آياتٍ من الفِدَاءِ والحب؛ **فقد** عرض عامر بن الطفيل أن يُؤَمِّنَ المنذر بن عمرو، **لكنه** بَصَقَ أمانه في وجهه، وَأَعْنَقَ إلى الشهادة؛ فسماه النبي ﷺ: الْمُعْنِقَ، أي: المسرع إلى الجنة.

5-ذُكر أن هؤلاء الشهداء لما أحاط بهم الموت طلبوا من الله أن يُبَلِّغَ نَبِيَّهُمْ منهم السلام، فأداه عنهم جبريل عليه السلام.

23- إجلاء بني النضير (سنة أربع) [1]:

بعد أن ظَهَرَتِ الآثارُ السياسيةُ لنكسة المسلمين في معركة أحد بصورة واضحة بعد الحرب، ورغم أن المسلمين أظهروا مقاومةً رائعة عنيدة أمام العدو المنتصر، ومَنَعُوا من رجعته إلى المدينة، وتحقيقِ أهدافه الخطيرة في استئصال المسلمين، إلا أن التحركات الداخلية والخارجية ضد الإسلام بهدف القضاء عليه وعلى رجاله قد تصاعد مَدُّهَا في أعقاب حادثة أحد، وقد تجرأ منافقوا المدينة، ويهودها، والمشركون المتواجدون في شتى البقاع البعيدة خارج المدينة، وبدأوا يحيكون المؤامرات ضد الإسلام وأبنائه، ويجمعون الأسلحة والرجال لشن الحروب والغارات على المدينة، وقد استطاع رسول الله ﷺ وبمهارة فائقة إخماد كل التحركات بإرسال السرايا والمجموعات من المجاهدين، **أمَّا بعد** مقتل سبعين من القراء، وستة قبلهم، وسبعين قبلهم في أُحدٍ - فقد وَجَدَ النبي ﷺ وَضْعَهُ والمؤمنين معه يَتَعَرَّضُ لابتلاء وتمحيص، وَوَصَلَ الدَّقُّ إلى العظم، والحَزُّ إلى العصب، **وأَخْطَرُ** ما يتحسسه من المخاطر غَدْرُ اليهود المجاورين له، **فأراد** أن يختبر يهود بني النضير وهم حلفاء بني عامر أصحاب الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، **فذهب** مع نفر من أصحابه، منهم: علي، وأبو بكر، وعمر، وسعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وأسيد بن

---

(1) الطبقات 2/ 57، والطبري 2/ 550، وابن هشام 3/ 199، والواقدي 1/ 363، وعيون الأثر 2/ 73، ومغلطاي ص 243.**وروي** أنها كانت قبل غزوة بدر بستة أشهر. ينظر فتح الباري 7/ 330، **وسببها** على ما رواه ابن مردويه: أنهم أجمعوا على الغدر؛ فبعثوا إلى النبي: اخرج إلينا مع ثلاثة من أصحابك، ويلقاك ثلاثة من علمائنا، فإن آمنوا بك اتبعناك؛ فاشتمل اليهود على الخناجر؛ فأرسلت امرأة من بني النضير إلى أخ لها من الأنصار تخبره بأمر بني النضير، فأخبر أخوها النبي ﷺ قبل أن يصل إليهم، فرجع وصبحهم بالكتائب فحصرهم يومه، ثم غدا على بني قريظة فحاصرهم، فعاهدوه فانصرف عنهم إلى بني النضير فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، **وقيل**: كانت النضير قد دسوا إلى قريش وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ ودلوهم على العورة. فتح الباري 3/ 332 و 7/ 331، ووفاء الوفاء 1/ 398، وبهجة المحافل 1/ 214.

حضير، يستعينهم في دية القتيلين، فقالوا: نعم، يا أبا القاسم، نُعِينُكَ على ما أحببتَ، ثم خلا بعضُهم ببعضٍ **فقالوا**: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه -ورسولُ الله ﷺ إلى جنب جدارٍ من بيوتهم- فمَنْ رَجُلٌ يعلو هذا البيت فَيُلْقِي عليه صخرة فَيُرِيحَنَا منه؟ **فانتدب** عمرو بن جِحَاشٍ بن كعب وصعد ليلقي عليه صخرة فأتاه الوحي وأخبره بما أراد القوم؛ فقام راجعا إلى المدينة[1]، **فلما** استبطأه أصحابه قاموا في طلبه حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم بما أرادت به اليهود من الغدر، **قال موسى بن عقبة**: ونزل في ذلك: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المائدة:11] **وأُمِرَ** بالتهيؤ لحربهم، **واستعمل** على المدينة ابْنَ أُمِّ مكتوم، **ثم** سار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون، **وفيما** ذَكَرَ ابْنُ سعد أن النبي ﷺ بعث إليهم محمد بن مَسْلَمَةَ: أَنِ اخْرُجُوا من بلدي، فلا تساكنوني بها- وقد هممتم بما هممتم من الغدر- وقد أَجَّلْتُكُمْ عَشْرًا، فمن رُؤِيَ بعد ذلك ضربتُ عنقه؛ **والمعلوم** أن خطر المنافقين أكبر من خطر اليهود؛ **فقد** أرسل إليهم عبدالله بن أبي ومجموعته: أَنِ اثْبُتُوا وَتَمَنَّعُوا فإنا لَنْ نُسْلِمَكُمْ: إن قوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخْرِجْتُمْ خرجنا معكم، **ووعدهم** بألفين من قومه ومن العرب يموتون عن آخرهم دفاعًا عنهم؛ **فقال** كبير بني النضير حيي بن أخطب: لن نخرج من ديارنا يا محمد فاصنع ما بدالك؛ **فحاصرهم** نصف شهر، **وقيل**: ست ليال، وفي بعض ليالي الحصار فُقِدَ علي بن أبي طالب حين قَرُبَ العشاء؛ فقال الناس: ما نرى عليًّا يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «دَعُوهُ فَإِنَّهُ ذَهَبَ لِبَعْضِ شَأْنِكُمْ»، فلم يلبث أن

---

(1) روي أن رسول الله ﷺ دعا علي بن أبي طالب، فقال: «لا تبرح من مكانك، فمن خرج إليك من أصحابي وسألك عني قلت: توجه المدينة»، ففعل ذلك، فتبعه أصحابه حتى إذا انتهوا إليه قالوا: يا رسول الله نهضت ولم نشعر بك، فأخبرهم بما أهمت اليهود به، فأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم.

جاء برأس رجل من اليهود اسمه عَزْوَكَ – وكان أعسر راميا؛ **رمى** فبلغ نبله قبة النبي– فطرحه بين يدي رسول الله ﷺ، فقال لرسول الله ﷺ: إني كَمَنْتُ لهذا فرأيت رجلا شجاعا يطلب غِرَّةً من المسلمين، فَشَدَدْتُّ عليه فقتلته، وفر اليهود الذين معه، **وقال عَلِيٌّ**: إنْ بعثتَ معي نفرا رجوتُ أن أظفر بهم، فبعث معه أبا دجانة، وسهل بن حُنيف في عشرة من أصحابه فأدركوهم قبل أن يدخلوا حصنهم فقتلوهم[الواقدي 2/ 372]، وَأَمَرَ ﷺ بقطع النخيل والتحريق فيها؛ **فنادوه**: يا محمد قد كنتَ تَنْهَى عن الفساد وتَعِيبُهُ على مَنْ صنعه، فما بَالُ قَطْعِ النخيل وتحريقها؟ فنزل قوله الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[الحشر:5][1]. **أقول**: الأمر يقتضي الحسم السريع.

وَلَـمَّا وَجَدَ اليهودُ وُعُودَ ابْنِ أُبَيٍّ سَرَابًا أيقنوا بالهلكة، وطلبوا الأمان على أنفسهم وأموالهم، فصالحهم على أن يخرجوا بأنفسهم، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرًا يحملون عليه ما شاءوا من مال وطعام ما عدا السلاح، **فتركوا** مغانمَ كثيرةً: من غِلاَلٍ، وسلاح بلغ خمسين درعًا وثلاثمائةٍ وخمسين سيفًا، **وكانت** الراية مع علي، وَتَوَلَّى إجلاءهم محمد بن مسلمة، **وكانت** غنائم بني النضير خاصة بالنبي ﷺ؛ لأن المسلمين لم يُوجِفُوا عليها بخيل ولا ركاب، **بل** هو حصار بالمدينة؛ لقوله تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[الحشر:7]، **وقد** وسَّعَ بها على المهاجرين؛ لأنهم غرباء في بيوت الأنصار، فقسم رسول الله ما أفاء الله عليه على المهاجرين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف، وأبا دجانة الأنصاريين؛ فكانا محتاجين، **وقد** أخبر ﷺ الأنصار بوجه الحكمة في إعطاء المهاجرين دونهم؛ فقال لثابت بن قيس بن شماس: «ادع لي قومك»، فقال: الخزرج يا رسول الله؟ قال:

---

(1) أسباب النزول 343، والطبري 14/ 28/ 44.

«الأنصار كلها»، فدعاهم له، فلما اجتمعوا له حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم ذكر الأنصار، وما صنع بالمهاجرين من إنزالهم إياهم في منازلهم، ومقاسمتهم لهم أموالهم، وإيثارهم على أنفسهم، **ثم قال**: إن أحببتم قسمت بينكم وبين المهاجرين ما أفاء الله على بني النضير، وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في منازلكم وأموالكم، وإن أحببتم أعطيتهم وخرجوا من دوركم، فتكلم سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة فقالا: يا رسول الله، بل تقسم بين المهاجرين، ويكونون في دورنا كما كانوا، وفي رواية: واقسم لهم من أموالنا ما شئت، فنادت الأنصار: رضينا رضينا، وسلمنا يا رسول الله، فقال ﷺ: «اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار» فقسم رسول الله ﷺ ذلك بين المهاجرين؛ ليخفف العبء عن الأنصار، وليكون هناك توازن اجتماعي، ثم إنه حر في صرفه كيف يشاء، **ولم يُسْلِمْ** من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عُمير، وقيل: يامين بن يامين بن كعب بن عمرو بن جحاش، وهو ابن عم عمرو بن جحاش، وأبو سعد بن وهب، أسلما فأحرزا أموالهما بذلك؛ **وقد** نزل في بني النضير قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[الحشر:2][1].

ومن جهة أخرى خذلهم عبدالله بن أبي فلم يأتِهِمْ، **كما** اعتزلتهم قُرَيْظَةُ فلم تُعِنْهُمْ بسلاح ولا رجال، **وقد** ذكر القرآن الكريم هذا الخذلان؛ إذ قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ

(1) الطبري 14/ 28/ 37. وأسباب النزول 42.

إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾[الحشر:11-14].

الدرس والعبرة:

1- كشفت هذه الآيات نفسية اليهود الجبانة، والتي انهارت أيضًا بسبب معنويات المسلمين القوية؛ فاليهود رغم اجتماعهم وعددهم الكبير يخافون من مواجهة المسلمين فلا يقاتلونهم إلا في قُرًىً أو من وراء جدر؛ **فهم** يعيشون بنفسية خائفة مذعورة، مرعوبة؛ يعانون من اضطراب وقلق وتفرق كلمة في الواقع.

2- رغم أن بني قريظة إخوتهم في الدين، والمصير المشترك، إلا أنهم لم ينجدوهم.

3- **التاريخ** اليهودي عبر الأزمان يحمل الغدر والمكر والكراهية للآخر، **ولو** رَضُوا بِأَحَدٍ لتعايشوا مع أكرم بني آدم أخلاقا، **لكنهم** حاولوا ذلك العمل الدنيء الغادر وأرادوا قتله وهو في ديارهم، **فهل** بعد هذا خسة ونذالة وسوء توفيق!!

4- **أظهرت** الوقائع أن المنافقين -وهم عَرَبٌ أقحاح- في خط واحد مع اليهود، وهاهو التاريخ يعيد نفسه، وما زالت حليمة في عادتها القديمة، فنحن في هذا الزمان نرى ونسمع تلاميذ أوفياء للمنافقين الأول قد انحازوا إلى الصهاينة المغتصبين لأرض فلسطين المقدسة، والأقصى الشريف بدون حياء ولا مواربة ولا خجل، وقدموا لليهود الدعم السياسي، والمعنوي، والمالي مقابل أن يسكت الغرب الموالي للصهيونية عن فساد هؤلاء الحكام، وكلفوهم بمشروع آخر يخدم الصهيونية والصليبية، وذلك المشروع هو محاربة الشيعة، وإشاعة أن التشيع والمقاومة أخطر

على المسلمين والعرب من الغزاة المحتلين؛ فصاروا ينعقون عبر كل الوسائل الإعلامية، وعبر منابر المساجد بنفس ما يردده زعماء الصهاينة ووسائل إعلامهم، وليس لنا أمام هذه الفاجعة الأخلاقية إلا أن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم، ونستعيذ بك من شرورهم، فاجعل الدائرة عليهم؛ واكفناهم كيف شئت وأنى شئت يا رب العالمين.

5- **أخيرا** رضخ اليهود لمطلب رسول الله ﷺ؛ لما وجدوا حليفهم ابن أُبَيٍّ قد غَرَزَ ذَنَبَهُ في الأرض متواريًا؛ **فالنبي** ﷺ والمسلمون ليسوا لقمة سائغة يسهل ابتلاعها؛ **وبهذا** النصر المؤزر تنفس المسلمون الصعداء، واستعادوا شيئًا من هيبتهم، واستروحوا الفرج.

24- غزوة ذات الرِّقاع (في جمادى الأولى سنة أربع)[1]:

لم يَطْرَبْ ﷺ كثيرًا للنصر على بني النضير؛ فالمخاطر جمة؛ إذ ظل ناشرًا عيونه، راصدًا التحركات في الجزيرة قاطبة، **فبلغه** أن قبائل نجد تتجمع؛ فتحرك لغزوهم، **فخرج** في أربعمائة، **وقيل**: سبعمائة أو ثمانمائة، وبث السرايا يتتبع الأعداء، فوجد ديارهم بَلاَقِعَ قد هربوا مع الوعول في رؤوس الجبال ينظرون إلى المسلمين؛ **فخاف** الناس بعضهم بعضًا؛ **الأعراب** خائفون أن لا يبرح النبي ﷺ حتى يستأصلهم، **والمسلمون** خائفون أن يُغِيْرُوا عليهم من الجبال؛ **فصلى** بأصحابه صلاة الخوف، **قال ابن سعد**: وكان ذلك أول ما صلاها، **وحينما** زال خطرهم وتفرقوا رجع النبي ﷺ سالما[2].

---

(1) **إنما قيل** لها ذات الرقاع؛ لأنهم رقعوا فيها راياتهم، **وقيل**: شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع، **وقيل**: لأن الحجارة أوهنت أقدامهم رقاعًا، **وقيل**: جبل فيه بقع حمر وسود وبيض، فقيل لها: ذات الرقاع، **وقيل**: إنها وقعت في محرم سنة أربع، **وقيل**: في المحرم سنة ست.

(2) ابن هشام 3/ 214، والواقدي 1/ 395، والبداية والنهاية 4/ 95، والطبقات 2/ 61، والطبري 2/ 555، وعيون الأثر 2/ 79، والروض الأنف 3/ 253، ومغلطاي 245. **وقد تقدم** لنا غزوة ذي أمر =

الدروس: 1- يضيق أحدنا بمفتاح الكهرباء إن بَعُدَ عن سرير نومه كَسَلًا وعَجْزًا، **وهذا** سيد الخلق يركض في الفَيَافِي مع أصحابه ذهابًا وإيابًا؛ فجزاه الله خير ما جزى نَبِيًّا عن أمته، وجزى أصحابه خير الجزاء.

2- نقلت كتب السِّيَرِ صورةً للإيمانِ الذي مَسَّ شِغَافَ القلوب؛ **فقد** روى عمار بن ياسر أنه وزميلَه عباد بن بشر -استشهد في اليمامة- تَكَفَّلَا بحراسة المسلمين، **فنام** عمار أول الليل وصَاحِبُهُ قائم يصلي، **فأصيب** بثلاثة سهام متتابعة ولم يتحرك حتى نزل للسجود ينزف دمًا؛ فحرَّك عمارًا يحذره من خطر العدو؛ **فلامه** عمار على عدم إيقاظه من أول سهم، **فقال**: كُنْتُ في آية أتلوها ما أحببت أن أقطعها، ولولا خَشْيَةُ أَنْ أُضَيِّعَ الثَّغْرَ ما أيقظتك ولو أتى على نفسي[1]!.

3- **كان** الرسول ﷺ يسير في أواخر أصحابه أحيانا؛ ليتعرف أحوالهم حال السفر بصورة أدق وأوفى، **وكان** يحرص كل الحرص على معرفة أخبارهم مباشرة

أو أنمار، **والظاهر** أنها هذه؛ وذلك لما بينهما من تشابه في الأحداث للأسباب التالية: **1**- في سند القصتين عند الواقدي عبدالرحمن بن محمد بن أبي بكر، عن عبدالله بن أبي بكر وغيرهما، **قال الواقدي في كليهما**: وقد زاد بعضهم على بعض في الحديث. **2**- استخلف على المدينة عثمان بن عفان عند الواقدي في كليهما، **وكذلك** ابن سعد، وابن هشام، إلا أن ابن هشام ذكر أنه قيل: إنه أبو ذر، لكن يدفعه أن أبا ذر أسلم بمكة ورجع إلى بلاده ولم يأت النبي إلا بعد الخندق. **3- هدف الغزوة**: هم قبائل من نجد من بني ثعلبة ومحارب في الغزوتين. **4**- القوم هربوا من النبي ﷺ وأصحابه إلى رؤوس الجبال في الغزوتين. **5**- قصة دعثور (غورث) ذكرت في بعض المصادر في غزوة ذي أمر دون تصريح باسمه، **وفي** بعضها في غزوة ذات الرقاع مع التصريح باسمه، **وقد** أشار ابن سيد الناس بأن الخبرين واحد[2/ 80]. **6**- صُرِّحَ باسم مَنْ جمع قبائل نجد في ذي أمر وهو «غورث» المتقدم ذكره. **7**- ليس بينهما من فوارق، إلا أنه ذكر في ذات الرقاع صلاة الخوف، وقصة جمل جابر، وشيء آخر هو الفرق في تاريخ الغزوتين، على أنهم قد اختلفوا في تاريخ كل غزوة على حدة، **وقد** ضَعَّفَ البَعْضُ ذكر صلاة الخوف في هذه الغزوة. **8**- يضاف إلى ذلك قول موسى بن عقبة في مغازيه: لا يُدرى متى كانت هذه الغزوة؟ قبل بدر أو بعدها، **أو** فيما بين بدر وأحد، **أو** بعد أحد. زاد المعاد2/ 112.

(1) سيرة ابن هشام 3/ 214، وزاد المعاد 2/ 112.

بدون واسطة نَقَلَةِ الأخبار الذين ربما يُؤَثِّرُ في نقلهم ارتباطاتُهُمُ الاجتماعية، أو توجهاتهم السياسية؛ **فمن** لوازم القيادة الناجحة أن تكون على علم بأحوال الرعية الخاصة قبل العامة؛ ماذا يعانون من ضغط الظروف، وما يتحملونه من مشاق قد تكون ناجمة عن فقدان أب أو أم، وتحمل أعباء الأسرة كما في قصة جابر؛ إذ قال له ﷺ: «مَا شَأْنُكَ»؟ قُلْتُ: أَبْطَأَ عَلَيَّ جَمَلِي وَأَعْيَا فَتَخَلَّفْتُ، فَنَزَلَ يَحْجُنُهُ بِمِحْجَنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «ارْكَبْ» فَرَكِبْتُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ أَكُفُّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! قَالَ: «تَزَوَّجْتَ»؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا»؟ قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: أَفَلَا جَارِيَةً تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ؟ قُلْتُ: إِنَّ لِي أَخَوَاتٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَتَزَوَّجَ امْرَأَةً تَجْمَعُهُنَّ وَتَمْشُطُهُنَّ وَتَقُومُ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: «أَمَا إِنَّكَ قَادِمٌ فَإِذَا قَدِمْتَ فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ»، ثُمَّ قَالَ: أَتَبِيعُ جَمَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَاشْتَرَاهُ مِنِّي بِأُوقِيَّةٍ، ثُمَّ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلِي وَقَدِمْتُ بِالْغَدَاةِ فَجِئْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ فَوَجَدْتُهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ قَالَ: «أَالْآنَ قَدِمْتَ»؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَدَعْ جَمَلَكَ فَادْخُلْ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، فَدَخَلْتُ فَصَلَّيْتُ، فَأَمَرَ بِلَالًا أَنْ يَزِنَ لَهُ أُوقِيَّةً، فَوَزَنَ لِي بِلَالٌ فَأَرْجَحَ لِي فِي الْمِيزَانِ، فَانْطَلَقْتُ حَتَّى وَلَّيْتُ، فَقَالَ ادْعُ لِي جَابِرًا، قُلْتُ: الْآنَ يَرُدُّ عَلَيَّ الْجَمَلَ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْهُ، قَالَ: «خُذْ جَمَلَكَ وَلَكَ ثَمَنُهُ» فعرف جابر أنها وسيلة مهذبة لمساعدته على كفالة أخواته.

4- العلاقة بين القائد والرعية هي علاقة إنسان بإنسان تقوم على الإحساس بالمسئولية، والواجب الإنساني تجاه الناس، **وقد** وَضَّحَ النبيُّ ﷺ ذلك في أكثر من موقف؛ وفقنا الله للسير على هداه، والتأسي به ﷺ.

25- غزوة بدر الآخرة[1] وتسمى بدر الصغرى، وبدر الموعد (في شعبان سنة أربع):

خرج ﷺ للموعد الذي ذكره أبو سفيان يوم أحد في ألف وخمسمائة مقاتل، **واستخلف** على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أُبَيٍّ، **وحمل** اللواء علي بن أبي طالب، **فأقام** ببدر ثمانية أيام، **وخرج** أبو سفيان بن حرب من مكة في قريش وهم ألفان، ومعهم خمسون فرسا؛ غير أن أبا سفيان بدا له الرجوع من الظَّهْرَانِ؛ متعللًا بالقَحْطِ، وقال: ارجعوا فإنه لا يُصْلِحُنَا إلا عامٌ خِصْبٌ غَيْدَاقٌ؛ نرعى فيه الشجر، ونشرب اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب فارجعوا؛ فَسُمُّوا: جَيْشَ السَّوِيقِ، **وقيل: لم يخرج**.[الواقدي 1/ 385].

الدرس والعبرة:

1- **يظهر** من مبادرة النبي ﷺ للموعد، وإقامته الطويلة في بدر **حِرْصُهُ** الشديد على مسح آثار أحد، والرجيع، وبئر معونة، وإعادة معنويات المسلمين كما كانت؛ **يدل على ذلك** أن أبا سفيان أرسل نُعَيْمَ بْنَ مسعود إلى المدينة يثبط الناس، ويُرْجِفُ بما جمع أبو سفيان من الجموع العظيمة؛ **فقال** النبي ﷺ بنبرة حازمة: «والذي نفسي بيده لأخرجن وإن لم يخرج معي أحد».

2- **كم كان قرار النبي ﷺ حكيمًا حين خرج؛ فقد خذل الله قريشًا فلم تخرج، وصادف موسمَ بدرٍ وهي سوق عظيمة للعرب، وكم هي فرصة ثمينة، ودعاية ضخمة أن يكون النبي ﷺ مُسَيْطِرًا على الساحة، يتحدى أبا سفيان فلم يأت.**

3- **لم يغب عن بال النبي ﷺ أن يأمر أصحابه بأخذ تجارتهم معهم؛ ليستفيدوا من موسم السوق، وَلِيُعَلِّمَ أصحابه وأمته أهميةَ الجانب الاقتصادي، وأنه مع الجهاد**

---

(1) ابن هشام 3/ 220، والواقدي 1/ 384، والبداية والنهاية 4/ 100، والسيرة النبوية لابن كثير 3/ 169، والطبقات 2/ 59. **وقيل**: في شوال، **وقيل**: في ذي القعدة، **وهو** المناسب لموسم بدر؛ حيث كان الناس يجتمعون بها ويتبادلون التجارة.

في خَطَّيْنِ متوازيين، **وقد** ربحوا في الدينار دينارًا، **كما** يريد أن يُظْهِرَ للعرب أنه غير مكترث بعدوه[1]، وأنه لا يتضعضع، وَلِسَانُ حاله الشريف يُنشد:

وَتَجَلُّدي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ ... أَنّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ

26- غزوة دُومَةِ الجَندل[2] (في ربيع الأول على رأس 49 شهرًا هـ)

خرج ﷺ في ألف من المسلمين، يسير لَيْلًا ويَكْمُنُ نَهَارًا، **ودليله** رجل من بني عُذْرَةَ، **واستعمل** على المدينة سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ الغفاري؛ **وسبب هذه الغزوة**: أن جماعة بها كانوا يظلمون الناس، ويقطعون الطريق، ويريدون أن يقتربوا من المدينة، فلما دنا النبيﷺ منهم إذا هم مُغَرِّبُونَ أي: بعيدون، أو في ناحية المغرب، وإذا آثار النعم والشاء؛ فهجم على ماشيتهم ورعاتهم فأصاب مَنْ أصاب[3]، وهرب من هرب، وانتشر الخبر فتفرقوا، ونزل رسول الله ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أَحَدًا، فأقام بها أيامًا، وبث السرايا فلم تُصِبْ منهم أَحَدًا سوى رجل أُسِرَ، فسأله رسول الله ﷺ عنهم؛ فقال: هربوا حين سمعوا أنك أخذت نعمهم، فعرض عليه الإسلام فأسلم[الطبقات 2/ 62]. **عاد** النبيﷺ ظَافِرًا مَسْرُورًا بنعمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنفوذ الواسع الذي حققه لدولة الإسلام.

الدرس والعبرة:

لا يكاد عجبي ينقضي من النبي الطاهر والصحب الأخيار وهم يطوون الصحراء الحارقة مسافة شهر ذهابا وإيابا؛ من أجل إقامة العدل، وزرع الأمن في ديار الناس وطرقهم حتى ولو لم يكونوا تحت نفوذ الدولة الإسلامية الفتية؛ ما دام

---

(1) تاريخ الإسلام «المغازي» ص 203، ودلائل النبوة 3/ 385.

(2) بلدة على بُعْدِ خمس أو ست عشرة ليلة من المدينة قرب تبوك، بينها وبين دمشق خمس ليال. ابن هشام 3/ 224.

(3) ذكر ابن هشام 3/ 224 أن رسول الله ﷺ رجع قبل أن يصل إليها، ولم يلق كيدًا.

قادرًا على ذلك، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يوم وُلِدَ، ويوم بُعِثَ، ويوم مَاتَ، ويومَ يُبْعَثُ حَيًّا.

27-غزوة بني المُصْطَلِقِ(المريسيع)[1] (يوم الاثنين 2 شعبان سنة 5[2]):

بلغ النبي ﷺ أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المُصْطَلِقِ يجمع الناس لحربه، **فبعث** بُرَيْدَةَ ليستطلع خبرهم، **فجاء** إلى الحارث وأوهمه أنه من المناصرين له، فأتى النبي ﷺ بمعلومات كافية عن تحركاتهم، **استخلف** النبي ﷺ على المدينة زيد بن حارثة **وقيل**: أبا ذر، **وخرج** معه من نسائه: عائشةُ، وأمُّ سلمة رضي الله عنهما، **وخرج** في جيشه كثير من المنافقين يريدون الدنيا، **وفي** الطريق أُلْقِيَ القبض على جاسوس للمشركين فقتل. **وصل** النبأ لجموع المشركين بمسير النبي ﷺ وقَتْلِ الجاسوس؛ فتفرق العرب عن الحارث وبقي في قومه. **انتهى** النبي ﷺ إلى المريسيع، **وأمر** بندائهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، فَأَبَوْا؛ فتراموا ساعة، **فحمل** عليهم المسلمون حملة رجل واحد، **فَقُتِلَ** من المشركين عشرة، **قتَلَ** عليٌّ فارسين، وعبدالرحمن بن عوف فارسًا، وأَسِرُوا جميعًا، وسُبِيَتِ النساءُ والذرية، وأُخِذَتْ كُلُّ أموالهم: ألفا بعيرٍ، وخمسة آلاف شاة، وسبيت مائتا أسرة[3].

---

(1) ماء لخزاعة على ثمانية بُرُدٍ مِنَ المدينة، نحو الساحل. ينظر: البداية والنهاية 4/ 178، وتأريخ خليفة 80، ومحمد رضا 221، وسبل الهدى 4/ 486، وسيرة ابن هشام 3/ 302، وعيون الأثر 2/ 134، والواقدي 1/ 404، وابن سعد 2/ 62، ومغلطاي ص 256.

(2) **وبه** قال ابن سعد، والواقدي، والبيهقي في دلائل النبوة 4/ 44، **ورجح** الحافظ ابن حجر ذلك. انظر: الفتح 7/ 495، **وقيل**: سنة 4هـ، **ذكره** موسى بن عقبة، **وقيل**: سنة 6هـ، **ذكره** ابن إسحاق وغيره، **وقد** قدمناها على غزوة الخندق؛ اتباعا لكثير من أصحاب السير والتاريخ؛ ولأن فيها حديث الإفك، وجرى فيه ذكر سعد بن معاذ، وسعد أصيب يوم الخندق، فعلم بهذا أن غزوة المريسيع قبلها، **وقد قيل**: **إن** ذكر سعد بن معاذ وَهَمٌ؛ والصواب سعد بن عبادة؛ **لذلك** رجح البعض ما ذهب إليه ابن إسحاق من أن الغزوة كانت في السنة السادسة. ينظر: زاد المعاد 2/ 115.

(3) وروى البخاري 2/ 890 رقم 2403: أنه أغار على بني المصطلق، وهم غارُّون، وأنعامهم تسقى على الماء، فقتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، **وقد** علق الغزالي على هذه الرواية بقوله: رواية الصحيحين تشعر =

زواجه ﷺ بجويرية رضي الله عنها:

كان في السبايا بَرَّةُ بنتُ الحارث وقعت في سهم أحد الأنصار **فَكَاتَبَتْهُ**[1] على نفسها؛ فجاءت إلى النَّبِيِّ ﷺ تستعينه، وَشَكَتْ له ما نزل بها وبأهلها، فقال: هل لك في خير من ذلك؟ أدفع عنك وأتزوجك؟ فَرَحَّبَتْ بذلك وتزوجها[2]، وسماها جُوَيْرِيَةَ **فلما** علم الناسُ بذلك أطلقوا ما في أيديهم وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ؛ فلقد أُطْلِقَ من قومها من الرِّقِّ مائةُ أسرة؛ **فما** كان أبرك منها على قومها! **وأصيب** من المسلمين هشام بن صُبَابَةَ، أصابه رجل من الأنصار عن طريق الخطأ، **وَقَدِمَ** أخوه مِقْيَسُ من مكة مظهرًا للإسلام وأخذ دية أخيه، ثم عَدَا على قاتل أخيه فقتله وفَرَّ مُرْتَدًّا[أسد الغابة 5/ 375]، **وقد** وقع في هذه الغزوة حوادث خطيرة، أسهم المنافقون في تضخيم نتائجها:

الحدث الأول: أَنَّ جَهْجَاهَ بْنَ مسعود أَجِيرَ عُمَرَ بْنِ الخطاب، وسِنَانَ بن وَبْرٍ الجُهَنِي حليفَ الخَزْرَجِ اقتتلا على الماء؛ **فصرخ الجهني**: يا معشر الأنصار، **وصرخ** جهجاه: يا معشر المهاجرين؛ **فغضب** عَبْدُاللهِ بْنُ أُبَيٍّ، وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم غلام حَدَثٌ، وقال: أَقَدْ فَعَلُوهَا؟ نافرونا وكَاثَرُونَا في بلادنا، والله ما أَعُدُّنَا وجلابيبَ[3] قريش إلا كما قيل: سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلْكَ، أما والله لئن رَجَعْنَا إلى

بأن الرسول ﷺ باغت القوم وهم غارون، ما عرضت عليهم دعوة، ولا بَدَا من جانبهم نكوص، ولا عُرِفَ من أحوالهم ما يقلق، **وَقِتَالٌ** يبدؤه المسلمون على هذا النحو مستنكر في منطق الإسلام، مستبعد في سيرة رسوله، **ومن ثم** رفضت الاقتناع بأن الحرب قامت على هذا النحو. فقه السيرة ص 10.

(1) طلبت أن يعتقها مقابل أن تدفع له مبلغا من المال لتصير حرة بعد دفع مال الكتابة.

(2) وروي أنه زوجها أبوها بعد أن أسلم، ودفع النبي إليه ابنته، فأسلمت وحسن إسلامها، فخطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فزوجه إياها، وأصدقها أربعمائة درهم. سيرة ابن هشام 3/ 308.

(3) **جلابيب**: لقب من كان أسلم من المهاجرين، لقبهم بذلك المشركون، وأصل الجلابيب: الأزر الغلاظ، وكانوا يلتحفون بها فلقبوهم بذلك. ابن هشام 3/ 303.

المدينة لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، ثم أقبل على مَنْ عنده وقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم؛ **فمشى** زيد بن أرقم إلى رسول الله ﷺ فأخبره، وقد فرغ من عدوه، وعنده عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقال: مُرْ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ فليقتله، **فقال**: يا عمر لا يَتَحَدَّثُ الناسُ بأن محمدًا يقتل أصحابه، **ولكن** نَادِ في الناس بالرحيل- في ساعة لم يكن رسول الله ﷺ يرتحل فيها - فارتحل الناس، ومشى عبدالله بن أبي إلى رسول الله ﷺ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بَلَّغَهُ؛ **فحلف** بالله ما قُلْتُ ولا تَكَلَّمْتُ- وكان في قومه شريفًا عظيمًا- **فقال** من حضر من الأنصار من أصحابه: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد وَهِمَ في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل؛ حَدَبًا على ابن أُبَيّ ودَفْعًا عنه، **فلما** استقل رسول الله ﷺ وسار لقيه أسيد بن حضير فحيَّاه بتحية النبوة، **وقال**: يا رسول الله ما كنتَ تروح في مثل هذه الساعة؟ فأخبره بما قال ابنُ أبي، **قال**: فأنت يا رسول الله تخرجه منها إن شئت، وهو والله الذليل وأنت العزيز، **ثم قال**: يا رسول الله ارْفُقْ به، فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لَيَنْظِمُونَ له الخَرَزَ لِيُتَوِّجُوهُ؛ فإنه لَيَرَى أنك قد استلبته مُلْكًا، **ثم** مشى رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصَدْرَ يومهم ذلك حتى آذَتْهُمُ الشمس، **ثم** نزَل بالناس فما وجدوا مَسَّ الأرض حتى وقعوا نيامًا؛ وإنما فعل ذلك ليشغل الناس عن حديث عبدالله بن أبي، **ونزلت** سورة المنافقون مُصَدِّقَةً ما قال زيد بن أرقم، **وجاء عبدالله بن عبدالله بن أبي** رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، بلغني أنك تريد قَتْلَ أبي، فإن كنتَ لابد فاعلًا فَمُرْنِي به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد عَلِمَتِ الخزرج ما من رجل أَبَرَّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر غيري بقتله فلا تَدَعُنِي نفسي أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فَأَقْتُلَهُ!! فَأَقْتُلَ مؤمنًا

بكافر فَأَدْخُلَ النار، فقال رسول الله ﷺ: بل نترفق بـه، ونُحْـسِنُ صـحبته مـا بقـي معنا[1]! **وكان** بعد ذلك إذا أَحْدَثَ ابنُ أُبَيٍّ الحَدَثَ كـان قومـه هـم الـذين يعاتبونـه ويأخذونه ويعنفونه؛ **فقال** رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ حين بلغه ذلـك مـن شأنهم: كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قَتَلْتُهُ يوم قُلْتَ لي: اقْتُلْهُ لأُرْعِدَتْ لـه آنُـفٌ[2] لو أَمَرْتُها اليوم بقتله لَقَتَلَتْهُ؛ فقال عمر: قد والله علمتُ لَأَمْـرُ رسـولِ الله ﷺ أَعْظَـمُ بَرَكَةً من أمري؛ **وبَعْدَ** أن أخذ الناس قسطًا من الراحة ارتحلوا حتى كانوا قريبًـا مـن المدينة- حطوا قليلًا للراحة ثم ارتحلوا وحملوا هودج عائشة، ولم تكن فيه.

الحدث الثاني: **حديث الإفك**: **قالت** عائشة: كنت إذا رُحِّلَ لي بعيري جَلَسْتُ في هَوْدَجِيْ، ثم يرفعه الموكَّلون بي، **فلما** قَرُبَ النبي ﷺ من المدينة استراح في مكانٍ بَعْضَ الليل، **ثم** أَذَّنَ في الناس بالرحيل فارتحل الناس، وخرجتُ لقضاء حاجتي **وفي** عنقي عِقْدٌ، فسقط مني، فبقيت أبحث عنه حتى وجدته، **واحتمل** القوم الهودج يظنونني فيه وانطلقوا، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب، فَتَلَفَّفْتُ بجلبابي ثم اضطجعت في مكاني، وعرفتُ أَنْ لَوْ قد افتُقِدْتُّ لرُجِعَ إِلَيَّ، فوالله إني لمضطجعة إذ مَرَّ بي صفوانُ بن المُعَطَّلِ السُّلَميُّ[3]، **وقد** كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم يَبِتْ مع الناس، فرأى سوادي فأقبل حتى وقف عَلَيَّ، وكان يراني قبل أن يُضْرَبَ علينا الحجابُ، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة رسول الله ﷺ! وأنا متلففة في ثيابي، وقال: ما خَلَّفَكِ يرحمك الله؟ فما كلمته، ثم

---

(1) البداية والنهاية 4/ 181، والطبري 2/ 608، وابن هشام 3/ 309، وتاريخ الإسلام للـذهبي (المغـازي) ص 268، وذكره السهيلي 2/ 356.

(2) **معنى** لأرعدت له أنوف أن النبي ﷺ لو أخذ باقتراح عمر بقتل ابن أُبَيٍّ لدافع عنه أناس حمية وعصبية، ولكنه اليوم وبعد أن خذله أناسه المدافعون عنه لو أمرهم بقتله لقتلوه دون إبطاء. السيرة الحلبية 2/ 291.

(3) أسد الغابة 3/ 31، وسير أعلام النبلاء 2/ 545.

قَرَّبَ البعير وقال: اركبي، واسْتَأْخَرَ عني، فركبت وأخذ برأس البعير فانطلق سريعًا يطلب الناس فما أدركناهم، وما افْتُقِدْتُّ حتى أصبحتُ، ونزل الناس **فلما** اطمأنوا طلع الرجل يقود بي؛ **فقال** أهل الإفك ما قالوا؛ فارتَجَّ العسكر، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك، **وفي** المدينة لم ألبث أن مرضت مرضًا شديدًا، ولا يبلغني من ذلك شيء، **وقد** انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أَبَوَيَّ، ولا يذكرون لي منه قليلًا ولا كثيرًا، إلا أني قد أنكرتُ من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي؛ كنت إذا اشتكيتُ رحمني ولَطَفَ بي، ولم يفعل ذلك بي في شكواي تلك؛ فَوَجِدتُّ في نفسي لجفائه واستأذنتُ أن أنتقل لأمي تُمَرِّضُنِي، فقال: لا عليك، وكان إذا زارني عند أمي لا يزيد على: كيف تِيكُمْ؟ حتى نَقِهْتُ من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة؛ **فخرجتُ** ليلة لبعض حاجتي ومعي أم مِسْطَحٍ بنت أبي رُهْمٍ بن المطلب بن عبدمناف، فعثرتْ في كسائها، فقالت: تَعِس مِسْطَحٌ، **قلت:** بئس ما قلت لمهاجر شهد بدرًا، **قالت:** أوما بلغك الخبر؟ **قلت:** وما الخبر؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك؛ فما قدرت أن أقضي حاجتي، ورجعت، وما زلت أبكي حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدي، وعاتبتُ أمي لعدم إخباري، فَهَدَّأَتْ من رَوْعِي، **وقام** رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم - ولا أعلم بذلك - فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، ما بال رجالٍ يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهم غير الحق، والله ما عَلِمْتُ منهم إلا خيرًا، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيرًا، وما يدخل بيتًا من بيوتي إلا وهو معي»[1]؟!- **وكان** الذي تولى كِبْرَهُ وأشعل قصة الإفك عبدالله بن أبي وتناقلها الناس، ووقع في الإفك: مِسْطَحٌ، وحسان، وحَمْنَةُ بنت جحش؛ لأن أختها زينب

---

(1) البخاري 2/ 923-944 رقم 2518، و 24530، ومسلم 4/ 2129 رقم 2770، والترمذي 5/ 31 رقم 3180، والبيهقي 7/ 302، وابن حبان16/ 13-20 رقم 7099، وأبو يعلى 8/ 571 رقم 4927، 4929.

زوج النبي ﷺ كانت المنافسة الوحيدة لعائشة في جمالها. **فأما** زينب فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرًا- **فأجاب** رسولَ الله ﷺ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وهو من الأوس: يا رسول الله إن كان القائل من الأوس كفيناك إياه، وإن كان من الخزرج فَهُمْ أَهْلٌ لأَنْ تُضْرَبَ أعناقهم، **فقال** سعد بن عبادة: كذبتَ لا تُضْرَبُ أعناقهم؛ وما قلتَ هذه المقالة إلا لأنك قد عرفت أنهم من الخزرج؛ ولو كانوا من قومك ما قُلْتَ هذا، فقال أسيد: كذبت لَعَمْرُ اللهِ ولكنك منافق تجادل عن المنافقين[1]، **وكاد** يتفاقم الشر بين الأوس والخزرج، **ونزل** رسول الله ﷺ من المنبر فدخل عَلَيَّ، **فدعا** علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، **فأما** أسامة فأثنى خيرًا وأشار بالذي يعلم من براءتي، **وأما** علي فقال: يا رسول الله لم يُضَيِّقِ اللهُ عليك، والنساءُ سواها كثير، وسَلِ الجارية تَصْدُقْكَ[2]؛ **فدعا** رسول الله ﷺ بَرِيرَةَ فقال: أَيْ بَرِيرَةُ هل رأيتِ من شيء يَرِيبُكِ؟ قالت له: والذي بعثك بالحق ما رأيتُ عليها أمْرًا قط أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله، **قالت**: ثم دخل عَلَيَّ رسول الله ﷺ وعندي أبواي وامرأة من الأنصار، وأنا

---

(1) في البخاري 2/ 942 رقم 2518: فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقال سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج: كذبت لعمرو الله لا تقتله، ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن الحضير فقال: كذبت لعمرو الله، والله لتقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فبين رواية البخاري ورواية ابن هشام تناقض واضطراب، والله أعلم بصحة ذلك؛ فأسيد وسعد وسعد من خيرة الأنصار مروءة وتقوى.

(2) ذكرت بعض كتب السير أن عليًا ضرب الجارية ضربًا شديدًا يقول لها: اصدقي رسول الله، **وهو** كلام غير صحيح؛ فلا يعقل أن يسكت النبي ﷺ على ضرب الجارية ظلمًا، **ثم** إن عليًّا معروف بالورع، **وهو** وإن كان يعيش أَلَـمًا وعارا؛ لأنه من لحم رسول الله ودمه، إلا أنه ليس بجلاد، **وما** عُـرِفَ عنه إلا كظم الغيظ، وتحري الحق، **وهو** الذي أوصى أهله أن يعاملوا ابن ملجم الذي اغتاله معاملة كريمة، ونهاهم عن الْـمُثْلَةِ به، **وهو** الذي عفى عن عائشة وأحسن إليها بعد قيادتها لحرب الجمل الدامية، فخُلُقُهُ خُلُقُ رسول الله ﷺ فهو نسخة منه. والله سبحانه وتعالى أعلم.

أبكي وهي تبكي معي، فجلس فحمد الله، ثم قال: يا عائشة إنه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، فإن كنتِ قد قارفتِ سُوْءًا مما يقول الناس فتوبي إلى الله؛ فإن الله يقبل التوبة عن عباده، فوالله ما هو إلا أن قال لي ذلك **فقَلَصَ** دمعي[جَفَّ] حتى ما أُحِسُّ منه شيئًا، وانتظرتُ أَبَوَيَّ أن يجيبا عني رسول الله ﷺ فلم يتكلما، وايمُ اللهِ لأنا كُنْتُ أَحْقَرَ في نفسي وأصغرَ شأنا من أن يُنْزِلَ اللهُ فِيَّ قُرْآنًا يُقْرَأُ به في المساجد ويُصَلَّى به، ولكن قد كنت أرجو أن يَرَى رسول الله ﷺ في نومه شيئًا يكذب الله به ما قيل عني، أو يُخْبَرَ خبرًا، **فلما** لم أر أبوي تكلما قلت: ألا تجيبان رسولَ الله؟ فقالا: والله ما ندري بماذا نجيبه؟ ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام؛ **فاستعبرت** وقلت: **والله** لا أتوب مما ذكرتَ أبدًا، **والله** إني لأعلم لئن أقررتُ بما يقول الناس والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقونني، ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[يوسف:18]، **فلم** يبرح رسول الله ﷺ مجلسه حتى نزل عليه الوحي، ثم سُرِّيَ عنه فجلس وإنه لَيَتَحَدَّرُ منه مِثْلُ الجُمَانِ [الدُّرِّ] في يوم شَاتٍ فجعل يمسح الْعَرَقَ عن جبينه ويقول: أبشري يا عائشة فقد أنزل الله بَرَاءَتَكِ، قلت: بحمدِ الله، **ثم** خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن في ذلك، **ثم** أمر بِمِسْطَحِ بن أثاثة، وحسانَ بْنِ ثابت، وحمنةَ بنتِ جحش **وكانوا** ممن أفصح بالفاحشة فَجَلَدَهُمْ حد القذف، **قال ابن إسحاق** عن بعض رجال بني النجار: إن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب أتسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى وذلك لَكَذِبٌ، أَكُنْتِ يا أُمَّ أيوب فاعلة؟ قالت: والله ما كنت لأفعله، قال فعائشةُ والله خير منك[1]، **ومما** نزل من القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو

---

(1) ابن هشام 3/ 315، والاكتفاء 2/ 170.

بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[النور:11-20]؛ **فقال أبو بكر**: والله لا أُنْفِقُ على مسطح؛ لقوله في عائشة ما قال، **وكان** ينفق عليه؛ **فأنزل** الله في ذلك: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾[النور:22]، **فقال أبو بكر**: بلى والله إني لأُحِبُّ أن يغفر الله لي؛ فأنفق على مسطح(1).

الدروس والعبر: 1-لم يبلغ المشركون من أذية رسول الله ﷺ ما بلغ ابنُ أُبَيٍّ، فما أَدْمَى قَلْبَ رسول الله مصيبةٌ كحديث الإفك؛ لأنه تعرض فيه للمساس بشرفه، ثم لا يقدر أن يفعل شيئًا؛ لأن الذي بث السم غَارِزٌ بِذَنَبِهِ في الأرض؛ وما جعل الله

(1) البخاري رقم 3910 بتصرف يسير، وتفسير الطبري 10/ 18/ 118، وتفسير الرازي 2/ 23/ 175، والقرطبي 6/ 2/ 132، وأسباب النزول 265، ومجمع البيان 7/ 228، وابن هشام 3/ 316، والاكتفاء 2/ 165.

الدرك الأسفل في جهنم للمنافق إلا لخطورته؛ فالمنافق يتلون ويتبدل: يبكي وهو كاذب، ويضحك وهو كاذب، إن النفاق وباءٌ فَتَّاكٌ عانى منه النبي ﷺ ما عانى، وتحدث عنه القرآن طويلًا، ورغم ذلك احْتَرَمَ النبي ﷺ إِيمَانَ المنافقين الظاهر، وعُومِلُوا معاملة المسلمين؛ فأيُّ دِيْنٍ هذا ما أجمله؟! وأي نبي ما أكمله؟! يقول في شأن رأس النفاق: «لاَ، بَلْ نُحْسِنُ صُحْبَتَهُ»!.

2- أي مدرسة تعلم فيها الحي بن الميت: عبدالله بن عبدالله بن أبي؟ الذي استعد أن يقطع رأس أبيه إِرْضَاءً لله ورسوله، وقد وقف هذا الفتى على باب المدينة ومنع أباه من الدخول قائلًا: والله لا تدخل إلا بأمر رسول الله؛ فهو الأعَزُّ وأنت الأذَلّ.

3-جِمَاعُ الدنايا في التعيير بالرزق، فابن أُبَيٍّ لم يُنفِقْ على أحد حتى يُعيِّرَ به، **فالذين** تبوأوا الدار والإيمان هم السابقون من الأنصار؛ لكنه عَيَّرَ بمكارم غيره؛ وهو لُـؤْمٌ اشترك فيه مع المشركين الذين حَصَرُوا الرسول في الشعب، **وهو** السلاح الذي أصيب به المستكبرون في عالم اليوم، ويحصدون به ملايين الضعفاء في الشعوب المنكوبة، **والعراق** الذي مات الملايين من أطفاله وشيوخه ونسائه ورجاله، **وكذلك** غزة في فلسطين أوضح برهان.

4-نزلت سورة النور تُفَصِّلُ نظام الأسرة تفصيلًا يبهر العقول، ويدهش الألباب، وأنَّى لأَرقى الأنظمة المهتمة بالقضايا الاجتماعية أن تداني وحي السماء؟ ومن أين لِلْمَدَرِ أن يُضَاهَى بالجوهر؟! .

5-بنى الإسلام قاعدة صلبة في شأن الأسرة؛ ألا وهي السَّتْرُ والحَمْلُ على الظاهر، ولم يقبل الشكوك ولا الظن، **ومن** تَقَوَّلَ ورمى غيره بالزنى فعليه أن يأتي بأربعة شهود عدول أنهم رأوا الميل في المُكْحُلَةِ، وإلا أُلْهِبَ ظَهْرُهُ بثمانينَ جلدةً.

6- يريد الإسلام للأسرة أن تستقر بعيدًا عن الشكوك والوسوسة، والمطلع على

الضمائر هو الله، والحساب يوم القيامة، فـ«**الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ**»(1)؛ **فمن** رمى غيره بالزنى ولم يأت بشهود أربعة جُلد ثمانين جلدة؛ حمايةً للأعراض.

7- زَوَاجُ النبي ﷺ بجويرية إِقَالَةٌ لذوي المروءات، وَإِنْزَالٌ للناس منازلهم، ومداواة للجراح، وخدمة للدعوة، **وكان** زواج خير وبركة، وما أكرم الصحابة حين أطلقوا ما في أيديهم من الأسرى حين علموا بزواج النبي من جويرية وعبروا عن الوفاءِ، والذوق، والفطرة السليمة في احترام الكبار، وذوي الأقدار.

8- ما أحسن معالجة النبي ﷺ للأزمات حين رحل بالناس حتى أتعبهم ليمنع القيل والقال، ويسكت البلبلة وتناقل الإشاعات.

9- **الْقُرْآنُ قَاطِعٌ** ببرآءة عائشة، فَمَنِ اتهمها بالفاحشة بعد نزول القرآن **فهو كافر**؛ فقد صان الله نساء الأنبياء عليهم السلام من ارتكاب الفاحشة، وما بَغَتِ امْرَأَةُ نبي قط، **أما** خيانة امرأتي نوح ولوط عليهما السلام فخيانةٌ في الدِّيْنِ لا في العِرض[مجمع البيان 10/ 24].

10- ما أَجْمَلَ دِيْنَ النبي ﷺ، وما أَكْرَمَ خُلُقَهُ وهو يمتثل لقاعدة التوبة: «يَا عَائِشَةُ إِنْ كُنْتِ قَارَفْتِ ذَنْبًا فَتُوبِي»، **نعم** إنها التوبة هبة الله العظمى لعباده العصاة.

11- لم يُشِرْ عليٌّ كرم الله وجهه بطلاق عائشة بُغْضًا لها- حاشاه من ذلك- **ولكنه** يتجرع مع النبي ﷺ عَلْقَمَ العار الذي تبلبلت به المدينة؛ **فهو** من طينة النبي ﷺ عِرْضُهُمَا واحد، والمرأة مهما عَزَّ مَكَانُهَا لا تساوي ضجر النبي ﷺ هذه المدة، فإذا كان في الطلاق إِنْهَاءٌ للمشكلة فَلْيَكُنْ، وهو غير متجاهل لمشاعر السيدة عائشة وحقها وحرمتها، وليس بصحيح أن عليا ضرب الجارية بريرة، **فهذا** كذب **محض**؛ فَخُلُقُ علي هو خلق النبي ﷺ، وقد طهر الله أهل البيت عليهم السلام من الظلم.

---

(1) البخاري رقم 2105، 2289، والنسائي 6/ 180 رقم 3482 إلى 3486، وابن ماجة رقم 2006، وأحمد بن حنبل رقم 820، وأبو داود رقم 2273.

12 – رَأْسُ الدِّينِ الورع، وقد رُزِقَهُ أبو أيوب وأم أيوب حين ظنا بأنفسهما خيرًا، وقالا: هذا إفك مبين، **وقد** حَمِدَ اللهُ لهما طَهَارَةَ ألسنتهما، وَمَتَانَةَ وَرَعِهِمَا.

13 – **جَلَدَ** النبيُّ ﷺ الذين خاضوا في الإفك؛ **تَطْهِيرًا** لهم، **وَتَرَكَ** ابْنَ أُبَيٍّ: **إما** لأنه كان حذرًا لَمْ يَثْبُتْ عليه شيء؛ **وربما تركه** استحقارًا أو تَجَاهُلًا له؛ **لأَنَّ** الحد لا يطهره.

14 – هتاف الغلامين مَشْئُومٌ أيقظ نعرة الجاهلية، وفتح ثغرة لسموم الحاقدين على النبي وأصحابه، والحاسدين لانسجام المؤمنين والتئامهم من مهاجرين وأنصار وأنهم جسد واحد، وكاد يقع بينهم الشر لولا مبادرة رسول الله ﷺ لحسمه في مهده، وإرهاق الجيش بالسفر المضني حتى أَنْسَاهُمْ الحَزَازَاتِ الطَّارِئَةِ.

15 – العدو يقظ يتربص، لكن النبي ﷺ أشد يقظة وحنكة؛ فَسَدَّ المنافذ بسرعة.

16 – كلام أُسَيْدٍ زَلَّةُ كَرِيمٍ، فهو استفزاز زاد الطين بلة، ولكل جواد كبوة، ولكل صارم نَبْوَةٌ؛ فكان رد سعد بن عبادة قويًّا وحازمًا، **وسعدٌ** ليس من المنافقين بل من كرام الرجال، وخيار الأنصار هو وابنه **قيس**؛لكن لَطَفَ الله بالمؤمنين وَصَفَتْ ضمائرهم.

28–غزوة الخندق(الأحزاب) (في شوال سنة خمس هجرية– 627م)[1]:

كان من حديث الخندق أن نفرًا من اليهود الموتورين: منهم سَلاَّمُ ابنُ أَبي الحُقَيْقِ، وحُيَيُّ بْنُ أخطب في نفر من بني النضير وبني وائل **قدموا** على قريش فَدَعَوْهُمْ إلى حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتابِ الأول والعلمِ بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أَفَدِينُنَا خير أم دينُه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه!! **وفيهم** نزل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ

(1) الواقدي 2/ 440، وابن سعد 2/ 65، وابن هشام 3/ 224، وسبل الهدى 4/ 512، وعيون الأثر 2/ 84، ومغلطاي ص 259، والطبري 2/ 574، وسيرة ابن كثير 3/ 202–205، والروض الأنف 3/ 279، والاكتفاء 1/ 125، والسيرة الحلبية 2/ 309.

وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾
أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٌ مِّنَ
ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن
فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾[النساء:51-55](1)، **فلما** قالوا ذلك لقريش سَرَّهُمْ ونشطوا لِمَا دَعَوْهُمْ إليه من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا وَاتَّعَدُوا له، **ثم** خرج اليهود إلى غَطَفَانَ، فدعوهم كما دعوا قريشًا، وأخبروهم باستجابتهم فاستجابوا؛ **ولعل** من الأسباب في استجابة قريش إِحْسَاسُهُمْ بالهزيمة حيث لم يُوفُوا بموعد بدر الثانية؛ **فخرجت** قريش يقودها أبو سفيان، وغَطَفَانُ يقودها عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ في بني فَزَارَةَ، والحارثُ بن عوف في بني مُرَّةَ، ومِسْعَرُ بن رُخَيْلَةَ فيمن تابعه من أشجع، **وكان** جيش الأحزاب عَشَرَةَ آلافٍ: قُرَيشٌ وأحابيشُهَا أربعةُ آلاف: معهم ثلاثمائة فرس، وألف وخمسمائة بعير، والبقية من غطفان.

سمع رسول الله ﷺ بخبرهم، وفي المدينة جَدْبٌ، **فَشَاوَرَ** أصحابه، **فأشار** سلمان الفارسي بحفر الخندق-**وهو** عمل لم تكن العرب تعرفه- فوافق النبي ﷺ والمسلمون على هذه الفكرة؛ **فقد** عَلَّمَتْهُمُ التَّجَارِبُ أَخْذَ الحيطة، فَضُرِبَ الخندق على المدينة من الجهة الشمالية: من الحَرَّةِ الشرقية إلى الحرة الغربية-**وهي** العورة التي تؤتى منها المدينة- **أما** بقية الجهات فلا يتمكن العدو من اختراقها بسهولة، فكان **طوله:** خمسة كيلومترات ونصفا، **وَعُمْقُهُ:** خمسة أمتار في الأرض، في عرض خمسة أمتار تقريبا، **وعَمِلَ** رسولُ الله ﷺ في حفر الخندق بنفسه؛ ترغيبًا للمسلمين في الأجر، **وعَمِلَ** معه المسلمون، فَدَأَبَ فيه ودَأَبُوا، وأبطأ رجال من المنافقين، وجعلوا

---

(1) الطبري 4/ 5/ 188، وأسباب النزول 132.

يتعللون بالأعذار ويتسللون إلى أهليهم بغير إذن النبي ﷺ، **وجعل** الرجل من المسلمين إذا نَابَتْهُ النَّائِبَةُ من الحاجة التي لا بد منها يذكر ذلك لرسول الله ﷺ ويستأذنه في اللحاق بحاجته فيأذن له، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله؛ **فأنزل** الله تعالى في أولئك المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور:62] **ثم** قال الله تعالى في المنافقين الذين كانوا يتسللون في العمل ويذهبون بغير إذن من النبي ﷺ: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:63]، **ولَـمَّا** فُرِغَ من الخندق أقبلت الأحزاب، ونزلت في ثلاثة معسكرات، **وخرج** رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين، **وأمر** بالذراري والنساء فَتَحَصَنُّوا في الحصون المنيعة، **وجاء** حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد القُرَظِي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، **وكان** قد وَادَعَ رسول الله ﷺ **وعاقده** على قومه، فأبى أن يفتح له؛ وقال: إنك امرؤ مشؤوم، وإني قد عاهدتُ مُحَمَّدًا فلستُ بناقضٍ ما بيني وبينه؛ ولم أرَ مِنْهُ إلا وَفَاءً وَصِدْقًا، **فما** زال به حتى فتح، وأخبره بقوة الأحزاب الهائلة، ولم يزل حُيَيٌّ يَفْتِلُهُ في الذُّرْوَةِ والغارب[1] حتى وافق على نقض العهد ومؤازرة الأحزاب، **فلما** انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر بعث سعدَ بن معاذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة سيد الخزرج، وعبدَالله بن رواحة وخَوَّات بن

(1) أي يخاتله ويراوضه، **وأصل** المثل في البعير، يُفْعَلُ به ذلك ليسكن ويأنس، **والذروة**: أعلى السنام، **والغارب**: الكاهل وهو ما بين السنام إلى العنق. القاموس ص 1181.

جُبير لاستجلاء الخبر، وقال لهم: إن كان حقًّا فَالْحَنُوا[1]لي لحنًا أَعْرِفُهُ، ولا تَفُتُّوا في أعضاد الناس[2]، **وإن** كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس، فخرجوا فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، وتشاتموا معهم لَـمَّا نالوا من رسول الله ﷺ، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: عُضَلُ والقارَةُ، **فقال** رسول الله ﷺ: الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين، **وفي** هذه الأثناء بدأت تجاوزات بني قريظة، وظهر عملهم الخياني بالإغارة على المدينة، حيث أخذ بعض صناديد بني قريظة يحومون حول بيوت المسلمين التي فيها أطفالهم ونساؤهم بصورة مشبوهة، **وقد** كَانَتْ صَفِيّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْـمُطّلِبِ فِي حِصْنِ حَسّانِ بْنِ ثَابِتٍ؛ قَالَتْ: وَكَانَ حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ مَعَنَا فِيهِ مَعَ النّسَاءِ وَالصّبْيَانِ، **قَالَتْ صَفِيّةُ**: فَمَرّ بِنَا رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَقَطَعَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَلَيْس بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنّا، وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ وَالْمُـسْلِمُونَ فِي نُحُورِ عَدُوّهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُمْ إلَيْنَا إنْ أَتَانَا آتٍ، **قَالَتْ فَقُلْت**: يَا حَسّانُ، إنّ هَذَا الْيَهُودِيّ كَمَا تَرَى يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، وَإِنّي وَاَللّهِ مَا آمَنُهُ أَنْ يَدُلّ عَلَى عَوْرَتِنَا مَنْ وَرَاءَنَا مِنْ يَهُودَ، وَقَدْ شُغِلَ عَنّا رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَانْزِلْ إلَيْهِ فَاقْتُلْهُ، **قَالَ**: يَغْفِرُ اللّهُ لَك يَا ابنةَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ، وَاَللّهِ لَقَدْ عَرَفْتِ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا ! **قَالَتْ**: فَلَمّا قَالَ لِي ذَلِكَ وَلَمْ أَرَ عِنْدَهُ شَيْئًا، احْتَجَزْتُ ثُمّ أَخَذْت عَمُودًا، ثُمّ نَزَلْت مِنْ الْحِصْنِ إلَيْهِ فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتّى قَتَلْتُهُ، **قَالَتْ**: فَلَمّا فَرَغْتُ مِنْهُ رَجَعْتُ إلَى الْحِصْنِ **فَقُلْت**: يَا حَسَّانُ انْزِلْ إلَيْهِ فَاسْلُبْهُ فَإِنّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي مِنْ سَلْبِهِ إلّا أَنّهُ رَجُلٌ، قَالَ: مَا لِي بِسَلَبِهِ مِنْ حَاجَةٍ يَا ابنةَ عَبْدِ الْـمُطّلِبِ[ابن هشام 3/ 239] ، **وبعد** أن عرف رسول الله ﷺ عن طريق عيونه أن

(1) **اللحن**: اللغز، وهو أن يخالف ظاهر الكلام معناه.

(2) **فت في عضده**: أوهنه وأضعفه.

اليهود نقضوا ما بينه وبينهم من العهد، وأنهم طلبوا من قريش ألف رجل، ومن غطفان ألف رجل؛ ليغيروا على المدينة عبر حصن اليهود- بعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة، ويجهرون بالتكبير؛ تخوفًا على الذراري من بني قريظة[السيرة الحلبية 2/ 315]، **وبعث** رسول الله ﷺ خوَّاتَ بن جبير بن النعمان الأنصاري؛ لينظر غِرَّةً لبني قريظة، فكمن لهم، فَحَمَلَهُ رَجُلٌ منهم وقد أخذه النوم، فأمكنه الله من الرجل وقتله، ولحق بالنبي ﷺ فأخبره، وخرج نَبَّاشُ بن قيس في عشرة من اليهود يريد المدينة؛ ففطن بهم نفر من أصحاب سلمة بن أسلم فرموهم حتى هزموهم، ومَرَّ سلمة فيمن معه فأطاف بحصون اليهود فخافوه وظنوا أنه البَيَاتُ[الإمتاع 1/ 233].

إرجافُ المنافقين: دَبَّتْ عقارب النفاق تبث سمومها، وعَظُمَ البلاء، واشتد الخوف، **وكانت** شائعةُ المنافقين تقول: كان محمد يَعِدُنا بكنوز كسرى وقيصر، وأَحَدُنَا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط[1].

بنو حارثة الذين قالوا: إن بيوتنا عورة: فقد بعثوا أوس بن قيظي إلى رسول الله ﷺ يقول: إن بيوتنا عورة [أي مكشوفة للعدو]؛ و ليس في دور الأنصار مثل دارنا؛ ليس بيننا و بين غطفان أحد يردهم عنا؛ فَأْذَنْ لنا فَلْنَرْجِعْ إلى دورنا فنمنع ذرارينا و نساءنا؛ فَأَذِنَ لهم ﷺ، فبلغ سعد بن معاذ ذلك فقال: يا رسول الله! لا تأذن لهم؛ إنا والله ما أَصَابَنَا وإياهم شدة قط إلا صنعوا هكذا؛ فَرَدَّهُمْ[الإمتاع 1/ 233].

ثم أقام رسول الله ﷺ وأقام المشركون قريبًا من شهر لم تكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيَّا وهي الْـمُرَامَاةُ بالنبل، والحصار، **وقد** تحدث القرآن عن هذا فقال: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ

---

(1) يقال: إن القائل هو مُعَتِّب بن قشير. ينظر: الواقدي 2/ 494.

بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا﴾[الأحزاب:10-14]، **وقد** هَمَّ النبي ﷺ أن يجعل ثلث ثمار المدينة لقادة غطفان على أن يَرْجِعُوا، **واستشار** في ذلك سعد بن معاذ وسعد بن عبادة؛ **فقالا**: إن كان بأمر الله أمضيناه، وإن كان رأيًا رَأَيْتَهُ فليس لهم عندنا إلا الرماح؛ **فما** كانوا في الجاهلية يطعمون في تمرة إلا بحقها؛ أفنعطيهم ثلث أموالنا وقد أعزنا الله بك؟ فاستصوب النبي ﷺ هذا الرأي.

المبارزة[1]**: في** أثناء الحصار جَالَ عَمْرُو بنُ عبدِ وُدٍّ العامري، وَعِكْرِمَةُ بنُ أبي جهل، وضِرَارُ بنُ الخطاب، وهُبَيْرَةُ بنُ أبي وهب، ونَوْفَلُ بنُ عبدالله- بخيولهم فوجدوا مكانًا ضيقًا بالخندق أغفله المسلمون؛ فَعَبَرُوا إلى ساحة المسلمين، **فطلب** عمرو المبارزة ثلاث مرات، فلم يجبه من المسلمين أحد سوى علي بن أبي طالب ؑ الذي كان يقول للنبي ﷺ -في كل مرة-: **أنا** أبارزه يا رسول الله، **ولما** سمع النبي ﷺ عَمْرًا يقول:

ولقد بَحِحْتُ مِنَ النِّدَا ... ءِ لجمْعِهِمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزْ
فَوَقَفْتُ إذْ جَبُنَ الْمُشَجْـ ... ـجَعُ مَوْقِفَ القِرْنِ الْمُناجزْ
إِنِّيْ كَذَلِكَ لَمْ أَزَلْ ... مُتَسَرِّعًا نَحْوَ الهزَاهِزْ
إِنَّ الشَّجَاعَةَ في الفتى ... والجُودَ مِنْ خَيْرِ الْغَرائِزْ

وأردف قائلا: أتزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار؛ فما لكم لا تخرجون

(1) ابن هشام 3/ 224، والبداية والنهاية 4/ 122، والسبل 4/ 534، والسيرة الحلبية 2/ 320، والواقدي 2/ 471. والاكتفاء 1/ 125، ودلائل البيهقي 3/ 438، والمستدرك 3/ 32 **وأقره** الذهبي، والكامل لابن الأثير 2/ 279-280، و الطبري2/ 574،وسيرة ابن كثير 3/ 202-205،والروض الأنف 3/ 279-280.

إليّ؟! فَأَذِنَ ﷺ لعليٍّ ، وعَمَّمَهُ بعمامته، وقَلَّدَهُ سيفه، **وقال**: اللهم إن هذا أخي وابنُ عمي؛ فلا تَذَرْنِي فَرْدًا وأنت خير الوارثين، فخرج يرتجز:

لاَ تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَتَاكَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرُ عَاجِزْ
ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيْرَةٍ يَرْجُو بِذَاكَ نَجَاةَ فَائِزْ
إِني لأَرْجُو أَنْ أُقِيمَ عَلَيْكَ نَائِحَةَ الجَنَائِزْ
مِنْ طَعْنَةٍ نَجْلاَءَ يَبْقَى ذِكْرُهَا عِنْدَ الهَزَاهِزْ

فقال عمرو: من أنت؟ فَانْتَسَبَ له، **فقال**: يا ابن أخي، كان أبوك نديمي وصديقي؛ فارجع فلا أحب أن أقتلك، **فقال علي**: لكني أحب أن أقتلك، **فقال عمرو**: إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك فارجع، **فقال علي**: إن قريشًا تُحَدِّثُ عنك أنك لا تُدْعَى إلى ثلاث إلا أجبتَ ولو إلى واحدة منها، قال: أجل، **فقال**: أدعوك إلى الإسلام، قال: دع عنك هذه، **قال**: أدعوك إلى أن ترجع بمن معك، **قال**: إذن تتحدث نساء قريش أنَّ غلامًا خدعني، **قال**: فإني أدعوك إلى البراز؛ فحمي عَمْرٌو وقال: ما كنت أظن أن أحدًا من العرب يرومها، فَتَرَجَّلَ عن فرسه فَعَقَرَهُ، فتجاولا وحجبهما الغبار عن الناس إلى أن سمعوا تكبيرَ عليٍّ كرم الله وجهه، وَانْجَلَتِ الغُبْرَةُ وعَلِيٌّ رَاكِبٌ صَدْرَه يَحُزُّ رَأْسَهُ، فَفَرَّ أصحابه إلا نوفلا فوقع في الخندق مع فرسه، فَرُمِيَ بالحجارة، فجعل يقول: قَتْلَةً أحسنَ من هذه يا معشر العرب، فنزل إليه عليٌّ كرم الله وجهه فقطعه بالسيف نصفين؛ وكَبُرَ ذلك على المشركين؛ فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: إنا نعطيك الدية على أن تدفعه إلينا فَنَدْفِنَهُ، فقال: «لَا خَيْرَ فِي جُثَّتِهِ، وَلَا فِي ثَمَنِهِ، ادْفَعُوهُ إِلَيْهِمْ»، **وقيل**: وقع في الخندق فاندقت عنقه فمات، **وقيل**: قتله الزبير بن العوام[1]، **وكانت** لعمرو درع من نسج داوود؛

(1) السيرة الحلبية 2/ 315، والواقدي 2/ 497.

فقال عمر بن الخطاب ﵁ لعلي ﵇: هلا سلبته درعه؛ فإنه ليس للعرب درع خير منها؟ فقال: استحييت أن أسلب ابن عمي، وأنشد:

نَصَرَ الحجارةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... ونصرتُ ربَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ

فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلًا ... كَالْجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ وَرَوَابِي

وعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوَ انَّنِي ... كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي

وكان ممن أُصِيْبَ مِنَ المسلمين يوم الخندق:1- سعدُ بن معاذ، رماه حبان بن العَرِقَةِ فمات بعد حُكمه الشهير على بني قريظة كما سيأتي، وقيل: رماه أبو أسامة الجُشَمِي، 2- وأنسُ بن أوس بن عتيك بسهم رماه به خالد بن الوليد، 3- وعبدُالله بن سهل الأشهلي، رماه رجل من بني عويف فقلته، 4- والطفيلُ بن النعمان قتله وحشي، وكان وحشي يقول: أكرم الله بحربتي حمزة والطفيل،5- وثعلبةُ بن عَنَمَةَ بن عدي بن نابئ، قتله هُبيرة بن أبي وهب المخزومي، 6- وكعبُ بن زيد، وكان قد ارْتُثَّ يوم بئر معونة فَصَحَّ حتى قُتِلَ في الخندق، قتله ضرار بن الخطاب، فجميع من استشهد من المسلمين ستة، وقُتِلَ من المشركين غير من تقدم ذكره: حِسْلُ بن عمرو بن عبد ود العامري، قتله علي بن أبي طالب، وعثمان بن مُنَبِّهٍ بن عُبيد السَّبَّاقُ، رُمِيَ بسهم ومات بمكة[الواقدي 2/ 496]. وكان شعار المسلمين يوم الخندق: « حم لا يُنْصَرُون»، **ومن حسن الحظ**: أنَّ نُعَيْمَ بن مسعود جاء إلى رسول الله ﷺ فأسلم سِرًّا، وقال: اكتم إسلامي وَمُرْنِي بِأَمْرِكْ؛ فقال: إنما أنت فينا رجلٌ واحد فَخَذِّلْ عنا إن استطعت؛ فإن الحرب خدعة؛ فخرج حتى أتى بني قُريظة- وكان لهم نديمًا- فقال: قد عرفتم وُدِّي إياكم، وخاصَّةً ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بِمُتَّهَمٍ، فقال لهم: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم: البلد بلدكم، فيه أموالكم، وأبناؤكم، ونساؤكم لا تقدرون على أن تتحولوا منه إلى غيره، **وإنهم** قد جاؤوا

لحرب محمد، وقد ظاهرتموهم عليه- وبَلَدُهُمْ وأموالهم ونساؤهم بغيره- فليسوا كأنتم، فإن رأوا نُهْزَةً أصابوها، وإن كان غَيْرَ ذلك لحقوا ببلادهم وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل؛ ولا طاقة لكم به إِنْ خَلا بكم؛ فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رُهُنًا من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقةً لكم على أن تقاتلوا معهم محمدًا حتى تناجزوه، واكتموا عني، **فقالوا له**: لقد أشرتَ بالرأي، ثم أتى قريشًا، وقال: قد عرفتم وُدِّي لكم، وفراقي مُحَمَّدًا؛ وإنه قد بلغني أَمْرٌ قد رأيتُ عليَّ حقًّا أن أُبْلِغَكُمُوهُ نُصْحًا لكم فاكتموا عني، **فقالوا**: نفعل، **قال**: إن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا إليه: إنا قد ندمنا على ما فعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالًا من أشرافهم فَنُعْطِيكَهُمْ فتضربَ أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم حتى نستأصلهم؟ فأرسل إليهم: أَنْ نَعَمْ، فإن بَعَثَتْ إليكم يهود يلتمسون منكم رُهُنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلًا واحدًا، **ثم أتى** غطفان فقال: إنكم أَصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهمونني، **قالوا**: صدقت ما أنت عندنا بمتهم، **قال**: فاكتموا عني، **قالوا**: نفعل، **ثم** قال لهم مثل ما قال لقريش، وحَذَّرَهُمْ ما حذرهم، **فلما** كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مِنْ صُنْعِ اللهِ لرسوله ﷺ أن أرسل أبو سفيان بن حرب ورؤسُ غطفان إلى بني قريظة عِكْرِمَةَ بن أبي جهل في نفر من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنا لسنا بدار مقام؛ قد هلك الْخُفُّ والحافر [أي الإبل والخيل]؛ فَاغْدُوا للقتال حتى نُنَاجِزَ محمدًا ونَفْرُغَ مما بيننا وبينه، **فقالوا**: إن اليوم السبت لا نعمل فيه شيئًا، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رُهُنًا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدًا؛ فإنا نخشى إن ضَرَّسَتْكُمُ الحرب[أي نالت منكم]، واشتد عليكم القتال أن تَنْشَمِرُوا إلى بلادكم وتتركونا والرجلَ في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك منه، **فلما**

رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان: صدق نُعَيْمٌ، فَأَرْسَلُوا إلى بني قريظة: إنا والله لا ندفع إليكم رجلًا واحدًا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا؛ فقالت بنو قريظة حين بلغتهم الرسالة: صدق نعيم، وَخَذَّلَ الله بينهم، **ويعث** الله عليهم الريحَ في ليالٍ شاتيةٍ شديدةِ البرد **فجعلت** تَكْفَأُ قُدُورَهُمْ، وتطرح آنيتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا﴾[الأحزاب: 9-11][1].

الدروس والعبر:

1- من دلائل النبوة ثلاثُ حوادثَ وقعت في الخندق:

الأولى: أن صخرةً استعصت على المسلمين فلجؤوا إلى رسول الله ﷺ فأخذ المِعْوَلَ من يد سلمان فضربها ثلاث ضربات، يُكَبِّرُ في كل ضربة وتلمع الحجر كالبَرْقَةِ ويذهب ثُلُثُهَا، **وبَشَّرَ** بفتح اليمن والشام والمشرق، وتحقق ذلك.

الثانية: أن جابر بن عبدالله رضي الله عنه عَزَّ عليه أن يرى النبي ﷺ جائعا، وكانت لديه عَنَاقٌ، فأَسَرَّ إلى النبي ﷺ أن يتغدى عنده وحده، فأقبل النبي ﷺ بأهل الخندق، فوضع يديه في الطعام ودعا بالبركة، فأكلوا جميعًا وَشَبِعُوا والطعامُ بحاله[2].

الثالثة: قوله ﷺ للمسلمين: «لَنْ تَغْزُوَكُمْ قُرَيْشٌ بَعْدَ الْيَوْمِ، بَلْ نَغْزُوهُمْ»[3]

(1) تفسير الطبري 11/ 21/ 153، ومجمع البيان 8/ 124، ونقل الواقدي في المغازي 2/ 494 عن ابن عباس قال: **كانت** الجنود التي أتت المؤمنين: قريشًا، وغطفان، وأَسَدًا، وسُلَيْمًا، **وكانت** الجنود التي بعث الله عليها الرِّيحَ، **وكان** الذين جاؤوهم من فوقهم بنو قريظة، **والذين** جاؤوا من أسفل منهم: قريش، وأسد، وغطفان.

(2) البخاري 4/ 157 رقم 3876، ومسلم 3/ 1610 رقم 2039، والمواهب اللدنية 1/ 241، والبداية والنهاية 4/ 99، ودلائل النبوة 3/ 426، وابن هشام 3/ 229.

(3) دلائل النبوة 3/ 457، وابن هشام 3/ 266، والبخاري 4/ 1508 رقم 3884.

وتحقق ذلك.

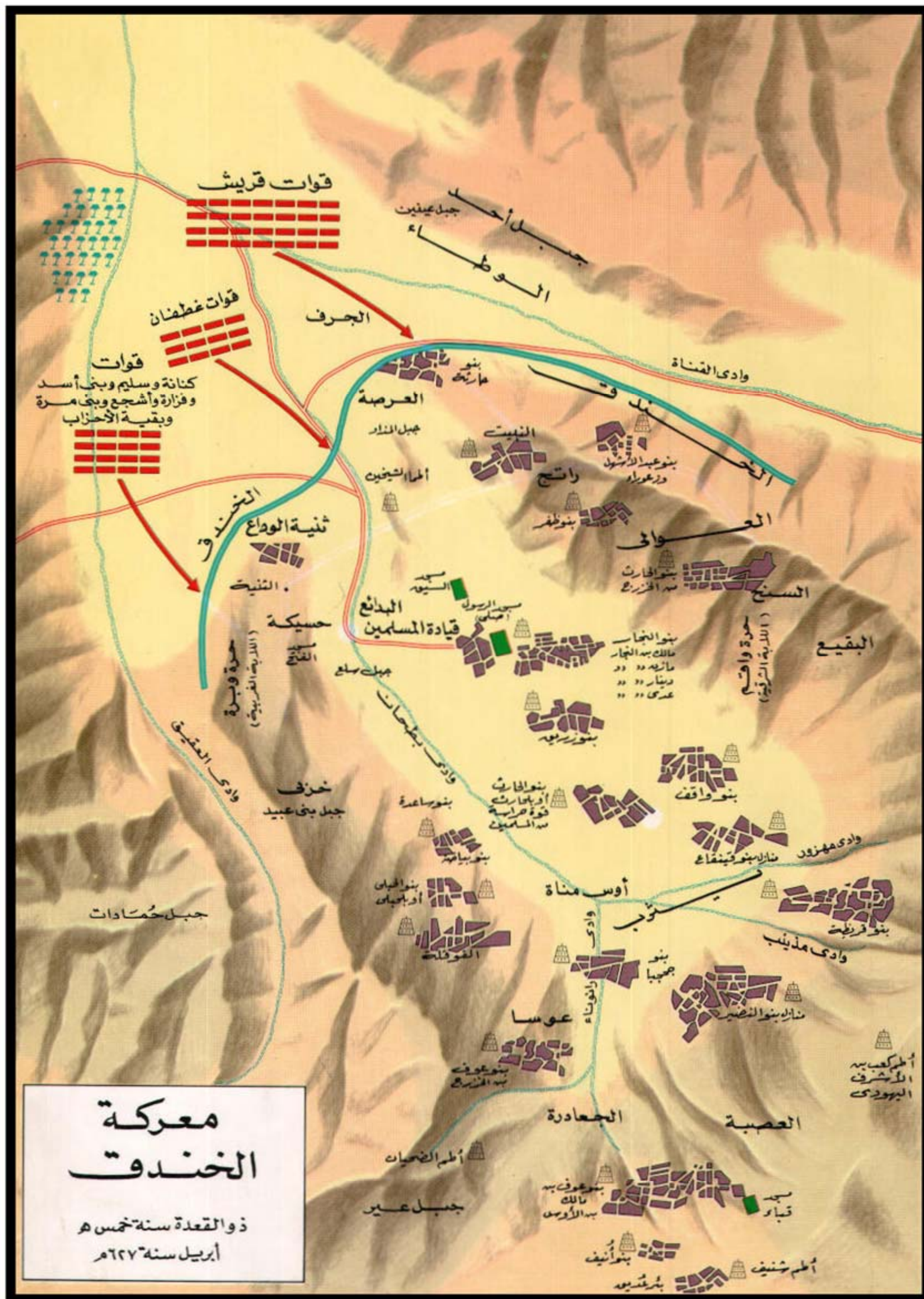
2- رُبَّ ضارةٍ نافعة؛ فَالضِّيقُ يَعْقُبُهُ فَرَجٌ، **فَغَدْرُ** بني قريظة رغم أنه طعنة في الخاصرة، وإِجْهَادٌ كبير للمدافعين الذين كانوا يواجهون قُرَيْشًا بالنَّبْلِ والحجارة على امتداد الخندق، وَيَدُورُونَ بالتكبير والتهليل في أزقة المدينة وأطرافها ردًّا للمتسللين، وإرهابًا لبني قريظة، وَتَحَسُّبًا لمكرهم؛ **لكنه** تسبب في تدميرهم، وتطهير الساحة من خبثهم وغدرهم؛ وعلى نفسها جَنَتْ بَرَاقِشُ(1)، والبادِي أَظْلَمُ.

3- أظهر عليٌّ كرم الله وجهه نوعية المقاتل المسلم الذي يصلح قدوة في شجاعته، وفي حُسْنِ عَرْضِهِ للدين الذي يقاتل من أجله، وفي إخلاصه، **فما** أَجْمَلَ أَدَبَهُ، وتواضعه مع عنفوانه وشجاعته حين قال لعمرو: أدعوك إلى الإسلام، **فإن** لم فارجع بمن معك، **فإن** لم فالمبارزة! لأنها الوسيلة الأخيرة لِدِيْنِ السِّلْمِ والتسامح، **وما أجمل** ما يُروى أن عليًّا كرم الله وجهه لـَمَّا صَرَعَ عمرا تَفَلَ نحوه فتركه، ثم صرعه مرة أخرى وقتله، فَسُئِلَ كرم الله وجهه عن تَرْكِهِ وقد تمكن منه فقال: لَـمَّا تفل نحوي غضبت فأحببت أن أقتله لله لا لغضبي! **فأيُّ** ارتباطٍ بالله وَصَلَ إليه هذا الإمام! **وأيُّ** شجاعة يختزنها عمرو الذي لم يَجِفَّ رِيقُهُ والسيف فوق رقبته، لولا أنه لاقَى مَنْ لم تلد النساء مثله؛ فقد يجف بعض ريق الناس إن قفزت عليه بغتة جرادة، أو ضفدع. **حَقًّا** لقد برز الإيمان كله إلى الشرك كله، **ولله** القائل حين قال قصيدته الرائعة:

وإلى الحشر رنة السيف منه ... علا الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرمات ... لم يزن ثقل أجرها ثقلاها
هذه من علاة إحدى المعالي ... وعلى هذه فقس ما سواها

---

(1) **براقش**: اسم لكلبة قوم أغير عليهم فهربوا ومعهم الكلبة، فاستدل المغيرون على مواضعهم بنباحها. لسان العرب 6/ 266.


معركة
الخندق
ذو القعدة سنة خمس هـ
أبريل سنة ٦٢٧م
قوات قريش
قوات غطفان
قوات
كنانة وسليم وبني أسد
وفزارة وأشجع وبني مرة
وبقية الأحزاب
جبل عينين
جبل أحد
الوطاء
الجرف
وادي القناة
العرصة
جبل المذاد
الخندق
ثنية الوداع
الثنية
حسيكة
البدائع
قيادة المسلمين
راتج
بنو ظفر
العوالي
السنح
بنو الحارث بن الخزرج
بنو النجار
البقيع
بنو واقف
أوس مناة
بنو قريظة
وادي مذينب
وادي مهزور
منازل بنو قينقاع
منازل بنو النضير
عوسا
الجعادرة
العصبة
خزف
جبل بني عبيد
جبل حمادات
جبل عير
وادي بطحان
وادي العقيق
قباء

29- غزوة بني قريظة (يوم الأربعاء لسبع خلون من ذي الحجة سنة خمس)[1]:

ما كاد النبي ﷺ يُلْقِي سلاحه عند الظهيرة حتى أتاه جبريلُ عليه السلام مُعْتَجِرًا بعمامة من إستبرق -والإستبرق: ديباج غليظ-؛ فقال: أَوَ قَدْ وضَعْتَ السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم، قال: فما وَضَعَتِ الملائكةُ السلاحَ بَعْدُ، وما رجعتُ الآن إلا من طلب القوم، **إن** الله عزوجل يأمرك بالمسير إلى بني قريظة؛ فإني عامد إليهم فمزلزل بهم: أي موقع بهم الخوف؛ **فأمر** رسول الله ﷺ مُؤَذِّنًا فأذن في الناس: «مَنْ كَانَ سَامِعًا مُطِيعًا فَلاَ يُصَلِّيَنَّ العَصْرَ إِلاَّ بِبَنِي قُرَيْظَةَ» **ولفظ البخاري**(3891): «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»، **فأدرك** بعضهم العصر في الطريق، **فقال بعضهم**: لا نصلي حتى نأتيها، **وقال بعضهم**: بل نصلي، ولم يُرَدْ مِنَّا ذلك، **فَذُكِرَ** ذلك للنبي فلم يُعَنِّفْ واحدًا منهم، **وَقَدَّمَ** عَلِيًّا كرم الله وجهه برايته إلى بني قريظة؛ وابتدرها الناسُ، فسار عَلِيٌّ حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ؛ فرجع حتى لَقِيَ رسولَ الله ﷺ بالطريق فقال: لا عليك أن لا تَدْنُوَ من هؤلاء الأخابث، قال: لِمَ؟ أظنك سمعت منهم لي أذًى، قال: نعم يا رسول الله، قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئًا، فلما دنا ﷺ من حصونهم قال: يا إِخْوَانَ القِرَدَةِ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته؟ قالوا: يا أبا القاسم ما كنت جهولًا، فنزل على بئر من آبارهم وتلاحق به الناس، وكان الجيش المسلم ثلاثة آلاف، فأتى رجال منهم بعد العشاء الآخرة ولم يُصَلُّوا العصر؛ لقول رسول الله ﷺ: «لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلا ببني قريظة»؛ فشغلهم ما لم يكن لهم منه بُدٌّ في حرثهم، وأَبَوْا أن يصلوا حتى أتوا بني قريظة فَصَلَّوُا العصر بها بعد العشاء الآخرة، فما عابهم الله ولا رسوله، **وحاصرهم**

---

(1) ابن سعد 2/ 74، وابن هشام 3/ 244، والواقدي 2/ 496، وسبل الهدى 5/ 7، والطبري 2/ 581، والبداية والنهاية 4/ 133، وعيون الأثر 2/ 103.

رسول الله ﷺ خمسًا وعشرين ليلة حتى أجهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، **وقد** كان حيي بن أخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رَجَعَتْ عنهم قريش وغطفان؛ وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه، **فلما** أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غَيْرُ منصرف عنهم حتى يُنَاجِزَهُمْ **قال كعب بن أسد**: يا معشر يهود قد نزلَ بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خِلالًا ثلاثًا فخذوا أيها شئتم، **قالوا**: وما هي؟ **قال**: نُتَابِعُ هذا الرجل، ونُصَدِّقُهُ؛ فوالله لقد تبين لكم أنه نبي مرسل، وإنه لَلَّذِي تجدونه في كتابكم؛ فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم، **قالوا**: لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره، **قال**: فإذا أبيتم عَلَيَّ هذه فَهَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ أبناءنا ونساءنا، ثم نَخْرُجُ إلى محمد وأصحابه رِجَالًا مُصْلِتِينَ السيوف لم نترك وراءنا ثِقْلًا حتى يحكم الله بيننا وبينه، **فإن** نَهْلِكْ نَهْلِكْ ولم نترك وراءنا نَسْلًا نخشى عليه، **وإن** نظهر فَلَعَمْرِيْ لنجدن النساء والأبناء، **قالوا**: نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم؟ **قال**: فإن أبيتم عَلَيَّ هذه فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أَمِنُونَا فيها، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرَّةً، **قالوا**: نُفْسِدُ سَبْتَنَا علينا، ونُحْدِثُ فيه ما لم يُحْدِثْ مَنْ كان قبلنا إلا مَنْ قد عَلِمْتَ فأصابَهُ مالم يَخْفَ عليك من المسخ؛ **قال**: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلةً واحدةً من الدهر حازمًا، **ثم إنهم** بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أَنِ ابْعَثْ إلينا أبا لُبَابَةَ بن عبدالمنذر؛ لنستشيره في أمرنا[1]، فأرسله رسول الله ﷺ إليهم، فلما

---

(1) وذلك أنهم لما حوصروا وأيقنوا بالهلكة أنزلوا نباش بن قيس فكلم رسول الله ﷺ أن ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير مِنْ ترك الأموال والحلقة، والخروج بالنساء والذراري وما حملت الإبل إلا الحلقة، فأبى رسول الله ﷺ، فقال: تحقن دماءنا، وتسلم لنا النساء والذرية، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل، فأبى رسول الله ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه، فعاد نباش إليهم بذلك. ينظر المغازي 2/ 501، وإمتاع الأسماع 1/ 246، و شرح المواهب اللدنية 2/ 131و اسم الرجل فيه شاس بن قيس و الله أعلم.

رأوه قام إليه الرجال، وجَهَشَ إليه النساء والصبيانُ يبكون في وجهه؛ فرَقَّ لهم، **وقالوا** له: أترى أن ننزل على حكم محمد؟ **قال**: نعم، وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح[1]، **قال أبو لبابة**: فوالله ما زالت قدماي عن مكانها حتى عرفت أني قد خُنْتُ اللهَ ورسوله ﷺ، **ثم** انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأتِ رسولَ الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمُدِهِ، **وقال**: لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عَلَيَّ مما صنعت، وأعاهد الله: ألا أَطَأَ بني قريظة أبدًا، ولا أُرَىٰ في بلد خُنْتُ اللهَ ورسولَه فيه أبدًا، **فلما** بلغ رسولَ الله ﷺ خَبَرُهُ، وكان قد استبطأه- **قال**: أَمَا إنه لو جاءني لاستغفرتُ له، فأَمَّا إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أُطْلِقُهُ من مكانه حتى يتوب الله عليه، **عن** أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: تُبْتُ على أبي لبابة، فقلت: أفلا أبشره يا رسول الله ؟ قال: بلى إن شئت، فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يُضْرَبَ عليهن الحجاب - فقالت: يا أبا لبابة، أبشر فقد تاب الله عليك، قالت: فثار الناس إليه ليطلقوه فقال: لا والله حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يُطْلِقُنِي بيده؛ فمر عليه في صلاة الصبح فأطلقه، **وروي** أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرادات أن تحله، فقال: قد أقسمت ألا يطلقني إلا رسول الله، فقال ﷺ: «فاطمة بضعة مني». **قال ابن هشام**: أقام أبو لبابة مُرْتَبِطًا بالجذع ست ليال، تأتيه امرأته في كل وقت صلاة فَتَحُلُّهُ للصلاة ثم يعود فيرتبط بالجذع[2].

لما ضاق الخناق على بني قريظة، وسمعوا عَلِيًّا كرم الله وجهه يصرخ وبجواره الزبير: يا كتيبة الإيمان لأذوقن ما ذاق حَمْزَةُ أَوْ لَأَفْتَحَنَّ حصنهم فقالوا: يا محمد، ننزل على حكم سعد بن معاذ، وكانوا حلفاء الأوس، **وطلبت** الأوس من رسول الله ﷺ أن

---

(1) **في شرح المواهب**: كَأَنَّ أبا لبابة فَهِمَ ذلك من عدم إجابة الرسول ﷺ لهم بحقن دمائهم، **وعرف** أن رسول الله سيذبحهم إن نزلوا على حكمه؛ **وبهذا** أشار على بني قريظة.

(2) الاستيعاب 4/ 304، وعبدالرزاق 5/ 406 عن الزهري.

يُطْلِقَهُمْ كَمَا أطلق لابن أُبَيٍّ يَهُودَ بني قينقاع، فقال: ألا يُرْضِيْكُمْ حُكْمُ سعد؟ فقد حَكَّمْتُهُ، **وأَكْثَرَتِ** الأوسُ على سعد أن يُحْسِنَ إليهم، **فقال** رحمه الله: لقد آنَ لسعد أن لا تَأْخُذَهُ في الله لَوْمَةُ لائِمٍ، **وكان** سَعْدٌ جريحًا من سهم أصابه في الخندق، فأمر به النبي ﷺ أن يُعَالَجَ في خيمة رُفَيْدَةَ امرأة من أسلم كانت تداوي الجرحى في مسجده، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضَيْعَةٌ من المسلمين، **وكان** رسول الله ﷺ قد قال لقوم سعد حين أصابه السهمُ بالخندق: اجعلوه في خيمةِ رُفَيْدَةَ حتى أَعُوْدَهُ مِنْ قريب، **فلما** حكَّمه رسول الله ﷺ أتاه قومُه فحملوه على حمار قد وَطَّؤُوا له بوسادة من أَدَمٍ، وكان رجلًا جسيمًا جميلًا، **ثم** أقبلوا معه وهم يقولون: يا أبا عمرو، أَحْسِنْ في مواليك، **فلما** انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، **قال** رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدِكم[1] فقاموا إليه وطلبوا منه أن يَحْكُمَ، **فقال**: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنَّ الْحُكْمَ فيهم لَـمَا حَكَمْتُ؟ **قالوا**: نعم، **قال**: وعلى مَنْ هاهنا؟ – في الناحية التي فيها رسولُ الله ﷺ وهو مُعْرِضٌ عنه إجلالًا له – **فقال** رسول الله ﷺ: نعم، **قال** سعد: فإني أحكم فيهم **أن** تُقْتَلَ المقاتِلةُ، **وأن** تُسْبَى النساء والذرية، **وأن** تقسم أموالهم، **فقال** رسول الله ﷺ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللهِ»[2]، **وكان** سعد رحمه الله من المقربين عند الله، مجاب الدعوة، **له** من رسول الله ﷺ مكانة متميزة، ونكهة خاصة، وقُرْبٌ من قلب رسول الله ﷺ، **وقد** سأل اللهَ سعدٌ قائلا[3]: اللهم إنك تعلم أنه ليس أحدٌ أحبُّ إليَّ أن أجاهدهم فيك مِنْ قوم كَذَّبُوا رسولك وأخرجوه، اللهم فإني أظن أنك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم، فإن كان بقي من حرب قريش شيء فَأَبْقِنِي له حتى أجاهدهم

(1) البخاري 4/ 1511 رقم 3895، ومسلم 3/ 1388 رقم 1768، ومسند أحمد 4/ 45 رقم 11168، ومصنف ابن أبي شيبة 7/ 379.

(2) ابن هشام 3/ 249، الروض الأنف 3/ 267، وانظر المراجع السابقة.

(3) كما روت عائشة. البخاري 4/ 1511 رقم 3896، والواقدي 2/ 512.

فيك، وإن كُنْتَ وضعت الحرب فَافْجُرْهَا واجْعَلْ موتتي فيها، ولا تُمِتْنِي حتى تَقَرَّ عيني في بني قريظة؛ فانفجرتْ من لَبَّتِهِ فلم يَرُعْهُمْ إلا الدم يسيل إليهم، فإذا سعد ينزف دمًا فمات بعد أن أشرف بنفسه على تنفيذ الحكم بيد عَلِيٍّ والزبير، **وقد** حُفِرَتْ لهم خنادق فكانوا يخرجون واحدًا واحدًا بحيث لا يدري الثاني ما مصير الأول، **وكان** النبي ﷺ يوصي بإطعامهم وسقيهم، وأن لا تضرب أعناقهم في الحر، **وقال**: ألا يكفيهم السيف؟ **وكان** عدد من قُتل ستمائة، **وقيل**: سبعمائة[الواقدي 2/ 517]، والمكثر يقول: مابين ثمانمائة وتسعمائة[اكتفاء 2/ 136].

الدروس والعبر:

1- الحُكْمُ على بني قريظة يبدو قاسيًا لأول وَهْلة، **لكن** خيانتهم أقسى؛ **فهي** خيانة عظمى، وعقوبتها الإعدام، **فقد** قَدَّمُوا النبي ﷺ وأصحابه والمدينة بحذافيرها لُقْمَةً سائغة لذئاب العرب، **والنتيجة** أن نساء المسلمين سَتُسْبَى، وعلى رأسهن أمهات المؤمنين والعياذ بالله، وسيقطع رأس النبي ﷺ، **وهذا** هو معنى الخيانة ونتيجتها، وبنو قريظة موافقون عليها، بل يريدون القتال لتحقيقها، فلو كانت هناك عقوبةٌ أَشَدُّ مما حكم به سعد لاستحقوها، لكن جهنم لهم بالمرصاد، وعلى الباغي تدور الدوائر، **ولو** تُرِكُوْا لانتشروا في العرب وجمعوهم مرة ثانية حتى يستأصلوا المسلمين، **فهذا** حيي بن أخطب لما قُدِّمَ للقتل **قال** له النبي ﷺ: ألم يُخْزِكَ اللهُ يا حيي؟ **فقال**: والله ما لُمْتُ نفسي على عداوتك، ولكنه من يَخْذُلِ اللهُ يُخْذَل، **وقد** قُتِلَتْ بُنَانَةُ امْرأة الحكم القرظي قصاصًا بمسلم؛ لأنها أَلْقَتْ من حصن الزبير بن باطا رحىً بإشارة زوجها على نفر من المسلمين كانوا يستظلون في فيئه، فشدخت رأس خلاد بن سويد فمات، فَقُدِّمَتْ للقتل وهي تضحك[1]، **ولم** يُسْلِمْ من بني

(1) مغازي الواقدي 2/ 517، وإمتاع الأسماع 1/ 521.

قريظة إلا أربعة، **ومع** أنهم وجهوا للمسلمين طعنةً من الخلف - فلم يأمر النبي ﷺ بقلع أظافرهم، وسَمْلِ عيونهم قَبْلَ الموت، بل كان يأمر بالرفق بهم، وسقيهم وَتَجْنِيبِهِم الحر، وإخفاءِ القتل عن بعضهم البعض؛ **وهي** لَمْسَةٌ إنسانيةٌ، صدَّق بها فِعْلُه قَوْلَه: «إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ»(1).

2- أظهر سعد بِحُكْمِهِ أن الإسلام ربَّى رجالًا قَلَّ أن يجود بمثلهم الزمان، واستحقوا بجدارة أن يدقوا أبواب الصين في أقل من نصف قرن، **وقد** استند سعد بن معاذ في حكمه إلى عدة أشياء، نذكر بعضًا منها:

الأول: أن بني قريظة كانوا تعهدوا للرسول بأنهم لو تآمروا ضد الإسلام والمسلمين فله الحق في قتلهم ومصادرة أموالهم وسبي نسائهم وأطفالهم، **وقد** نقضوا العهد، **ومن** المحتمل جدًّا أن سعد بن معاذ رئيس الأوس الحلفاء لبني قريظة كان مطلعًا على قوانين اليهود الجزائية في هذا المجال، فإن التوراة تنص بما يلي: «حين تَقْرُبُ من مدينة لكي تحاربها اسْتَدْعِهَا إلى الصلح، فإن أجابتك إلى الصلح وفَتَحَتْ لك **فَكُلُّ** الشَّعْبِ الموجود فيها يكون لك للتسخير، ويستعبد لك، وإن لم تُسالِمْك بل عملت معك حربًا فحاصرها، وإذا دفعها الرب إِلَهُكَ إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف، وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة كُلُّ غَنِيمَتِهَا فتغنمها لنفسك»[التوراة، سفر التثنية، الفصل العشرون].

الثاني: أثبتت التجارب الماضية للنبي والمسلمين أن اليهود أهل غدر وخيانة، **وقد** أخبر الله عنهم فقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾[المائدة:82]، فسعد بن معاذ رأى بأم عينيه بني قينقاع بعد أن عفى الله عنهم

(1) مسلم 2/ 1548 رقم 1955 **ولفظه:** «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وليُحِدَّ أحدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذبيحَتَهُ»، وأبو داود 3/ 244 رقم 2815، والترمذي 4/ 16 رقم 1409، والنسائي 7/ 227 رقم 4405، وابن ماجة 2/ 1058 رقم 3170، والدارمي 2/ 82.

رسول الله ﷺ كيف راحوا يشاغبون ويحيكون المؤامرات الدنيئة؛ **فذهب** منهم كعب بن الأشرف إلى مكة يحرض المشركين ويتباكى على قتلى بدر، فكانت معركة أحد، **وبنو النضير** المتآمرون الخونة بعد أن عفى عنهم رسول الله وأجلاهم أَلَّبُوا القبائل العربية المشركة ضد الإسلام حتى أَلَّفُوا جيشا قويا، فكانت وقعة الأحزاب.

الثالث: كان سعد بن معاذ سيد الأوس، **وكان** في إبقاء يهود بني قريظة تأييد لقومه وجماعته، **وقد** ناشده قومه أن يحسن إليهم في حكمه، **ومن** المنطقي أن يكسب الزعيم وُدَّ قومه ورضاهم، ويزيد قوتهم بحلفائهم، **لكنه** وهو المؤمن الحق آثر مصالح الجماعة المسلمة والآلاف المؤمنة على المصلحة الخاصة له ولقومه، **ولو** ترك يهود بني قريظه لواجه المسلمون بسببهم أخطارًا أخرى لا يعلمها إلا الله.

3-انتهت الخندق وبنو قريظة لصالح الدولة الفتية؛ فأذل الله المنافقين وأخزاهم، وكَبَتَ المشركين وقمعهم، وكسر شوكة اليهود وأذهب ريحهم، وانطلقت هيبة المسلمين شرقًا وغربًا، **وقد** أفاء الله على المسلمين غنائم وافرة: ألفًا وخمسمائة سيف، وثلاثمائة درع، وأَلْفَ رمح، وخمسمائة تُرْسٍ وجُحْفَةٍ، وألفًا من النساء والصِّبْيَةِ، وآنيةً كثيرة، وإبلًا ونخيلًا وغير ذلك، فَأَخرَجَ الخُمُسَ وقَسَمَ الباقي بين ثلاثة آلاف مقاتل وستة وثلاثين فرسًا: للراجل سهم، وللفارس سهمان، وأَسْهَمَ للنساء اللآئي يداوين الجرحى.

4- السيدة رُفَيْدَةُ وأمثالها خير مثال على مشاركة المرأة في شؤون الإسلام بجوار النبي ﷺ وفي مسجده[1]، **وكُنَّ يعالجن** الرجال، ولم نسمع أن النبي ﷺ قال لهن: «الْزَمْنَ البيوتَ فَإِنَّكُنَّ عِيٌّ وعَوْرَاتٌ» كما يقول بعض مراهقي الدعوة الإسلامية.

---

(1) وقد حضر معهم من النساء في القتال صفية بنت عبدالمطلب، وأم عمارة (نسيبة بنت كعب)، وأم سليط، وأم العلاء الأنصارية، والسميراء بنت قيس الأنصارية، وأم سعد بن معاذ وهي كبشة بنت رافع الخزرجية، ولم يسهم لهن، **وقد** ترك لهن رسول الله ﷺ نصيبه من الفيء في غزوة بني قريظة. ينظر: الواقدي 2/ 522، والإمتاع 1/ 253.

5 – اتفاق الصحابة على المبادرة إلى بني قريظة، وتفاوت اجتهادهم في صلاة العصر يدل على مستوى الوعي في ترتيب الأولويات؛ **فاتفقوا** في وجوب جهاد عدوهم، **واختلفوا** في مسألة فقهية أقر النبي ﷺ اجتهاد الفريقين، **لكن** المسلمين اليوم **اتفقوا** على إحياء الصراع بينهم، **واختلفوا** في مجابهة إسرائيل، **ولو** فعل الصحابة ما نفعل اليوم لظلوا يتجادلون حول صلاة العصر، ولأكلتهم يهود بني قريظة.

30– سرية محمد بن مسلمة إلى القُرَطَاءِ (10 محرم سنة 6هـ):

والقُرَطاء: من بني بكر، وكانوا ينزلون بناحية ضَرِيَّةَ، وهي قرية لبني كلاب على طريق البصرة، وهي إلى مكة أقرب، وبين مكة وضرية سبع ليال.[معجم البلدان 3/ 457]

بعثه رسول الله ﷺ في ثلاثين راكبًا؛ فسار الليل وكَمَنَ النهار، وأغار عليهم، وقتل منهم عشرة، واستاق النعم والشاء، وهي خمسون ومائة بعير، وثلاثة آلاف شاة، و عاد بها إلى المدينة؛ فَخَمَّسَ رسول الله ﷺ ذلك، وقسم ما بقي فَعُدِّل الجزور بِعَشْرِ شياه[1].

31– غزوة بني لِحْيانَ (ربيع الأول 6 هـ وقيل: في شعبان 6هـ):

تَرَكَتْ حادثة الرجيع الأليمة –التي أودت بحياة عدد من دعاة الإسلام غَدْرًا، وسَلَّمَتِ القبائلُ الغادرة رجلين منهم بَقُوا على قيد الحياة إلى قريش فَصَلَبَتْهُمَا؛ انتقاما من رسول الله والمسلمين –ألَـمًا شديدا في نفوس المسلمين، وأحدثت جرحًا عميقًا في ضمائرهم، وأَدَّتْ إلى توقف حركة الإرشاد والتبليغ والدعوة، ولكِنَّ النبي ﷺ استطاع بَعْدَ الأحزاب وبني قريظة أن يُزِيْلَ كُلَّ العراقيل والعقبات التي اعترضت الدعوة و تمكن من تغيير الصورة لصالح الإسلام، و قد رأى رسول الله ﷺ أن من الضروري تأديبَ بني لحيان لتعتبر بقية القبائل؛ فلا يتعرضوا لِقوافل الدعاة، وبعثات التبليغ؛ فخرج ﷺ في مائتي رجل معهم عشرون فرسًا – واستعمل ابن أم

(1) ينظر: طبقات ابن سعد 2/ 78، والإمتاع 1/ 257، والسيرة للشرفي ص 160.

مكتوم على المدينة- لينتقم لأصحاب عاصم بن أبي الأقلح، ولم يُخبرْ أحدًا بقصده، بل خرج مُظْهِرًا أنه يريد الشام؛ ليصيب بني لحيان على غفلة منهم، فلما وصل إلى طريق مكة عَرَّجَ حتى نزل بمنطقة تدعى «غُرَانَ»[1] وهي منازل بني لحيان، وكانوا قد علموا بمسير النبي ﷺ فَحَذِرُوْهُ، وتمنَّعُوا في رؤوس الجبال؛ فَرَجَعَ وبعث السرايا في تلك البلاد، ووصل إلى عُسْفَانَ قريب مكة لِيَذْعَرَ قريشًا، ورجع لم يلق كيدًا مُرَدِّدًا: آيِبُوْنَ تَائِبُوْنَ إن شاء الله، حامدون لربنا عابدون، أعوذ بالله من وَعْثَاءِ السفر، وكآبةِ المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال[2]؛ وهكذا زُرِعَتِ الهيبة والنفوذ.

32-غزوة ذي قَرَد[3] (ربيع الأول سنة 6هـ بعد غزوة بني لحيان بليال قلائل)[4]:

سببها أن عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ الفَزَارِيِّ أغارَ في خيل من غطفان على عشرين ناقة حلوب لرسول الله ﷺ كانت ترعى بالغابة على بريد من المدينة، وفيها ابن أبي ذر وامرأته، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح، **وكان** أول من علم بهم سلمة بن الأكوع، فغدا يريد الغابة متوشحًا قوسه ونبله؛ فخرج يشتد في آثار القوم مِثْلَ السَّبُعِ حتى لحق بهم، فجعل يَرُدُّهُمْ بالنبل، ويقول إذا رمى: «خُذْهَا وأنا ابن الأكوع، الْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضَّعِ[5]»، **فإذا** توجهت الخيل نحوه انطلق هاربًا ثم عارضهم، **فإذا** أمكنه الرمي رمى، **وبلغ** رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة: الفَزَعَ الفَزَعَ، فترامت إليه الخيول، **وكان** أَوَّلَ

---

(1) **غُرَانُ**: واد ضخم بالحجاز بين ساية و مكة. معجم البلدان 4/ 191.

(2) الطبقات 2/ 78، والواقدي 2/ 535، وسبل الهدى والرشاد 5/ 50، والسيرة الحلبية 3/ 1، وزاد المعاد 2/ 119، والبداية والنهاية 4/ 93، والسيرة لابن هشام 3/ 292، ومغلطاي ص 265.

(3) اسم ماء على بريد من المدينة (22كم). **وقيل**: إنه من ناحية خيبر.

(4) **وروي** أنها كانت بعد غزوة الحديبية. **وقال القرطبي**: لا يختلف أهل السير أن غزوة الغابة قبل الحديبية، وما وقع في حديث سلمة من وهم بعض الرواة.الطبقات 2/ 80، والواقدي 2/ 537، والطبري 2/ 296، وابن كثير 3/ 288، وابن هشام3/ 293، ومغلطاي ص 266.

(5) جمع راضع، **والراضع**: اللئيم. **والمعنى**: اليوم يهلك اللئام.

الفُرْسَانِ الواصلين المِقْدَادُ بن عمرو، ثم عَبَّادُ بن بشر، وسَعْدُ بن زيد، وأُسَيْدُ بن حضير، وعُكَّاشَةُ بن مِحْصَنٍ، ومُحْرِزُ بن نضلة، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعِيٍّ، وأبو عياش عبيد بن زيد، **فلما** اجتمعوا إلى رسول الله ﷺ **أَمَّرَ** عليهم سعدَ بن زيد الأشهلي، **وقيل**: المقداد، **ثم** قال: اخرج في طلب القوم حتى أُلْحِقَكَ بالناس، **ولما** لحقوا بالقوم قَتَلَ أبو قتادة رجلًا وغَشَّاهُ بِبُرْدِهِ ثم لحق بالناس، وأقبل رسول الله ﷺ في المسلمين، فإذا القتيل مسجى؛ فاسترجع الناسُ [قالوا: إنا لله و إنا إليه راجعون] وقالوا: قُتِلَ أبو قتادة، فقال رسول الله ﷺ: إنما هو قتيل أبي قتادة؛ لتعرفوا أنه صاحبه، فأعطاه رسول الله ﷺ فرسه وسلاحه، **وأدرك** عُكاشة رجلين فقتلهما بطعنة واحدة، واستنقذوا بعض اللقاح، وسار رسولُ الله ﷺ حتى نزل بالجبل من ذي قَرَدَ، وتلاحق به الناس، فأقام عليه يومًا وليلة، **وقال** سَلمة بن الأكوع: يا رسولَ الله لو سرَّحتني في مائة رجل لاستنقذت بقية السَّرْحِ وأخذتُ بأعناق القوم؛ فقال رسول الله ﷺ: إنهم الآن لَيَغْبُقُونَ في غطَفان[1]، فأعطى كل مائة من أصحابه جَزُوْرًا لينحروها، وكانوا خمسمائة ، **وقيل** : سبعمائة[السيرة الحلبية 3/ 7]، وعاد إلى المدينة، **وأقبلتِ** امرأة أبي ذر إلى رسول الله ﷺ على ناقةٍ من إبله، وقالت: إني قد نذرت أن أنحرها إن نجاني الله عليها؛ فتبسم وقال: «بِئْسَ مَا جَزَيْتِهَا أَنْ حَمَلَكِ اللهُ وَنَجَّاكَ بها ثم تَنْحَرِينَهَا؛ إِنَّهُ لاَ نَذْرَ في معصية الله، ولا فيما لا تَمْلِكِينَ، إِنَّمَا هي نَاقَةٌ مِنْ إِبِلِي، فَارْجِعِي إِلَى أَهْلِكِ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ»[2].

الدروس والعبر:

1- بَيَّنَ رسولُ اللهِ ﷺ حكم النذر، **وأنه** لا يصح في مال الغير، ولا في معصية.

2- القصة تكشف عن الخلق العظيم الذي يتحلى به قائد الإسلام الأعلى رسول

(1) **يَغْبُقُونَ**: يُسْقَوْنَ الغَبُوقَ: وهو اللبن يُشْرَبُ في العشي، وغَبَقَ من باب نَصَرَ، مختار الصحاح 468.
(2) دلائل النبوة 4/ 188، وعيون الأثر 2/ 127، وسيرة ابن كثير 3/ 288، والروض الأنف 4/ 15،14، وابن هشام 3/ 297، والبداية والنهاية 4/ 172.

الله ﷺ ولطفه بأصحابه وأتباعه، حيث تَرَفَّقَ بالمرأة، وبَصَّرَهَا بمالها وما عليها.

3- لا يُمْنَعُ الحِمَىٰ إلا بمثل هؤلاء الشجعان؛ فالواحد يقاوم الغازين ويُرْبِكُهُمْ.

4- في تعيينه ﷺ أميرا على الذين هَبُّوا للنجدة إشارة إلى أهمية النظام والانتظام.

33- سرية عكاشة بن محصن إلى الغَـمْرِ[1] (ربيع الأول سنة 6هـ):

كان بنو أسد يؤذون من مر بهم من المسلمين؛ فأرسل النبي ﷺ إليهم عكاشة في أربعين رجلًا، فوجدوا القوم قد هربوا، ووجدوا رجلًا نائمًا فدَّلهم على مائتي بعير فأخذوها ورجعوا[2].

34- سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القَصَّةِ (ربيع الثاني سنة 6هـ):

أرسله النبي ﷺ في عشرة وهم: أبو نائلة، والحارث بن أوس، وأبو عبس بن جبر، ونعمان بن عَصْرٍ، ومحيصة بن مسعود، وحويصة ، وأبو بردة بن نيار، ورجلان من مزينة، ورجل من غطفان إلى بني ثعلبة وبني عُوَالٍ بذي القصة، على بعد (45كم تقريبا) من المدينة كانوا يريدون الإغارة على نِعَمِ المسلمين قُرْبَ المدينة؛ فسبقهم الخبر، فلما وردوا عليهم ليلا ناموا، فكمن لهم المشركون، فما شعروا إلا وقد أحدق بهم مائة نفرمن المشركين، فتراموا ساعة من الليل، ثم حمل الأعراب عليهم فقتلوهم جميعا، وجردوهم الثياب، وجُرح محمد بن مسلمة، ومر رجل من المسلمين فحمله وأتى به المدينة [3].

35- سرية أبي عبيدة إلى ذي القَصَّةِ (ربيع الآخر 6هـ):

أرسل النبي ﷺ أبا عبيدة في أربعين رجلًا إلى مصارع أصحاب ابن مسلمة؛

(1) غَمْرِ مرزوق ماء لبني أسد على ليلتين من فيد ، وفيد بليدة في نصف طريق مكة إلى الكوفة. معجم البلدان 4/ 282 ، وشرح المواهب اللدنية 2/ 153 .

(2)الطبقات 2/ 84، والواقدي 2/ 550، وعيون الأثر 2/ 149، ومغلطاي ص 268.

(3)الطبقات 2/ 85، والواقدي 2/ 551، والسيرة الحلبية 3/ 176، وعيون الأثر 2/ 150.

فأغاروا عليهم فأعجزوهم هربًا، وأخذوا رجلًا فأسلم، واستاقوا نعمًا[1].

سرايا زيد بن حارثة[2] سنة 6هـ:

36- الأولى (في ربيع الآخر) إلى بني سليم بالجَمُوم:

أرض لبني سُليم، وهي اليوم بلدة عامرة على طريق المدينة مكة، تبعد عن مكة (40كم) فَأَسَرَ امرأةً وَدَلَّتْهُ على نِعَمٍ وشاء وأسرى.

37- الثانية (في جمادى الأولى سنة 6هـ) إلى العِيصِ:

موضع ببلاد بني سُليم، به ماء يقال له: ذنبان العيص، وهو فوق السَّوَارِقِيَّةِ - قرية بين مكة والمدينة- [معجم البلدان 3/ 284] **وهو** في مائة وسبعين من المسلمين، وقيل: في سبعين، يعترض عيرًا لقريش؛ فأصابها وفيها فِضَّةٌ كثيرة، وأسروا أناسًا منهم أبو العاص بن الربيع؛ فاستجار بزينب بنت رسول الله زوجه، فأجارته ورَدَّ عليه المسلمون القافلة دون إكراه من النبي ﷺ، فردها أبو العاص إلى أصحابها فأسلم وقدم المدينة، ورَدَّ النبيُّ ﷺ عليه زوجه بالعقد الأول؛ فآيةُ تحريم المسلمات على الكفار لَـمَّا تكن قد نزلت[3].

38- الثالثة (في جمادى الآخرة) إلى الطَّرِفِ[4]:

في خمسة عشر رجلًا لغزو بني ثعلبة انتقامًا لأصحاب محمد بن مسلمة؛ **فأصابوا** عشرين بعيرًا وشاءً، وهربت الأعراب، ولم يكن فيها قتال، **وغاب** عن المدينة أربع ليال[5].

---

(1) الطبقات 2/ 85، والواقدي 2/ 551، ومغلطاي 268، والسيرة الحلبية 3/ 176.
(2) الطبقات 2/ 86، والسيرة الحلبية 3/ 176، ومغلطاي ص 268، وعيون الأثر 2/ 151.
(3) الطبقات 2/ 87، والواقدي 2/ 553، ومغلطاي ص 269، وعيون الأثر 2/ 151.
(4) ماء على بعد 36 ميلًا من المدينة ناحية العراق، أي ما يقارب (66كم ونصفا)، معجم البلدان 4/ 30.
(5) طبقات ابن سعد 2/ 87.

39- الرابعة (في جمادى الآخرة سنة 6هـ) إلى حِسْمَى: [وراء وادي القرى]

وسببها أن الهُنَيدَ بن عارض، وابنه عارض بن الهنيد من قبيلة جذام تعرَّضوا لِدِحْيَةَ الكلبي وهو قادم من عند القيصر، فسلبوه ما أهداه له إلا ثوبًا خَلَقًا [باليا]، واستنقذه قومٌ من بني الضُّبَيْبِ، واستنقذوا له متاعه، فقدم على النبي ﷺ فأخبره بذلك؛ **فأرسل** زيدًا في خمسمائة معهم دحية، فكانوا يسيرون ليلًا ويَكْمُنُوْنَ نهارًا، يَدُلُّهُمْ رجلٌ من بني عُذْرَةَ؛ **فهجموا** في الصبح فأوجعوهم قتلًا، وقُتِلَ الهنيد وابنه، **وغنموا** مائة من النساء والصبيان، وألف بعير، وخمسة آلاف شاة، **وقد** رد النبي ﷺ ما غنم زيد؛ لَـمَّا جاءه زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه وأسلموا، **وقال**: يا رسول الله لا تحرم علينا حلالا، ولا تُحِلَّ لنا حراما، **قال**: فكيف أصنع بالقتلى؟ **فقال** أبو زيد بن عمرو: أَطْلِقْ لنا يا رسول الله من كان حَيًّا، ومَنْ قُتِلَ فهو تحت قَدَمَيَّ هاتين؛ **فقال** رسول الله ﷺ صدق أبو زيد، فبعث معهم عليًّا إلى زيد بن حارثة يأمره أن يُخَلِّيَ بينهم وبين حُرَمِهِمْ وأموالهم؛ فتوجه عليٌّ ولقي زيدا بالْفَحْلَتَيْنِ، وهي بين المدينة وذي المروة؛ فأبلغه أمر رسول الله؛ فرد إلى الناس كل ما كان أُخِذَ لهم[1].

40- الخامسة (في رجب سنة 6هـ) إلى وادي القُرَى:

خرج في اثني عشر رجلًا وقاتل بني فزارة؛ فَقَتَلَ منهم قتلى، وقُتِلَ من المسلمين تسعة، وأَفْلَتَ ثلاثةٌ منهم زيد وقد جرح؛ **وسببها** تأديب العدو أو استكشاف خبره[2].

41- سرية عبدالرحمن بن عوف إلى دُوْمَةِ الجندل (شعبان 6هـ):

دعاه رسول الله ﷺ فَعَمَّمَهُ وقال: اغْزُ باسم الله وفي سبيل الله، فَقَاتِلْ مَنْ كفرَ بالله، لا تَغُلَّ، ولا تَغْدِرْ، ولا تَقْتُلْ وَلِيدًا، وَبَعَثَهُ إلى بني كلب وقال: إن استجابوا لك

---

(1) الواقدي 2/ 557، وطبقات ابن سعد 2/ 88، وعيون الأثر 2/ 152، ومغلطاي ص 270.

(2) عيون الأثر 2/ 152، والطبقات 2/ 90، ومغلطاي ص 171.

فتزوجْ ابنة ملكهم؛ فمكث ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام، ومعه سبعمائة من المسلمين؛ فأسلم رئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانيًا، وأسلم معه ناس كثير، وتزوج عبدالرحمن تُماضِرَ ابنة الأصبغ، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن[1].

42-سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى بني سعد بفدك (شعبان 6 هـ):

بعثه رسول الله ﷺ في مائة رجل، وقد بلغه أنهم يريدون إمداد يهود خيبر بالمقاتلين؛ فسار ليلًا وكَمَنَ نهارا، حتى إذا انتهى إلى ماء بين خيبر وفدك يقال له: الهمج - وَجَدَ عَيْنًا لبني سعد قد بعثوه إلى خيبر؛ لتجعل لهم يهود من ثمرها كما جعلوا لغيرهم حتى يقدموا عليهم؛ فسألوه عن القوم؟ فقال: أخبركم على أنكم تؤمنونني؛ فَأَمَّنُوهُ فدلهم؛ فأغاروا عليهم وأخذوا خمسمائة بعير، وألفي شاة، وهرب القوم مع نسائهم وأولادهم؛ فعزل عليٌّ من الغنيمة صَفِيَّ النبي ﷺ لقوحا تُدْعَى الحفذة، ثم عزل الخمس، وقسم سائر الغنائم على أصحابه، وقدم المدينة، ولم يلق كَيْدًا[2].

43- سرية زيد بن حارثة (رمضان 6 هـ)[3]:

سببها أن زيدًا خرج في تجارة إلى الشام فَلَقِيَهُ ناسٌ من فزارة بوادي القرى فضربوه وأصحابه وأخذوا ما معهم، فقدم المدينة فأرسله النبي ﷺ في جيش، وأمرهم بأن يسيروا ليلا ويكمنوا نهارا، وكان الفزاريون يراقبون الطريق، لكنَّ زيدًا أخطأ الطريق فأدَّاه خطؤه في غبش الصبح إلى وسط القوم، فأحاط بهم وقتلهم، وقتلوا أُمَّ قِرْفَةَ، وكانت عجوزًا ذات شرف ومَنَعَةٍ، واختلف في سبب قتلها، فقيل: لِسَبِّها رسول الله ﷺ، وقيل: جهَّزت مِنْ ولدها وأحفادها ثلاثين راكبًا لقتل النبي ﷺ، وقيل: كانت

---

(1) الطبقات 2/ 89، والواقدي 2/ 560، ودحلان 2/ 150، وعيون الأثر 2/ 155، ومغلطاي ص 172.
(2) الطبقات 2/ 89، والواقدي 2/ 562، والسيرة الحلبية 3/ 183، والإمتاع 1/ 270.
(3) الطبقات 2/ 92، والواقدي 2/ 564، ومغلطاي 272، وعيون الأثر 2/ 156.

تؤلب عليه؛ فربطها قيس بن المُحَسِّرِ بين جملين وزجرهما فَشُقَّتْ نصفين كما قيل، ولا أظن أَحَدًا من الصحابة يفعل هذا؛ وقد نهى النبي ﷺ عن المُثْلَةِ، وقال: «إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ»، ولو صح ذلك لأنكره النبي ﷺ، ولم ينقل ذلك عنه.

44- سرية عبدالله بن عَتِيْكٍ (رمضان 6 هـ) [1]:

بعث رسول الله ابن عتيك، وعبدالله بن أُنَيْسٍ، وأبا قتادة، والأسود بن خزاعي، ومسعود بن سنان؛ لقتل أبي رافع سَلَّامِ بن أبي الحُقيق اليهودي؛ لأنه كان يُحَرِّضُ على النبي ﷺ قبائل غطفان؛ فهجموا على منزله في خيبر ليلًا، وَرَطَنَ له ابن عتيك بالعبرية ففتح له فقتلوه؛ فصاحت امرأته: وَإلهِ يهود لقد لفظ أنفاسه؛ فخرج اليهود في طلبهم، واختبأوا في ساقية ماء، ولما وصلوا إلى رسول الله ﷺ قال: أَفْلَحَتِ الوُجُوهُ، قالوا: أفلح وجهك يا رسول الله، واختلفوا فيمن قتله؛ فقال: أَرُونِي أَسْيَافَكُم، فَوَجَدَ في سيف عبدالله بن أنيس أثر الطعام فقال: هَذَا قَتَلَهُ.

45- سرية عبدالله بن رواحة (شوال 6 هـ)[2]:

بعثه ﷺ في ثلاثة نفر إلى أُسَيْرِ بْنِ زَارِمٍ، وقيل: رزام اليهودي لكي يطلع على خبره؛ لأنه بلغ رسول الله ﷺ أن أسير بن زارم سار إلى غطفان وغيرهم؛ يجمعهم لحرب رسول الله ﷺ انتقامًا لسلام بن أبي الحُقيقِ؛ فأكد ابن رواحة لرسول الله ﷺ صدق ما بلغه؛ فبعث معه ثلاثين رجلًا؛ فذهبوا إلى أسير وطلبوا منه الأمان حتى يعرضوا عليه ما جاءوا به، وطلب منهم الأمان كذلك، ودعوه إلى النبي ﷺ ليوليه على خيبر ويحسن إليه؛ فطمع في ذلك وذهب معهم في ثلاثين رجلًا من اليهود، وفي الطريق ندم أسير وأراد الغدر فشهر سيفه؛فهجم عليه عبدالله بْنَ أُنَيْسٍ فقتله، وقتلوا أصحابه إلا رجلا، ولم يُصَبْ من

---

(1) الطبقات 2/ 91. ومغلطاي 273.

(2)الطبقات 2/ 92، والواقدي 2/ 566، ومغلطاي 274، وعيون الأثر 2/ 157.

المسلمين أحد، ورجعوا إلى رسول الله ﷺ فقال لهم: قَدْ نَجَّاكُمُ اللهُ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ.

46- سرية كُرْزٍ بن جابر الفِهْرِي (شوال 6 هـ)[1]:

وسببها أن ثمانية أو سبعة من عُرَيْنَةَ وعُكْلٍ قدموا على النبي ﷺ فأسلموا واسْتَوْبَؤُا المدينة فأرسلهم إلى لقاحه، وكانت ترعى بذي الجَدْرِ ناحية قباء على ستة أميال من المدينة [11كم تقريبا]؛ فشربوا منها حتى صَحُّوا فسرقوا اللقاح، وقتلوا يَسَارًا مولى رسول الله ﷺ، وقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينيه حتى مات، وبلغ الرسول ﷺ ذلك فبعث كرز بن جابر في عشرين فارسًا، وقيل: سعيد بن جابر، فلحقوا بهم وأسروهم فأمر رسول الله ﷺ بقطع أيديهم وأرجلهم وسَمْلِ أعينهم فَصُلِبُوا، وأنزل الله: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[المائدة:33]، ولم يَسْمُلْ بعد ذلك عَيْنًا[أسباب النزول164]؛ نعم: إن الجزاء من جنس العمل، والبادي أظلم.

47- سرية عمرو بن أمية الضَّمْرِي (شوال 6 هـ)[2]:

أرسل أبو سفيان من يقتل النبي ﷺ؛ فَرَدَّ النبيُّ ﷺ بإرسال عمرو بن أمية، وسلمة بن أسلم بن حَرِيسٍ ليقتلا أبا سفيان، فرآهما معاوية يطوفان بالبيت؛ فأخبر قريشًا فهرب عمرو وصاحبه، ولقيا في الطريق عبيدالله بن مالك التيمي، ورجلا من بني الديل كان يتغنى:

ولست بمسلم ما دمت حيّا ... ولست أدين دين المسلمين

فقتلاهما ثم لقيا رسولين لقريش بعثتهما يتحسسان الخبر، فَقَتَلا واحدًا وأسرا الثاني، فأخبرا النبي ﷺ فجعل يضحك.

---

(1) الطبقات 2/ 92. والواقدي 2/ 564. ومغلطاي 272. وعيون الأثر 2/ 156.

(2) الطبقات 2/ 93، سبل الهدى 6/ 194، مغلطاي 275، زيني دحلان 2/ 59.

صلح الحديبية [1] (في آخر سنة 6هـ 628م):

خرج ﷺ يريد العمرة، واستعمل على المدينة نُمَيْلَةَ بن عبدالله الليثي، واستنفر العرب ليخرجوا معه، **وكان** عدد أصحابه (1400)، **وقيل**: (1500)، **وقيل**: (1700)، وخرج بأم سلمة، وخرج معهم من النساء أم عمارة ، وأم منيع أسماء بنت عامر، وأم عامر الأشهلية- **وهو** يخشى من قريش أن يَعْرِضُوا له بِحَرْبٍ، أو يَصُدُّوْهُ عن البيت، فأبطأ عليه كثير من الأعراب، **وساق** معه الهديَ سبعينَ بَدَنَةً، وأحرم بالعمرة ليأمن الناسُ، ويعلموا أنه خرج زائرًا معظمًا للبيت، **حتى** إذا كان بِعُسْفَانَ [2] **أُخْبِرَ** بأن قريشًا قد لبسوا جُلُودَ النُّمُورِ، ونزلوا بذي طُوًى [قرب مكة]، واستنفروا من أطاعهم من الأحابيش، وأجلبت معهم ثقيف، وخرجوا إلى بَلْدَحَ، وضربوا هناك القباب فعسكروا هنالك، وجعلوا العيون على الجبال يوحي بعضهم إلى بعض الصوت، وقدموا خالد بن الوليد في خيل إلى كُرَاعِ الغميم يعاهدون الله أن لا يدخلها عليهم أَبَدًا؛ **فقال**: يا ويحَ قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب؛ **فإن** هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، **وإن** أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، **وإن** لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يُظْهِرَهُ الله أو تَنْفَرِدَ هذه السالفة [صفحة العنق]، **فطلب** مَنْ يَدُلُّهُ على طريق غير طريقهم، **فانتدب** رجلٌ مِنْ أسلم؛ **فسلك** بهم طريقًا وَعْرًا شَقَّتْ على المسلمين؛ فأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي، **فقال** ﷺ

---

(1) **الحديبية**: قرية متوسطة، **سميت** باسم بئر هناك عند مسجد الشجرة التي بايع رسول الله تحتها، وبعض الحديبية في الحِلِّ وبعضها في الحرم، **وهي** أبعد الحل من البيت، ليس في طول الحرم ولا عرضه بل في مثل زاوية الحرم، **بينها** وبين مكة (9 أميال) يقارب (17كم تقريبا)، بين مكة وجدة في حدود الحرم. معجم البلدان 2/ 228، والمنتظم 3/ 268. **وينظر** حول الغزوة: المنتظم 3/ 267، والطبري 2/ 620، والاكتفاء 2/ 173، والبداية والنهاية 4/ 188، والطبقات 2/ 95، والواقدي 2/ 571، وابن هشام 3/ 321، ومغلطاي ص 275.

(2) مَنْهَلٌ بين الجحفة ومكة، **وقيل**: قرية بها نخيل ومزارع على (36) ميلا من مكة. معجم البلدان 4/ 121.

للناس: قولوا: نستغفر الله ونتوب إليه، فقالوا ذلك، **فقال**: والله إنها لَلْحِطَّةُ[1] التي عُرِضت على بني إسرائيل فلم يقولوها؛ فهبطوا إلى الحديبية أَسْفَلَ مكة، ونَذِرَتْ بهم قريش فركضوا راجعين، وسدوا الطريق أمام رسول الله ﷺ، **وفي** ثَنِيَّةِ المُرَارِ بَرَكَتْ نَاقَتُهُ؛ **فقال** الناس: خَلأَتِ النَّاقَةُ [بركت من غير علة]، **فقال** ﷺ: ما خَلأَتْ وما هو لها بِخُلُقٍ؛ **ولكن** حبسها حابس الفيل عن مكة؛ لا تدعوني قريشٌ اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها، **ثم** قال للناس: انزلوا، قيل له: ما بالوادي ماء ننزل عليه؛ فأخرج سهمًا من كنانته فأعطاه رجلًا من أصحابه فنزل به في قَلِيْبٍ من تلك القُلُبِ فغرزه في جوفه فجاش البئر بالماء، **فلما** اطمأن رسول الله ﷺ اختلفت بينه وبين قريش الرسل والوسطاء وأخبرهم أنه جاء معتمرًا، **لَكِنَّ** قريشًا أمعنت في تعنتها؛ فأرسل عثمان بن عفان ليخبر قريشًا بالذي جاء له، **فَأُشِيعَ** أَنَّ عثمان قُتِلَ[2]؛ **فطلب** النبي ﷺ من المسلمين أن يبايعوه بيعة الموت، **وعزم** على مناجزة قريش حتى النهاية، **وقعد تحت شجرة**، وبويع بيعة الرضوان لم يتخلف عنها أحد إلا الجَدُّ بن قيس من المنافقين فقد اختبأ وراء ناقته؛ فأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:18]؛ **فأدركت** قريش أن العواقب وخيمة؛ **فأرسلت** سهيل بن عمرو؛ فلما رآه النبي ﷺ **قال**: أَرَادَتْ قُرَيْشٌ الصُّلْحَ؛

---

(1) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾[الأعراف:161]، **ومعناه**: اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا.

(2) روي أنه لما كان أثناء الصلح مع سهيل بن عمرو رمى أحد الفريقين رجلا من الفريق الآخر، فصاح كل من الفريقين، وكانت معركة، وتراموا بالنبل والحجارة، وارتهن المشركون عثمان ومن معه، وارتهن المسلمون سهيل بن عمرو ومن معه من المشركين، فقال سهيل: والله يا محمد ما كان قتال من قاتلك عن رأي ذوي رأينا، وإنهم كارهون، وإنما وقع من بعض سفهائنا، فقال رسول الله ﷺ: «لا نرسل أحدًا ممن عندنا حتى يأتينا من بمكة من المسلمين»، فقال سهيل: أنصفت، فبعث إلى مكة فأرسلوا من عندهم.بلوغ المراد، للحسن بن إسحاق ص 262.

فتم الصلح، **وروي**: أنه لما كان يوم الحديبية خرج ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو و أناس من رؤساء المشركين، فقالوا: يا رسول الله خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا وأرقائنا وليس لهم فقه في الدين، وإنما خرجوا فرارا من أموالنا وضياعنا فارددهم إلينا، قال: فإن لم يكن لهم فقه في الدين سنفقههم، فقال النبي ﷺ: «يا معشر قريش لتنتهن أو ليبعثن الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين قد امتحن الله قلبه على الإيمان» قالوا: من هو يا رسول الله؟ **فقال** له أبو بكر: من هو يا رسول الله؟ وقال عمر: من هو يا رسول الله؟ قال: «هو خاصف النعل»، وكان قد أعطى عليًّا نعله يخصفها. [الترمذي رقم 3715].

بنود الصلح: **دعا** رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه **فقال**: اكتب «بسم الله الرحمن الرحيم»؛ **فقال** سهيل: لا أعرف هذا ولكن اكتب: «باسمك اللهم» فكتبها، **ثم قال**: اكْتُبْ: «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو»؛ **فقال** سهيل: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، **فقال** رسول الله ﷺ: اكْتُبْ: **هذا** ما صالح عليه محمدٌ بن عبدالله سُهَيْلَ بن عمرو، **اصطلحا على**:

1- **وضع** الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض.

2- **مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا** من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، **وَمَنْ** جاء قريشًا ممن مع محمد لا ترده عليه.

3- **وأن** بيننا عَيْبَةً مكفوفة[1]، **وأنه** لا إسلال ولا إغلال[2].

4- **وأنه من** أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، **ومن** أحب أن

(1) **أصل العَيْبَةِ**: وعاء من جلد يكون فيه المتاع. **مكفوفة**: أُشْرِجَتْ على ما فيها وأقفلت. ضُرِبَ ذلك مَثَلًا للقلوب التي طويت على ما تعاقدوا عليه.

(2) **الإسلال**: السرقة الخفية. **والإغلال**: الخيانة.

يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه؛ **فتواثبت** خزاعة فقالوا: نحن في عَقْدِ محمد وعهده، **وتواثبت** بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم.

5- **وأنك** ترجع عامَك عنا هذا فلا تدخل علينا مكة، **وأنه** إذا كان عَامٌ قابِلٌ خرجنا عنك فدَخلتَها بأصحابِك فَأَقَمْتَ بها ثَلَاثًا، معك سِلَاحُ الرَّاكِبِ: السُّيُوفُ في القُرُبِ، لا تدخلها بغيرها.

وفي أثناء كتابة بنود الصلح جاء أبو جَنْدَلٍ بن سهيل بن عمرو مُسْلِمًا يَرْسُفُ في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ، **وقد** كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا، وهم لا يَشُكُّونَ في الفتح؛ لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، **فلما** سمعوا بنود الصلح دخل عليهم من ذلك أمر عظيم حتى كادوا يهلكون؛ **فلما** رأى سَهَيْلٌ أبا جندل قام إليه فضرب وجهه وأخذ بِتِلْبِيبِهِ(1)، ثم قال: يا محمد قد لَـجَّتِ القضية [أي تَمَّتْ] بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، قال: صدقت؛ فجعل يَجُرُّ ابنه ليرده، وهو يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أَأُرَدُّ إلى المشركين يفتنوني في ديني؟ فازداد غم المسلمين؛ **فقال** رسول الله ﷺ: يا أبا جندل اصبر واحتسب؛ فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا؛ إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صُلْحًا، وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله، وإنا لا نَغْدِرُ بهم؛ **فوثب** عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ويقول: اصبر يا أبا جندل فإنهم المشركون، وإنما دَمُ أحدهم دَمُ كلبٍ، وَيُدْنِي عُمَرُ قائمَ السيف منه رَجَاءَ أن يأخذه فيضربَ به أباه؛ فَضَنَّ الرجل بأبيه، ونَفَذَتِ القضية.

شهد على الصلح: أبو بكر، وعمر، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، وعبدالله بن سهيل بن عمرو[أخو أبي جندل]، **ولم تذكر** كتب السير من المشركين سوى مِكْرَزٍ بن حفص، وحويطب بن عبد العزى، **وشهد** عَلِيٌّ وكتب الصحيفة(2)،

(1) **التلبيب**: مجمع الثياب عند الصدر والنحر، أخذ بتلبيبه: جمع عليه ثوبه عند صدره وقبض عليه يجره. اللسان1/ 733.

(2) **في** السِّيَرِ: أن جميع مَنْ ذُكِرَ مِنَ المسلمين إلا مكرز بن حفص فمشرك، **وينبغ** قول ابن إسحاق: وهو =

فلما فرغ رسول الله ﷺ من الصلح قام إلى هَدْيِهِ فنحرَه، **ثم** جلس فحلق رأسه؛ **فلما** رأى الناس أن رسول الله ﷺ قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويَحْلِقُونَ، **وقيل:** أمرهم بذلك وهم واجمون؛ فشكى لأم سلمةﷺ فقالت: اعْذِرْهُمْ يا رسول الله وادْعُ حالقك فإذا رأوك حلقت استجابوا؛ فلما رآه المسلمون يحلق ثابوا إلى رشدهم وقاموا يحلقون وَيُقَصِّرُونَ، ويكاد بعضهم يقتل بعضًا من الهم، **وروي** أن النبي ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ الْمُحَلِّقِيْنَ» ثَلَاثًا، **وفي** الرابعة قال: «وَالْمُقَصِّرِينَ»؛ فَسُئِلَ فقال: «إِنَّ الْمُحَلِّقِينَ لَمْ يَشُكُّوا»[1]. **وبين** مكة والمدينة نزلت سورة الفتح حال رجوعه ﷺ[أسباب النزول 315]، **وكان صلح** الحديبية فَتْحًا حَقِيقِيًّا؛ لِمَا تحقق بعده من انتصارات للمسلمين لم تخطر على بال. **وقيل:** إن السبب في واقعة الحديبية أنه بلغ رسول الله ﷺ أن **تَحَالُفًا عُقِدَ** بين قريش - جنوب المدينة - واليهود في خيبر - شمالي المدينة - الغاية منه جَعْلُ رسول الله ﷺ بين فَكَّيْ كَمَّاشَةٍ، ولم يكن عنده من القوة ما يستطيع به كسر هذا الحصار عَسْكَرِيًّا؛ فكسره سِلْمًا بصلح الحديبية، وتم له ما أراد؛ فما عاد إلى المدينة حتى هاجم خيبر، وكسر أحد الفَكَّينِ ، ثم لم يلبث أن هاجم قريشًا فكسر الفك الآخر.

الدروس والعبر: 1- غاب عن المسلمين حِكْمَةُ النبي ﷺ وبُعْدُ نظره؛ **فعَقْدُ** الصلح يعني اعتراف قريش بالنبي ﷺ نِدًّا لها: كالدولة تتفاوض مع دولة أخرى.

2- لَمَّا أَمِنَ الناسُ واختلطوا تفرغ المسلمون لنشر دعوة الإسلام وهم آمنون، فما عُرِضَتْ مَبَادِئُ الإسلام على أحد يعقل إلا وأسلم؛ فدخل في دين الله الألوف المؤلفة، وقُرَيْشٌ لاهِيَةٌ في تجارتها ولهوها.

يومئذ مشرك أنه أسلم فيما بعد، **وقد** ذكره ابن حبان 3/ 392 في الصحابة، وقال: يقال له صحبة، **قال ابن حجر** في الإصابة: 3/ 435: ولم أره لغيره، **وذكره** المرزباني في معجم الشعراء بأنه جاهلي، ومعناه أنه لم يسلم. **وكذلك** حويطب فإنه من مسلمة الفتح، تاريخ البخاري الكبير 3/ 127/ 426.

(1) مجمع الزوائد 3/ 262. والطبقات 2/ 98.

3- تفرغ النبي ﷺ لتصفية المشاغبين، وقطاع الطرق، ولصوص الصحراء، وخضعت القبائل للإسلام خُضُوعًا تَامًّا.

4- في هذه الفترة فُتِحَتْ خيبر، وعاد جعفر بن أبي طالب مع أصحابه ﷺ من الحبشة ؛ **وفَتْحُ** خيبر **أَهَمُّ** نصر أحرزه المسلمون؛ **مَكَّنَ** لدولتهم، وبَسَطَ نفوذهم، وكَسَرَ طَوْقَ الحصار الشمالي.

5- **موافقة** النبي ﷺ على رد من أتاه مسلمًا، وعدم رد من ذهب من أصحابه مرتدًا **يدل** على ذكاء خارق؛ **لأن من** ارتد من المسلمين لا حاجة في استرجاعه، **ومن** أتى مسلمًا ورُدَّ كان امتحانًا لصلابته في دينه، **كما** تعتبر هذه المادة من أعظم بنود الوثيقة؛ **إذ** تعكس نظرة الإسلام وتفكيره حول كيفية تبليغ الدين ونشره؛ **فإنه** يظهر منها بجلاء مدى احترام رسول الله لمبدأ الحرية، **كما** أن هذه المادة تُعَدُّ رَدًّا قاطعا على تَقَوُّلاتِ المستشرقين الزاعمين بأن الإسلام انتشر بالسيف؛ **لأنهم** لا يطيقون رؤية هذا الامتياز العظيم الذي كسبه الإسلام الحنيف؛ وانتشاره في مدة وجيزة، **حتى** كاد يَعُمُّ المعمورة، **وقالوا**: إنه انتشر بالقوة؛ لِيُشَوِّهُوْهُ، ويُخْفُوا الحَقِيقَةَ بالأراجيف، عِلْمًا أن صلح الحديبية عُقِدَ باتفاق المسلمين والمشركين، وعكس روح الإسلام وتعاليمه السامية، و أنه انتشر بالدعوة و الموعظة الحسنة، و لم يُسْتَخْدَمِ السيف إلا كحل أخير، كما يقال: آخر الدواء الكَيُّ؛ **وقد** ظهرت الحكمة في قصة أبي بصير؛ إذ جاء بعد الصلح من مكة إلى النبي ﷺ مسلمًا، فأرسلت قريش في طلبه رجلين، وطلبا من النبي رده حسب العهد، فرده قائلا: "يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت؛ ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا؛ فَانْطَلِقْ إلى قومك"، **قال**: يا رسول الله أَتَرُدُّنِي إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ **قال**: يا أبا بصير انْطَلِقْ فإن الله سيجعل لك ولمن معك

من المستضعفين فرجًا ومخرجًا؛ فَانْطَلَقَ معهما، **وفي** الطريق بَاغَتَ أبو بصير صاحبيه فقتل أحدهما، وَوَلَّى الثاني فَزِعًا إلى النبي ﷺ، وقال: قتل صاحبُكم صاحبي، **وأقبل** أبو بصير في إثره متوشحًا سيفه، فقال: وَفَتْ ذِمَّتُكَ يا رسول الله وأَدَّى الله عنك؛ أسلمتني بيد القوم وقد امْتَنَعْتُ بديني أن أُفْتَنَ فيه أو يُعبَثَ بي؛ **فقال** رسول الله ﷺ: وَيْلُ أُمِّهِ مِحَشَّ حَرْبٍ، لَوْ كَانَ مَعَهُ رِجَالٌ!![1].

وبقي مُصْلِتًا سيفه يقطع الطريق على قريش، **وبلغتْ** كلمةُ النبي ﷺ مسلمي مكة، فتسلل سبعون إلى أبي بصير؛ فإذا هم قوةٌ ضاربة ذاقت قريش منها العناء، وأرغمتهم على رجاء محمد ﷺ أن يضمهم إليه؛ فوافق على ذلك، إلا أن أبا بصير رحمه الله- توفي قبل أن يصله أَمْرُ رسول الله ﷺ بالوصول إليه.

6-لم يَرُدَّ النبيُّ ﷺ مَنْ جاء من النساء مُسْلِمَاتٍ لقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾[الممتحنة: 10].

7- من دلائل النبوة أَنَّ عَلِيًّا كرم الله وجهه اعترض على شطب محمد رسول الله من وثيقة الصلح **كما** طلب سهيل بن عمرو؛ **فقال** النبي ﷺ: «امْحُهَا، أَمَا إِنَّكَ لَتُبْتَلَنَّ بِمِثْلِهَا»، وَحَدَثَ لعليٍّ ذلك حين طلب عمرو بن العاص شطب أمير المؤمنين عَلِيٍّ من وثيقة الصلح بينه وبين معاوية بعد حرب صفين[2].

مكاتبة الملوك[3]:

تَفَرَّغَ النبيُّ ﷺ بعد الهدنة مع قريش لإرساء دعائم الدولة؛ فأكثر من السرايا والبعوث والمرشدين، ولم يَهْدَأْ لَيْلًا ولا نَهَارًا؛ فهو ﷺ القائل: «لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ على

(1) **مِحَشّ**: ما تُحَرِّكُ به النار من حديد، ومنه قيل للرجل: الشجاع. اللسان 6/ 285، وابن هشام3/ 337.
(2)دلائل النبوة 4/ 147. والكامل 2/ 138.
(3) الطبقات1/ 258، وتأريخ الطبري2/ 645، والبداية والنهاية4/ 255، والكامل2/ 195، والمنتظم 3/ 274.

يديك رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[البخاري رقم 2874]، وخَطَا ﷺ خطوة بعيدة المدى، وأراد أن ينقل رسالته من إطارها المحلي والإقليمي إلى المحيط العالمي الدولي؛ فهو رسول الله إلى الناس كافة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف:158]، بل هو رسول إلى الجن والإنس، ولابد لاقتحام ميدان العلاقات الدولية أن يُدَرِّبَ أصحابه على فَنِّ الدبلوماسية الراقي، وحسن مخاطبة الملوك والرؤساء؛ ففي أواخر سنة سِتٍّ كاتب ﷺ ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، واتخذ خاتمًا من فضة يختم به خطاباته، وكان نقشه: محمد رسول الله:

كتابه إلى قيصر ملك الروم: وجه ﷺ دِحْيَةَ الكلبي بكتاب إلى قيصر الروم، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بُصْرَىٰ ليوصله إلى الملك، وكان الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبدالله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فإن توليت فإنما عليك إثم الأَرِيسِيِّينَ[1] ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:64]، **ولما** وصل الكتاب إلى قيصر **قال**: انظروا لنا مِنْ قومه أحدًا نسأله عنه، وكان أبو سفيان بالشام مع رجال من قريش في تجارة؛ فجاءت رسل قيصر لأبي سفيان ودعوه لمقابلة الملك في القدس، **فقال** لترجمانه: سَلْهُمْ أيهم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ **فقال** أبو سفيان: أنا، **فقال**: ادْنُ مني، **ثم** أمر بأصحابه

---

(1) **الأريسيين**: اختلف في معناها، **فقيل**: الخدم والخَوَلُ، يعني لصده إياهم عن الدين، **وقيل**: هم الأكّارون، وهم الفلاحون؛ لأن أكثر الناس يومئذ كانوا من الفلاحين، وهم أطوع الناس للحاكم، **وربما** هو المقصود؛ لأنه ورد في بعض نسخ الكامل لا بن الأثير 2/ 145 كلمة الأكارين بدل الأريسيين. **وقيل**: رَهْطُ هِرَقْلَ يعرف بالأريسية. **وقيل**: الأريسيون الملوك، وَاحِدُهُمْ أريس. **وقيل**: العشارون. النهاية في غريب الحديث 1/ 378.

فَجُعِلُوا وراء ظهره، **ثم قال** لترجمانه: قل لأصحابه إنما قَدَّمْتُ هذا أمامكم لأسأله عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي وقد جُعِلْتُمْ خلفه كيلا تخجلوا من رد كذبه عليه إذا كذب، **ثم** سأله كيف نسب هذا الرجل فيكم؟ **قال**: هو فينا ذو نسب، **قال**: هل تكلم بهذا القول أحد منكم قبله؟ **قال**: لا، **قال**: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ **قال**: لا، **قال**: فهل كان من آبائه من مَلِكٍ؟ **قال**: لا، **قال**: فأشرافُ الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ **قال**: بل ضعفاؤهم، **قال**: فهل يزيدون أم ينقصون؟ **قال**: بل يزيدون، **قال**: هل يرتد أحد منهم سَخْطَةً لدينه؟ **قال**: لا، **قال**: هل يغدر إذا عاهد؟ **قال**: لا، ونحن الآن منه في ذمة لا ندري ما هو فاعل فيها، **قال** أبو سفيان: ولم يمكني إدخال شيء غير هذه اللفظة، **قال**: فهل قاتلتموه؟ **قال**: نعم، **قال**: فكيف حربكم وحربه؟ **قال**: الحرب بيننا وبينه سِجَالٌ، مرة لنا ومرة علينا، **قال**: فبم يأمركم؟ **قال**: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، وينهى عما كان يعبد آباؤنا، ويأمر بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة؛ **فقال** الملك: إني **سألتك** عن نسبه فزعمتَ أنه فيكم ذو نسب؛ **وكذلك** الرسل تُبْعَثُ في نسب قومها، **وسألتك** هل قال أحد منكم هذا القول قبله؟ فزعمتَ أن لا، فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت: رجل يَأْتَمُّ بقولٍ قِيلَ قَبْلَهُ، **وسألتك** هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فقلتُ: ما كان لِيَذَرَ الكذبَ على الناس ويكذب على الله، **وسألتك** هل كان من آبائه من ملك؟ فقلتَ: لا، فلو كان من آبائه ملك لقلت: رجل يطلب ملك أبيه، **وسألتك** أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت: ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، **وسألتك** هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلت: بل يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، **وسألتك** هل يرتد أحد منهم سخطةً لدينه؟ فقلت: لا، وكذلك الإيمان حين تُخَالِطُ

بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ، **وسألتك** هل قاتلتموه؟ فقلت: نعم، وإن الحرب بينكم وبينه سجال، وكذلك الرسل تُبْتَلَى ثم تكون لهم العاقبة، **وسألتك** بماذا يأمر؟ فزعمت أنه يأمر بالصلاة، والصدق، والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة **وهذه جماع مكارم الأخلاق، وسألتك** هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، **فعلمت أنه نبي**، وقد علمتُ أنه مبعوث، ولم أظن أنه فيكم، فإن كان ما كلمتني به حَقًّا فسيملك موضعَ قدمي هاتين، ولو أعلم أني أخلص إليه لتكلفت ذلك! **قال** أبو سفيان: فَعَلَتْ أصواتُ الذين عنده وكثر لغطهم، فلا أدري ما قالوا، وأُمِرَ بنا فأُخْرِجْنَا، **فلما** خرج أبو سفيان مع أصحابه، **قال**: لقد بَلَغَ أَمْرُ ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصفر، **ولما** سار قيصر إلى حمص **أذن** لعظماء الروم في دَسْكَرَةٍ له ثم أمر بأبوابها فأُغْلِقَتْ، **ثم قال**: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حُمُرِ الوحوش إلى الأبواب فوجدوها مغلقة، فلما رأى قيصر نفرتهم، قال: رُدُّوهُمْ عليَّ، فقال لهم: إني قُلْتُ مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم، فسكتوا له ورضوا عنه؛ فغلبه حب ملكه على الإسلام، فذهب بإثمه وإثم رعيته كما قال ﷺ، ولكنه رَدَّ دِحْيَةَ ردًّا جميلًا[1].

كتابه لأمير بُصرى: أرسل ﷺ الحارث بن عمير الأزدي بكتاب إلى أمير بصرى، فلما بلغ مؤتة[2] -وهي قرية من عَمَلِ البلقاء بالشام[معجم البلدان 5/ 219]- تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، فقال له: أين تريد؟ قال: الشام، قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، فأمر به فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيرُه، وقد وَجِدَ رسول الله ﷺ لذلك وَجْدًا شديدًا.

---

(1) البخاري رقم 7، ومسلم 1773، والطبقات 1/ 259، والطبري 2/ 77.

(2) هي الجنوب الشرقي للقدس على بعد (100كم) تقريبا. وينظر عيون الأثر 2/ 208.

كتابه للحارث بن أبي شَمِرٍ: وَجَّهَ ﷺ شجاعَ بن وهب إلى أميرِ دِمَشْقَ من قِبَلِ هِرَقْلَ الحَارِثِ بن أبي شَمر، وكان يقيم بِغُوطَتِهَا، وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى الحارث بن أبي شمر، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق، وإني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له؛ يبقى ملكك، فلما قرأ الكتاب رمى به، وقال: من يَنْزِعُ مُلْكِي مني؟ واستعد ليرسل جيشًا لحرب المسلمين، وقال لشجاع: أخبر صاحبك بما ترى، ثم أرسل إلى قيصر يستأذنه في ذلك، وصادف أن كان عنده دحية؛ فكتب قيصر إليه يَثْنِيْهِ عن هذا العزم ويأمره أن يجيء بإيليا [القدس] ما يلزم لزيارته، فإنه بعد أن قهر الفرس نذر بزيارتها، فلما رأى الحارث كتاب قيصر صرف شجاعًا بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة(1).

كتابه لِلْمُقَوْقِسِ(2): **وَجَّهَ** ﷺ حاطبَ بن أبي بلتعة بكتاب إلى المقوقس أميرِ مصر من جهة قيصر، **وفيه**: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مرتين، **وإن** توليت فإنما عليك إثم القبط، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:64]، **فلما** قرأه وكان بالاسكندرية، قال: ما منعه إن كان نَبِيًّا أن يَدْعُوَ على من خالفه وأخرجه من بلده؟ **فقال حاطب**: أَلَسْتَ تَشْهَدُ أَنَّ عَيْسَى بنَ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ؟ فما له حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه ألا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله إليه؟ **قال**:

---

(1) الطبقات 1/ 261، والاكتفاء 2/ 406، والطبري 3/ 644.

(2) الطبقات 1/ 260، والطبري 3/ 644، ومروج الذهب 2/ 289.

أحسنتَ، أنت حكيم جاء من عند حكيم، وأردف حاطب يقول: إن هذا النبي دعا الناس، فكان أَشَدَّهُمْ عليه قُرَيْشٌ، وأعداهم له اليهود، وأقربهم منه النصارىٰ، ولعمري ما بِشَارَةُ موسىٰ بعيسىٰ إلا كبشارة عيسىٰ بمحمد، وما دعاؤنا إياك إلىٰ القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلىٰ الإنجيل، وَكُلُّ نبي أدرك أُمَّةً فهم أُمَّتُهُ؛ حَقَّ عليهم أن يطيعوه، وأنت ممن أدرك هذا النبي، ولسنا ننهاك عن دين المسيح، ولكننا نأمرك به، **فكان** لهذا الكلام الرائع الذي يدل علىٰ المدىٰ البعيد الذي وصل إليه طلاب المدرسة النبوية من الدبلوماسية والفقه والفصاحة والحصافة- أَثَرُهُ علىٰ الملك؛ إِذْ قال: إني قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدتُ أنه لا يأمر بمزهود فيه، ولا ينهىٰ عن مرغوب فيه، ولم أجده بالساحر الضال، ولا الكاهن الكذاب، ووجدت معه آلةَ النبوة: إخراجَ الغائب المستور، والإخبارَ بالنجوىٰ، وسأنظر، **ثم كتب رد الجواب** يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط، سلام عليكم، أما بعد: فقد قرأت كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا قد بقي، وكنت أظنه يخرج بالشام، **وقد** أَكْرَمْتُ رسولك، وبعثت لك بجاريتين، لهما مكان عظيم في القبط، وبثياب، وأهديت إليك بغلة تركبها والسلام. وإحدىٰ الجاريتين مارية التي تسرّىٰ بها ﷺ وولدت له إبراهيم، والأخرىٰ أعطاها لحسان بن ثابت، ولم يسلم المقوقس.

كتابه للنجاشي(1): وَجَّهَ ﷺ عمرًا بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِي إلىٰ النجاشي ملك الحبشة بكتاب جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلىٰ النجاشي عظيم الحبشة، **أما بعد**: فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسىٰ بن مريم رُوحُ الله وكَلِمَتُهُ ألقاها إلىٰ مَرْيَمَ

---

(1)الطبقات 1/ 258، والطبري 2/ 644، ودلائل النبوة 4/ 410، وعيون الأثر 2/ 350.

الطَّيِّبَةِ الحصينة، فحملت عيسى من رُوحِهِ وَنَفْخِهِ كما خلق آدم بيده، **وإني** أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاةِ على طاعته، **وأن** تَتَّبِعَنِي، وتُوقِنَ بالذي جاءني؛ فإني رسول الله، **وإني** أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إلى الله عزوجل، **وقد** بَلَّغتُ ونصحتُ فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى، **ولما** وصله الكتاب أكرمه غاية الإكرام، **وقال لعمرو**: إني أعلم والله أَنَّ عيسى بَشَّرَ به، **ولَكِنَّ** أعواني بالحبشة قليل؛ فَأَنْظِرْنِي حتى أُكْثِرَ الأعوانَ وَأُلَيِّنَ القلوب، **وفي** عيون الأثر [2/ 349]: فكتب إليه النجاشي: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي أَصْحَمَةَ، سلام عليك يا نَبِيَّ اللهِ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذَكَرْتَ من أمر عيسى، فو رب السماء والأرض إن عيسى بن مريم لا يزيد على ما ذكرت ثُفْرُوقًا[1]، إِنَّه كما ذكرت، **وقد** عرفنا ما بعثت به الينا، وقد قربنا ابنَ عَمِّكَ وأصحابَه، فَأَشْهَدُ أنك رسول الله صادقًا مصدقًا، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمتُ على يديه لله ربِّ العالمين. **ولما** مات صلى عليه النبي ﷺ جنازة الغائب[2]، **وقد** عرض عمرو على من بقي من مهاجري الحبشة الرجوع إلى رسول الله بالمدينة، **وكان** من المهاجرين أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج عبيدالله بن جحش، الذي كان أسلم وهاجر بها، ثم غلبت عليه الشقاوة فتنصَّر.

---

(1) **الثُّفْرُوقُ**: غلاف ما بين النواة والقِمَع.لسان العرب 10/ 34.

(2) **النجاشي**: **اسمه** أَصْحَمَةُ بن أبجر، والنجاشي: لقب له ولملوك الحبشة، أسلم في عهد النبوة، وأحسن إلى المسلمين الذين هاجروا إلى أرضه، توفي قبل فتح مكة، وصلى عليه النبي بالمدينة. ينظر: أسد الغابة 1/ 252 رقم 188، والإصابة 1/ 117 رقم 473، وعيون الأثر 2/ 350.**وفي صلاة** الجنازة على الغائب قولان: **الأول**: للزيدية والمالكية والحنفية: لا يصلى على الغائب؛ إذ لو صح ذلك ما صلى على الجنائز كلها في حياة النبي غيرُه. **والقول الثاني**: للشافعية والحنابلة: يصح أن يصلى على الغائب.انظر: الانتصار4/ 639، والبحر الزخار3/ 190، وبداية المجتهد1/ 242، والمهذب1/ 439، والمغني2/ 391، وبدائع الصنائع1/ 312.

زواجه ﷺ بأم حبيبة رضي الله عنها:

وهي بالحبشة، والذي زَوَّجَهَا له النجاشي بتوكيل منه ﷺ، وساق النجاشي مهرها[أسد الغابة 7/ 303].

كتابه لكسرى[1]: وَجَّهَ ﷺ عبدالله بن حذافة السَّهْمِي بكتاب إلى كسرى ملك الفُرْسِ، **وفيه**: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم الفُرْسِ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أدعوك بدعاية الله؛ فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأُنْذِرَ من كان حيًّا وَيَحِقَّ القول على الكافرين، **أسلم** تسلم، فإن أَبَيْتَ فإنما عليك إثم المجوس، **فلما** وصله الكتاب مزقه استكبارًا؛ **ولما** بلغه ﷺ ذلك قال: مزق الله ملكه، **وقد** فعل؛ إذ سقطت دولة الفرس بيد المسلمين زمن عمر، **وقد** أمر كسرى عامله باليمن أن يوجه إلى الرسول مَنْ يأتي به إليه لكن الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله، ثم أرسل لعامله باليمن ينهاه عما أمره به أبوه.

كتابه للمنذر بن ساوى[2]: وَجَّهَ ﷺ العَلَاءَ بن الحضرمي بكتاب إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين، **قال فيه**: بسم الله الرحمن الرحيم، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنَّ مَنْ صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم، له ذمة الله وذمة الرسول، **مَنْ** أَحَبَّ ذلك من المجوس فإنه آمِنٌ، ومن أبى فإن عليه الجزية؛ فأَسْلَمَ وحَسُنَ إسلامه، **وكان** المنذر رشيدًا مُوَفَّقًا، وكان على دين المجوس، **ومن** التوفيق أن رسول النبي ﷺ كان عَالِيَ المستوى من الفصاحة؛

---

(1)الكامل 2/ 146، والسيرة الحلبية 3/ 246، والبداية والنهاية 4/ 306، والاكتفاء 2/ 386، والسيرة النبوية لابن كثير 3/ 507، وطبقات ابن سعد 1/ 260.

(2)الكامل 2/ 146، والسيرة الحلبية 3/ 252، والطبقات 1/ 263، والاكتفاء 2/ 396.

فَلْنَسْمَعْ لهذا الكلام الرائع: **يا منذر** إنك عظيم العقل في الدنيا فلا تَصْغُرَنَّ عن الآخرة، إن هذه المجوسية شر دين: ليس فيها تَكَرُّمُ العرب، ولا عِلْمُ الكتاب؛ ينكحون ما يُسْتَحْيَى من نكاحه، ويأكلون ما يُتَنَزَّهُ عن أكله، ويعبدون في الدنيا نارًا تأكلهم يوم القيامة، ولَسْتَ بعديم عقل ولا رأي؛ **فانظر** هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا أَلَا نصدقه؟ ولمن لا يخون أَلَا نأمنه؟ ولمن لا يُخْلِفُ أَلَا نثق به؟ **هذا** والله هو النبي الأمي الذي لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به، أو لَيْتَ زَادَ مِنْ عَفْوِهِ، أو نقص من عقابه؛ إذ كل ذلك منه على أُمْنِيَّةِ أهل العقل، وَفِكْرِ أهل النظر، **وكتب** المنذر في رد الجواب: **أما بعد**: يا رسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين: **فمنهم** من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه، **ومنهم** من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأَحْدِثْ إِلَيَّ في ذلك أَمْرَكَ؛ **فكتب** إليه ﷺ بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلاَّ هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، **أما بعد**: أُذَكِّرُكَ اللهَ عزَّ وَجَلَّ، إِنَّ رُسُلِي قد أثنوا عليك خيرًا، وإني شَفَّعْتُكَ في قومك؛ فَاتْرُكْ للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوتُ عن أهل الذنوب فاقبل منهم، وإنك مهما تُصْلِحْ فلن نُغَيِّرَكَ عن عملك، ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية.

كتابه لِمَلِكَيْ عُمَانَ(1): **وَجَّهَ** ﷺ عَمْرًا بْنَ العاص إلى جَيْفَرَ وعَبْدَ ابني الجُلَنْدِيِّ ملكي عمان، بكتاب جاء فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى جَيْفَرَ وعَبْدَ ابني الجُلَنْدِيِّ، سلام على من اتبع الهدى **أما بعد**: فإني أدعوكما بدعاية الإسلام، أَسْلِمَا تَسْلَمَا؛ فإني رسول الله إلى الناس كافة؛ لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ القَوْلُ عَلَى الكَافِرِينَ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وَلَّيْتُكُمَا، وإن أبيتما فإنَّ

(1) الطبقات 1/ 262، والطبري 2/ 645، والاكتفاء 2/ 398.

مُلْكَكُمَا زائل، وخَيْلٌ تَحُلُّ بساحتكما، وتظهر نُبُوَّتِي على مُلْكِكُمَا، **فلما** دخل عمرو بناديهما سأله عبد بن الجلندي عما يأمر به الرسول وينهى، **فقال: يأمر** بطاعة الله عزوجل وينهى عن معصيته، **ويأمر** بالبر وصلة الرحم، **وينهى** عن الظلم، والعدوان، والزنى، وشرب الخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب؛ **فقال**: ما أحسن هذا الذي يدعو إليه! ولو كان أخي يتابعني لَرَكِبْنَا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به، ولكنَّ أخي أَضَنُّ بملكه مِنْ أَنْ يَدَعَهُ ويصيرَ تابعًا، **قال عمرو**: إن أسلم أخوك مَلَّكَهُ رسولُ اللهِ على قومه؛ فَأَخَذَ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم، **فقال عبد**: إن هذا الخُلُقَ لَحَسَنٌ، وَمَا الصَّدَقَةُ؟ فأخبره بما فرض الله من الصدقات في الأموال، **ولما** ذكر المواشي، **قال**: يا عمرو، يؤخذ من سوائم مواشينا التي ترعى في الشجر وَتَرِدُ المياه؟ **قال**: نعم، **فقال عبد**: والله ما أرى قومي على بُعْدِ دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا، **ثم** إن عَبْدًا أَوْصَلَ عَمْرًا لأخيه جيفر، فتكلم معه عمرو بما أَلَانَ قلبه حتى أسلم هو وأخوه، وَمَكَّنَاهُ من الصدقة.

كتابه لِهَوْذَةَ بن علي(1):

وَجَّهَ ﷺ سَلِيْطَ بن عمرو العامري بكتاب إلى هوذة ملك اليمامة **وفيه**: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى هوذة بن علي: سلام على من اتبع الهدى، وَاعْلَمْ أن ديني سيظهر إلى منتهى الْخُفِّ والحافر، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَجْعَلْ لك ما تحت يديك، **فلما** جاء الكتاب كَتَبَ في رده: ما أحسن ما تدعو إليه وأجمله! وأنا شاعر قومي وخطيبهم، والعربُ تهاب مكاني؛ فاجعل لي بعض الأرض أَتَّبِعْكَ، **ولما** بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال: لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت؛ بَادَ وَبَادَ ما في يديه، فلم يلبث أن مات مُنْصَرَفَ الرسولِ ﷺ من فتح مكة.

---

(1) الكامل 2/ 146، والطبقات 1/ 262، والطبري 2/ 644، والاكتفاء 2/ 402.

48- غزوة خيبر[1]: (سنة 7 هـ - 628م)[2]:

يزعم اليهود **أن** النبوة حِكْرٌ عليهم، **وأن** العرب طبقة دونهم؛ فهم لا يتركون حقدهم وتآمرهم حتىٰ تترك الحيات لدغها، **وها هي الدائرة** الآن علىٰ خيبر أقوىٰ قلاع اليهود في الجزيرة، **وقد** راحوا يؤلبون غطفان وذؤبان العرب؛ لاستئصال رسول الله ﷺ، **وقد** مَرَّ علينا الكَرْبُ الَّذِي سَبَّبَهُ غَدْرُ بني قريظة، وتَحَالُفُهُمْ مع الأحزاب في قصة الخندق، **وليس** لدىٰ النبي ﷺ وَقْتٌ يضيعه؛ فيهود خيبر كانوا لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم؛ لِمَنَعَتِهِمْ بكثرتهم وحُصُونِهِمْ؛ **فقد** قيل: إن مقاتليهم بلغوا عشرة آلاف[3]! **وقد** خرج كنانة بن أبي الحُقَيْقِ في أربعة عشر رجلا إلىٰ غطفان يدعوهم لمناصرتهم إن غزاهم محمد ﷺ علىٰ أن لهم نصف ثمر خيبر مدة سنة [الإمتاع1/ 307]. **خرج النبي** ﷺ في ألف وأربعمائة راجل ومائتي فارس، وعشرين امرأة، وجاء المتخلفون عن الحديبية؛ ليخرجوا رَجَاءَ الغنيمة، **فقال**: «لَا تَخْرُجُوا مَعِي إِلَّا رَاغِبِينَ فِي الْجِهَادَ، أَمَّا الغَنِيمَةِ فَلَا»، **وبعث** مناديًا، فنادىٰ: لَا يَخْرُجَنَّ مَعَنَا إِلَّا رَاغِبٌ فِي الْجِهَادِ[الإمتاع 1/ 306]، **واستخلف** علىٰ المدينة نُمَيْلَةَ الليثي، **وقيل**: سِبَاعَ بن عُرْفُطَةَ، **ودفع** الراية إلىٰ علي ؓ، وكانت بيضاء، وأمر عامر بن الأكوع، عَمَّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أن يَحْدُوَ، فأخذ يرتجز[ابن هشام 1/ 342]:

وَاللهِ لَوْلَا اللهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

---

(1) ابن هشام 3/ 342، والبداية والنهاية 4/ 206، وطبقات ابن سعد 2/ 106، والواقدي 2/ 633 وما بعدها. وتأريخ الطبري 3/ 9-16، وعيون الأثر 2/ 181، ومغلطاي ص 29. **وتقع** خيبر شمال المدينة المنورة علىٰ بعد (165كم).

(2) **اخْتُلِفَ** فيها بين محرم وصفر وربيع الأول وجمادىٰ الأولىٰ ورمضان؛ **وسببها**: أن من أجلي من بني النضير انتقلوا إلىٰ خيبر، فعملوا مع يهود خيبر علىٰ تأليب المشركين علىٰ رسول الله ﷺ و تحالفوا مع قريش ضد الرسول ﷺ بهدف تطويقه من الشمال والجنوب؛ **لذلك** تخلص من شرهم عندما سنحت له الفرصة.

(3) المغازي 2/ 637، والإمتاع 1/ 306.

إنّــــا إذَا قَــــوْمٌ بَغَــــوْا عَلَيْنَـــــا   أَوْ إنْ أَرَادُوا فِتْنَـــــــةً أَبَيْنَـــــــا
فَــــــأَنْزِلَنْ سَــــــكِينَةً عَلَيْنَـــــا   وَثَبِّـــــتِ الْأَقْـــــدَامَ إنْ لَاقَيْنَـــــا

فقالﷺ: «يَرْحَمُكَ اللهُ» فاستشهد عامر في هذه الغزوة، **ولَـمَّا** أشرف على خيبر قال ﷺ لأصحابه: «قِفُوا»، ثم قال: «اللّهُمَّ رَبَّ السّمَاوَاتِ وَمَا أَظْلَلْنَ، وَرَبَّ الْأَرَضِينَ وَمَا أَقْلَلْنَ، وَرَبَّ الشّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ، وَرَبَّ الرّيَاحِ وَمَا أَذْرَيْنَ، فَإِنّا نَسْأَلُك خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا، وَنَعُوذُ بِك مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، أَقْدِمُوا بِسْمِ اللّهِ»، **وقام** بمناورة بارعة لتفكيك الجبهة بين يهود خيبر وغطفان؛ **فَأَوْهَمَ** غطفان أنه يريد مهاجمتهم؛ **فقد** كانوا عازمين على القتال مع اليهود لَمَّا سمعوا بخروج النبي ﷺ، فعادوا أدراجهم، وتفرقوا في شعابهم، **فوصل** صباحًا إلى خيبر وهم غافلون، **فتبادروا** إلى حصونهم يتصايحون: محمد والخميس أي: الجيش، فأرعبهم النبي ﷺ والمسلمون بالتكبير: «اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خيبر؛ إنا إذا نزلنا بساحة قوم فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»، **وكان** شعار المسلمين يوم خيبر: «يا منصور أمت»، **وأحدق** المسلمون بالحصون على بعد مرمى النبل.

وخيبر ثلاثة أقسام[1]:

1 – **حصن النَّطَاةِ:** وفيه: نَاعِمٌ، والصَّعْبُ، وقُلَّةٌ[2].
2 – **حصن الشِّقِّ:** وفيه: أُبَيٌّ، والبَرِئُ.
3 – **حصن الكتيبة:** وفيه: القَمُوْصُ، والوَطِيْحُ، وسُلَالِمٌ.

---

(1) لا يمكن البَتُّ في تفاصيل واقعة خيبر، **ولكن** المستفاد من المصادر التاريخية أن المسلمين حاصروا القلاع والحصون حصنًا تِلْوَ حصن، وحاولوا قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقية الحصون؛ **وقد** أجمع المؤرخون على أن أول حصن فُتِحَ هو حصن ناعم، وآخر الحصون فتحا الوطيح والسلالم.
(2) وهو حصن على قلة جبل، **وقد** يسمى بحصن الزبير، وقلعة الزبير؛ لأنه صار في سهم الزبير. السيرة الحلبية 3/ 40.

فتح حصون خيبر:

بدأ ﷺ بحصون النطاة فحاصرهم، **وأمر** بقطع نخلهم؛ لئلا تكون حاجزاً يحول دون قتالهم، فقطع المسلمون نحو أربعمائة نخلة، **فنهى** ﷺ عن القطع لـمَّا رآهم مصممين على القتال. **ولما** طال الحصار واستعصت الحصون بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضي الله عنه برايته ؛ فقاتل فرجع ولم يَكُ فَتْحٌ وقد جُهِدَ، **ثم** بعث من الغَدِ عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه؛ فقاتل ثم رجع ولم يَكُ فتح، وقد جُهِدَ[1]؛ **فقال** رسول الله ﷺ: «**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُوْلَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، كَرَّارٌ لَيْسَ بِفَرَّارٍ**»، فدعا رسول الله ﷺ عَلِيًّا، وهو أَرْمَدُ، فَتَفَلَ في عينه ثم أعطاه الراية، **فقال** يا رسول الله: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ﷺ: «**انْفُذْ على رِسْلِكَ، وادْعُهُمْ إلى الإسْلامِ، فإنْ أَبَوْا فَقَاتِلْهُمْ؛ فَلَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ على يَدَيْكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»[2]، فخرج عليٌّ بالراية يُهَرْوِلُ هَرْوَلَةً، حتى ركزها في رَضْمٍ من حجارة تحت الحصن، فاطَّلَعَ إليه يهودي من رأس الحصن فقال: من أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب، فقال اليهودي: علوتم وما أُنْزِلَ على موسى[3]، فما رجع حتى فتح الله على يديه، قال أبو رافع مولى رسول الله ﷺ : خرجنا مع علي، فلما دنا من الحصن خرج أهله فقاتلهم، فضربه يهودي فأطاح ترسه من يده، فتناول علي بابا كان عند الحصن فترس به عن نفسه، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه حين فرغ، فلقد رأيتني في نفر سبعة

---

(1) ابن هشام 3/ 349، والبداية والنهاية 4/ 212، والطبري 4/ 12، وابن أبي شيبة 7/ 394، ومحمد رضا 280، والثعالبي 423.

(2) البخاري رقم 3973، ورقم 3498، 3499 بلفظه، والنسائي 36، **وحديث** الراية روي بعدة طرق في مسلم 4/ 1871 رقم 3404، والترمذي 5/ 596 رقم 3724، وأحمد 1/ 391 رقم1608، وخصائص النسائي ص 32 رقم 9، وص 70 رقم 52، والحاكم 3/ 108. **وبلفظ**: «لَأَبْعَثَنَّ غَدًا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبَّانِهِ؛ لَا يُوَلِّي الدُّبُرَ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ» مجمع الزوائد 5/ 151، والحاكم 3/ 83.

(3) تشاءم من اسمه الدال على العلو والغلبة.

أنا ثامنهم نجهد أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه، ثم ابتدأ القتال(1).

وكان أول حصن فتح حصن ناعم، وعنده قتل **محمود بن مسلَمة**، ألقيت عليه رحى، ثم القَموص حصن أبي الحُقَيق، وأصيب منه سبايا منهن **صفيةُ بنت حيي بن أخطب** من سبط هارون عليه السلام- وكانت عند كِنانَة بن الربيعِ بن أبي الحُقيق- فرأت في نومها أن في حجرها قَمَرًا، فأخبرت زوجها فلطمها وقال: تتمنين ملك الحجاز! وكانت حسناء، عُمْرُها سبعة عشر عامًا؛ تَنَافَسَ الناسُ عليها، وقيل: وقعت من نصيب دحية الكلبي، فقال رجل للنبي ﷺ: إن صفية لا تصلح إلا لك. فاصطفاها ﷺ لنفسه[البخاري رقم 3499]. وأعطى دحية غيرها.

وعند حصن الوَطيح والسُّلالم آخر حصون خيبر افتتاحًا وأصعبها منالاً. خرج مَرْحَبُ اليهودي في سلاحه يرتجز:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِي مَرْحَبُ ... شَاكِيْ السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ(2)

إِذَا الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

وطلب البراز، فبرز له علي يرتجز:

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِيْ أُمِّيْ حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ شَدِيْدِ قَسْوَرَهْ

أَكِيْلُهُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ(3)

فاختلفا ضربتين، فسبقت ضربة علي على هامته فَقَدَّتِ الحَجَر والمِغْفَر، وفلق رأسه حتى وصلت الضربة إلى أضراسه، وسمع العسكر صوت ضربته، فما تتام آخر الناس مع علي حتى فتح الله له(4). **ثم** خرج ياسر أخو مرحب للمبارزة، فقتله الزبير.

---

(1) ابن هشام 3/ 349، والطبري 3/ 13.

(2) **الشاكي السلاح**: التام السلاح.

(3) **السندرة**: مكيال كبير، أي أقتلكم قتلا واسعا كبيرا ذريعا، أو بمعنى العجلة: أي أقاتلكم بالعجلة وأبادركم قبل الفرار. لسان العرب 4/ 382.

(4) مسلم 3/ 1441. رقم 1807. والنسائي في الخصائص رقم 14، 15. و الطبقات 2/ 111. وابن كثير =

وحاصر الرسول الله ﷺ أهل خيبر في حصنيهم الوَطِيح والسُّلالم، حتى إذا أيقنوا بالهلكة، **وانتهى** المسلمون إلى حصن الوَطيح والسُّلالم آخر حصون خيبر افتتاحًا، ومكثوا على حصارها أربعة عشر يومًا، فهّم رسول الله ﷺ أن ينصب عليهم المنجنيق، حتى أيقن اليهود بالهلكة سألوه أن يجليهم، وأن يحقن لهم دماءهم، فصالحهم على أن يحقن دماءهم، ويسيرهم، ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من الأرض والأموال إلا ثوبا على إنسان، وبرئت منهم ذمة الله وذمة رسوله إن كتموا شيئا. فصالحوه على ذلك، فخانوا العهد وأخفوا مَسْكًا [جلد] فيه مال لحيي بن أخطب، كان حمله معه حين أجليت بنو النضير، ولذلك قتل رسول الله ﷺ ابني أبي الحقيق وأحدهما زوج صفية؛ بسبب نكثهما. **ولما** أراد النبي ﷺ إجلاءهم من خيبر قالوا: يا محمد، دعنا نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، فأعطاهم خيبر على أن لهم النصف من الزرع والنخيل ما شاء رسول الله ﷺ، **فلما** سمع بهم أهل فَدَكٍ قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم وَيُخَلُّوا له الأموال، فصالحهم على مثل ذلك، **فكانت** خيبر فيئًا بين المسلمين، **وكانت** فدك خالصة لرسول الله ﷺ؛ لأنهم لم يُجْلِبُوا عليها بخيل ولا ركاب، وكان المسلمون يقعون في حرثهم وبقلهم بعد المساقاة، فشكت يهود ذلك إلى رسول الله، فنادى عبدالرحمن بن عوف: الصلاة جامعة، فاجتمع المسلمون، فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن يهود شكوا إلي أنكم وقعتم في حضائرهم، وقد أمناهم على دمائهم وعلى أموالهم التي في أيديهم في أراضيهم، وعاملناهم، وأنه لا تحل أموال المعاهدين إلا بحقها. **فكان** المسلمون لا يأخذون من بقولهم شيئا إلا بثمن. **روي** أن زينب بنت الحارث امرأة

كثير 3/ 355. والطبري 3/ 11. والاستيعاب 2/ 112 في ترجمة عامر بن الأكوع. ومسند أحمد 5/ 556 رقم 16538. قال الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي: وهو الصحيح المتواتر ص372.

سَلاَّمِ بن مِشْكَمٍ أهدت شاةً مشوية، وقد سَأَلَتْ: أيُّ عضوٍ من الشاة أحبُّ إليه؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، ثم سمّتْ سائر الشاةِ، **فلما** وضعتها بين يدي رسول الله تناول الذراع فَلاكَ منها مضغة فلم يُسِغْها، وقال: إِنَّ هَذَا العَظْمَ يخبرني أنه مسموم، **ومعه** بِشْرُ بن البَرَاءِ بن مَعْرُورٍ، أكل منها فمات، **ثم دعا** بالمرأة وقال: «مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ»؟ قالت: بَلَغْتَ من قومي ما لم يَخْفَ عليك، فَقُلْتُ: إن كان ملكًا استرحت منه، وإن كان نَبِيًّا فَسَيُخْبَرُ، **فتجاوز** عنها، **وقيل**: قتلها قصاصًا ببشر، **وقد** روي أن النبي ﷺ قال لأم بشر في مرضه الذي مات فيه: يا أم بشر، إن هذا الأَوَانَ وَجَدْتُ انقطاع أَبْهَرِيْ-عرقٌ إذا انقطع مات صاحبه- من الأكلة التي أكلت مع ابنك يوم خيبر(1)؛ **فكان** المسلمون يرون أن النبي ﷺ مات شهيدًا مع ما أكرمه الله بالنبوة[ابن هشام 3/ 353، وابن كثير 4/ 240].

أقول: النبي ﷺ أذكى من أن يأكل من يد امرأة موتورة، أَهْلُهَا بَيْنَ قَتِيلٍ وَأَسِيرٍ، وغُنِمَتْ ديارها، فكيف يأكل وما زالت سيوف المسلمين تقطر من دماء من قتل من اليهود؟! **وهذه** من ضمن الروايات التي يجب أن تُمَحَصَّ في تاريخنا المجيد؛ تصور النبي ﷺ في غاية السذاجة، لولا أن العظم كلمه وإلا سار فيها!.

حصيلة المعركة: دام الحصار عشرات الأيام، وتقدر حسب ما ذكر في أيام حصار كل حصن على حدة (47) يوما، **وهناك** رواية عن ابن عباس أن النبي ﷺ أقام بخيبر ستة أشهر يقصر الصلاة، وعنه أربعين يوما، والله أعلم. **وقتل** من اليهود ثلاثةٌ وتسعون، **واستشهد** من المسلمين خمسة عشر(2): **من** المهاجرين: ربيعة بن

---

(1) ابن هشام 3/ 353، والبداية 4/ 240، وتنبيه الأشراف للمسعودي ص240.

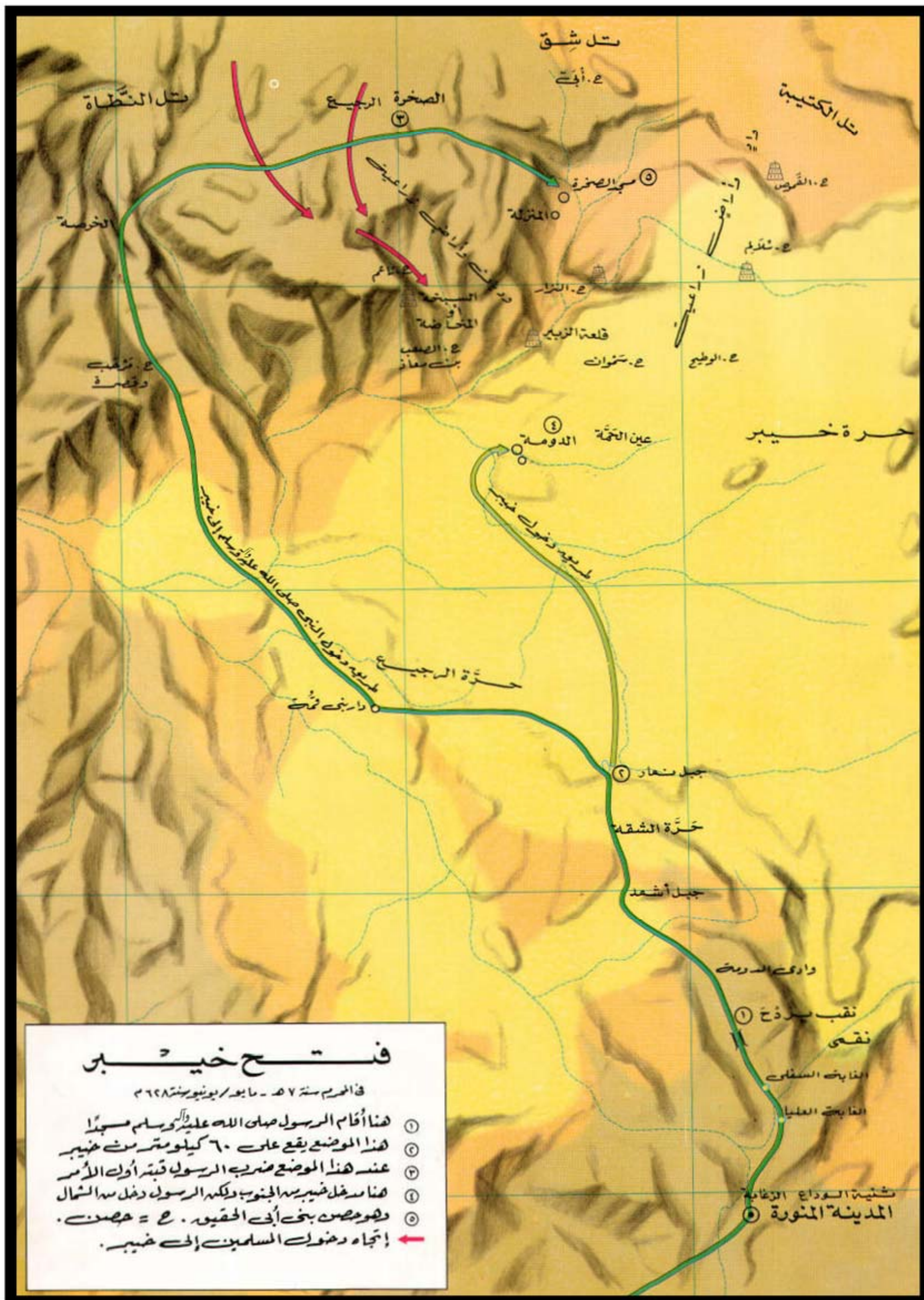
(2) الروض الأنف 4/ 46، والواقدي 2/ 699. **وقيل**: استشهد في خيبر قرابة عشرين، **وممن** لم يذكرهم الواقدي: عبدالله بن أبي الهبيب بن أهيب بن سحيم السعدي الليثي. الاستيعاب 3/ 122، وعروة بن مرة بن سراقة الأوسي الأنصاري. الاستيعاب 3/ 175، وسليم بن ثابت بن وقش، وأوس بن الفاكهة الأنصاري.

أكثم الأسدي قُتِل بالنطاة، وثِقْفُ بن عمرو بن سميط الأسلمي، ورفاعة بن مسروح الأسدي، وعبدالله بن أبي أمية بن وهب، **ومن الأنصار**: محمود بن مَسْلَمَةَ، وأبو الضَّيَّاحِ بن النعمان[1]، والحارث بن حاطب، وعدي بن مرة بن سراقة البلوي، وأوس بن حبيب وأنيف بن وائلة قتلا على حصن ناعم، ومسعود بن سعد الزُّرَقِيُّ قتله مرحب، وبشر بن البراء بن معرور الخزرجي الأنصاري مات من الشاة المسمومة كما قيل، وفضيل بن النعمان، وعامر بن الأكوع، وعمارة بن عقبة بن عماد بن مُلَيْلٍ الغفاري، ويسار العبد الأسود، ورجل من أشجع[2]. **وأُخِذَ** كَنْزُ آلِ أبي الحُقَيْقِ بقيمة عشرة آلاف دينار.

الاستيعاب 1/ 207، وأوس بن عائذ. الاستيعاب 1/ 209. **وقد** ذكر ابن إسحاق أيضًا فيمن استشهد بخيبر: أبو سفيان بن الحارث الأنصاري، **وقد** كان عَدَّهُ فيمن قُتل بأحد. ينظر: أسد الغابة 6/ 143.

(1) **وقيل**: استشهد يوم أحد . الاستيعاب 1/ 290، **وقيل**: اسمه النعمان، **وقيل**: عمير بن ثابت بن النعمان، وهو مشهور بكنيته. أسد الغابة 6/ 175.

(2) **هكذا** ذكرهم الواقدي 2/ 999، **وقال**: جميع من استشهد 15، ولعله لم يَعُدَّ يسار الأسود، عَبْدٌ لعامر اليهودي، **وسماه** ابن إسحاق: أسلم؛ **روى** أن راعيا أسود أتى النبي ﷺ وهو محاصر لبعض حصون خيبر ومعه غنم له كان فيها أجيرا ليهودي؛ فقال: يا رسول الله اعْرِضْ عَلَيَّ الإسلام، فعرضه عليه فأسلم، وقال: الغنم أمانة عندي فكيف أصنع بها؟ فقال رسول الله ﷺ: «اضرب وجوهها فإنها سترجع إلى ربها»؛ فأخذ حفنة من التراب، وقال: ارجعي إلى صاحبك، فو الله لا أصحبك فَرَجَعَتْ مجتمعة كأن سائقًا يسوقها حتى دخلت الحصن، **ثم** تقدم الأَسْوَدُ إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين؛ فأصابه حجر فقتله. أسد الغابة 5/ 469. **وذكر** أيضا الواقدي 2/ 681 أنه توفي يومئذ رجل من أشجع، فذكروه لرسول الله ﷺ، فقال: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ» فتغيرت وجوه الناس لذلك؛ فقال ﷺ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ غَلَّ فِي سَبِيلِ اللهِ»!.


تل النطاة
تل شق
تل الكتيبة
الصخرة ③
مسجد الصخرة ⑤
المنزلة
ح. القموص
ح. سلالم
ح. النزار
قلعة الزبير
ح. الوطيح
الخرصة
حرة خيبر
الدومة ④
حرة الرجيع
جبل أشعد
الغابة السفلى
الغابة العليا
ثنية الوداع
المدينة المنورة
فتح خيبر
في المحرم سنة ٧ هـ - مايو / يونيو سنة ٦٢٨ م
① هنا أقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مسجدًا
② هذا الموضع يقع على ٦٠ كيلومتر من خيبر
③ عند هذا الموضع ضرب الرسول قبته أول الأمر
④ هنا مدخل خيبر من الجنوب ولكن الرسول دخل من الشمال
⑤ وهو حصن بني أبي الحقيق . ح = حصن .
إتجاه دخول المسلمين إلى خيبر .

حوادثُ ملحقة بغزوة خيبر:

1- **قدم** جعفر مع ستة عشر من مهاجري الحبشة ﷺ؛ ففرح به رسول الله ﷺ فَرَحًا شَدِيدًا، **ولما** وقعت عين جعفر على رسول الله ﷺ أقبل يَحْجِلُ [يمشي] على رِجْلٍ واحدةٍ؛ إِعْظَامًا لرسول الله ﷺ، فقبّله النبي ﷺ بين عينيه وقال: ما أدري بأيهما أُسَرُّ: بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟(1)، **وأدخله** وأصحابه في غنائم خيبر، **وقدم** ثلاثة وخمسون من الأشعريين معهم أبو موسى وأبو هريرة، ركبوا سفينة فألقت بهم الريح إلى الحبشة فجاءوا مع جعفر، فأعطاهم النبي ﷺ شيئًا من الغنائم، **وقد** انخرط جعفر وأصحابه في صفوف المجاهدين، **واستوعبوا** ما فاتهم من القرآن النازل، **وروي** أن أسماء بنت عميس زَوْجَ جَعْفَرٍ كانت عند حفصة، فدخل عمر فقال: مَنْ هذه؟ قالت: أسماء، فقال: الحبشية؟ البحرية؟ قالت: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة؛ فنحن أحق برسول الله منكم؛ فغضبت وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله يُطْعِمُ جائعكم، وَيَعِظُ جَاهِلَكُم، وكنا في دار البعداء البغضاء في الحبشة، وذلك في الله ورسوله، وايْمُ اللهِ لَا أَطْعَمُ وَلَا أَشْرَبُ حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِلنَّبِيِّ، **فَذَكَرْتُ** ذلك للنبي ﷺ، فقال: ما قلتِ له؟ قالت: كذا وكذا، قال: لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ؛ **له** ولأصحابه هجرة واحدة، ولكم أنتم أَهْلَ السفينة هجرتان(2). 2- **حُرِّمَتْ لُحُومُ** الْحُمُرِ الأهلية، وأُذِنَ في لُحُومُ الْخَيْلِ. 3- **أَعْرَسَ** بصفية ﷺ في قُبَّةٍ ضربت له، وجمَّلَتْهَا له أُمُّ سُلَيْمٍ بِنْتُ مِلْحَانَ أُمُّ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ بعد أن اعتدت في بيتها(3)، وبات

---

(1) ورد بألفاظ كثيرة، انظر الطبراني في الأوسط رقم 2003، وفي الكبير رقم 1469، 1470، والحاكم 2/ 664، وابن أبي شيبة 6/ 380 وغيرهم.

(2) البخاري رقم 3990، ومسلم رقم 2502، 25030، وابن أبي شيبة بما يوافق ذلك 6/ 381.

(3) مسلم رقم 3571، وأبو داود رقم 2999، **واختلف** في اسم أم سُليم: **فقيل**: سَهْلَةُ، أومُلَيْكَةُ، أوالغُمَيْصَاءُ، أوالرُّمَيْصَاءُ. الاستيعاب 4/ 494.

أبو أَيُّوبَ رضي الله عنه مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ يَحْرُسُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ويُطِيفُ بالقبة؛ ولما رآه رسول الله ﷺ في الصباح- قال: ما لك يا أبا أيوب؟ قال: خِفْتُ عليك من هذه المرأة، وقد قَتَلْتَ أَبَاهَا وَزَوْجَهَا وَقَوْمَهَا، وكانت حَدِيثَةَ عهد بكفر؛ **فزعموا** أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ احْفَظْ أَبَا أَيُّوبَ كَمَا بَاتَ يَحْفَظُنِي»[1].

العبر والدروس:

1- أَسْهَمَ فَتْحُ خَيْبَرَ في ترسيخ جذور الدولة الإسلامية؛ **فقد** قُطِعَتْ رأس الأفعى، واستراح النبي ﷺ من دسائس اليهود.

2- الدفاع عن النفس مشروع؛ فلو لم يَتَغَدَّ بهم ﷺ لتعشوا به.

3- علَّمَنا النبي ﷺ في هذه الغزوة ضرورة اختيار أهل الكفاءة حين دعى عَلِيًّا عليه السلام لاقتحام الحصون الحصينة؛ فهو رجل نادر في الشجاعة والخبرة، موصول بمحبة الله ورسوله له، ومحبته لهما، **وما أَجْدَرَ** بالرايات الإسلامية أن يحملها رجال أمثاله! **وَحَرِيٌّ** بها أن يرفعها الكرارون الشجعان؛ فَبِهِمْ وحدهم تعود للإسلام عِزَّتُهُ وَمَجْدُهُ؛ **ولذلك** استحق ذلك الوسام الرفيع الذي استشرف له كبار الصحابة حين أعطاه الراية التي لم تَخْفِقْ على رجل بعد أنبياء الله مِثْلِهِ؛ فهو الكرار غير الفرار، ما ارتاع قط، ولا انهزم قط؛ إنه إعجوبة الزمان، والشامة البيضاء في صفحة الشجعان، **وقد** ذَكَّرَنَا به أولئك الرجال في جنوب لبنان وفلسطين الذين وقفوا أمام الحمم الشبيهة بجهنم، التي صَبَّهَا الصهاينة من السماء والأرض؛ متفوقين على الصخر والحديد، **وما زال** العالم مبهورا من فتية أعجزوا آلة الحرب الجهنمية اليهودية والأمريكية ومن ورائها الغرب كله.

4- بعد الانتصار على يهود خيبر عاملهم معاملة حسنة، وشملهم بعفوه ولطفه رغم كل ما ارتكبوه في حق الإسلام: من ظلم، وجناية، وتأليب للعرب الوثنيين ضد

---

(1) سيرة ابن هشام 3/ 354.

الإسلام؛ فقد قَبِلَ طَلَبَهُمْ بِأَنْ يَبْقَوْا في أرض خيبر على أن يكون له نصف محاصيل ثمارها، **لقد** كان في مقدور النبي ﷺ كأي فاتح آخر أن يُرِيقَ دِمَاءَهُمْ جميعا، أو أن يُجْلِيَهُمْ بِرُمَّتِهِمْ عن أراضيهم، أو يُجْبِرَهُمْ على اعتناق الإسلام أو يستعبدهم، لكنه تركهم أَحْرَارًا في ممارسة شعائرهم الدينية؛ فهو لم يحاربهم إلا لأن خيبر قد تحولت إلى بؤرة خطرة للمؤامرة والكيد بالإسلام والمسلمين، **وقد** كانوا يمدون أعداء الإسلام بكل ما يحتاجونه للقضاء على الإسلام؛ **ولهذا** اضطر رسول الله ﷺ إلى مقاتلتهم وتجريدهم من أسلحتهم حتى يعيشوا تحت ظل الحكومة الإسلامية بمنتهى الحرية؛ **فقد** روي أن المسلمين حصلوا أثناء جمع غنائم خيبر على مصاحف من التوراة؛ فجاءت اليهود تطلبها من النبي ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بأن ترد عليهم[الواقدي 2/ 680] ، فإذا اقتضت المصلحة الإسلامية في إجلائهم أيام عمر إلى أذرعات بين سوريا والأدن؛ ليعيشوا خارج جزيرة العرب، مع توفير الحماية والعيش الكريم؛ لتخلص الجزيرة التي تحوي المسجد الحرام، ومسجد النبي، وبيت المقدس أهم المقدسات الإسلامية لدولة الإسلام، فلا ضير في ذلك؛ **فقد** روى ياقوت الحموي [معجم البلدان2/ 410]: أنه لما كانت خلافة عمر ظهر فيهم الزنا، وعبثوا بالمسلمين؛ فأجلاهم إلى الشام، وقسم خيبر بين أصحاب الأسهم من المسلمين سنة 36هـ والله أعلم.

5- للأمانة أهمية كبرى؛ فالنبي ﷺ كان يلقب بالأمين في شبابه، **وهاهنا** يظهر حرصه على أداء الأمانة؛ فعندما جاءه أحد رعاة اليهود أثناء حصاره لخيبر راغبا في الإسلام، ومعه أغنام ليهودي- أمره أن يقترب بالغنم إلى الحصن الذي فيه صاحبها لتعود إليه؛ لأنها أمانة، مع أن المسلمين كانوا في مخمصة شديدة، ولم يتعرض لها أحد من المسلمين؛ لأنهم تَعَلَّمُوا الأمانة والتقوى من معلمهم ﷺ القائل: «مَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ إِلَّا هُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ، إِلَّا الأَمَانَةَ؛ فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ إِلَى الْبَرِّ وَالفَاجِرِ»[1].

(1) تفسير ابن أبي حاتم 2/ 684 رقم 3712، تفسير الطبري 3/ 432.

6- تَنْزِيلُ النَّاسِ مَنَازِلَهُمْ من آداب الإسلام؛ **فقد** أكرم النبي ﷺ صفية أم المؤمنين بأن ضمها إلى بيته الطاهر، **فهي** ابنة سيد القوم؛ ولا يليق بها أن تَذِلَّ؛ **وقد** قال ﷺ: «إذا أَتَاكُمْ كَرِيْمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوْهُ»[1].

7- أجاد ﷺ توزيع الغنائم؛ إذ وَسَّعَ على المهاجرين من مزارع خيبر الواسعة لِيُوجِدَ لَهُمْ مُنَاخًا مُلائِمًا يخفف عن كاهل الأنصار الكرام بَعْضَ نفقاتهم على المهاجرين، وذلك من نعمة الله عليه وتوفيقه له.

8- شَهِدَ خيبرَ مجموعةٌ من النساء لمداواة الجرحى وإعانتهم، وَقَطَعْنَ المسافة البعيدة، وَتَحَمَّلْنَ المشقة؛ فَرَضَخَ لهن رسول الله من الفيء، ولا غَرْوَ في ذلك؛ فـ«النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرجالِ»[2]، وهن قادرات على بناء المجتمع مع الرجال بكفاءة عندما يقود المجتمع رجل عظيم بحجم رسول الله، وليس الزعانف التي جعلت من المرأة عِيًّا وَعَوْرَةً.

9- كان فرح النبي ﷺ بقدوم جعفر عظيما ؛ فهو ابن عمه، ومن أكرم الناس عليه، وهو من الرجال الذين يَسُرُّوْنَ الصديقَ، ويُغِيظُونَ العَدُوَّ، وسيكون مع أخيه فارس الإسلام عليٍّ مكملا لمسرة رسول الله ﷺ.

10- الحرب خدعة، **وقد** تمثلت الخدع الذكية في مثالين: **الأول**: إيهام غطفان أن الهجوم متوجه نحوهم فَذُعِرُوا وتطايروا شَذَرَ مَذَرَ، وما صدَّقوا أن الجيش الإسلامي تركهم وقصد خيبر، **الثاني**: روي أن الحجاج بن عِلَاطٍ السُّلَمِيَّ[3] أسلم

(1) ابن ماجه 2/ 1223رقم 3712، والطبراني في الأوسط 5/ 368 رقم5582، وفي الكبير 20/ 104رقم 202، والبيهقي في السنن 8/ 168، وفي الشُّعَبِ 7/ 461 رقم 10996، ومصنف ابن ابي شيبة 5/ 234 رقم 25585.

(2) أبو داوود 1/ 161 رقم 236، والترمذي 1/ 189رقم 113، ومسند أحمد 10/ 112 رقم 26255.

(3)شهد مع النبي ﷺ خيبر، وكان سب إسلامه: أنه خرج في ركب من قومه إلى مكة، فلما جن عليه الليل وهو في واد موحش، فقال له أصحابه: قم – يا أبا كلاب- فخذ لنفسك ولأصحابك أمانًا، فقام يطوف حولهم يكلؤهم وهو يقول الرجز:

=

أيام خيبر، وكان تاجرًا، فاستأذن النبي ﷺ أن يقول شيئا لاستخلاص أمواله بمكة؛ فأذن له؛ فجاء وأخبر قريشًا بأن محمدا هُـزِمَ شَرَّ هزيمـة، وقـد أُسِرَ، وطلـب مـنهم مساعدته في جمع تجارته؛ ليلحق التجار في شراء بعض السبي مـن المـسلمين، ونحـو ذلك، فانخدعوا وجمعوا له أمواله على أتم وجه، **ولمـا** ارتحـل جـاءه العبـاس حزينـا وسأله عن صحة الخبر؟ فقال: تركت والله ابن أخيك قد فتح الله عليه خيـبر، وقتـل من قتل من أهلها، وصارت أموالها له ولأصحابه، وتركته عروسًا على ابنة ملكهـم، **ولقد** أسلمتُ، وما جئت إلا لآخذ مالي، ثم ألحق برسول الله ﷺ فاكتم عنـي الخـبر ثلاثا؛ فإني أخشى الطلب، **ولما** انقضت خرج العباس متطيبا، بفاخر الثياب؛ فقالوا: يتجلد لحر المصيبة؛ فأخبرهم الخبر، فقـالوا: مـن الـذي أنبـأك بهـذا الخـبر؟ فقـال: الحجاج بن علاط، ولقد تابع دين ابن أخي، وما جاء إلا ليأخذ ماله، ثم يلحـق بـه، فقالوا: خدعنا عدو الله، فلم يلبثوا أن جاءهم الخبر.

49- غزوة وادي القرى (جمادى الآخرة، سنة سبع)(1):

لما انصرف ﷺ من خيبر قصد وادي القرى؛ فحاصرهم لياليَ ثم انصرف، **هكـذا** ذكره ابن إسحاق، **وقد** روي أنه لما انتهى إلى وادي القرى- **وقد** أوى إليه ناس مـن

أعيـذ نفـس وأُعِيـذُ صـحبي مـن كـل جنـي بهـذا النَّقـبِ

حتـى أؤوب سـالمًا وركبـي

فسمع قـائلا يقـول: ﴿يَـٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَـٰنٍ﴾[الرحمن:33] فلما قدم مكة أخبر بذلك قريشا؛ فقالوا: صبأت والله يا أبا كلاب؛ إن هذا فيما يزعم محمد أنه نزل عليه، فقال: والله لقد سمعته وسمع هؤلاء معي، ثم أسلم، **وكان** مكثرًا من المال، وكانت لـه معادن بني سليم. **وهو** والد نصر بن حجاج وكان جميلا نفاه عمر بن الخطاب حين سمع المرأة تنشد:

هـل مـن سـبيل إلى خمـر فأشربهـا أم هـل سـبيلٌ إلى نـصرِ بـن حجـاج

ينظر: أسد الغابة1/ 690-692 رقم 1083، والاستيعاب 1/ 385 رقم 500، والإصابة 1/ 312 رقم 1622.

(1) واد بين المدينة والشام، من أعمال المدينة كثير القرى. معجم البلدان 5/ 345.

العرب- استقبله اليهود بالرمي؛ فعبأ ﷺ أصحابه، وصفهم للقتال، ودفع لواءه إلىٰ سعد بن عبادة، ورايةً إلىٰ الحباب بن المنذر، ورايةً إلىٰ سهل بن حُنَيْفٍ، ورايةً إلىٰ عباد بن بشر، **ثم** دعاهم إلىٰ الإسلام؛ فامتنعوا من ذلك، وقاتلوا، فبرز رجل منهم فقتله الزبير، **ثم** برز آخر فقتله علي، **ثم** برز آخر فقتله أبو دجانة؛ فقاتلهم المسلمون إلىٰ المساء، **وقُتِلَ** منهم أحد عشر رجلا، فَفُتِحَتْ عَنْوَةً، وغنم المسلمون ما فيها؛ فقسمه ﷺ، وعاملهم علىٰ نحو ما عامل أهل خيبر، **وقيل**: ترك أراضي وادي القرىٰ والبساتين في أيديهم يعملون فيها ويأخذون الأجرة[1]، **وعند** محاصرة النبي ﷺ لوادي القرىٰ أصيب غلام لرسول الله ﷺ بسهم فقتله؛ **فقال الناس**: هنيئًا له الجنة، فقال النبي ﷺ: «كَلَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ شَمْلَتَهُ الآنَ لَتَحْتَرِقُ عَلَيْهِ فِي النَّارِ»[ابن أبي شيبة رقم33537]! كان غَلَّها من فيء المسلمين يوم خيبر، **فسمعها** رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله أصبتُ شِرَاكَيْنِ لنعلين لي، قال: «يُقَدُّ لَكَ مِثْلُهُمَا مِنَ النَّارِ»[المستدرك 3/ 40] ، **ولما** كان النبي ﷺ في طريقه إلىٰ المدينة قال ﷺ: مَنْ يَحْفَظُ عَلَيْنَا الفَجْرَ لَعَلَّنَا نَنَامُ؟ قال بلال: أنا؛ فنام الرسول والناس، وقام بلالٌ يصلي، ثم استند إلىٰ بعيره واستقبل الفجر يرمُقُهُ فغلبته عينه فنام فلم يوقظهم إلا مَسُّ الشمس؛ فَهَبَّ رسول الله ﷺ قبل أصحابه، وقال: «مَا صَنَعْتَ بِنَا يَا بِلَالُ»؟ قال: أخذ بنفسي الذي أخذ بنفسك، قال: «صَدَقْتَ»، **ثم** سافر النبي ﷺ غير كثير فنزل فتوضأ فأمر بلالًا فأقام الصلاة، فلما أتمها أقبل علىٰ الناس وقال: مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا؛ فإن الله تعالىٰ قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:14][2].

---

(1) مغازي الواقدي2/ 633 وما بعدها، والسيرة الحلبية 3/ 59، والإمتاع 1/ 325.

(2) مسلم1/ 741 رقم 680، الترمذي رقم 3163، وابن ماجة رقم 697.

مصالحة يهود تيماء[1] للنبي ﷺ:

لما سمع يهود تيماء بذلك رُعِبُوْا؛ فطلبوا الصلح؛ فصولحوا على الجزية، وأقاموا على أموالهم[2].

الدروس والعبر: 1 – قصة غلام النبي تؤكد بأن الجنة طاهرة لا يدخلها إلا طاهر؛ والعبرة في الكسب الحرام الموجب للنار ليس بقلته ولا بكثرته، ولكن بصفاء النفس وظُلْمَتِهَا؛ **فمن** سمح لنفسه بسرقة القليل سمح لها بسرقة الكثير، أعاذنا الله من الحرام في زمن أصبح الحلال أندر من الكبريت الأحمر.

2 – غلام النبي يحترق؛ فليس أمام عدل الله حصانة من قرابة ولاصحبة ولا شفاعة.

3 – أهمية الصلاة كبيرة؛ فقد جند النبي ﷺ من يوقظه للصلاة! فكيف بنا ونحن نجند أنفسنا لملاحقة الفضائيات حتى يقترب الفجر، ثم نسقط في النوم كالجثث الميتة!

4 – من فاته شيء من الصلاة قضاه، **ويستحب** المبادرة فورًا، **وينبغي** ألا يستسلم الإنسان للشيطان، وبالأخص في صلاة الفجر، **و ربما** لم يَعُدْ يخرج في بعض المساجد للصلاة فيها إلا إمام المسجد، وبعضها لا يخرج إليها أحد، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

سرايا قبل عمرة القضاء:

رجع النبي ﷺ من خيبر إلى المدينة فأقام بها من ربيع الأول إلى شوال يبعث فيما بين ذلك سرايا أشبه ما تكون بدوريات الشرطة لتثبيت الأمن، وفرض هيبة الدولة[3]، والسرايا هي:

50– سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ثلاثين رجلًا إلى هوازن بِتُرَبَةٍ[4] بني نصر

(1) بين الشام ووادي القرى، ورؤساء تيماء هم آل السموأل بن عادياً اليهودي، وحصنه الأبلق الفرد مشرف عليها، وقد أجلاهم عمر لما أجلى اليهود عن جزيرة العرب. ينظر معجم البلدان 2/ 67.

(2) ينظر: الإمتاع 1/ 326، والسيرة النبوية للشرفي ص 184.

(3) ابن سعد 2/ 117–120، والواقدي ج2/ 722 وما بعدها، والتنبيه والأشراف 243، والبداية 4/ 350.

(4) واد من أودية الحجاز شرق الطائف على قرابة 200 كم. معالم السيرة ص 229.

ابن معاوية، وبني جشم بن بكر، **فهربوا** قبل مجيئه.

51- سرية أبي بكر رضي الله عنه إلى بني كلاب بنجد ناحية ضَرِيَّةَ، **فسبى** وقتل.

52- سرية بشير بن سعد الأنصاري في ثلاثين رجلًا إلى بني مُرَّةَ بفدك، **فساقوا** نِعَمًا وَشَاءً، **ثم** أدركهم عدد كثير من بني مرة فدافع المسلمون عن أنفسهم بالنبل حتى فنيت، فَوَلّىَ من ولى، وأصيب من أصيب، وجُرِحَ بشير وعاد إلى المدينة بعد مَشَقَّةٍ، **وكانت** هذه السرايا الثلاث في شعبان.

53- سرية غالب بن عبدالله الليثي في رمضان، في مائة وثلاثين رجلًا إلى أهل الْـمَيْفَعَةِ بنجد على ثمان مراحل من المدينة، **فهجموا** عليهم، وقتلوا كثيرًا، واستاقوا نعمًا وشاء، **وفي** هذه السرية قَتَلَ أسامةُ بن زيد رجلًا بعد أن قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ **فقال** له النبي ﷺ: «مَنْ لَكَ بِلا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»؟ قال: إنما قالها اتِّقَاءً للقتل، قال: «هَلاَّ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ، أَيْنَ تَذْهَبُ بِلاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ»؟ **قال أسامة**: فما زال يكررها حتى تمنيت أني ما أسلمت إلا يومئذ[1]؛ **ماذا** سيقول الحبيب المصطفى وأمته ينحر بعضها بعضا بدم بارد؟! **ماذا** لو شاهد القتل الذريع مجانا؟ **وقد** اخترع لهم الشيطان الرجيم الأحزمة الناسفة، والسيارات المتفجرة، فيفجر المسلم -لو جاز تسميته مسلما - نفسه في وسط المسلمين: في المسجد، في العزاء، فوق القبر، في سوق الخضار، في أي مكان: في الفندق، في العرس، فيا للفظاعة؟ لقد أصبح الإسلام مقلوبا كما يقلب الفرو، ولم يبق منه إلا اسمه، ولا من الدين إلا رسمه، فذل المسلم بين إخوانه، وقرت عيون أعدائه.

54- في شوال خرج بشير بن سعد في ثلاثمائة إلى غطفان لقوم جمعهم عيينة بن حصن للإغارة على المدينة؛ فبلغهم مسير بشير وهربوا، وغنم نعمًا كثيرة.

---

(1) أحمد 21861، وأبو داود رقم 2643، والبخاري يوافقه رقم 4021، 6478، ومسلم رقم 1815.

55- عمرة القضاء (في ذي القعدة سنة سبع)[1]:

خرج الرسول ﷺ في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمرًا عمرة القضاء مكان عمرته التي صُدَّ عنها، وأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يعتمروا قضاء عمرتهم، وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية، فلم يتخلف من أهلها أحد هو حي، وخرج سوى أهل الحديبية رجال عمار، وكان المسلمون في عمرة القضاء ألفين، وساق معه ستين بدنة، ، وقلد هديه بيده، واستخلف على المدينة أبا ذر الغفاري، وتقدم محمد بن مسلمة بالسلاح في مائة فرس إلى مر الظهران، وجنب السلاح ببطن يأجج؛ لكي يدخل مكة ومعه سلاح الراكب (السيوف في أغمادها) حسب الاتفاق، **فلما** سمع به أهل مكة خرجوا إلى رؤوس الجبال، **وتحدثت** قريش أن محمدًا وأصحابه في عسر وجهد، فوقفت منهم جماعات، وصَفُّوا له عند دار الندوة؛ لينظروا إليه وإلى أصحابه، **فلما** دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه[2] وأخرج عضده اليُمْنَى، ثم استلم الركن، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه؛ لِيُبْطِلَ زعم قريش أنه وصحبه في جهد، حتى إذا واراه منهم البَيْتُ واستلم الركن اليماني، مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم هرول كذلك ثلاثة أشواط ومشى سائرها؛ فقالت قريش: ما نراهم إلا كالغزلان، وثبتت بعد ذلك سُنَّةً. **وأنزل** الله في هذه العمرة: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[الفتح:27].

زواج الرسول ﷺ بميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها[ابن هشام 4/ 14]:

في هذه العمرة تزوج ﷺ بميمونة أخت لبابة الكبرى أم الفضل زوج العباس رضي الله عنه

---

(1) الطبقات 2/ 120، وابن هشام 4/ 12، والواقدي 2/ 731، وابن كثير 4/ 258.

(2) **اضطبع**: أدخل بعضه تحت عضده اليمنى، وجعل طرفه على منكبه الأيسر.

عقد بها العباس ودفع عنه مهرها أربعمائة درهم، **وكانت** قبله عند أبي رُهْمِ بن عبدالعزى، **وهي** آخر امرأة تزوجها، ودخل بها بسَرَفٍ قرب التنعيم خارج مكة؛ لأن قريشًا استعجلته بعد انتهاء المدة وطلبت منه الخروج، **وقد** عرض عليهم مازحًا أو جادًا: ماذا عليكم لو تركتموني فَأَعْرَسْتُ بين أظهركم وصَنَعْتُ لكم طعامًا فحضرتموه، قالوا: لا حاجة لنا في طعامِك فاخرج عنا[الحاكم 4/ 31].

الحكمة من الزواج بميمونة:

كانت رضي الله عنها أرملةً، عمرها إحدى وخمسون سنةً؛ **وكان** بعضُ أهداف النبي ﷺ من هذا الزواج استمالةَ رجلين قويين: خالد بن الوليد ابن أختها، وصديقه عمرو بن العاص؛ فإنهما أسلما بعد زواجها بفترة يسيرة.

حوادثُ ما بين عمرة القضاء وغزوة مؤتة:

56- سرية الأخرم بن أبي العوجاء السلمي (في ذي الحجة سنة سبع) [1]:

خرج في خمسين رجلًا إلى بني سليم يدعوهم إلى الإسلام؛ فقابلوه وأصحابه بوابل من النَّبْلِ؛ فَقُتِلَ عامةُ أصحابه وجرح، ثم تحامل حتى بلغ المدينة في أول صفر.

57 – سرية غالب بن عبدالله الليثي (في صفر سنة ثمان):

خرج إلى بني الْمُلَوَّحِ بالكُدِيدِ[2] في بضعة عشر رجلًا، فاستاقوا نعمًا، وأسروا مالكًا الليثي، فأسلم، وله حديث واحد: «**لاَ تُغْزَى مَكَّةُ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[3].

---

(1) طبقات ابن سعد 2/ 123–127، والواقدي 2/ 741، والتنبيه والإشراف 245 ، ومغلطاي 296، وابن سيد الناس 1/ 204.

(2) **الكُدِيدُ**: موضع بالحجاز على بعد 42 ميلا من مكة. معجم البلدان 4/ 442.

(3) الحاكم في المستدرك 3/ 627، والواقدي 2/ 750، والطبقات 2/ 124، والطبري 3/ 27، ودلائل النبوة للبيهقي 4/ 298، ومغلطاي ص 296.

58- سرية أخرى لغالب الليثي[1] (في صفر سنة ثمان):

خرج في مائتي رجل، أرسلهم النبي ﷺ للاقتصاص من قَتَلَةِ أصحاب بشير بن سعد الذين ذهبوا إلى فدك في شعبان سنة سبع، فقاتل المسلمون ساعة ووضعوا السيف في أعدائهم، فَقَتَلُوا وأصابوا نِعَمًا وَشَاءً وذرية، وعادوا إلى المدينة.

59- سرية شجاع بن وهب الأسدي (في ربيع الأول سنة ثمان):

خرج في أربعة وعشرين رجلًا إلى بني عامر من هوازن، فأصابوا نعمًا كثيرة وشاء، وقدموا بها المدينة بعد غَيْبَةِ خمس عشرة ليلة.

60- سرية كعب بن عمير الغفاري (في ربيع الأول سنة ثمان):

خرج في خمسة عشر رجلًا إلى ذات أطلاح من أرض الشام، فوجدوا **جمعًا** كثيرًا جاءوا على الخيل فدعاهم المسلمون إلى الإسلام فأبوا ورشقوهم بالنبل؛ فقاتل الصحابة ﷺأشد قتال حتى قُتِلُوا، **ولم** يَنْجُ غَيْرُ واحد اندس في القتلى، يقال: إنه أميرهم؛ **فتحامل** في الليل حتى أتى النبي ﷺ فأخبره وشق عليه ذلك، وهَمَّ بالبعث عليهم فبلغه أنهم ساروا إلى موضع آخر فتركهم.

61- غزوة مؤتة[2]: (في جمادى الأولى سنة ثمان)[3]:

جهَّز النبي ﷺ جيشًا قِوَامُهُ ثلاثة آلاف إلى الشام لتأديب شُرَحْبِيلِ بن عمرو الغساني الذي قَتَلَ الحارثَ بن عمير رسولَ النبي ﷺ إلى ملك بُصْرَى، **وأَمَّرَ** على الجيش زيد بن

(1) الطبقات لابن سعد 2/ 126، ومغلطاي ص 297.

(2) **مؤتة**: قرية من أرض البلقاء، وكورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، تقع الآن في الأردن جنوبي الكَرَكِ. **أما في** أنساب الأشراف 1/ 459، وسبل الهدى والرشاد 6/ 248 **فمؤتة** سرية وليست غزوة.

(3) الطبقات 2/ 128، والواقدي 2/ 755، وابن هشام 4/ 15، والبداية 4/ 275، والطبري 3/ 36، والمواهب 1/ 300، ومغلطاي ص 298، وعيون الأثر 2/ 208.

حارثة[1]، **وقال: إن قُتِلَ زَيْدٌ فجعفر بن أبي طالب، فإن قُتِلَ فعبدالله بن رَواحة، ووَدَّعَ** رسولُ الله ﷺ والمسلمون الجيش؛ فبكى ابن رواحة، فقيل: ما يُبكيك؟ قال: ما بي حُبُّ الدنيا، ولا صَبَابَةٌ بكم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا﴾[مريم:71]؛ فلست أدري كيف لي بالصَدَرِ بعد الورود، فقال المسلمون: صحبَكُمُ الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين؛ فقال عبدالله بن رواحة:

لكنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[2]
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تَنْفُذُ الأَحْشَاءَ وَالكَبِدَا[3]
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي ... أَرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا[4]

---

(1) **هكذا** تذكر كتب التاريخ والسير، **وفي** تاريخ ابن أبي خيثمة 1/ 384 **قيل**: زيد، **وقيل**: جعفر. **قلت**: والذي في بعض كتب الزيدية والإمامية أن جعفرًا هو أول الأمراء الثلاثة؛ **ففي** المصابيح لأبي العباس 242 بسنده عن زيد بن علي عليهما السلام أن النبي ﷺ لم يوجه جعفر بن أبي طالب قط إلا جعله على الناس، **قال ابن أبي الحديد** في شرح النهج 4/ 511: اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو الأمير الأول، وأنكرت الشيعة ذلك، وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول، **فإن** قتل فزيد بن حارثة، **فإن** قتل فعبد الله ابن رواحة، ورووا في ذلك روايات، **وقد وَجَدْتُ** في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم، فمن ذلك ما رواه عن حسان بن ثابت وهو:

تَأَوَّبَنِي لَيْلٌ بِيَثْرِبَ أَعْسَرُ ... وَهَمٌّ إِذَا مَا نَوَّمَ النَّاسُ مُسْهِرُ
لِذِكْرَى حَبِيبٍ هَيَّجَتْ لِي عَبْرَةً ... سَفُوحًا وَأَسْبَابُ البُكَاءِ التَّذَكُّرُ
بَلَى إِنَّ فُقْدَانَ الحَبِيبِ بِلِيَّةٌ ... وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُبْتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ
فَلا يُبعِدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا ... بِمُؤْتَةَ مِنهُم ذو الجَنَاحَينِ جَعْفَرُ
وَزَيدٌ وَعَبْدُ اللهِ حِينَ تَتابَعوا ... جَميعًا وَأَسْبَابُ المَنِيَّةِ تَخطِرُ

وبقول كعب في قصيدته:

إِذْ يَهْتَدُونَ بِجَعْفَرٍ وَلِوَائِهِ ... قُدَّامَ أَوَّلِهِمْ فَنِعْمَ الأَوَّلُ

(2) **الفرغ**: السعة، **والزَّبَدُ**: رغوة الدم.

(3) **حَرَّانُ**: كأنه رجل متعطش للدم، **مجهزة**: سريعة القتل، **تنفذها**: تخترقها. سبل الهدى والرشاد 6/ 253.

(4) **الجدث**: القبر، ويروى: «يا أرشد الله». شرح المواهب 2/ 270.

وصل المسلمون إلىٰ مَعَانَ[1] جنوب الأردن فبلغ الناسَ أن هِرَقْلَ قد نـزل مـآبَ مـن أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من عرب الشام مِثْلُهُمْ؛ **وسـبب** جمـع هذا الجيش الضخم ما طار إلىٰ هرقل وأعوانه من انتـصارات المـسلمين وشـدة بأسـهم؛ **فبقي** المسلمون في معان ليلتين يفكرون في أمـرهم؛ **فهـم** أَمَـامَ جـيش يفـوقهم سـبعين ضِعْفًا، مُسَلَّحًا أكمل تسليح، **والواقع** يقول: أن لاَ أَمَلَ للنصر، لكنهم بما فعلـوا ضربـوا أروع الأمثلة في الشجاعة وحب الشهادة، بل إنهم بِلُغَةِ اليوم تَحَوَّلُوا إلىٰ فرقة استشهادية، **وأثناء** تشاورهم قـالوا: نكتـب لرسـول الله ﷺ فنخـبره بعـدد عـدونا: **فإمـا** أن يُمِـدَّنَا بالرجال، **وإما** أن يأمرنا بأمره فنمضي له، **فقال ابن رواحة**: إن الـذي تكرهـون هـو مـا خرجتم له وهو الشهادة، وما نقاتل الناس بقوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا اللهُ به، فَانْطَلِقُوا فإنما هي إحدىٰ الحسنيين: إما ظُهُورٌ، وإما شهادة؛ فقـال النـاس: صدق ابن رواحة، وانحازوا إلىٰ قريـة يقـال لهـا: مؤتـة، فـالتقىٰ النـاس عنـدها، فَتَعَبَّأَ المسلمون والتقوا بالعدو، فقاتل زيد رضي الله عنه برايـة رسـول الله ﷺ حتـىٰ قُتِـلَ، ثـم أخـذها جعفر رضي الله عنه فقاتل بها حتىٰ إذا كان في لُجَّةِ القوم اقتحم عن فرسه فعقرها، ثم قاتل مرتجزا:

يَـــا حَبَّـــذَا الْجَنَّـــةُ وَاقْتِرَابُهَـــا ... طَيِّبَـــةً وبَـــارِدًا شَرَابُهَـــا

والـــرُّومُ رُومٌ قَـــدْ دَنَـــا عَـــذَابُهَا ... كَـــافِرَةٌ بَعِيـــدَةٌ أَنْـــسَابُهَا

عَـــلَيَّ إِذْ لاَقَيْتُهَـــا ضِرَابُهَـــا

وكان اللواء بيمينه فَقُطِعَتْ، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتىٰ قُتِـلَ وهـو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهـما حيـث شـاء، وسُـمِّيَ جعفر الطيار، **ويقال**: إن رجلًا من الروم ضربه فقطعه نصفين، فأخـذ الرايـة عبـدالله بـن رواحة رضي الله عنه ثم تقدم بها وهو علىٰ فرسه فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد، **ثم قال**:

(1)مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء، تقع الآن في جنوب الأردن.معجم البلدان 5/ 153.

أَقْـــسَمْتُ يَـــا نَفْـــسُ لَتَنْزِلِنَّـــهْ لَتَنْـــــــزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّـــــــهْ
إِنْ أَجْلَـبَ النَّـاسُ وشَـدُّوا الرَّنَّـهْ[1] مَـــالِي أَرَاكِ تَكْـــرَهِينَ الْجَنَّـــهْ
قَـدْ طَـالَ مَـا قَـدْ كُنْـتِ مُطْمَئِنَّـهْ هَـــلْ أَنْـــتِ إِلاَّ نُطْفَـــةٌ فِي شَـــنَّهْ[2]

وقال أيضًا:

يَـــا نَفْـــسِ إِلاَّ تُقْـــتَلِي تَمُـــوتِي هَـــذَا حِمَـــامُ الْمَـــوْتِ قَـــدْ صَـــلِيتِ
وَمَـــا تَمَنَّيْـــتِ فَقَـــدْ أُعْطِيـــتِ إِنْ تَفْعَـــلِي فِعْلَهُمَـــا هُـــدِيتِ

ثم نزل، فأتاه ابنُ عم له بِعَرْقٍ من لحم[3] فقال: شُدَّ بهذا صُلْبَكَ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت، فأخذه من يده ثم انتهس منه نَهْسَةً يسيرة بطرف أسنانه، ثم سمع الحَطْمَةَ[4] في ناحية الناس، فقال: وأنتَ في الدنيا؟ ثم ألقاه وأخذ سيفه فقاتل حتى قتل، **ثم** أخذ الراية ثابتُ بن أقرم أخو بني العجلان فقال: يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم، قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد، فلما أخذ الراية دافع العدو، ثم انحاز وانْحِيزَ عنه حتى انصرف بالمسلمين؛ **إن الموقف** حَـرِجٌ يحتاج إلى حُنْكَـةِ خالد وشجاعته؛ فقد روى البخاري[رقم 4018] عن خالد قوله: لقد اندق في يَدِي تسعة أسياف، وصَبَرَتْ في يَدِي صفيحة لي يمانية. **نزل** الوحي على رسول الله ﷺ بتفاصيل الوقعة، وأخبر الناس بذلك، فلما دنا المجاهدون من المدينة تلقاهم الرسول ﷺ والمسلمون، ولقيهم الصبيان يشتدون، فَحَمَلَ النبيﷺ عَبْدَاللهِ بْنَ جعفر يبن يديه، وجعل الناس يحثون على الجيش التراب، ويقولون: يا فُرَّارُ فَرَرْتُمْ في سبيل الله، فيقول

(1) **أجلبوا**: صاحوا واجتمعوا. **الرنة**: صوت فيه ترجيع شبيه بالبكاء.
(2) **النطفة**: الماء القليل الصافي. **الشنة**: السقاء البالي.
(3) **العَرْقُ**: بالفتح: العظم عليه بعض اللحم، أو الفِدْرَةُ من اللحم. لسان العرب 10/ 244.
(4) **الحَطْمَةُ**: زِحَامُ النَّاسِ وَحَطْمُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا.

رسول الله ﷺ: ليسوا بالفُرَّارِ ولكنهم الكُرَّارُ إنْ شَاءَ اللهُ، **ورثى** قتلى مؤتة حسانُ بن ثابت بأبيات منها:

فــلا يُبْعِــدنَّ اللهُ قَــتْلَى تَتَــابَعُوا بمؤتَــةَ مــنهم ذو الجنــاحين جَعْفَــرُ
وَزَيْــدٌ وَعَبْــدُاللهِ حِــينَ تَتَــابَعُوا جَمِيعًــا وَأَسْــبَابُ المَنِيَّــةِ تَخْطِــرُ[1]
غَــدَاةَ مَــضَوْا بِالْــمُؤْمِنِينَ يَقُــودُهُمْ إِلَى الْــمَوْتِ مَيْمُــونُ النَّقِيبَــةِ أَزْهَــرُ[2]
أَغَــرُّ كَــضَوْءِ البَــدْرِ مِــنْ آلِ هَاشِــمٍ أَبِيٌّ إِذَا سِــيمَ الظُّلاَمَــةَ مُجْــسِرُ[3]
فَطَــاعَنَ حَتَّــى مَــالَ غَــيْرَ مُوَسَّــدٍ بِمُعْــتَرَكٍ فِيــهِ قَنًــا مُتَكَــسِّرُ
فَــصَارَ مَــعَ الُمسْتَــشْهِدينَ ثَوَابُــهُ جِنَــانٌ ومُلْتَــفُّ الحَــدَائِقِ أَخْــضَرُ
وَكُنَّــا نَــرَى فِي جَعْفَــرٍ مِــنْ مُحَمَّــدٍ وَفَــاءًا وَأَمْــرًا حَازِمًــا حِــينَ يَــأْمُرُ
فَمَــا زَالَ فِي الإِسْــلاَمَ مِــنْ آلِ هَاشِــمٍ دَعَــائِمُ عِــزٍّ لاَ يَــزَلْنَ وَمَفْخَــرُ
هُــمُ جَبَــلُ الإِسْــلاَمِ وَالنَّــاسُ حَــوْلَهُمْ رِضَــامٌ إِلَى طَــوْدٍ يَــرُوقُ وَيَبْهَــرُ[4]
بَهَالِيــلُ مِــنْهُمْ جَعْفَــرٌ وَابْــنُ أُمِّــهِ عَــلِيٌّ وَمِــنْهُمْ أَحْمَــدُ الُمتخَــيَّرُ[5]
وَحَمْــزَةُ وَالعَبَّــاسُ مِــنْهُمْ وَمِــنْهُمُ عَقِيلٌ وَمَـاءُ العُـودِ من حَيْـثُ يُعْـصَرُ
بِهِـم تُفْــرَجُ الَّــلأْوَاءُ فِي كُــلِّ مَــأْزِقٍ عَمَاسٍ إِذَا مَا ضَـاقَ بالنَّـاسِ مَـصْدَرُ[6]
هُــمُ أَوْلِيَــاءُ اللهِ أَنْــزَلَ حُكْمَــهُ عَلَــيْهِمْ وَفِــيهِمْ ذَا الكِتَــابُ الُمطَهَّــرُ

---

(1) **تخطر**: خطر الرجل بسيفه ورمحه: رفعه مرةً ووضعه أخرى. القاموس ص 360.

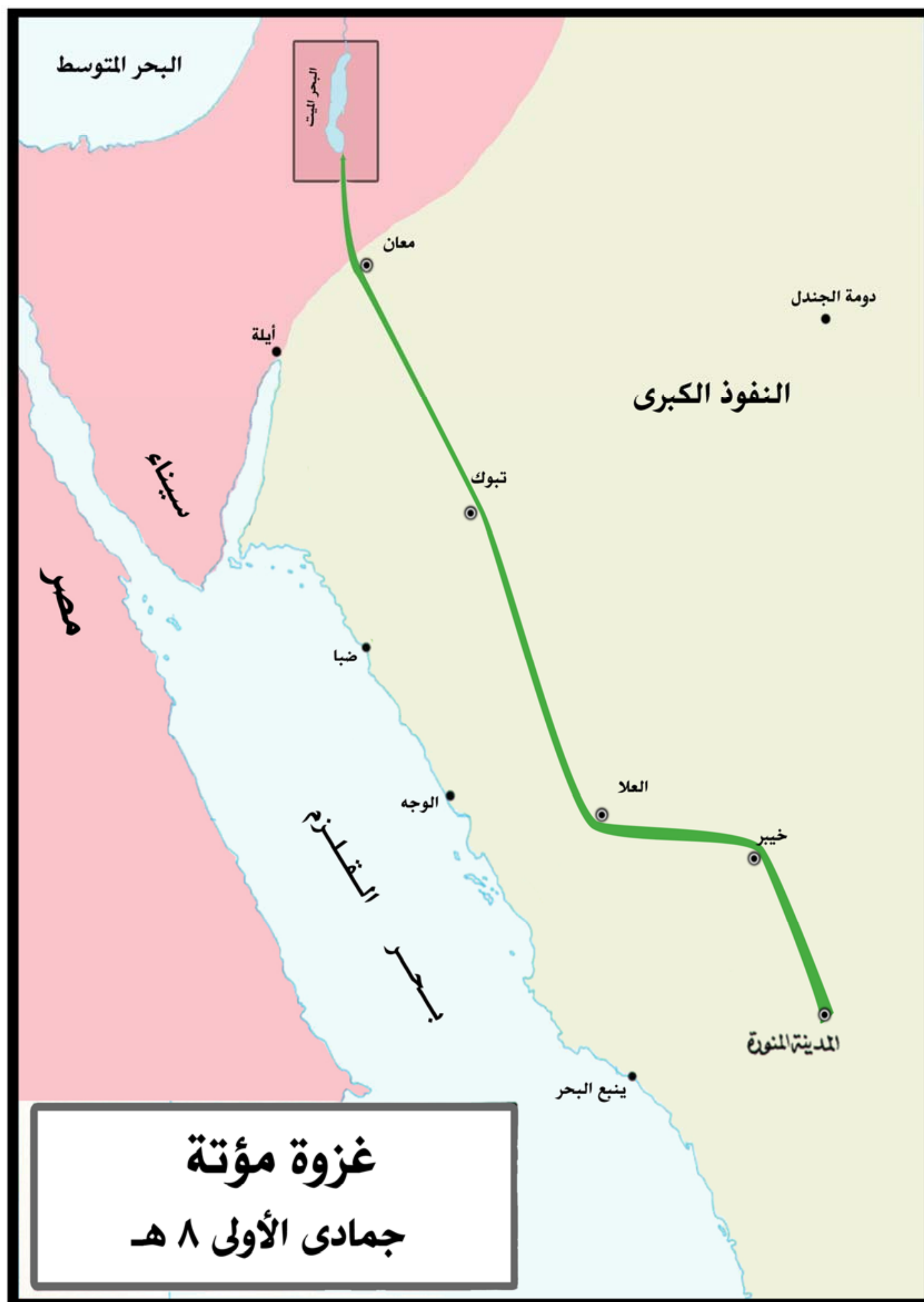
(2) **ميمون النقيبة**: مسعود الجد. **أزهر**: أبيض.

(3) **سيم الظلامة**: حُمِلَ على قبول الظلم. **الُمجْسِرُ**: المقدام الجسور.

(4) **الرضام**: الحجارة. **الطود**: الجبل. **يروق**: يعلو.

(5) **البهلول**: السيد الوضيء الوجه.

(6) **اللأواء**: الشدة. **العَمَاسُ**: المظلم يريد الظلام من كثرة النقع المثار في الحرب.


البحر المتوسط
البحر الميت
معان
دومة الجندل
أيلة
النفوذ الكبرى
سيناء
تبوك
مصر
ضبا
العلا
الوجه
خيبر
بحر القلزم
المدينة المنورة
ينبع البحر
غزوة مؤتة
جمادى الأولى ٨ هـ

العبر والدروس: 1- جيش مؤتة أول جيش إسلامي يواجه جيشًا مسيحيًّا ضخمًا- **وهو** وإن لم يحقق انتصارًا- لكنه وجَّه رسالةَ تَحَدٍّ تؤذن بمستقبل لصالح المسلمين، فالواحد منهم قد تجرأ على مواجهة سبعين من الروم.

2- أظهر قادة الجيش بسالة جَعَلَتْ جعفرا يتقطَّع إرْبًا إرْبًا لئلا تسقط الراية، وكلما سقط بطلٌ تناولها بطلٌ آخر؛ لأنها رمز الإسلام، ومن المستحيل أن تداس رايةٌ حَمَلَتُهَا خيرة الرجال، وساداتُ الشهداء.

3- ميَّز الله آل البيت عليهم السلام؛ إكرامًا لهم، ولِدَوْرِهِم العظيم، وريادتهم في نشر دين الله بأن عوَّضَ جعفر جناحين في الجنة، وجعل حمزة سيِّدًا للشهداء ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[الحديد:21]، **وقد** روي أن النبي ﷺ دخل على آل جعفر فَشَمَّ أولاده وذرفت عيناه، وجعل يقول لأسماء امرأة جعفر رضي الله عنهما: «لَا تَقُولِي هُجْرًا وَلَا تَضْرِبِي خَدًّا، اللَّهُمَّ قَدِّمْ جَعْفَرًا إِلَى أَحْسَنِ الثَّوَابِ، وَاخْلُفْهُ فِي ذُرِّيَّتِهِ بِأَحْسَنَ مَا خَلَفْتَ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ فِي ذُرِّيَّتِهِ»، وقال لأهله: «لاَ تَغْفُلُوا عَنْ آلِ جَعْفَرٍ؛ اصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا فَقَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ»، ودخل على ابنته فاطمة عليها السلام وهي تقول: وَاعَمَّاهُ؛ فقال: «عَلَى مِثْلِ جَعْفَرٍ فَلْتَبْكِ الْبَوَاكِيْ»[1].

4- لم يرفُضْ ثابتُ بْنُ أقرمَ حَمْلَ الرَّايَةِ عَجْزًا أَوْ جُبْنًا؛ فإنه من أبطال الله، ولولا ذلك مَا التقطها وعَرَّضَ نفسه للخطر؛ لكنه من أُمَّةٍ تحترم نفسها، وتُقَدِّم صاحب الكفاءة، **وكان** اختيارهم لخالد موفقًا؛ فهو من شجعان قريش، وقد أحسن صُنْعًا، وأظهر براعة في المناورة؛ فقد سَبَحَ بالمسلمين وسط بحر من السيوف والرماح، ووصل بهم إلى بر الأمان؛ وهي مهمة شاقة، ولعلَّ بسالة المسلمين أقنعت الروم بعدم تتبعهم.

5- ما أثار دهشتي أن يُقَابَلَ الخارجون من بين أنياب الموت بالحَصْبَاءِ من مجتمع

---

(1) مصنف عبدالرزاق 3/ 550 رقم 6666، وذخائر العقبى ص 218.

المدينة، وتَعْيِيرِهِمْ بأنهم الفُرَّارُ، **وكان** من المتوقع أن يُسْتَقْبَلُوا بالأحضان والورود والزغاريد وبالحمد لله على السلامة، **لكنه مجتمع** لا أقدر أن أُعَبِّرَ عن شدة صلابته في الدين، ورسوخه في العقيدة إلا بالقول بأَنَّهَا بَرَكَةُ رسول الله ﷺ؛ فهو وحده -بعون من الله- ربَّى تلك الأمة التي ترى في الشهادة مجدها وشرفها، وأصلها وفرعها.

6- رَبَّى النبي ﷺ أصحابه على الكرامة؛ فإذا أصيب عضو منهم تداعى له سائرهم حتى ينتصفوا أو يعفوا عن قُدرة، **وقد** واجهوا الروم وأذنابهم ثأرًا لكرامتهم.

7- ما من جيش يذهب من عند رسول الله ﷺ إلا وقال لهم: أُوصِيكُمْ بتقوى الله، وبمن معكم من المسلمين خيرًا، اغزوا باسم الله، في سبيل الله، مَنْ كفر بالله، لا تَغْدُرُوا، ولا تَغُلُّوا، ولَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَلَا امْـرَأَةً، وَلَا كَبِيرًا فَانِيًا، وَلَا مُنْعَـزِلًا بِصَوْمَعَةٍ، وَلَا تَقْرَبُوا نَخْلًا، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا، وَلَا تَهْدِمُوا بِنَاءً؛ **وهي** وصية لا نفسدها بالتعليق، **وقد يقال**: قد قطع النبي ﷺ بعض النخيل لليهود، وثقيف، فكيف يتواءم مع وصيته؟! **والجواب**: بأن النادر لا حكم له، ثم إن الظرف كان يستدعي السرعة والحسم والضغط على العدو بكل وسيلة؛ ولكل مقامٍ مقال.

8- لا بد للأقطار الواقعة تحت وطأة الظلم والعبثية والاستعباد أن تستنشق الحرية، وأن ترفع هامتها، وأن تعبد الله وحده بقيادة خاتم رسل الله، وها هو قد قص الشريط، وفتح الضوء الأخضر لنشر دين الله الحق في ربوع الأرض، لا يعترضه طاغية، ولا يَثْنِيْهِ جَبَّارٌ، **إن** الإسلام لم ينتشر بالسيف، وإنما انتشر بالدعوة بالتي هي أحسن؛ وما جُرِّدَ السيف إلا في مواطن الضرورة، **ومن** يقرأ تاريخ الروم والفرس والجاهلية وغيرها يعرف النعمة التي أتى بها الإسلام.

62- سرية ذات السلاسل (في جمادى الآخرة سنة ثمان):

سميت بذلك؛ لأن الأعداء ربط بعضهم بعضًا بالسلاسل لئلا يفروا، أَوْ نِسْبَةً

لماء يقال له: السَّلْسَلُ.

أرسل النبي ﷺ عَمْرَو بْنَ العاص في ثلاثمائة، معهم ثلاثون فرسًا؛ **وأمره** أن يستعين بقبائل بَلِيٍّ وعُذْرَةَ؛ لأن أم العاص منهم، فلما كان بأرض جُذَامَ خاف وطلب من النبي ﷺ المدد؛ فبعث أبا عبيدة في مائتين من سَرَاةِ المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر، **وأمره** أن يلحق بعمرو ولا يختلفا، **فأراد** أبو عبيدة أن يقود الجيش فرفض عمرو وقال: أنت مدد وأنا الأمير فأطاعه أبو عبيدة وكان سهلًا، هينًا عليه أَمْرُ الدنيا؛ فهجم المسلمون على العدو ففرقوهم مذعورين بعد أن اقتتلوا ساعة ولم يغنموا شيئًا سوى ما التقطته خيولهم وأكلوه[1].

63- ثم أرسل عليًّا عليه السلام إلى ذات السلاسل، وكان الفتح على يده، وقتل منهم مائة وعشرين، وقتل رئيسهم الحارث بن بشر.[المصابيح 243].

العبرة والعظة: هناك فرق بين السابقين الأولين من أمثال أبي عبيدة وبين عمرو بن العاص وأمثاله، ظهر هذا الفارق حين غلَّب أبو عبيدة مصلحة الإسلام واختار عمرو شهوة القيادة التي فَرَّقَتِ الناس فيما بعد.

64- سرية أبي عبيدة إلى (سِيفِ البحر أو الخَبَط)(في رجب سنة ثمان)[2]:

بعث النبي ﷺ أبا عبيدة في ثلاثمائة، فيهم عمر بن الخطاب إلى أرض جهينة، فَنَفَدَ ما معهم من الزاد وجاعوا فأكلوا الخَبَطَ وهو ورق السَّلَمِ، ثم أخرج الله لهم دابة من البحر فأكلوا منها[3]، وكان فيهم الكريم بن الكريم قيس بن سعد بن عبادة فنحر لهم تسعة جمال، اشتراها من رجل من جهينة على أن يعطيه ثمنها من تمر المدينة؛ فقال النبي ﷺ: إِنَّ الجُودَ من شِيمَةِ أَهْلِ ذلك البيتِ[4].

(1) الطبقات 2/ 131، والواقدي 2/ 769، والطبري 3/ 32، والبداية 4/ 314.
(2) ابن هشام 2/ 281، وابن سعد 2/ 132، والواقدي 2/ 775، والسيرة الحلبية 3/ 191.
(3) حوت عظيم يقال له: العنبر. ينظر: اللآلي المضيئة 1/ 126.
(4) الطبقات 2/ 132، والواقدي 2/ 777، ومحمد رسول الله ﷺ 302.

65- سرية أبي قتادة (في شعبان سنة ثمان)[1]:

أرسله النبي ﷺ في خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا إلى خَضِرَةَ بلد في غطفان لشن غارة عليهم، وهم قاطنون حول خيبر؛ فقاتلهم وسَبَى سَبْيًا كثيرًا، واستاق مائتي بعير، وألفي شاة.

66- سرية أخرى لأبي قتادة (في رمضان سنة ثمان)[2]:

أرسله في ثمانية رجال إلى إِضَمٍ[3] على ثلاث مراحل من المدينة؛ ليوهم قُرَيْشًا بعد أن نقضوا صلح الحديبية أن النبي لا يريدهم ليفاجئهم على غِرَّةٍ، ولَقُوا عامر بن الأضبط الأشجعي فسلم عليهم بتحية الإسلام، فقتله مُحَلِّمُ بنُ جَثَّامَةَ لشيء كان بينهما وأخذ بعيره ومتاعه، فنزل قول الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[النساء:94]، وقيل: نزلت في أسامة بن زيد، وقيل: في المقداد، فرجع أبو قتادة ولم يلق كيدًا، وسأل مُحَلِّمٌ رسولَ الله ﷺ أن يستغفر له، فقال: لا غفر الله لك[4].

الدرس والعبرة:

ما أعظم حرمة المسلم! **فكم** شَدَّدَ الله ورسوله ﷺ على فداحة جرم القتل بغير حق، **نعم** لا غفر الله لك؛ إنَّ قَتْلَهُ كان انتقامًا وثأرا.

---

(1) ابن سعد 2/ 132، والواقدي 2/ 777، وعيون الأثر 2/ 219، ومغلطاي ص 303، والبخاري رقم (4338)، والسيرة للشرفي ص 197، والمصابيح لأبي العباس ص 223، وتاريخ قريش 81.

(2) الطبقات 2/ 133، والمصابيح لأبي العباس ص 243.

(3) ماء على طريق مكة واليمامة عند السُّمَينة. معجم البلدان 1/ 214، **وقيل**: واد، **وقيل**: جبل شمال المدينة جهة الشام، طرفه عند زغابة -مجتمع سيول المدينة- **وسمي** إِضَمًا: لانضمام السيول إليه. مغلطاي 303.

(4) ا أسباب النزول 146، وتفسير الطبري 4/ 5/ 301

67- فتح مكة[1](في شهر رمضان سنة ثمان هـ يناير 630م):

كانت خزاعة في حِلْفِ النبي ﷺ وأمانه كما سبق في صلح الحديبية، وبنو بكر مع قريش، **وكان** بين خزاعة وبني بكر ثارات؛ **فدبَّر** بنو بكر غلامًا رفع صوته متغنيًا بهجاء النبي ﷺ -صانه الله- فشجَّهُ رجل من خزاعة؛ **فطلب** بنو بكر من أشراف قريش أن يُعِينُوهُمْ بالرجال والسلاح فأمدوهم فأغاروا على خزاعة ليلًا وهم آمنون على ماء يسمى الوتير بأسفل مكة، وقتلوا منهم عشرين أو يزيدون، وقاتل معهم جَمْعٌ من قريش مثل: سهيل بن عمرو، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم حتى ألجؤوهم إلى الحرم؛ **وبادر** سيد خزاعة عمرو بن سالم في أربعين راكبًا إلى المدينة، والنبي ﷺ في المسجد بين الناس فأنشده:

يَارَبِّ إِنِي نَاشِدٌ مُحَمَّدًا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيْهِ الأَتْلَدَا[2]
قَدْ كُنْتُمُ وُلْدًا وَكُنَّا وَالِدَا ... ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا
فَانْصُرْ هَدَاكَ اللهُ نَصْرًا أَعْتَدَا[3] ... وَادْعُ عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا
فِيهِمْ رسُولُ اللهِ قَدْ تَجَرَّدَا ... إِنْ سِيمَ خَسْفًا وجهُهُ تَرَبَّدَا[4]
فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَأْتِي مُزْبِدَا ... إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ المَوْعِدَا
وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ المُؤَكَّدَا ... وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءَ رُصَّدَا[5]
وزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا ... وَهُمْ أذلُّ وأقَلُّ عَدَدَا

---

(1) ابن هشام 4/ 31، والطبقات 2/ 143، وعيون الأثر 2/ 223، والواقدي 2/ 781، وابن كثير 3/ 526، وشرح المواهب 2/ 288، والسيرة النبوية للشرفي ص 199، ومغلطاي ص 306.

(2) **نَاشِدٌ**: طَالِبٌ وَمُذَكِّرٌ. **الأَتْلَدُ**: القديم.

(3) **أَعْتَدَ**: من العتيد، وهو الحاضر.

(4) **سِيمَ الخَسْفُ**: كُلِّفَ الذل. **تربَّد**: تغير إلى السواد.

(5) **كَدَاءَ**: موضع بأعلى مكة. **رُصَّدا**: جمع راصد، وهو المترقب.

هُــــمْ بَيَّتُونَـــا بِــــالوَتِيرِ هُجَّـــدًا وَقَتَلُونَـــا رُكَّعًـــا وسُـــــجَّدَا

فقال رسول الله ﷺ: نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم، وقام يجر رداءه وهو يقول: لا نُصِرْتُ إن لم أَنْصُرْ بَنِي كَعْبٍ مِمَّا أَنْصُرُ بِهِ نَفْسِي، **وعَرَضَ** له عَنَانٌ في السماء، فقال: «إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ»؛ وأمر الناس بالجهازِ، **وسأل** الله أن يُعْمِيَ على قريش حتى يَبْغَتَهُمْ في بلادهم، **وقال**: كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَ لِيَشُدَّ العَقْدَ، وَيَزِيدَ فِي المُدَّةِ؛ **ندمت** قريش فأرسلت أبا سفيان، **وذكر** الواقدي[2/ 785] أن النبي ﷺ أرسل إلى قريش يطلب دية القتلى، وإصلاح ما أفسدوا، فرجع بخفي حنين؛ فندمت قريش وبادرت بإرسال أبي سفيان، **فقدم** على رسول الله ﷺ المدينة، ودخل على ابنته أم حبيبة رضي الله عنها فَطَوَتْ حصيرة أراد أن يقعد عليها؛ فقال: يا بنية أَرَغِبْتِ بي عن هذا أم رَغِبْتِ به عني؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ، وأنت رجل مشرك نجس؛ ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله! **قال**: والله لقد أصابك يا بنية بعدي شر، فكلم النبي ﷺ أن يطيل المدة، **فقال**: هل حدث منكم حدث؟ **قال**: لا، **قال**: فنحن على صلح الحديبية، فأعاد عليه فلم يرد عليه شيئًا، وأدرك خطورة الوضع فاستشفع بأبي بكر إلى رسول الله ﷺ فلم يستجب له، **ثم** كلم عمر فقال: أأنا أشفع لكم إلى رسول الله؟! فوالله لو لم أجد إلا الذَّر لجاهدتكم به، فاستشفع بعلي بن أبي طالب، وكلم فاطمة أن تُجير بين الناس أو تأمر أَحَدَ ابْنَيْهَا، فأجابوه بأَنْ لَا أَحَدَ يُجِيرُ على رسول الله ﷺ؛ فشكى لعلي ضِيقَ أمره فقال له: إنك سيد بني كنانة فقم فَأَجِرْ بين الناس والْحَقْ بأرضك؛ ففعل ورجع خائبًا، فأخبر قريشًا فقالوا: أما عَلِيٌّ فما زاد أن لعب بك.

رسالة حاطب بن أبي بلتعة: احتشد بالمدينة عشرة آلاف مقاتل لَبَّوْا دعوة النبي ﷺ، ولما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطبٌ إلى قريش

يخبرهم بزحف وشيك، ثم أعطاه امرأة، فدسته بين شعر رأسها؛ فنزل الوحي بما صنع حاطب، فدعى النبي ﷺ عَلِيًّا والزبير، **وقيل**: معهما المقداد، فقال: انطلقوا إلى روضة خاخ[1] فإنّ بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى قريش يُحذِّرُهُمْ؛ فأدْرَكُوهَا وأنكرتِ الكتاب، وفَتَّشُوا رَحْلَهَا فلم يجدوا شيئًا، فقال لها علي بن أبي طالب عليه السلام: إني أحلف بالله ما كَذَبَ رسول الله ﷺ ولا كُذِبْنا، وَلَتُخْرِجِنَّ الكتاب أو لأَكْشِفَنَّكِ؛ **فلما** رَأَتِ الجِدَّ منه قالت: أعرِضْ؛ فأعرَضَ، فحلَّت قرونها فاستخرجت الكتاب وناولته، فأتى به رسول الله ﷺ، **فقال**: يا حاطب ما هذا؟ **فقال**: إني لمؤمن بالله ورسوله ما غيَّرتُ ولا بدَّلتُ، ولكني ملصق بقريش لا عشيرة لي، ولي بين أظهرهم ولد وأهل؛ فصانعتهم عليهم، **فقال** رسول الله ﷺ: إنه قد صدقكم، **فقال** عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني أَضْرِبْ عنق هذا المنافق، **فقال** ﷺ: وما يدريك؟ لعل الله قد اطلع على من شهد بدرًا، **فقال**: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم[2]؛ **فأنزل** الله في

---

(1) على بريد من المدينة، بقرب حمراء الأسد. معجم البلدان 2/ 335.

(2) البخاري رقم 2915، و 3762، و 4025، 4608، و 5904، و 6540، ومسلم رقم 2494 وغيرهما.

قال العاملي: إن حديث المغفرة لأهل بدر - لو صح - فهي لما سبق لهم من الذنوب وليستأنفوا العمل، فسوف يجازون بحسب ما يعملون، وليس المراد: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» المغفرة للذنوب الآتية، وإلا لم يَحُدَّ عمرُ قُدَامَةَ بن مظعون على شرب الخمر وهو بدري [أسد الغابة 4/ 376] وهو أعلم بالنص النبوي، ولما أتعب الصحابة أنفسهم في الدنيا. [الصحيح من سيرة النبي 5/ 139 بتصرف]. **أقول**: إن الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إنما هو النبي ﷺ ، **أما** غيره فالعبرة بالخواتم؛ **فمن** مات مؤمنا مستقيما تائبا كان من أهل الجنة، وإلا فأمره إلى الله تعالى؛ **وقد** أخبر سبحانه بعواقب العصاة في آيات كثيرة، ولعل الرواية إن صحت يقصد منها تخفيف الحرج عن حاطب، وتهذيب لهجة عمر؛ **فهي** لوقتها؛ لمعالجة الظرف الراهن؛ بدليل ما جاء في البخاري مُكَرَّرًا 1/ 1222 رقم 3171، و 3263، و4349، و4350، و 6159-6161]: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ؛ فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُذْ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾. **وما روي**: يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ القِيَامَةِ رَهْطٌ =

حاطب أول سورة الممتحنة: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[الممتحنة]، **استخلف** على المدينة أبا رُهْمٍ -كُلْثُومَ بْنَ الحُصَيْنِ الغِفَارِيَّ، **وخرج** لعشر من رمضان؛ فصام وصام الناس معه، حتى إذا كانوا بكُدَيدَ أفطر وخيَّر الناس في الإفطار، وفي مَرِّ الظَّهْرَانِ اكتمل عدد بني سليم سبعمائة وقيل: ألفًا، ومزينة ألفا، وفي كل القبائل عدد وإسلام، **وأوعب** مع رسول الله ﷺ المهاجرون والأنصار فلم يتخلف عنه منهم أحد، وقريش لا تعلم شيئًا، **وقد** كان العباس لقي النبي ﷺ بالجحفة مهاجرًا، وجاء أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة أخو أم سلمة في إثره فالتمسا الدخول على رسول الله ﷺ، فكلمته أم سلمة فيهما فقالت: يا

مِنْ أَصْحَابِي فَيُجْلَوْنَ عَنِ الحَوْضِ؛ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ؛ إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى. ويروى: «فَيُحَلَّؤُونَ عَنْهُ». البخاري 5/ 2406 رقم 6211-6215. **وهي أحاديث** كما ترى عامة، تشمل البدريين وغيرهم ممن تصدق عليه الصحبة، ورواية: «اعملوا ما شئتم» تتنافى مع العقل، والقرآن، والواقع؛ فإن الذي لا يسئل عما يفعل هو الله عز وجل. والله أعلم.

رَسُولَ اللهِ ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ، قال: لا حاجة لي بهما: **أما** ابنُ عمي فهتك عرضي- وكان شديد الأذية له- **وأما** ابنُ عمتي وصهري فهو الذي قال بمكة ما قال - يريد قوله: والله لا أؤمن بك حتى تتخذ سُلَّمًا إلى السماء فتصعد فيه وأنا أنظر فتأتي بِصَكٍّ وأربعة من الملائكة يشهدون أن الله قد أرسلك، **فلما** خرج الخبر إليهما بذلك- ومع أبي سفيان ابنه جعفر- قال: والله لَيَأْذَنَنَّ لي أو لآخُذَنَّ بُنَيَّ هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموتَ جوعًا وعطشًا؛ فلما بلغ رَسُولَ اللهِ ﷺ ذلك رقَّ لهما، فَأَذِنَ لهما فدخلا فأسلما[1]، وأنشد أبو سفيان أبياتًا يعتذر عما كان منه:

لَعَمْــــرُكَ إِنِّي يَــــوْمَ أَحْمِــــلُ رَايَــــةً ... لِتَغْلِـبَ خيـلُ الـلاَّتِ خَيْـلَ مُحَمَّـدِ[2]

لَكَالْمُــــدْلِجِ الحَــــيْرَانِ أَظْلَــــمَ لَيْلُــــهُ ... فَهَـذَا أَوَانِي حِـيْنَ أُهْـدَى وَأَهْتَـدِي[3]

هَــدَانِيَ هَــادٍ غَــيْرُ نَفْسِـي ونَــالَنِي ... مَــعَ اللهِ مَــنْ طَــرَّدْتُ كُــلَّ مُطَــرَّدِ

فزعموا أنه حين أنشد رسول الله ﷺ قوله: «**وَنَالَنِي مَعَ اللهِ مَنْ طَرَّدْتُ كُلَّ مُطَرَّدِ**» ضرب النبي ﷺ صدره وقال: «**أَنْتَ طَرَدْتَنِي كُلَّ مُطَرَّدِ**»[4]؟!

وإليه وجَّه حسان بن ثابت قصيدته الرائعة بمناسبة الفتح:

---

(1) **وقيل**: لقيه أبو سفيان بن الحارث، وعبدالله بن أبي أمية بين السُّقيا والعَرْج؛ فأعرض رسول الله عنهما؛ فقالت له أم سلمة: لا يكن ابن عمك وأخي ابن عمتك أشقى الناس بك! **وقال** علي بن أبي طالب لأبي سفيان بن الحارث: إيتِ رسول الله من قبل وجهه، فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف عليه السلام: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ﴾ [يوسف:91] فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن قولا منه؛ ففعل ذلك أبو سفيان، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف:92] وقَبِل منهما، وأسلما، وأنشد أبو سفيان ما ذكر. ينظر الاستيعاب 4/ 237.

(2) **أحمل راية**: أي أقود الناس للحرب. **خيل اللات**: يعني جيوش الكفر والوثنية.

(3) **المدلج**: الذي يسير ليلًا.

(4) ينظر في القصة عيون الأثر 2/ 227، وطبقات ابن سعد 2/ 223، والواقدي 2/ 781. وكلمة زعموا أول من نقلها ابن إسحاق، وسار على ذلك القول أهل السير، ولا تعني بالضرورة ضعف الخبر.

عَفَتْ ذاتُ الأَصَابِعِ فَالجَوَاءُ ... إِلَى عَذْرَاءَ مَنْزِلُهَا خَلاءُ[1]
دِيَارٌ مِنْ بَنِي الحَسْحَاسِ قَفْرٌ ... تُعَفِّيهَا الرَّوَامِسُ والسَّمَاءُ[2]
وَكَانَتْ لَا يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ ... خِلَالَ مُرُوجِهَا نَعَمٌ وَشَاءُ[3]
فَدَعْ هَذَا وَلَكِنْ مَنْ لِطَيْفٍ ... يُؤَرِّقُنِي إِذَا ذَهَبَ العِشَاءُ
لِشَعْثَاءَ الَّتِي قَدْ تَيَّمَتْهُ ... فَلَيْسَ لِقَلْبِهِ مِنْهَا شِفَاءُ
كَأَنَّ خَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... يَكُونُ مِزَاجَهَا عَسَلٌ وَمَاءُ[4]
إِذَا مَا الأَشْرِبَاتُ ذُكِرْنَ يَوْمًا ... فَهُنَّ لِطَيِّبِ الرَّاحِ الفِدَاءُ
نُوَلِّيهَا المَلَامَةَ إِنْ أُلِمْنَا ... إِذَا مَا كَانَ مَغْثٌ أَو لِحَاءُ[5]
وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنَا مُلُوكًا ... وأُسْدًا مَا يُنَهْنِهُنَا اللِّقَاءُ[6]
عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا ... تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كَدَاءُ[7]
يُنَازِعْنَ الأَعِنَّةَ مُصْغِيَاتٍ ... عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ[8]
تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ ... يُلَطِّمُهُنَّ بِالخُمُرِ النِّسَاءُ[9]
فَإِمَّا تُعْرِضُوا عَنَّا اعْتَمَرْنَا ... وَكَانَ الفَتْحُ وانْكَشَفَ الغِطَاءُ
وَإِلاَّ فَاصْبِرُوا لِجِلَادِ يَوْمٍ ... يُعِزُّ اللهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ

---

(1) **عفت**: تغيرت ودرست . **ذات الأصابع، والجواء**: موضعان بالشام، وبالجواء كان منزل الحارث بن أبي شمر الغساني ممدوح النابغة. **وعذراء**: قرية على بريد من دمشق.

(2) **بنو الحسحاس**: حي من بني أسد. **الروامس**: الرياح تطمس الآثار. **السماء**: المطر.

(3) **النعم**: المال الراعي، وأكثر ما يطلق على الإبل. **والشاء**: جمع شاة.

(4) **الخبيئة**: الخمر المصونة المضنون بها. **بيت رأس**: موضع بالأردن مشهور بالخمر الجيدة.

(5) **أُلِمنَا**: فعلنا ما نستحق عليه اللوم. **المغث**: الضرب باليد. **اللِّحَاءُ**: السِّبَابُ.

(6) **ينهنهنا**: يزجرنا ويردنا.

(7) **النقع**: الغبار. **كداء**: ثنية بأعلى مكة.

(8) **الأعنة**: جمع عنان، وهو اللجام. **الأسل**: الرماح. **الظِّمَاءُ**: العِطَاشُ.

(9) **متمطرات**: مسرعات تقوم على رجليها نشاطا. **الخُمُرُ**: جَمْعُ خِمَارٍ غطاء المرأة.

وَجِبْرِيـــــلٌ رَسُـــــولُ اللهِ فِينَــــا ... ورُوحُ القُــدْسِ لَــيْسَ لَــهُ كِفَــاءُ[1]
وَقَــالَ اللهُ قَــدْ أَرْسَــلتُ عَبْــدًا ... يَقُــولُ الحَــقَّ إِنْ نَفَــعَ الــبَلاءُ
شَــهِدْتُ بِــهِ فَقُومُــوا صَــدِّقُوهُ ... فَقُلْــتُم لا نَقُــومُ وَلاَ نَــشَاءُ
وَقَــالَ اللهُ قَــدْ سَــيَّرْتُ جُنْــدًا ... هُــمُ الأَنْــصَارُ عُرْضَــتُهَا اللِّقَــاءُ[2]
لَنَــا فِي كُــلِّ يَــوْمٍ مِــنْ مَعَــدٍّ ... سِــبَابٌ أَوْ قِتَــالٌ أَوْ هِجَــاءُ
فَــنُحْكِمُ بِــالقَوَافِي مَــنْ هَجَانَــا ... وَنَــضْرِبُ حِــينَ تَخْــتَلِطُ الــدِّمَاءُ[3]
أَلاَ أَبْلِــغْ أَبَــا سُــفْيَانَ[4] عَنِّــي ... مُغَلْغَلَــةً فَقَــدْ بَــرِحَ الخَفَــاءُ
بَــأَنَّ سُــيُوفَنَا تَرَكَتْــكَ عَبْــدًا ... وعَبْــدُ الــدَّارِ سَــادَتُهَا الإِمَــاءُ
هَجَــوْتَ مُحَمَّــدًا وَأَجَبْــتُ عَنْــهُ ... وَعِنْــدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَــزَاءُ
أَتَهْجُــوهُ وَلَــسْتَ لَــهُ بِكُــفْءٍ؟ ... فَــشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَــا الفِــدَاءُ
هَجَــوْتَ مُبَارَكًــا بَــرًّا حَنِيْفًــا ... أَمِــينَ اللهِ شِــيمَتُهُ الوَفَــاءُ[5]
أَمَــنْ يَهْجُــو رَسُــولَ اللهِ مِــنْكُمْ ... وَيَمْدَحُــهُ وَيَنْــصُرُهُ سَــوَاءُ؟
فَــإِنَّ أَبِي وَوَالِــدَهُ وعِــرْضِي ... لِعِــرْضِ مُحَمَّــدٍ مِــنْكُمْ وِقَــاءُ
لِــسَانِي صَــارِمٌ لا عَيْــبَ فيــه ... وَبَحْــرِي لا تُكَــدِّرُهُ الــدِّلاَءُ

فلما نزل رسول الله ﷺ مَرَّ الظَّهْرَانِ **قال** العباس: وَاصَبَاحَ قريش، لئن دَخَلَ رسول الله ﷺ مكة عَنْوةً قبل أن يستأمنوه إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر، **قال**: فخرجتُ على بغلة

(1) **ليس له كفاء**: الكُفْءُ: النظير والمثيل.
(2) **عُرْضَتُهَا اللقاء**: أي عادتها أن تتعرض للقاء، فهي قادرة عليه.
(3) **نُحَكِّمُ**: نمنع ونكف.
(4) يعني المغيرة بن الحارث بن عبدالمطلب ابن عم النبي ﷺ الذي أسلم وكان هجا النبي قبل أن يسلم. **ومغلغلة**: أي رسالة محمولة من بلد إلى بلد.
(5) **الحنيف**: المسلم، سمي حنيفًا؛ لأنه مال عن الباطل إلى الحق. **الشيمة**: الطبيعة.

رسول الله ﷺ لعلي أجد أحدا يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ، فيستأمنوه، **فإذا** أبو سفيان وبُديل بن وَرْقَاءَ قد خرجا يتحسسان الأخبار، وأبو سفيان **يقول**: ما رأيت كالليلة نيرانًا قط ولا عسكرًا، **ويقول** بُدَيْلٌ: هذه والله خُزَاعَةُ أَحْمَشَتْهَا الحرب[1]، **ويقول** أبو سفيان: خُزَاعَةُ أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها، **قال**: فعرفت صوته؛ فقلت: يا أبا حنظلة، فعرف صوتي **فقال**: أبو الفضل؟ **قلت**: نعم، **قال**: مالك فداك أبي وأمي؟ **قلت**: ويحك هذا رسول الله ﷺ في الناس، واصباح قريش، **قال**: فما الحيلة؟ **قلت**: لئن ظفر بك ليضربن عنقك، فاركب حتى آتِيَ بك رسول الله ﷺ فَأَسْتَأْمِنَهُ لك؛ **فركب** خلفي ورجع صاحبه، فجئت به، كلما مررت بنار من نيران المسلمين **قالوا**: مَنْ هَذَا؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ﷺ وأنا عليها **قالوا**: عم رسول الله ﷺ على بغلته، حتى مررت بعمر بن الخطاب، فلما رأى أبا سفيان قال: عدو الله؟ الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد؛ **ثم** خرج يشتد نحو رسول الله ﷺ، فَسَبَقْتُهُ فدخلت على رسول الله ﷺ، ودخل عليه عمر فقال: هذا أبو سفيان أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد، فدعني أَضْرِبْ عُنُقَهُ، قلت: يا رسول الله، إني قد أجرته، ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه وقلت: لا يناجيه الليلة دوني رجل، **فلما** أكثر عمر في شأنه، قلت: مَهْلًا يا عمر فوالله أن لو كان من بني عدي بن كعب[2] ما قلت هذا، ولكنه من بني عبد مناف؛ فقال: مَهْلًا يا عباس فَلَإِسْلَامُكَ يوم أسلمتَ كان أحبَّ إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، فقال رسول الله ﷺ: اذهبْ به يا عباس إلى رَحْلِكَ فإذا أصبحتَ فأتني به، فغدوت به إلى رسول الله ﷺ، **فلما** رآه قال: ويحك يا أبا سفيان، ألم يَأْنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك

---

(1) **حمشتها الحرب**: أحرقتها وصليت بنارها.

(2)عدي بن كعب أسرة عمر بن الخطاب.

وأكرمك وأوصلك! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إلهٌ غَيْرُهُ لقد أغنى عني شَيْئًا بَعْدُ، **قال**: ويحك يا أبا سفيان، ألم يأن لك أن تعلم أني رسولُ الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمَك وأوصلك! أَمَّا هذه فوالله إِنَّ في النفس منها حتى الآن شيئًا! **فقال** له العباس: ويحك! أَسْلِمْ واشْهَدْ أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رَسُولُ الله قبل أن تُضْرَبَ عُنُقُكَ، قال: فَأَسْلَمَ، **وقال العباس**: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجلٌ يحب الفخر فاجعل له شيئًا، **قال**: «نَعَمْ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ الْمسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ»، وأوعز للعباس أن يحبسه بمضيق الوادي حتى تَمُرَّ به جُنُودُ الله فيراها، فمرت القبائلُ على راياتها كلما مرت قبيلة **قال**: يا عباسُ من هذه؟ **فأقول**: سُلَيمٌ، مُزَيْنَةُ، حتى نَفِدَتِ القبائل، ما تمر به قبيلة إلا يسألني عنها، فإذا أخبرته بهم **قال**: ما لي ولبني فلان، حتى مر به رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء[1]، فيها المهاجرون والأنصار ﭫ، لا يُرَى منهم إلا الحَدَقُ؛ لأنهم مُدَرَّعُونَ بالحديد؛ **فقال**: سبحان الله يا عباسُ، من هؤلاء؟ **قلتُ**: هذا رسولُ الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، **قال**: ما لأحد بهؤلاء قِبَلٌ ولا طاقة، والله يا أبا الفضل لقد أصبح مُلْكُ ابنِ أخيك الغداةَ عظيمًا! **قلت**: يا أبا سفيان إنها النبوة، **قال**: فنعم إذن! **قلت**: النَّجاءَ إلى قومِك؛ **بادر** أبو سفيان **فصرخ** بقريش: هذا محمد قد جاءكم فيها لا قِبَلَ لكم به، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن؛ فقامت إليه امرأته هند فأخذت بِشَارِبِهِ **فقالت**: اقتلوا الحَمِيْتَ الدَّسِمَ الأحْمَسَ[2]، قُبِّحَ من طليعة قوم، **قال**: ويلكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، **قالوا**: قاتلك الله وما تغني عنا دارُك؟ **قال**: ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن، فتفرق

---

(1) ابن هشام 4/ 46: إنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها.

(2) **الحَمِيتُ**: زِقُّ السَّمْنِ، والسمين، **والدسم**: الكثير الشحم، **الأحمس**: الشديد اللحم، شبهته بالزق، **وقيل**: **الأحمس**: الأسود الدنيء. أساس البلاغة 617، و تاج العروس 16/ 241، والنهاية 2/ 118.

الناس إلى دورهم وإلى المسجد، **وروي** أن رسول الله ﷺ عقد لأبي رويحة عبدالله بن عبدالرحمن الخثعمي لواءً وأمره أن ينادي: «مَنْ دَخَلَ تَحْتَ لِوَاءِ أَبِي رُوَيْحَةَ فَهُوَ آمِنٌ»[الإمتاع 1/ 387]، **ولما** انتهى ﷺ إلى ذي طُوى وقف على راحلته معتجرًا[1] بِشِقَّةِ بُرْدٍ حِبَرَةٍ[2] حمراء، وإنه ليضع رأسه على رَحْلِهِ تواضعًا لله لِمَا أكرمه به من الفتح.

نُقِلَ إلى النبي ﷺ قولُ سعدِ بنِ عبادة ﷺ: اليوم يوم الملحمة اليوم تُستَحَلُّ الحرمة؛ فقال لعلي كرم الله وجهه: أَدْرِكْهُ وخُذِ الرايةَ منه، فأخذها وغرزها عند ركن البيت، **وقيل**: أمره أن يدفعها لابنه قيس بن سعد ﷺ، **وقد** كان ﷺ عهد إلى قادة الجيش ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم، وأمر بقتل أشخاص وَإِنْ وُجِدُوا تحت أستار الكعبة، **وهم**: 1- **عبدالله بن سعد بن أبي سَرْحٍ**؛ وإنما أمر بقتله؛ لأنه كان قد أسلم، وكان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي؛ فارتد مشركا راجعا إلى قريش، ففر إلى عثمان بن عفان، أخيه من الرضاعة؛ فغيبه حتى أتى به رسول الله ﷺ بعد أَنِ اطمأن الناس فاستأمن له، 2- **عبدالله بن خَطَلٍ**؛ وإنما أمر بقتله؛ لأنه أسلم؛ فبعثه رسول الله ﷺ ورجلا من الأنصار لجمع الصدقة، وكان مع ابن خطل مولى مسلم يخدمه، فأمر المولى أن يذبح له تيسا ويصنع له طعامًا، فنام ولم يصنع له شيئا، فعدى على الغلام فقتله، ثم ارتد، **وقد** قتل ابنَ خَطَلٍ سَعِيدُ بن حريث المخزومي، وأبو برزة الأسلمي، 3،4- **قَيْنَتَانِ** كانتا لابن خطل، كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ ؛ فَقُتِلَتْ إحداهما وهربت الأخرى حتى استؤمن لها فَأُمِّنَتْ، 5- **الحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي**، وكان ممن يؤذيه بمكة ويهجوه، قتله علي، 6- **مِقْيَسٌ بن صُبَابَةَ**، وإنما أمر بقتله لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ ورجوعه إلى قريش مشركا،

---

(1) **الاعتجار**: التعمم بغير ذؤابة.

(2) **بِشِقَّةٍ**: بِنِصْفِ الْبُرْدِ. **والحِبَرَةُ**: ضرب من بُرُودِ اليمن، نقول لها بلهجتنا: لِحْفَه زُبَيْرِي تحاك في تهامة.

وكان قد أخذ الدية، قتله نميلة بن عبدالله الليثي، 7- سارة مولاة لبعض بني المطلب، كانت قدمت على رسول الله ﷺ المدينة وأسلمتْ، و طلبت منه المِيرَةَ وشَكَتِ الحَاجَةَ؛ فوصلها وأوقر لها بعيرا، فرجعت إلى قريش مرتدة، حاملة كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش، وكان ابن خطل يلقي عليها هجاء رسول الله ﷺ فتتغنى به وتؤذيه، فتغيبت يوم الفتح حتى استؤمن لها، **وروي** أنها قُتِلَتْ،8- عكرمة بن أبي جهل وقد هرب إلى اليمن، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له من رسول الله ﷺ فأمنه؛ فخرجت في طلبه إلى اليمن حتى أتت به الرسول ﷺ فأسلم، 9،10- الحارث بن هشام، وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، وهما اللذان أجارتهما أم هاني بنت أبي طالب، وقال ﷺ: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ»، 11- صفوان بن أمية بن خَلَفٍ، كان قتل مسلما؛ انتقاما لأبيه الذي قُتل ببدرٍ، وصلبه أمام أهل مكة، **ولهذا** أهدر النبي دمه؛ **فخَرَجَ صَفْوَانُ يُرِيدُ جُدَّةَ لِيَرْكَبَ مِنْهَا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ**: يَا نَبِيَّ اللهِ إنّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيّةَ سَيّدُ قَوْمِهِ وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْك، لِيَقْذِفَ نَفْسَهُ فِي الْبَحْرِ فَأَمِّنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْكَ، **قَالَ**: هُوَ آمِنٌ، **قَالَ**: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَعْطِنِي آيَةً يَعْرِفُ بِهَا أَمَانَك؛ فَأَعْطَاهُ عِمَامَتَهُ الّتِي دَخَلَ بِهَا مَكّةَ، فَخَرَجَ بِهَا عُمَيْرٌ حَتّى أَدْرَكَهُ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَرْكَبَ الْبَحْرَ، فَقَالَ: يَا صَفْوَانُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمّي، اللهَ اللهَ فِي نَفْسِك أَنْ تُهْلِكَهَا، فَهَذَا أَمَانٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ جِئْتُك بِهِ، قَالَ: وَيْحَكَ أُغْرُبْ عَنّي فَلَا تُكَلّمْنِي، **قَالَ**: أَيْ صَفْوَانُ فِدَاك أَبِي وَأُمّي، إنه أَفْضَلُ النّاسِ، وَأَبَرُّ النّاسِ، وَأَحْلَمُ النّاسِ، وَخَيْرُ النّاسِ، ابْنُ عَمّكَ، عِزُّهُ عِزُّك، وَشَرَفُهُ شَرَفُكَ، وَمُلْكُهُ مُلْكُكَ؟ **قَالَ**: إنّي أَخَافُهُ عَلَى نَفْسِي، **قَالَ**: هُوَ أَحْلَمُ مِنْ ذَاكَ وَأَكْرَمُ؛ فَرَجَعَ مَعَهُ حَتّى وَقَفَ بِهِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ **فَقَالَ** صَفْوَانُ إنّ هَذَا يَزْعُمُ أَنّك قَدْ أَمّنْتَنِي، **قَالَ**: صَدَقَ، **قَالَ**: فَاجْعَلْنِي فِيهِ بِالْخِيَارِ شَهْرَيْنِ؟ **قَالَ**: «أَنْتَ بِالْخِيَارِ أَرْبَعَةَ

أَشْهُرٍ»، 12- هَبَّارُ بن الأسود، كان كثير الأذية لرسول الله، **ومن** أذيته أنه تعرض لزينب بنت رسول الله ﷺ؛ عندما أرسلها زوجها إلى المدينة كما شرط عليه النبي؛ فعرض هبار مع جماعة فضرب زينب بالرمح فسقطت من على الناقة، وكانت حاملا فألقت حملها ومرضت وماتت؛ فأرسل النبي ﷺ سرية لقتله، ويوم الفتح اختفى، فلما رجع النبي ﷺ إلى المدينة جاء هبار رافعا صوته، وقال: يا محمد، جئت مُقِرًّا بالإسلام، وقد كنت مخذولا ضالا، والآن قد هداني الله للإسلام، **فقال**ﷺ: «عَفَوْتُ عَنْكَ؛ وَالإِسْلَامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ»، 13- الحارث بن طُلَاطِلَةَ[1]، كان مُؤْذِيًا للنبي ﷺ، قتله علي بن أبي طالب، 14- كعب بن زهير بن أبي سُلْمَى، كان يؤذي النبي، وسيأتي ذكر إسلامه، 15- وَحْشِيٌّ بن حرب، وقد هرب إلى الطائف وأقام هناك إلى زمان قدوم وفد الطائف إلى النبي؛ فجاء معهم ودخل عليه، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ»؟ قال: قد كان ذلك، فقال ﷺ: «اجْلِسْ وَاحْكِ لِي كَيْفَ قَتَلْتَهُ»؟ ولما أخبره؛ قال: «أَمَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ عَنِّي وَجْهَكَ»؟! 16- عبدالله بن الزِّبَعْرَى، كان شاعرا يهجو أصحاب النبي، ويحرض المشركين على قتالهم، فهرب إلى نجران، وبعد مدة أتى النبي مسلما؛ فلما رآه من بعيد قال: «هَذَا ابْنُ الزِّبَعْرَى»، فلما دنى منه قال: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، 17- هند بنت عتبة، وإيذاؤها للنبي مشهور، ففي يوم أُحُدٍ مَثَّلَتْ بحمزة؛ فجاءت متنكرة متنقبة ضمن النساء المبايعات فأسلمت.

دَخَلَ قادة جيش النبي ﷺ مكة بسلام إلا خالد بن الوليد؛ فقد واجهته بعض المقاومة برئاسة عكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أمية، وسرعان ما أَجْهَزَ عَلَيْهَا؛

---

(1)والد مالك أحد المستهزئين بالنبي **وقيل**: الحارث بن اسحاق، **والطُلَاطِلَةُ**: أمه. **وقيل**: هو الحارث بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم. تاج العروس 15/ 440 بتصرف، والروض الأنف 2/ 167.

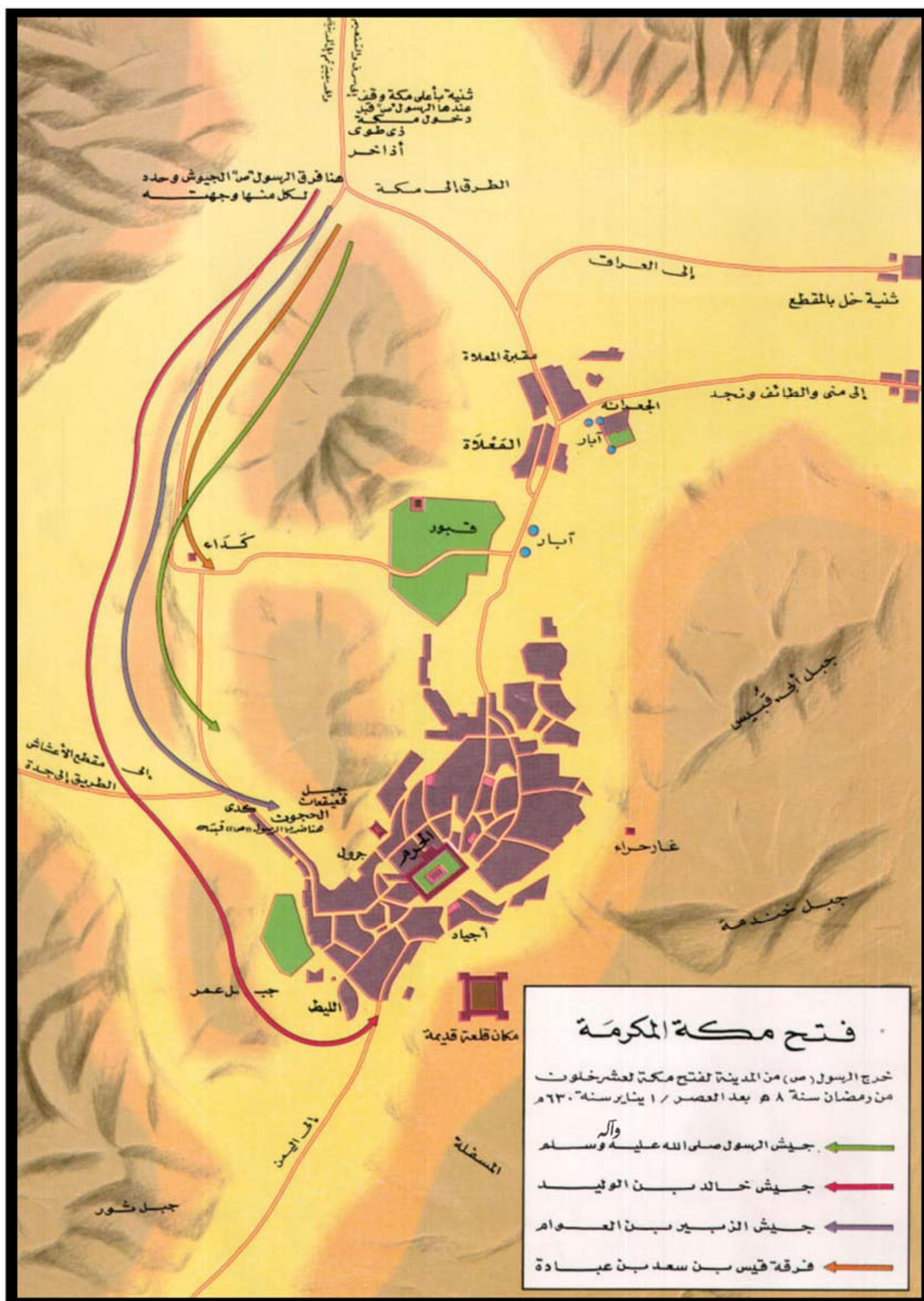
وقُتِلَ من أصحاب خالد اثنان[1].

توجه النبي ﷺ إلى الكعبة المشرفة وطلب مفتاحها من عثمان بن طلحة[2]، فدخل الكعبة، وأمر بثلاثمائة وستين صَنَمًا وَصُوَرًا للملائكة، وللنبي إبراهيم عليه السلام وهو يستقسم بالأزلام، فطهرها وما حولها من هذا الرجس وهو يردد: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[الإسراء:81]، **ثم خرج** إلى الناس آخذًا بحلقة باب الكعبة- وتحته اثنا عشر ألفًا، منهم ألفان من أهل مكة- **فقال**: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، **أَلَا** كُلُّ مَأْثَرَةٍ، أَوْ دَمٍ، أَوْ مَالٍ يُدَّعَى؛ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلَّا سِدَانَةَ البَيْتِ [خدمته] وَسِقَايَةَ الحَاجِّ، **أَلَا** وَقَتِيلُ الْخَطَأِ شِبْهِ العَمْدِ بِالسَّوْطِ وَالعَصَى فَفِيهِ الدِّيَةُ مُغَلَّظَةً، مِائَةٌ مِنَ الإِبِلِ، أَرْبَعُونَ مِنْهَا فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ اللهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعَظُّمَهَا بِالآبَاءِ؛ النَّاسُ مِنْ آدمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[الحجرات:13]، **ثُمَّ قَالَ**: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ **قَالُوا**: خَيْرًا، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ وَقَدْ قَدَرْتَ، **قَالَ**: اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ، **ثُمَّ** جَلَسَ وَمِفْتَاحُ الكَعْبَةِ فِي يَدِهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِّيُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كرم الله وجهه، **فقال**: يا رسول الله اجمع لنا الحجابة مع السقاية، **فقال** ﷺ: أين عثمان بن طلحة؟ **فَدُعِيَ** له، **فقال**: هَاكَ مِفْتَاحَكَ؛ اليَومُ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ.

---

(1) سيرة ابن هشام 4/ 51، وعيون الأثر 2/ 236، والمغازي للواقدي 2/ 855-862، وتاريخ الخميس 2/ 90، ومغلطاي 309.

(2) هو عثمان بن طلحة بن أبي طلحة القرشي العبدري، أسلم مع خالد بن الوليد، وشهد فتح مكة، سَلَّمَ النبيُّ ﷺ إليه وإلى ابن عمه شيبة بن عثمان مفتاحَ الكعبة، توفي بمكة، وقيل: بالمدينة. أسد الغابة رقم 3580، والإصابة رقم 5456، والاستيعاب رقم 1790.


ثنية بأعلى مكة وقف عندها الرسول "ص" قبل دخول مكة
ذي طوى
أذاخر
هنا فرق الرسول "ص" الجيوش وحدد لكل منها وجهته
الطرق الى مكة
الى العراق
ثنية خل بالمقطع
مقبرة المعلاة
الى منى والطائف ونجد
الجعرانة
المعلاة
آبار
قبور
كداء
جبل أبي قبيس
الى مقطع الأعشاش
الطريق الى جدة
جبل قعيقعان
كدى
الحجون
الحرم
جرول
غار حراء
جبل خندمة
أجياد
جبل عمر
الليط
مكان قلعة قديمة
الى اليمن
المسفلة
جبل ثور
فتح مكة المكرمة
خرج الرسول (ص) من المدينة لفتح مكة لعشر خلون من رمضان سنة ٨ هـ بعد العصر / ١ يناير سنة ٦٣٠م
جيش الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
جيش خالد بن الوليد
جيش الزبير بن العوام
فرقة قيس بن سعد بن عبادة

بلال رضي الله عنه يؤذن على ظهر الكعبة[1]:

أمر ﷺ بلالًا أن يؤذن من فوق ظهر الكعبة، وأبو سفيان بن حرب، وعَتَّابُ بن أَسِيد، والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة، **فقال** عَتَّابُ بن أَسِيدٍ: لقد أكرم الله أَسِيدًا ألَّا يكون سمع هذا فَيَسْمَعُ منه ما يَغِيظُهُ، **فقال** الحارث بن هشام: لو أعلم أنه محق لاتبعته، **فقال** أبو سفيان: لا أقول شيئًا، لو تكلمت لأَخْبَرَتْهُ عني هذه الحصى، فخرج عليهم رسول الله ﷺ **فقال**: قد علمت الذي قلتم، فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله، ما اطَّلَع على هذا أحد كان معنا فنقول أخبرك.

فَضَالَةُ يريد اغتيال الرسول ﷺ[2]:

أراد فَضَالَةُ بن عُميرِ بن الْمُلَوَّحِ الليثي قَتْلَ النبي ﷺ وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه **قال** ﷺ: أَفَضَالَةُ؟ **قال**: نعم، فضالةُ، **قال**: ماذا كنت تحدث به نفسك؟ **قال**: لا شيء، كنت أذكر الله؛ فضحك النبي ﷺ **ثم قال**: اسْتَغْفِرِ اللهَ، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فَضالةُ يقول: والله ما رفع يده من صدري حتى ما من خلق الله شيءٌ أحبُّ إلي منه، **قال**: فَرَجَعْتُ إلى أهلي فمررتُ بامرأة كنت أتحدث إليها فقالت: هَلُمَّ إلى الحديث، فقلت: لا، ثم قلتُ:

قَالَتْ هَلُمَّ إِلَى الحَدِيثِ فَقُلْتُ: لاَ ... يَأْبَى عَلَيْكِ اللهُ وَالإِسْلاَمُ
لَوْ مَا رَأَيْتِ مُحَمَّدًا وقَبِيلَهُ ... بِالفَتْحِ يَوْمَ تُكَسَّرُ الأَصْنَامُ
لَرَأَيْتِ دِينَ اللهِ أَضْحَى بَيِّنًا ... وَالشِّرْكُ يَغْشَى وَجْهَهُ الإِظْلاَمُ

الدروس والعبر: 1- بكلمة واحدة حَذَفَ النَّبِيُّ ﷺ تَأْرِيخًا قَاتِمًا ارْتَكَبَهُ جهلاء مكة الذين أزرى عليهم الشاعرُ سلوكهم الشائن تجاه من أرسله الله رحمة للعالمين:

---

(1) ابن هشام 4/ 56، ودلائل البيهقي 5/ 78، وسيرة ابن كثير 3/ 575، ومحمد رسول الله ص 321.
(2) ابن هشام 4/ 59، وابن كثير 3/ 583، والاكتفاء 2/ 230.

وَيْحَ قَوْمٍ جَفَوْا نَبِيًّا بِأَرْضٍ ... أَلِفَتْهُ ضِبَابُهَا والظِّبَاءُ
وَسَلَوْهُ وَحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ ... وقَلَوْهُ وَوَدَّهُ الغُرَبَاءُ

«اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»، كلمة لا يقدر أن يقولها بدون تردد إلا سَلِيلُ بني هاشم؛ فهو وحده الذي يستطيع أن يُحَوِّلَ القتلة والمجرمين إلى حَمَلَةِ رسالة، أليس هو المنزل عليه: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[فصلت:34-35]، **بلى** إنه هو الموصوف بقول المولى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، وله ولآل هاشم يقول الشاعر:

مَلَكْنَا فَكَانَ العَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً ... فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سَالَ بِالدَّمِّ أَبْطَحُ

2- **قيل**: إنَّ زِنْجِيًّا في أمريكا دخل كنيسة للبيض فهرع إليه الكاهن يطلب منه أن يخرج، وأعطاه بطاقة فيها عنوان كنيسة السود، **وهذا** محمد ﷺ يأمر بلالًا الحبشي الأسود أن يطأ ظهر الكعبة بقدميه الشريفتين، وأن يصدح بالأذان في أعظم محفل إسلامي، وأغلى مُناسبة، وأطهر بقعة على وجه الأرض، **ويؤكد** بعد ذلك وهو آخذ بحلقة باب الكعبة ليسمع أصحاب العنصرية، والمَنْفُوخُونَ من بقايا الجاهلية بمبدأ المساواة: «كُلُّكُمْ لآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ؛ لاَ فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلاَّ بِالتَّقْوَى»، نعم: التقوى وحدها معيار التفاضل، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

3- أَثَّرَ العَفْوُ الشَّامِلُ تأثيرًا بليغًا في نفوس أعداء الأمس، وكان بلسمًا شافيًا للجراح الغائرة: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف:199].

4- صرخ في وجه الاحتكارِ، والأنانيةِ المفرطةِ؛ فقال: «كُلُّ رِبَى الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ»[1]؛ فلا يجوز تكديس الثروات بِسَلْبِ لقمة المستضعفين عن طريق الربى.

---

(1)البخاري في التأريخ الكبير 6/ 306.

5- مسح الثارات، والأحقاد، والاستخفاف بالدماء، ووضعها تحت قدمه، وبدأ بإسقاط دم ابن عبدالمطلب، وحل محل ذلك القصاص الشرعي.

6- ضرب أروع أمثلة الوفاء؛ برد المفتاح لابني طلحة، ومنعه أحب الناس إليه علي بن أبي طالب، وقال: «إِنَّمَا أُعْطِيكُمْ مَا تُرْزَؤُونَ لَا مَا تَرْزَؤُونَ، اليَوْمُ يَوْمُ بِرٍّ وَوَفَاءٍ»! هذا هو مقام محمد وآل محمد، ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ وقد عوضهم الله بأن ختم بذكرهم كل صلاة: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

7- للمرأة قدرها في دين محمد ، فلم تَعُدْ تلك التي تُدَسُّ في التراب، بل صار من حقها أن تكون لها كلمة وشخصية، وقد وقفت أم هانئ بنت أبي طالب في وجه أخيها البطل المهيب علي، ومنعته من قتل مشركين استجارا بها، فلم يجد بُدًّا من التوقف، وهو أنبل تلاميذ المدرسة النبوية، حتى يفصل النبي في ذلك، فقال النبي ﷺ: «لَقَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمَّ هَانِئٍ» سبحان الله ، فأي دين هذا؟! أبناؤه كالجسد الواحد يقوم بذمتهم أدناهم، وهم يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ!.

8- في دخول النبي مطأطئا رأسه في أعظم فتح ونصر آيَةٌ وعبرة لو عقلها الفارغون من ملوك، ورؤساء، وأمراء يثقلون كواهلهم وصدورهم بالنياشين، والطيور، والنجوم، ويملؤون الشوارع والميادين والأزقة والمكاتب بصورهم، غير مدركين ما أصابوا به الناس من كآبة، وبؤس، وإحباط. وقد شاهدت بأم عيني وشاهد العالم معي ذلك الرجل الذي كان يضرب بالحذاء صورة رئيسه بعد سقوطه وهو يقول: قتلتنا، أهنتنا، دمرتنا، عذبتنا ... الخ، وفي اليوم السابق: كان يضرب صدره بدون وعي حاملا نفس الصورة ويقول: بالروح، بالدم نفديك يا ...

9- إعطاء المهلة لصفوان أربعة أشهر برهانٌ على عظيم حلمه، وسماحة دينه.

10- استخلف عَتَّابًا بْنَ أَسِيدٍ وعُمْرُهُ بِضْعٌ وعشرون سنة؛ ليضع الشباب الموهوبين بجوار الشيوخ المُجَرِّبِينَ؛ لأن عَتَّابًا كان حريصا على التفقه.

11- لم يحفظ بنو أمية ما فعل النبي بهم من التكريم؛ **فها هو** أبو سفيان أكبر أعداء الإسلام يُركِبُهُ عم النبي فوق بغلة النبي، ثم يقول له النبي ﷺ بتلك المخاطبة: « ألم يأن لك أن تعلم أني رسولُ الله؟»، **ويرد** متلجلجا قد اختلط دمه ولحمه بالشرك والحسد، **لكن** النبي يستمر في الإحسان إليه ويقول: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»، **وسيأتي** حجم العطاء الذي غمره به النبي ﷺ يوم حنين هو وأولاده، **ولكنه** كما قال المتنبي[شرح ديوانه2/ 11]:

وَمـا قَتَـلَ الأَحـرارَ كَـالعَفوِ عَـنهُمُ ... وَمَـن لَـكَ بِـالحُرِّ الَّـذي يَحفَـظُ اليَـدا

إِذا أَنـتَ أَكرَمـتَ الكَـريمَ مَلَكتَـهُ ... وَإِنْ أَنْـتَ أَكْرَمْـتَ اللَّئِـيمَ تَمَـرَّدا

السرايا تُطَهِّرُ ضواحي مكة من الأصنام ولم تُؤْمَرْ بقتال:

68- بَعَثَ ﷺ خالدَ بن الوليد في ثلاثين فارسًا ليهدم العُزَّى، وهي من أعظم أصنام قريش وبني كنانة، وكانت بنخلةَ على بُعْدِ ليلة من مكة، **وقيل**: هي شجرة عندها وَثَنٌ تعبده غطفان؛ فقطع الشجرة، وهدم البيت، وكسر الوثن[1].

69- بعث خالدًا أيضًا إلى أسفلِ تهامة داعيًا ولم يبعثه مقاتلًا فوطئ بني جَذِيمَةَ فأصاب منهم، **فلما** رآه القومُ أخذوا السلاح، فقال خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا، فلما وضعوه أمر بهم فَكُتِّفُوا ثم عَرَضَهُمْ على السيف فَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ منهم! **فقال** رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»!! **فدعا عَلِيًّا وقال:**

---

(1) ابن هشام 4/ 79، والواقدي 3/ 873، والطبقات 2/ 145، وسيرة ابن كثير 3/ 597، وعيون الأثر 2/ 249، ومحمد رسول الله ص 322.

اخْرُجْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَانْظُرْ فِي أَمْرِهِمْ، وَاجْعَلْ أَمْرَ الجَاهِلِيَةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ؛ **فخرج** ومعه مال من النبي ﷺ فَوَدَىٰ قَتْلَاهُمْ، وعَوَّضَهُمْ عمَّا أُصِيبَ من أموالهم حتىٰ مَيْلَغَةَ الكلب وهو الإناء الذي يلغ فيه الكلب، **وَبَقِيَ** معه مال **فقال** لهم كرم الله وجهه: هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يُوْدَ لَكُمْ؟! **قالوا**: لا، **قال**: فإني أُعْطِيكُمْ هَذِهِ البَقِيَّةَ احْتِيَاطًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِمَّا يَعلَمُ وَلَا تَعْلَمُونَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فأخبره الخبر **فقال**: أَصَبْتَ وَأَحْسَنْتَ! ورفع يده حتىٰ رُؤِيَ ما تحت منكبيه **وقال**: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»! **قالها** ثلاثَ مرات[1]؛ **وقال** عبدالرحمن بن عوف لخالد: عَمِلْتَ بأمر الجاهلية في الإسلام! **فقال** خالد: إنما ثَأَرْتُ بِأَبِيكَ! **فقال**: كذبتَ، قَدْ قَتَلْتُ قَاتِلَ أبي، ولكنك ثَأَرْتَ بعمك الفَاكِهِ بن المغيرة[2]! وكاد يقع بينهما شَرٌّ، **فبلغ** النبي ﷺ **وقال**: مَهْلًا يَا خَالِدُ، دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِي؛ فَوَاللهِ لَوْ كَانَ لَكَ أُحُدٌ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا أَدْرَكْتَ غَدْوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَلا رَوْحَتَهُ[3].

---

(1) البخاري رقم 4084، والنسائي 8/ 236 رقم 5405، والسنن للبيهقي 9/ 115، وأحمد 2/ 531 رقم 6390، وعبدالرزاق 10/ 174 رقم 1872، 5/ 221 رقم 9474، وعبد بن حميد339رقم 731ودلائل النبوة للبيهقي 5/ 114، وصحيح ابن حبان 11/ 53رقم 4749، وابن هشام 4/ 72 وما بعدها، والطبقات 2/ 147، وعيون الأثر 2/ 250، والسيرة النبوية لابن كثير 3/ 591-594، والروض الأنف 4/ 195، وأسد الغابة 1/ 142 رقم 13992، وسير أعلام النبلاء 1/ 370، والطبري 3/ 66-67، وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) 568، والبداية والنهاية 4/ 358 ، ومحمد رسول الله ص 324.

(2) إشارة إلى أن بني جذيمة قَتَلُوا في الجاهلية والد عبدالرحمن بن عوف بن عبدعوف، والفاكه بن المغيرة عم خالد، حال رجوعهما من اليمن تَاجِرَيْنِ، وأخذوا أموالهما، وقتل عبدالرحمن بن عوف قاتل أبيه، وَهَمَّتْ قريش ببني جذيمة فَاعْتَذَرَتْ لهم، وعرضوا عليهم الدية، فقبلت قريش، ونَسِيَتِ الفَاكِهَ.

(3) ابن هشام 4/ 73-74، والروض الأنف 4/ 196، وتاريخ الطبري 3/ 68، والكامل في التاريخ 2/ 1074، والبداية والنهاية 4/ 358، والمغازي 3/ 880، والسيرة النبوية 3/ 593، والاستيعاب 2/ 13 رقم 621، وأسد الغابة 1/ 142 رقم 1399. **وذكر** مسلم 4/ 1967 رقم 2549، وابن حبان في صحيحه 15/ 455، وأبو يعلى في مسنده 2/ 396 رقم 1171، وأحمد 4/ 530 رقم 13113: أنه كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف كلام.

العبرة والدرس: 1- صَنِيعُ خَالِدٍ من الْـمُنَغِّصَاتِ الْمُؤْلِمَةِ، وصورة قبيحة من بقايا ثارات وأحقاد الجاهلية، واللهُ ورسولُهُ ودِينُهُ الإسلامي السَّمْحُ بريءٌ من ذلك، **ولو** ثبت للنبي ﷺ تَعَمُّدُهُ لأَقَادَهُ بهم؛ **ولذلك** قال عبدالله بن عمر – وكان مع خالد-: وَاللهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ[1].

2- رغم أن عبدالرحمن وخالدا أولاد عم إلا أن البون شاسع، فالأول يحمل ثقافة الإسلام ، والأخير ما زال حاملا لثقافة الجاهلية، ولم يتردد عبدالرحمن أن عاب فعلة ابن عمه، وشنع عليه حتى كاد يقاتله، وقد انتصر النبي لعبدالرحمن وانتهر خالدا، معبرا عن استيائه وحزنه من تلك الجريمة؛ فَعَرَّفَهُ بحجمه وأنه ليس بقامة الكبار.

3- ليس في هذا تحامل على خالد؛ **فقد** كرر نزوة الجاهلية أيام أبي بكر عندما قتل مالك بن نويرة، وهو يقول: أنا مسلم، لكنه ضرب عنقه، وجعل رَأْسَهُ أَحَدَ أَثَافِي قِدْرٍ طُبِخَ فِيهِ طَعَامٌ، وتزوج امرأته فورا، وكانت من أجمل النساء؛ **فقال أبو زهير** السعدي من أبيات:

قَضَى خَالِدٌ بَغْيًا عَلَيْهِ لِعِرْسِهِ وَكَانَ لَهُ فِيهَا هَوًى قَبْلَ ذَلِكَ

إنها لوحشية وقسوة تدمى لها القلوب، وتشمئز منها النفوس، جعلت عمر بن الخطاب يتغيظ على خالد ويلعنه، ويقول: يا عدو الله قتلت امرأ مسلما، ثم نزوت على امرأته؛ لأرجمنك، **وقد** شهد أبو قتادة أنهم أَذَّنُوا وصَلَّوْا؛ **لولا** أنا أبا بكر حال دون ذلك، وقال: أتريد أن تغمد سيفا من سيوف الله،؟! **لكن** عمر قال: إن في سيف خالد لَرَهَقًا[2]. **أقول**: من الجدير بالمسلم أن يعترف بالخطأ، **وهذا** الكلام عن خالد أثبته الذهبي وغيره ممن ليس بمتهم عليه، ولا عبرة بعد ذلك بكلام أصحاب

(1) البخاري 4/ 1577 رقم 4084، وفتح الباري 8/ 57، وابن هشام 4/ 73.

(2) سير أعلام النبلاء 1/ 376 وما بعدها، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص 34، والطبري 2/ 504، وتاريخ اليعقوبي 2/ 18، والإصابة لابن حجر 1/ 414 رقم 2201، وتاريخ دمشق 16/ 274، والوافي بالوفيات 4/ 249، و5/ 259، والبداية والنهاية 6/ 354، 355.

الهوامش الذين صيروا الصحابة كالآلهة، وخلطوا بين الصغار والكبار، وساقوا لخالد من المبررات السمجة ما يستحيى منه؛ **لَكِنَّ الحَقَّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ**.

4- يقال: رب ضارة نافعة؛ فقد كشفت الواقعة تباين الرجال، وتفاوت كفاءتهم، وتباعد درجات إيمانهم؛ **إذ** بادر النبي ﷺ بإرسال ابن عمه، وأكفأ رجاله علي عليه السلام ليداويَ الجروح الغائرة، ويَجْبُرَ الخواطر الكسيرة، ويُحَسِّنَ صورة النبي التي شَوَّهَهَا خالد! **فلما** جاء القوم وعرفوا أنه ابن عم محمد، وفارس الإسلام وجدوا في ذلك رَدًّا لاعتبارهم، وتوفيرًا لكرامتهم؛ فأقبل عليهم علي رضوان الله عليه وأخبرهم بأسف النبي الشديد، وحزنه العميق، وطلب من شهامتهم العربية أن يغتفروا للنبي ذلك، ثم طيب خواطرهم بالإنصاف السريع، ودفع الديات، والأروش، حتى الخيطِ ومَيْلَغَةِ الكلب؛ فطابت نفوسهم، وهدأت خواطرهم، وامتلأت بالبهجة والرضى قلوبهم، ولم ينصرف عَلِيٌّ إلا وهم يلهجون بالثناء على الله، والصلاة على النبي وآله، **وهكذا** فَلْتُحَلَّ المشاكلُ، وتعالج الأزمات بعلي وأمثاله، **وكان** الأحرى بِكُتَّابِ المناهج التربوية أن يبرزوا صورة علي الناصعة، لكنهم أبرزوا خالد بن الوليد كأسطورة الأساطير!! **والإنصاف** أن يُعطَى المرؤ حقه.

70- وبَعَثَ ﷺ سعدَ بن زيد الأشهلي في شهر رمضان **في** عشرين فارسًا إلى مَنَاةَ[1] أقدمِ أصنامِ الأوسِ، والخزرجِ، وَغَسَّانَ، **قيل**: وهذيل، وبني كعب، وخزاعة؛ فهدمها[2]، **وقال ابن هشام**: بعث أبا سفيان بن حرب، ويقال: علي عليه السلام[3].

---

(1) **بالمُشَلَّلِ**: جبل على ساحل البحر على سبعة أميال من المدينة، ما يقارب (13كم).

(2) ابن سعد 2/ 146، وعيون الأثر 2/ 249، ومحمد رسول الله ص 323، وسيرة ابن كثير 3/ 711.

(3) ينظر: سيرة ابن هشام 1/ 88، **وقال في هامشها**: وعلى هذا الرأي – أي إنه ﷺ بعث عليًّا- ابن الكلبي في كتابه الأصنام، ويقال: إن عليًّا لما هدمها أخذ ما كان لها فأقبل به إلى النبي، فكان فيما أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر الغساني أهداهما لها-أي لمناة- أحدهما يسمى: فخذما، والآخر: رسوبا، فوهبهما النبي لعلي، وقيل: إن عليًّا وجد هذين السيفين في فلس صنم للعرب.

71- و بَعَثَ عمرًا بن العاص لهدم سُوَاعَ صَنَمٍ لهذيل[1] فهدمه[2].

72- بَعْثُ عليٍّ كرم الله وجهه إلى اليمن سنة 8 هـ[3]:

وهو أول بَعْثٍ إلى اليمن بعد الفتح، **وَأَسْلَمَتْ** هَمْدَانُ عن بَكْرَةِ أبيها في يوم واحد؛ فكتب عَلِيٌّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم، فلما قُرِئَ الكتاب خَرَّ لله ساجدًا، ثم رفع رأسه **وقال**: السلام على همدان، وتتابع أهل اليمن على الإسلام. **وأنا** أروي عن مفتي اليمن السيد أحمد بن محمد زَبَارَةَ عن أبيه المؤرخ اليمني الشهير[4] أن عَلِيًّا عليه السلام قام خطيبًا في قبائل همدان، واجتمعوا في مكان يُسَمَّى اليومَ «سُوْقَ الحَلَقَةِ»؛ لأنهم تَحَلَّقُوا عليه، شمال الجامع الكبير بصنعاء القديمة، وقد بَنَتِ امْرَأَةٌ مَسْجِدًا سُمِّيَ «مَسْجِدَ عَلِيٍّ» مكان البيت الذي نزل فيه، وهو بجوار سوق الحَلَقَةِ معروف مشهور، وما زال قائمًا؛ فتأثروا بخطبته فأسلموا، **وقد** تَشَرَّفْتُ بالتدريس في المسجد مدة، ومما دَرَّسْتُ فيه أمالي أبي طالب في الحديث.

العبرة:

مما لا شك فيه أن عليًّا عليه السلام ما وصل إلى اليمن **إلا وقد** حفظ الكثير من عاداتهم ولهجاتهم وأعرافهم ومفاخرهم وأسماء رموزهم، **وأجاد** المشهور من أشعارهم وزواملهم، وما يقولونه عند زراعة الحقول، وما شابه ذلك، **فلما** خطبهم لم يمتلك عليهم عقولهم بفصاحته العلوية النبوية، **وإنما** شعروا بأنه يجيد لهجتهم، ويعبر بنبض قلوبهم- **فانقادوا** له كداعية وقِيْلٍ كبير من أقيالهم، وكأنه دعاهم بداعي الإسلام والقَبْيَلَةِ أن يصونوا وجوههم الكريمة وهاماتهم الشامخة من السجود لغير الله، وأنه لا يليق بأبناء قحطان الذين نالوا شرف نصرة الإسلام واستضافة النبي

---

(1) على ثلاثة أميال من مكة. في بطن نخلة، على بعد (4.5 كم).

(2) محمد رسول الله ص323 وما بعدها، وعيون الأثر 2/ 249، وسيرة ابن كثير 3/ 711.

(3) البخاري رقم 4092. ومحمد رسول الله 347. والسبل 6/ 358، وعيون الأثر 2/ 358، وابن هشام 4/ 290، وسيرة ابن كثير 4/ 201.

(4) خلاصة المتون في أبناء ونبلاء اليمن الميمون، لمحمد بن محمد زباره 1/ 52.

ﷺ والمهاجرين في ديار إخوانهم الأوس والخزرج أن يظلوا عُبَّادًا للأصنام، فأثار فيهم غريزة النخوة والشهامة، وقادهم إلى رحاب الله سبحانه.

73- غزوة حُنَين[1] (في 10 شوال 8 هـ فبراير 630م)[2]:

لما سَمِعَتْ هَوَازِنُ بفتح مكة اجتمعت مع ثقيف، وبني هلال تحت قيادة مالك بن عوف النضري ومعهم دُرَيدُ بْنُ الصِّمَّةِ شيخ كبير أحضروه لخبرته بالحرب وجودة رأيه؛ فَهُمْ عازمون على إبادة رسول الله ﷺ وإلا فَسَيُبَادُونَ، **فلما** نزلوا بأوطاس وادٍ في ديار هوازن، **قال** دُرَيْدٌ: بأي واد أنتم؟ **قالوا**: بأوطاس، قال: نِعْمَ مَجَالُ الخيل؛ لا حَزْنٌ ضِرْسٌ[3]، ولا سَهْلٌ دَهْسٌ[4]، مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ البعير، ونُهَاقَ الحمير، وبُكَاءَ الصغير، ويُعَارَ الشَّاءِ[5]؟ **قالوا**: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم، **فقال**: أين مالك؟ فَدُعِيَ له، **فقال** له: إنك قد أصبحتَ رئيس قومك، وإن هذا يَوْمٌ كَائِنٌ له ما بعده من الأيام، مالي أسمع رُغاء البعير...؟ **قال**: سُقْتُ مع الناس أموالهم ونساءهم، **قال**: ولِمَ ذاك؟ **قال**: أَرَدْتُ أَنْ أَجْعَلَ خَلْفَ كُلِّ رجل منهم أهلَه وماله ليقاتل عنهم؛ **فَأَنْقَضَ به**[6] ثم **قال**: راعي ضأن والله، وهل يَرُدُّ المنهزمَ شَيْءٌ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فُضِحْتَ في أهلك ومالك، ثم **قال**: ما فَعَلَتْ كَعْبٌ وكِلاَبٌ؟ **قالوا**: لم يشهدها منهم

---

(1) **حنين**: ماء بينه وبين مكة ثلاث ليال قرب الطائف، على بعد (22كم) منها تقريبا.

(2) ابن هشام 4/ 80، والطبقات 2/ 149، والواقدي 3/ 885، ومغلطاي 317، وسيرة ابن كثير 3/ 610، وعيون الأثر 2/ 253، ومحمد رسول الله ص 325.

(3) **الحَزْنُ**: المرتفع من الأرض. **الضِّرْسُ**: الذي فيه حجارة محددة، أو الأَكَمَةُ الخشنة.

(4) **الدهس**: اللين الكثير التراب.

(5) **يعار الشاء**: صوتها، أو الشديد من أصوات الشاء.

(6) **أنقض به**: صفق بإحدى يديه على الأخرى حتى سُمِعَ لهما نقيض أي صوت. النهاية 4/ 171. **وقيل**: من الانقضاض، وهو أن يلصق لسانه بالحنك ثم يُصَوِّتُ في حافتيه، ويفعلون ذلك عند إنكار القول أو العمل.

أحد، **قال**: غاب الحَدُّ والجِدُّ، ولو كان يوم عَلاءٍ ورفعةٍ لم تَغِبْ عنه كعب ولا كلاب، ولَوَدِدْتُ أنكم فعلتم فعلهم، **فَمَنْ** شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، **قال**: ذانِك الجَذَعَانِ من عامر[1]، لا ينفعان ولا يضران، **يا مالك** إنك لم تصنع بتقديم بيضة[جماعة] هوَازنَ إلى نُحُورِ الخيل شيئًا؛ ارْفَعْهُمْ إلى مُتَمَنِّعِ بلادهم، وعَلْيَا قومهم، ثم الْقَ الصُّبَاءَ[2] على متون الخيل: فإن كانت لك لَحِقَ بك مَنْ وَرَاءَكَ، وإن كانت عليك فقد أحرزت أهلك ومالك، **قال**: والله لا أفعل ذلك، إنك قد كَبِرْتَ وكَبِرَ عقلك، والله لَتُطِيعُنِّي يا معشر هوازن أو لأتَّكِئَنَّ على هذا السيفِ حتى يخرجَ من ظهري- وكره أن يكون لدُرَيْدٍ بن الصِّمَّةِ فيها ذِكْرٌ أو رأي- **فقالوا**: أطعناك؛ **فقال** دريد: هذا يوم لم أشهده ولم يَفُتْنِي، **وأنشد**:

يا ليتني فيها جَذَعْ ... أَخُبُّ[3] فيها وأَضَعْ
أَقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ ... كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعْ[4]

وقال بعد المعركة:

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى ... فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرُّشْدَ إلاَّ ضُحَى الغَدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كنتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى ... غَوَايَتَهُمْ وَأَنَّنِي غَيْرُ مُهْتَدِ
وَهَلْ أَنَا إلَّا مِنْ غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ ... غَوَيْتُ وَإنْ تَرشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ[5]

ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسِروا جفونَ سيوفكم، ثم شدوا شدة

---

(1) **الجذع**: الضعيف في الحرب، كأنه الجَذَع من الإبل. والجذَع الصغير.
(2) جمع صابئ، بالهمزة، **وصباة**: جمع صابي غير مهموز، كانوا يسمون المسلمين بذلك لأنهم خرجوا عن دين الوثنية إلى الإسلام. اللسان 1/ 108.
(3) **الخَبَبُ**: ضربٌ من العَدْوِ، أو أن ينقل الفرسُ أَيَامِنَهُ جميعا وأَيَاسِرَهُ جميعا، أو أن يراوح بين يديه. قاموس 85.
(4) **وطفاء الزمع**: طويلة الشعر الذي فوق مربط قيد الدابة، يريد فرسًا صفتها هكذا. **شاة صدع**: وَعِلٌ ليس بالعظيم ولا بالحقير.
(5) الشعر والشعراء لابن قتيبة 2/ 750.

رجل واحد، وكان بعث ثلاثة جواسيس إلى رسول الله ﷺ؛ فرجعوا وقد تفرقت أوصالهم من الرعب، **ولما** سمع بهم نبي الله ﷺ بعث إليهم عبدَالله بن أبي حَدْرَدَ الأسلَمِيِّ وأمره أن يدخل في الناس حتى يعلم علمهم؛ فعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله ﷺ فأخبره به، **فلما** أجمع ﷺ على السير إلى هَوَازِنَ ذُكِرَ له أن عند صفوانَ بن أميةَ أدراعًا وسلاحًا؛ فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك **فقال**: يا أبا أمية، أَعِرْنَا سِلاَحَكَ نَلْقَ فيه عدونا، **فقال** صفوان: أَغَصْبًا؟ **قال**: بل عَارِيةٌ مضمونة، **قال**: ليس بهذا بأس، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح؛ **فخرج** ﷺ في اثني عشر ألفًا، **منهم** ألفان من مُسْلِمِي الطلقاء، وفيهم أناس ما زالوا مشركين، **واستعمل** عتَّابَ بن أَسِيدٍ الأُمَوِيَّ على مكة أميرًا على من تخلف عنه من الناس.

عن الحارث بن مالك قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية، فَسِرْنَا معه إلى حُنَيْنٍ، وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرةٌ عظيمة خضراءُ يقال لها ذاتُ أَنْوَاطٍ، يأتونها كل سنة فَيُعَلِّقُونَ أسلحتهم عليها، ويذبحون عندها، ويعكفون عليها يومًا، **فرأينا** ونحن نسير مع رسول الله ﷺ سِدْرَةً خضراءَ عظيمةً، فتنادَينا من جنبات الطريق: يا رسول الله، اجعل لنا ذاتَ أَنْوَاطٍ كما لهم ذاتُ أَنْوَاطٍ؛ **فقال** ﷺ: الله أكبر، قُلْتُمْ -والذي نفسُ محمد بيده- **كما** قال قوم موسى لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[الأعراف:138]، **إنها** السَّنَنُ؛ لتركُبنَّ سَنَنَ من كان قبلكم[1]. **وعن** جابر بن عبدالله قال: لما استقبلنا وادي حنين من أودية تهامة أَجْوَفَ حَطُوطًا[2]، ننحدر فيها انحدارا، في عَمَايَةِ الصبح وهو ظلامه قبل أن يتبين، **وكان** القوم قد سبقونا إلى

---

(1) الاكتفاء 241، وابن هشام 4/ 84.**والسَّنَنُ**: الطريقة، يقال: استقام فلان على سنن واحد.المختار 317.

(2) **أجوف**: متسع. **حطوط**: منحدر.

الوادي فَكَمَنُوْا لنا في شِعَابِهِ وأحنائه[جوانبه] ومضايقه، وقد أجمعوا وتهيأوا وأعـدوا، فوالله ما راعنا إلا وقد شدوا علينـا شَـدَّةَ رجـل واحـد، وانـشمر النـاس [أي انفـضوا وانهزمـوا] راجعين لا يلوي أحد على أحد، **وانحاز** رسول الله ﷺ ذاتَ اليمين، وكـان أبو سفيان بن الحارث آخذًا بلجام ناقته، **فنزل** ﷺ وهو يقول:

أَنَـــــا النَّبِـــــيُّ لاَ كَـــــذِبْ   أَنَـــــا ابْـــــنُ عَبْدِالْـــــمُطَّلِبْ

ثم قال: أيها الناس، هَلُمُّوا إليَّ أنا رسول الله، أنا محمد بن عبدالله، فلم يَلْوُوْا على شيء، وحَمَلَتِ الإبلُ بعضُهَا عَلَى بعض، إلا أنه قد بقي مع رسول الله ﷺ نفر من أهل بيته؛ فقـد ذكر ابن قتيبة أن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ يوم حنين بعد هزيمة الناس: عـلي بـن أبي طالب، والعباسُ آخذ بِحَكَمَةِ بغلته، وأبـو سـفيان بـن الحـارث، وابنـه، والفـضل بـن العباس، وأيمن بن عبيد ابن أم أيمن مـولاة رسـول الله ﷺ وقُتِـلَ يومئـذ، وربيعـة بـن الحارث بن عبدالمطلب، **وأسامة** بن زيد بن حارثة، **وقال** العباس بن عبدالمطلب:

نَصَرْنَا رَسُـولَ اللهِ فِي الْحَـرْبِ سَـبْعَةٌ   وَقَدْ فَرَّ مَـنْ قَـدْ فـرَّ مِـنْهُمْ فَأَقْـشَعُوا
وَثَامِنُنَــا لاَقَــى الحِمَــامَ بِــسَيْفِهِ   بِمَــا مَــسَّهُ فِي اللهِ لاَ يَتَوَجَّـــعُ

يعني أيمن بن عبيدة[المعارف لابن قتيبة 1/ 36]، **وفي** رواية أنه لم يبـق معـه إلا أربعـة: ثلاثة من بني هاشم: عليٌّ، والعباس، وأبو سفيان بن الحارث، وقد كان آخِذًا بعنـان بغلته، **والرابع**: عبدالله بن مسعود، **وقد** كان عليٌّ والعباس يحفظانه من قبل وجهـه، وعبدالله بن مسعود يحفظه من جانبه الأيسر، **وكان** كُلُّ مَنْ يُقْبِلُ على رسـول الله ﷺ يُقْتَلُ[تاريخ الخميس 2/ 102] ، **وقيل**: إن من ثبت مـع رسـول الله ﷺ يومئـذ العبـاسُ، وعليٌّ، وأبو سفيان بن الحارث، وعقيل بن أبي طالب، والزبير، وعبدالله بـن الـزبير، وجعل أبو سفيان يقاتل وهو يقول:

بَنُــو أَبِيــهِ اليَــوْمَ مِــنْ أَمَامِــهِ   وَمِــنْ حَوَالَيْــهِ وَمِــنْ أَهْــضَامِهِ

فَقَاتَـــلَ الْمُـــسْلِمُ عَـــنْ إِسْـــلَامِهِ   وَقَاتَـلَ الحِرْمِــيُّ عَـنْ إِحْرَامِــهِ[1]

وقيل: إن الذين ثبتوا معه مائة، منهم: العباس بن عبدالمطلب، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وعليٌّ بن أبي طالب، وعمر، وأيمن بن عبيد، **ثم** ثَابَتِ الأنصار وثاب النـاس، فهزم الله المشركين[أنساب الأشراف1/ 438]، **وقيل**: إن الذين ثبتوا معـه عَمُّـهُ العبـاس، وبنـو عمه: أبو سفيان، وأخوه ربيعة، والفضل بن العباس، وعَلِيٌّ وهو يقاتل بين يديه أشد قتال، ومعهم نفر قليل من المهاجرين والأنصار: **منهم** أبو بكر وعمر، وأيمن بن عبيـد الحبـشي، وقيل: الخزرجي ، أخو أسامة لأمه، واسْتُشْهِدَ بين يدي رسول الله ﷺ، وأسامة[2]، **قلت**: ولعل ما ورد في الروايات المتأخرة محمولٌ على أنه بعد الرجوع من الهزيمة؛ **يؤيد** ذلـك مـا رواه البخـاري [4/ 1570 رقـم 4066، 4067] عـن أبي قتـادة قـال: وانهـزم المـسلمون وانهزمتُ معهم، فإذا عمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قـال: أَمْـرُ اللهِ عَزَّ و جَلَّ، ثم تراجع الناس إلى رسول الله.

قتال عليٍّ يوم حنين:

قال الحارث بن نوفل: حدثني الفضل بن العباس، **قال**: الْتَفَتَ العبـاس يومئـذ وقـد أقشع الناس عن بكرة أبيهم، فلم يَرَ عَلَيًّا فيمن ثبت، **فقال**: شُوهَةً وَبُوهَـةً[3]! أَوَ فِي مثـل هذه الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله ﷺ؟ وهو صاحبه فيما هو صاحبه! [يعني المواطن المشهورة لـه]، فقلت: بَعْضَ قولك لابن أخيك: أما تراه في الرَّهَجِ؟ **قال**: أَشْعِرْهُ لي يا بُنَيّ[4]، **قلت**: ذو كذا، ذو كذا، ذو البُرْدَةِ، **قال**: فما تلك البَرْقَةُ؟ **قلت**: سَيْفُهُ يَرْفُلُ بـه

---

(1) **الأهضام** : الجوانب . **والنَّسَبُ** إلى الحرم حِرْمِيٌّ، معدول به أتى على غير قياس. اللسان 12/ 120.

(2) الإصـابة 1/ 103 رقـم 394، وأسـد الغابـة 1/ 346 رقـم 353، والاسـتيعاب 4/ 478 رقـم 3557، والاكتفاء 2/ 243، والمغازي لابن أبي شيبة ص 378.

(3) **الشوهة والبوهة**: البعد، ويقال هذا في الذم، ونص ابن الأعرابي: البوهة السحق، يقال: بوهة له وشوهة. تاج العروس 19/ 21، 57.

(4) **الرَّهَجُ**: غبار الحرب، و أَشْعِرْهُ لي: اذكر لي شعاره الذي يعرف به بين رفقته.

بين الأقران؛ **فقال**: بَرٌّ ابْنُ بَرٍّ؟ فداه عَمٌّ وخالٌ! **قال**: فضرب عَلِيٌّ يومئذ أربعين مُبَارِزًا كُلُّهُمْ يَقُدُّهُ حَتَّى يَقُدَّ أَنْفَهُ وَذَكَرَهُ، **قال**: وكانت ضرباته مُنْكَرَةً[الإمتاع 2/ 14]. **أقول**: لله دره؛ فقد كان **كما** أراده الله ورسوله، **وكما** أراد لنفسه أن يكون؛ فهنيئا له.

موقف أم عمارة وصواحباتها:

كان في يد **أُمِّ** عمارة سيف صارم، وفي يد **أُمِّ** سُلَيْمٍ خنجر قد حزمته على وسطها، ومعهما **أم** سَلِيطٍ، **وأم** الحارث حين انهزم الناس يقاتلن، **وأم** عمارة تصيح بالأنصار: أَيَّةُ عادةٍ هذه! مالكم وللفرار؟! وشدت على رجل من هوازن فقتلته وأخذت سيفه[الإمتاع 2/ 15]!. **أقول**: واحدة من هؤلاء الماجدات تساوي جيشا، وهل يجوز أن يقال لمثلهن: ناقصات عقل و دين؟! أو خُلِقْنَ مِنْ ضِلْعٍ أَعْوَجَ؟! أو عِيٌّ وعورات؟! كلا و ألف كلا؛ فالناقصون هم التافهون والتافهات.

الشماتة بهزيمة المسلمين[1]:

لما انهزم الناس تكلم رجال من جفاة مكة بما في أنفسهم من الضِّغْنِ والحقد، **فقال** أبو سفيان بن حرب: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وإنَّ الأزلام لَمَعَهُ في كِنَانَتِهِ[2]! **وصرخ** جَبَلَةُ بنُ الحنبل أخو صفوان لِأُمِّهِ وهو مشرك: ألا بَطَلَ السحر اليوم! **فقال** له صفوان وهو على شركه: اسْكُتْ فَضَّ اللهُ فاك؛ فوالله لأنْ يَرُبَّنِي رجلٌ من قريش أحبُّ إِلَيَّ من أن يَرُبَّنِي[3] رجلٌ من هوازن! **وقال** شيبة بن عثمان-وكان أبوه قُتِلَ يوم أحد-: اليومَ أُدْرِكُ ثأري من محمد، فَأَدَرْتُ قتله، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أُطِقْ ذاك، وعلمت أنه ممنوع مني.

---

(1) ابن هشام 4/ 86، والاكتفاء 2/ 243، والطبري 3/ 73، والكامل 2/ 178، والبداية والنهاية 4/ 374، وعيون الأثر 2/ 256.

(2) **الأزلام**: السهام التي كانوا يستقسمون بها ويخضعون لحكمها.

(3) سيرة ابن هشام 4/ 86، وعيون الأثر 2/ 258، ومحمد رسول الله ص 328.

عودة المسلمين إلى القتال[1]:

عن العباس بن عبدالمطلب قال: إني لَمَعَ رسول الله ﷺ آخِذٌ بلجام بغلته البيضاء، وكنت امرأ جسيمًا شديد الصوت، **وَرَسُولُ الله** ﷺ يقول حين رأى ما رأى من الناس: أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟ فلم أَرَ الناس يلوون على شيء؛ **فقال**: يا عباسُ اصْرُخْ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السَّمُرَةِ[2]، **قال**: فصرخت، فأجابوا لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، فذهب الرجل لِيَثْنِيَ بعيره فلا يقدر على ذلك؛ فيأخذَ درعه فيقذفَها في عنقه، ويأخذَ سيفه وتُرْسَهُ، ويقتحمَ عن بعيره ويُخَلِّيَ سبيلَه، فَيَؤُمَّ الصَّوْتَ حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمعَ إليه منهم مائة استقبلوا الناس فاقتتلوا، **وكانت** الدعوة أول ما كانت: يا للأنصار، ثم خَلَصَتْ أخيرًا: يا للخزرج، وكانوا صُبُرًا عند الحرب، فأشرف رسول الله ﷺ في ركائبه، فنظر إلى القوم وهم يجتلدون **فقال**: الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ[3]! فوالله ما رَجَعَتْ راجعةُ الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأَسارَى مُكَتَّفِين عند رسول الله ﷺ، **والتفت** رسولُ الله ﷺ إلى أبي سُفْيَانَ بن الحارث، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله ﷺ وحَسُنَ إسلامه، وهو آخِذٌ بثَفَرِ بغلته[4]، فقال: من هذا؟ قال: أنا ابن أُمِّكَ يا رسول الله، لا أكونُ آخِرَ مَنْ أسلم وأولَ مَنْ يَفِرُّ، **ووقفت** أم سليم زوج أبي طلحة وهي حامل وفي يدها خنجر وأشارت على النبي ﷺ بقتل الفارين، فابتسم وشكرها.

انهزام المشركين[5]:

صدق المقاتلون من المسلمين، وأخذ النبي ﷺ كَفًّا من حصباء، وضرب به المشركين

---

(1) **يربني**: يكون ربًّا لي، أي مَلِكًا عَلَيَّ.

(2) **السمرة**: شجرة الرضوان التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان.

(3) **الوطيس**: التَّنُّورُ. مختار الصحاح ص 727.

(4) **الثفر**: السير في مؤخر السرج تحت ذيل الدابة.

(5) سيرة ابن هشام 4/ 92، وعيون الأثر 2/ 259.

وقال: شاهت الوجوه فانهزموا، واسْتَحَرَّ القتل في بني مالك من ثَقِيفٍ، فقتل منهم سبعون تحت رايتهم، **وتفرق** المنهزمون: **فمنهم** من ذهب إلى الطائف ومعهم مالك بن عوف، **وبعضهم** بأوطاس، **وبعضهم** بنَخْلَة، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غِيَرَةَ من ثقيف، وتبعتْ خيلُ رسول الله ﷺ مَنْ سلك نَخلَةَ، ولم تتبع من سلك الثنايا، **وبعث** ﷺ في آثار من توجه قِبَلَ أوطاس أبا عامر الأشعري، فأدرك بعضَ من انهزم، فناوشوه القتال؛ فَقَتَلَ منهم تِسْعَةً مُبَارَزَةً، بعد أن دعاهم إلى الإسلام، **قيل**: إنهم إخوة، وبرز العاشر فَقَتَلَ أبا عامر، فأخذ الراية أبو موسى الأشعري[1] ابن عمه فقاتلهم وهزمهم، وظفر بالغنائم، **ووقف** مالك بن عوف مع فوارس من قومه على ثَنِيَّةٍ من الطريق وقال: قِفُوا حتى يمضيَ ضعفاؤكم، ويَلْحَقَ آخِرُكُمْ، فوقف هناك حتى مضى من لَحِقَ بهم من منهزمة الناس[ابن هشام 4/ 99]، **ومَرَّ** رسول الله ﷺ بامرأة قَتَلَهَا خالدُ بن الوليد، والناس مزدحمون عليها **فقال**: ما هذا؟ قالوا: امرأة قتلَها خَالِدٌ، **فقال** لبعض من معه: أَدْرِكْ خالدًا فقل له: إن رسول الله ينهاك أن تَقْتُلَ وَليدًا أو امرأَةً أو عَسِيفًا وهو الأجير والعبد المستعان به [ابن هشام 4/ 100]، **وقال** ﷺ يومئذ: إن قدرتم على بِجَادٍ - رجل من بني سعد بن بكر- فلا يُفْلِتَنَّكُمْ، وكان قد قتل مسلمًا فقطَّعه عُضْوًا عُضْوًا وأحرقه، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله، وساقوا معه الشيمَاءَ بنت الحارث بن عبدالعزى أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة، فَعَنُفُوا عليها في السياق؛ **فقالت**: إني لأُخْتُ صاحبكم من الرضاعة، فلم يصدقوها حتى أتو بها رسول الله ﷺ، **فقالت**: إني أختك من الرضاعة، **قال**: وما علامة ذلك؟ **قالت**: عضة عضضتنيها في ظهري وأنا مُتَوَرِّكَتُكَ[2]، فعرف رسول الله ﷺ العلامة، وبسط لها رداءه فأجلسها عليه، وخَيَّرَهَا بين البقاء عنده أو

---

(1) هو عبدالله بن قيس أحد الحَكَمَينِ يوم صفين، مات سنة 50هـ.

(2) **توركته**: حملته على وَرِكِها، والورك ما فوق الفخذ كالكتف فوق العضد. لسان العرب 10/ 509.

الرجوع إلى أهلها، فاختارت الرجوع، وأسلمت فأعطاها وأكرمها[1].

وفي يوم حنين نزل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾[التوبة].

الغنائم[2]: **أمر** النبي ﷺ بجمعها وحبسها بالجِعْرَانَةِ[3]، وَوَلِيَهَا مسعود بن عمرو الغفاري، وهي: ستة آلاف من النساء والذرية، وأربعة وعشرون ألفًا من الإبل، وأربعون ألفًا من الغنم، وأربعة آلاف أوقية فضة، و الله أعلم.

---

(1) الواقدي 3/ 913، والبداية والنهاية 4/ 417، وابن هشام 4/ 100، والاستيعاب ترجمة رقم (3437)، والإصابة 4/ 335 رقم 633.

(2) سيرة ابن هشام 4/ 101،والمغازي لابن أبي شيبة ص 385،وعيون الأثر 2/ 260، وسيرة ابن كثير 3/ 638.

(3) ويقال: الجِعِرَّانةُ بتشديد الراء: ماء بين الطائف ومكة، وهي إلى مكة أقرب. معجم البلدان 2/ 142.



غزوة حنين
١٠ شوال ٨هـ
صحراء النفـــود الكبرى
بحر القلزم (الأحمر)
الحجـــاز
نجد
سيناء
مدين
مصر
النوبة
تبوك
أذرح
معان
إلى مؤتة
العقبة (أيلة)
دُومة الجندل
تيماء
مويلح
ضبا
مدائن صالح (الحجر)
العُلا
الوجه
ذات الرقاع
خيبر
فدك
وادي القرى
بنو قُرَيظة
أحد
بنو لحيان
بواط
المدينة المنورة
العُشيرة
ينبع
بدر
حمراء الأسد
بنو سُلَيم
السويق
ودّان
بحران
المريسيع
رابغ
الحديبية
جدة
مكة المكرمة
حنين
الطائف

74- سرية الطُّفَيْلِ بن عمرو الدَّوسي إلىٰ ذي الكُفَيْنِ (شوال 8هـ)[1]:

بعثه رسول الله ﷺ؛ لهدم صنم عمرو بن حُمَمَةَ يُسمَّى ذا الكُفَينِ، **وأمره** أن يستمد قومه ويلقاه بالطائف، **فخرج** سريعًا إلىٰ قومه، وأحرق الصنم وهو ينشد:

يا ذا الكُفَينِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا ... مِيلاَدُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيْلاَدِكَا

إِنِّي حَشَشْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَا

وجاء من قومه إلىٰ النبي ﷺ أربعمائة، ومعهم منجنيق ودبابة[2].

75- غزوة الطائف (في شوال سنة ثمان)[3]:

ذهب النبي ﷺ بالمسلمين إلىٰ حصار فُلُوْلِ المنهزمين من ثقيف المتحصنين بالطائف؛ ولما قدم أغلقوا عليهم أبوابَ مدينتِها، وصنعوا الصنائع للقتال، **ولم** يشهد معه حنينًا وحصار الطائف عُرْوةُ بن مسعود، ولا غَيْلانُ بنُ سَلَمَةَ، إذ كانا بجُرَشَ[4] يتعلمان صنعة الدباباتِ والمجانيق[5] والضُّبُورِ[6]؛ **فقال** كعب بن مالك حين أجمع ﷺ السير إلىٰ الطائف:

قَضَيْنَا مِن تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبِ ... وَخَيْبَرَ ثُمَّ أَجْمَمْنَا السُّيُوفَا[7]

نُخَيِّرُهَا وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ ... قَوَاطِعُهُنَّ دَوْسًا أَوْ ثَقِيفَا

---

(1) ابن هشام 2/ 24، والطبقات 2/ 157، والبداية والنهاية 3/ 100، وعيون الأثر 2/ 269، ومحمد رسول الله ص 330. **وذو الكُفَينِ**: كزبير: صنم لدوس. **وقيل**: تثنية كف، **وقيل**: ذو الكَفَين. **قال السهيلي**: خُفِّفَ للضرورة. تاج العروس 18/ 481، ومعجم البلدان 4/ 471.

(2) **الدبابة**: آلة من آلات الحرب، يدخل فيها الرجال فَيَدِبُّونَ بها إلىٰ الأسوار لِيَنْقُبُوهَا.

(3) الطبقات 2/ 158، والاكتفاء 2/ 254، وابن هشام 4/ 121، والواقدي 2/ 180، وعيون الأثر 2/ 270، ومحمد رسول الله ص 331، وسيرة ابن كثير 3/ 652.

(4) **جرش**: من مخاليف اليمن من جهة مكة، وليست جرش الأردن.

(5) جمع منجنيق، وهي من آلات الحصار، يرمى بها الحجارة الثقيلة ونحوها

(6) **الضُّبُورُ**: مفردها ضَبْرٌ: وهو جِلْدٌ يُغَشَّى خشبًا، فيها رجال تُقَرَّبُ إلىٰ الحصون لقتال أهلها. اللسان 4/ 480.

(7) **الريب**: الشك، **وأجممنا السيوف**: أَرَحْنَاهَا.

فَلَــسْتُ لِحَاضِــنٍ إِنْ لَمْ تَروهَــا ... بِـسَاحَةِ دَارِكُــمْ مِنَّــا أُلُوفَــا

وَنَنْتَــزِعُ العُــرُوشَ بِــبَطْنِ وَجٍّ ... وَتُـصْبِحُ دُورُكُــمْ مِــنكم خُلُوفَــا[1]

حصار الطائف[2]: ثم مضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريبًا من الطائف، فقُتِلَ ناسٌ من أصحابه بالنبلِ لقرب المعسكر من حائط الطائف، ولم يقدر المسلمون على دخول حائطهم، فَحَوَّلَ عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم، وحاصرهم بِضْعًا وعشرين ليلة، وقاتلهم قتالًا شديدًا، وتراموا بالنبل، ورَمَى ﷺ أهلَ الطائف بالمنجنيق بنفسه، **فكان** ﷺ **أول** من رمى به في الإسلام[3] حتى إذا كان يوم الشدخة[4] عند جدار الطائف عندما دخل نفر من أصحاب رسول الله ﷺ تحت دبابة ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه، فأرسلت عليهم ثقيفٌ سكك الحديد مُحْمَاةً بالنار، فخرجوا من تحتها، فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالًا، **فأمر** رسول الله ﷺ بقطع أعناب ثقيف فوقع الناس فيها يقطعون، **وقد** روي أن رسول الله ﷺ **قال** لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو محاصر ثقيفًا: يا أبا بكر إني رأيت أني أُهْدِيَتْ لِي قَعْبَةٌ [قَدَحٌ] مملوءة زُبْدًا فنقرها ديك فَهَرَاقَ ما فيها، **فقال** أبو بكر: ما أظن أن تدرك منهم يومَك هذا ما تريد، **فقال** ﷺ وأنا لا أرى ذلك، **وعندما** قال له رجل: ادْعُ عليهم، **قال**: «اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفًا وَائْتِ بِهِمْ»! **ونزل** إلى رسول الله ﷺ حال الحصار عَبِيدٌ فأسلموا وأعتقهم، **ولما** أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم في أولئك العبيد، **فقال** ﷺ: «لاَ، أُولَئِكَ عُتَقَاءُ اللهِ»! **وَلَا أَشُكُّ** أن النبي ﷺ سَرَّبَ خبرا إلى

---

(1) **العروش**: سقوف البيوت. **وج**: موضع بالطائف، **خلوف**: تغيب عنها أهلها.

(2) الكامل في التأريخ 2/ 180، 181، والمغازي 3/ 924، وابن هشام 4/ 126، والاكتفاء 2/ 254، وسيرة ابن كثير 3/ 656.

(3) ابن هشام 4/ 126، وسيرة ابن كثير 3/ 658.

(4) **شَدَخَ الرَّأْسَ**: كسره، **والمراد** بيوم الشدخة: يوم القتل.

عبيد أهل ثقيف: أن من أتاه مسلما أعتقه؛ وذلك لَوْنٌ من ألوان المناورة الحربية؛ ليستكشف من خلال العبيد أحوال العدو، **وقد** أخبره الغلمان المتسللون إليه بأن ثقيفا قد أَعَدَّتْ نفسها لحصار سنة؛ فعندهم من الماء والزاد والعتاد ما يمكنهم من الصمود طويلا؛ لذلك قرر النبي ﷺ تَرْكَهُمْ.

وقد استشهد من الصحابة اثنا عشر وهم: عبد شمس بن سعيد بن العاص بن أمية، وعرفطة بن حباب، ويزيد بن زمعة بن الأسود، وعبدالله بن أبي بكر بن أبي قحافة، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، وعبدالله بن عامر بن ربيعة العنزي، والسَّائب بن الحارث بن قيس بن عدي، وأخوه عبدالله، وثابت بن الجذع، واسم الجذع ثعلبة الأنصاري، والحارث بن سهل بن أبي صعصعة، والمنذر بن عبدالله بن نوفل، وجليحة بن عبدالله بن محارب الليثي[1].

وصية لرسول الله ﷺ:

لما افتتح رسول الله ﷺ مكة انصرف إلى الطائف؛ فحاصرهم تسع عشرة أو ثمان عشرة ليلة فلم يفتتحها، ثم ارتحل رَوْحَةً أو غُدْوَةً، فنزل **ثم قال**: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ؛ فَأُوصِيكُمْ بِعِتْرَتِي خَيْرًا، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُقِيْمُنَّ الصَّلَاةَ، وَلَيُؤْتُنَّ الزَّكَاةَ، أَوْ لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِنِّي أَوْ كَنَفْسِي، فَلَيَضْرِبَنَّ أَعْنَاقَ مُقَاتِلَتِهِمْ، ولَيَسْبِيَنَّ ذَرَارِيهِمْ»، **قال**: فرأى الناس أنه أبو بكر أو عمر فأخذ بيد عَلِيٍّ فقال: «هذا»[2].

قسمة الغنائم[3]:

تبع الناس رسول الله ﷺ **يقولون**: اقسم علينا فيئنا، حتى أَلْجَئُوهُ إلى شجرة،

---

(1) وفقئت عين أبي سفيان بن حرب في تلك الغزوة، وعينه الأخرى يوم اليرموك. **كذا** في شرح المواهب 3/ 33، وابن هشام 4/ 129، والمغازي 3/ 938.

(2) مصنف ابن أبي شيبة 7/ 411 رقم 36953.

(3) سيرة ابن هشام 4/ 134، وسيرة ابن كثير 3/ 669.

فاخْتَطَفَتْ رداءه؛ **فقال**: رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي أَيُّهَا الناسُ، فوالله لو كان لكم بِعَـدَدِ شَـجَرِ تِهَامَةَ نِعَمًا لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُم، فَمَا أَلْفَيْتُمُونِي بَخِيلًا، ولا جَبَانًا، ولا كذابًا؛ **ثم** أخذ وَبَرَةً مِنْ سَنَامِ بعير **وقال**: «وَاللهِ مَا لِي مِنْ فَيْئِكُمْ وَلاَ هَـذِهِ الـوَبَرَةُ إِلاَّ الخُمُـسُ، والخُمُـسُ مَرْدُودٌ عَلَيْكُمْ، رُدُّوا الخِيَاطَ وَالمَخِيطَ[1]؛ فَإِنَّ الغُلُولَ يَكُـونُ عَـلَى أَهْلِـهِ عَـارًا وَنَـارًا وَشَنَارًا[أقبح العار] يَوْمَ القِيَامَةِ»[2]؛ فجاء أنصاريٌ بِكُبَّةٍ[3] من خيوطِ شَـعَرٍ، **فقـال**: يـا رسول الله، أخذتُ هذه الكبة أعمل بها بَرذَعَةَ بعيرٍ لي دَبِرٍ[4]؛ **فقال**: أَمَّا نصيبي منهـا فلك، **قال**: أَمَّا إذا بَلَغَتْ هذا فلا حاجة لي بها، ثم طرحها من يده.

الطلقاء والمؤلفة قلوبُهُمْ[5]:

أعطى ﷺ المؤلفةَ قلوبُهُمْ وكانوا أشرافًا من أشرافِ الناس يتألَّفُهُمْ ويتـألف بهـم قومَهم، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائةَ بعـير وأربعـين أوقيـة مـن الفـضة، **فقـال**: وابني معاوية فأعطاه مائة، **ثم قال**: وابني يزيد فأعطاه مائة! وأعطى المئات لكـل مـن حكيم بن حزام، والحارثِ بن كَلَدَةَ، وسهيل بن عمرو، وعيينةَ بن حصن، والأقرع بن حابس التميمي، ومالك بن عوف النضري، وصفوان بن أمية، **وأعطى** خمـسين مـن الإبل رجالًا من قريش: منهم مخرمةُ بن نوفل الزهري، وعُمَـيرُ بـن وهـب الجُمَحِـيُّ، وهشام بن عمرو، وسعيد بن يربوع المخزومي وعديُّ بن قـيس الـسهمي. **وأعطـى** عباس بن مرداس أباعر[6] فسخطها، وعاتب النبي ﷺ بأبيات، منها:

---

(1) **الخياط**: الخيط. **والمخيط**: الإبرة.

(2) البيهقي 7/ 17. والطبراني 18/ 260.

(3) **الكبة**: ما جمع من الغزل ونحوه.

(4) **الدبر**: الذي به الدبر: وهي القروح.

(5) الواقدي 3/ 944، وابن هشام 4/ 135، وعيون الأثر 2/ 260، ومحمد رسول الله ص 329، وسيرة ابن كثير 3/ 678، والروض الأنف 4/ 152.

(6) **أباعر**: مفردها بعير، وهو الجمل البازل للذكر والأنثى، وجمع بعير: بُعْرَانٌ، وجمع بُعْرَانٍ أَبَاعِرُ.

فَأَصْـــبَحَ نَهْبِـــيْ ونَهْـــبُ العُبَيْــــ ــــــدِ بَــــينَ عُيَيْنَـــةَ وَالأَقْـــرَعِ[1]
وَمَـــا كَـــانَ حِـــصْنٌ وَلَا حَـــابِسٌ يَفُوقَـــانِ شَـــيْخِيَ فِي الــــمَجْمَعِ[2]
وَمَـــا كُنْـــتُ دَوْنَ امْـــرِئٍ مِنْهُمَـــا وَمَــــنْ تَـــضَعِ اليَـــوْمَ لَا يُرفَـــعِ

فقال ﷺ: اقْطَعُوا عَنِّي لِسَانَهُ، فَأَعْطَوْهُ حَتَّى رَضِيَ فَكَانَ ذِلِكَ قَطْعَ لِسَانِهِ[3].

وفي الجِعْرَانَةِ بعد قسمة السَّبْيِ أتاه وَفْدُ هوازنَ وقد أسلموا، **فقالوا**: يا رسول الله، إنا أصلٌ وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك؛ فَامْنُنْ علينا منَّ اللهُ عليك؛ **وقام** رجل من بني سعد بن بكر، **فقال**: يا رسول الله إنما في الحظائر من السبايا خالاتُك وحواضنُك اللاتي كن يَكْفُلْنَكَ، ولو أنا مَلَحْنَا للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين؛ **فقال** ﷺ: أبناؤُكم ونساؤُكم أحبُّ إليكم أم أموالُكم؟ **فقالوا**: يا رسول الله، خَيَّرْتَنَا بين أموالنا وأحسابنا، بل تَرُدُّ إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا، **فقال** لهم: أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو لكم، وإذا ما صليتُ بالناس الظُّهْرَ فقوموا **فقولوا**: إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا، فسأعطيكم عند ذلك وأسأَلُ لكم، **فلما** صلى قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به؛ **فقال** رسولُ الله ﷺ: أما ما كان لي ولبني عبدالمطلب فهو

(1) **العبيد**: اسم فرس العباس. **وحصن** الذي ذكره هو أبو عُيَيْنَةَ، **وحابس**: أبو الأقرع بن حابس.

(2) شيخي، يريد أباه مرداسًا، ويروى «شَيْخَيَّ» بتشديد الياء، يريد أباه وجده ويروى «يفوقان مرداس».

(3) قال ابن هشام 4/ 137: وحدثني بعض أهل العلم أن عباس بن مرداس أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: أنت القائل: فأصبح نهبي ونهب العبـ ـيد بين الأقرع وعيينة؟ **فقال** أبو بكر الصديق: بين عيينة والأقرع، فقال رسول الله ﷺ: هما واحد، فقال أبو بكر: أشهد أنك كما قال الله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ﴾[يس: 69] أما إنشاء الشعر فلا ينبغي له، قال ابن كثير في تفسيره [3/ 580]: المراد بذلك نظمه لا انشاده . **قال ابن حجر**: اختلف في جواز تمثل النبي ﷺ بشيء من الشعر وإنشاده حاكيا عن غيره؛ فالصحيح جوازه. فتح الباري 10/ 541.

لكم؛ **فقال** المهاجرون والأنصار: وما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، **فقال** الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، **وقال** عيينة بن حصن: أما أنا وبنو فَزَارَةَ فلا، **وقال** عباسُ بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا؛ **فقالت** بنو سُلَيم: بلى، ما كان لنا فهو إلى رسول الله ﷺ؛ **فقال**: وَهَّنْتُمُونِي، **فقال** رسول الله ﷺ: «أَمَّا مَنْ تَمَسَّكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ مِنَ هَذَا السَّبْيِ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فُرَائِضَ مِنْ أَوَّلِ فَيْءٍ أُصِيبُهُ؛ فَرُدُّوا إِلَى النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ»[1].

إسلام مالك بن عوف[2]:

قال ﷺ لوفد هوازن: ما فعل مالك؟ **فقالوا**: هو بالطائف مع ثقيف، **فقال** ﷺ: أخبروه أنه إن أتاني مُسْلِمًا رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل، فأُخْبِرَ بذلك، وخاف ثقيفًا أن يعلموا بما قال رسول الله ﷺ له فيحبسوه، فأُحضِرَ له فرس فخرج عليه ليلًا، فأدرك النبي ﷺ بالجِعْرَانَةِ أو بمكة فأعطاه ما وعده، وأسلم فحسن إسلامه، **وقال**:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ ... فِي النَّاسِ كُلِّهِمِ بِمِثْلِ مُحَمَّدِ
أَوْفَى وَأَعْطَى لِلْجَزِيلِ إِذَا اجْتُدِي ... وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي غَدِ
وَإِذَا الكَتِيبَةُ عَرَّدَتْ أَنْيَابُهَا ... بالسَّمْهَرِيِّ وضَرْبِ كُلِّ مُهَنَّدِ[3]
فَكَأَنَّهُ لَيْثٌ عَلَى أَشْبَالِهِ ... وَسْطَ الهَبَاءَةِ خَادِرٌ فِي مَرْصَدِ[4]

فاستعمله رسولُ الله ﷺ على من أسلم من قومه، فكان يقاتل بهم ثقيفًا، لا يَخْرُجُ لهم سَرْحٌ إلاَّ أغار عليه حتى ضيَّق عليهم.

(1) مسند أحمد 2/ 680 رقم 7058.
(2) سيرة ابن هشام 4/ 133، وسيرة ابن كثير 3/ 683.
(3) **عَرَّدَتْ**: أَحْجَمَتْ وَفَرَّتْ، **والأَنْيَابُ**: سادات القوم. **والسَّمْهَرِيُّ**: الرمح. **والمُهَنَّدُ**: السيف المنسوب إلى الهند.
(4) **الهباءة**: الغبار يثور عند اشتداد الحرب. **الخادر** الأسد في عرينة. **المرصد**: المكان يُرْقَبُ منه، يَصِفُهُ باليقظة.

وَجْدُ الأنصار رضي الله عنهم[1]:

عن أبي سعيد الخدري **قال**: لَـمَّا أعطى رسولُ الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وفي قبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيءٌ؛ **وَجَدَ** هذا الحيُّ من الأنصار في أنفسهم حتى كَثُرَتْ منهم القَالَةُ[2]، **حتى** قال قَائِلُهُمْ: لقي رسولُ الله ﷺ قومَه! فمشى سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ **وقال**: إن هذا الحيَّ من الأنصار قد وَجَدُوا عليك في أنفسهم لِمَا صَنَعْتَ في هذا الفيء: أعطيت قومك وسائر العرب عطايا عِظَامًا، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء! **قال**: فأين أنتَ من ذلك يا سعد؟ **قال**: ما أنا إلا من قومي، **قال**: فاجمع لي قومَك في هذه الحظيرة؛ فلما اجتمعوا جاءهم، وجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا، وجاء آخرون فَرَدَّهُمْ؛ فحمد الله وأثنى عليه **ثم قال**: يا معشر الأنصار، ما قَالَةٌ بلغتني عنكم، وَجِدَةٌ[3] وجدتموها عَلَيَّ في أنفسكم؟! أَلَم آتِكُم ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟! **قالوا**: بلى، اللهُ ورسولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، **ثم قال**: ألا تجيبونني يا معشر الأنصار؟ **قالوا**: بماذا نجيبك يا رسول الله؟ للهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالفَضْلُ، **قال** ﷺ: أَمَا وَاللهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا

---

(1) سيرة ابن هشام 4/ 141، وعيون الأثر 2/ 261، ومحمد رسول الله ص 329، وسيرة ابن كثيرة3/ 678.

(2) **القالة**: الكلام البذيء، أي **قالوا**: يغفر الله لرسول الله؛ يعطي قريشا ويتركنا! وسيوفنا تقطر من دمائهم! فعندما أدبر الطلقاء التفت النبي عن يمينه **فقال**: «يا معشر الأنصار»، **قالوا**: لبيك يا رسول الله، أبشر نحن معك، ثم التفت عن يساره **فقال**: «يا معشر الأنصار». **قالوا** لبيك يا رسول الله، أبشر نحن معك، وهو على بغلة بيضاء فنزل **فقال**: «أنا عبد الله ورسوله». فانهزم المشركون فأصاب يومئذ غنائم كثيرة فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يُعْطِ الأنصار شيئا، **فقالت** الأنصار: إذا كانت شَدِيدَةٌ فنحن نُدْعَى، وَيُعْطِى الغنيمة غيرنا، فبلغه ذلك فجمعهم في قبة **فقال**: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ»؟ فسكتوا، **فقال**: «يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالدُّنْيَا وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ تَحُوزُونَهُ إِلَى بُيُوتِكُمْ»؟! **قالوا**: بلى **فقال** النبي ﷺ: «لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَأَخَذْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ». البخاري(4082).

(3) **الجِدَةُ**: الغَضَبُ، أَصْلُهَا وِجْدَةٌ؛ فحذفت الواو تخفيفا ؛ لأنها في الطَّرَفِ.

فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ[1]، أَوَجَدْتُّمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ[2] مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟ أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَ اللهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ؛ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ؛ **قال:** فبكى القومُ حتى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ[بَلَّلُوهَا]، **وقالوا:** رضينا برسولِ الله قَسْمًا وحَظًّا، ثم انصرف رسولُ الله ﷺ وتفرقوا.

الدروس والعبر:

1- نظر أبو بكر إلى الجيش الإسلامي العارم، **فقال:** «لَنْ نُهْزَمَ اليَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ»[3]، لكنَّ الجيش ذهب أدراج الرياح في أول صدمة؛ فنزل قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[التوبة:25-26]، **وهذا** درس بأن الكثرة ليست العنصر الحاسم، والمبالغة في الاعتداد بالنفس مهلك.

2- شجاعة النبي ﷺ في المواقف الحرجة هي المنقذ الوحيد؛ فقد وصف شجاعته فارسُ المسلمين عَلِيٌّ عليه السلام **فقال:** كُنَّا إِذَا احمَرَّ البَأْسُ، وَحَمِيَ الوَطِيسُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ[4].

(1) **آسيناك:** أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا.

(2) **اللُّعَاعَةُ:** بالضم: البقية اليسيرة.

(3) سيرة ابن كثير 3/ 610، والواقدي 3/ 890، والطبقات 2/ 150، بلفظ: لن نغلب اليوم.

(4) عيون الأثر 2/ 422، وسير ابن كثير 2/ 425.

ولولا ثبات المصطفى ونداؤه: أَنَا ابْنُ عَبْدِالْـمُطَّلِبِ، أَنَا النَّبِيُّ لَا كَـذِبْ، وكأنـه جبـل لا تهزه ريح -لتبخر كل ما أنجزه النبي، وطارت بالفتح عنقاء مغرب، ولكن الهمة العالية، والصلابة الفولاذية متناسبة مـع قولـه تعـالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾[الحج:40]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الروم:47]، ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[التوبة:32].

3- أهل الثبات و العزيمة هم الصخرة التي تتكسر عليهـا مَوْجَـاتُ المـصائب: أمثال الكرَّارِ عليٌّ سلام الله عليه الذي وُصِفَ بأنه ما فَرَّ قط، و لا ارتاع قط؛ أي إنـه يحمل بين جوانحه قلبا كأنما نُحِتَ من الـصخر؛ إنـه سَـاعِدُ النبـيِّ الطويـل وسـيفه الصقيل، وكان كما أرده الله ورسوله بطلا مجاهدا مواسيا؛ فلله دَرُّهُ و دَرُّ الثابتين معه في أُحُدٍ وحُنَيْنٍ من رجال و نساء، و في كل موطن شرف و جهاد قديما و حديثا.

4- ظهر في هذه الغزوة أبنـاء الـدنيا، **فقـد** أحـاطوا بـالنبي ﷺ ينازعونـه ثوبـه، يستعجلونه في قسمة المغنم؛ فقد نَفَدَ صَبْرُهُمْ، وسـال لُعَـابُهُمْ حتـى جـف، وأبـدى النبي ﷺ حكمة لسنا قادرين على استيعابها، **ولا أفهم** لماذا أعطى أبا سفيان وولديه ثلاثمائة بعير، وثروة من الفضة، وحرم الأنصار؟- إلا أن الـدنيا لـو كانـت تـساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء، **وَأَنَّ** هذا العَطَاءَ عُنْوانُ رحمة الله الواسعة في دعوة الشاردين من خلقه إلى رحابه ولو بِمِلْءِ أفواههم وجيـوبهم، ولـو على حساب المؤمنين، **وقد قـال** ﷺ: «إِنِّي لأُعْطِـي الرَّجُـلَ، وَغَـيْرُه أَحَـبُّ إِلَيَّ مِنْـهُ؛ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ»[مسلم 1/ 132] ، **وَمِـنْ ذلـك** أن النبـي ﷺ رمـق صفوان وهو ينظر إلى شِعْبٍ مَلِيءٍ بالغنم؛ **فقال**: أَأَعْجَبَتْكَ يَا صَفْوَانُ؟ **قَـالَ**: أَجَـلْ، **فقال**: هِيَ لَكَ! **فقال**: لاَ تَسْخُو بِهَذَا إِلَّا نَفْسُ نَبِيٍّ؛ أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ.

4- حديثه مع الأنصار ما زال يُشْجِي من قـرأه إلى يـوم القيامـة؛ **فـما إِنْ ذَكَّـرَهُمْ**

بنعمة الله عليهم حين اختارهم أنصارًا لرسوله، وسيوفًا لدعوته حتى أَخْضَلُوا لحاهم وثَابُوا إلى رُشْدِهِم: ألم آتِكُمْ ضُلَّالًا فهداكم الله... ؟ **ثم** انتقل يتكلم بلسان الأنصار وينتصر لهم من نفسه: أتيتنا طريدًا فآويناك... فما هي الشاة؟ وما هو البعير؟ وما مُلْكُ سُلَيْمَانَ بجوار هذا المجد والخلود؟! أما ترضون أن يعود الناس بالشاة والبعير وتعودون برسول الله إلى رحالكم؟![ابن هشام 4/ 141] لقد طابت نفوسهم، وامتلأت قلوبهم بالرضى عن الله ورسوله.

5- كان تأخيرُ قسمة السبي سببًا في مداواة جراحِ المهزُومين؛ فقد لحق بِهَوَازِنَ ضربةٌ قاسيةٌ خسروا فيه أموالهم وأهليهم، واستثار نخوة المسلمين؛ إذ بدأ بنفسه فوهب نصيبه ونصيب بني هاشم من السبي لهوازن، بعد أن علَّمهم كيف يتكلمون.

6- تَكَفَّلَ النبيﷺ برد نصيبه و نصيب بني هاشم دون أن يستأذنهم؛ وذلك دليل على خاصية قربهم من رسول الله ﷺ، وأن لهم بحكم هذا القرب أحكاما تخصهم دون المسلمين؛ فهم عَصَبَةُ رسول الله ﷺ.

7- **أظهر** النبي ﷺ من التسامح مع من بقي مشركا من قريش **ما يؤكد** أن النبي ﷺ يؤسس لدين التسامح، ويترك للفرد أن يرسخ قناعته؛ وكان منطق الفاتحين عبر التاريخ هو الاستعلاء، واستخدام القوة، والتعسف المفرط، **لكن** النبي ﷺ أمهل صفوان، وقال له مُكَنِّيًا: يا أبا أمية أَعِرْنَا سلاحك، فكأن صفوان تساءل هل يريد النبي مصادرة السلاح؟ فرد النبي ﷺ: بَلْ عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ؛ فاطمئن صفوان إلى عدل النبي ﷺ و أخرج مائة درع بلواحقها من سيوف ورماح.

8- رغم ما صدر عن أبي سفيان و غيره من المجاهرة بالتشفي، **إلا** أنه تغاضى عن كل ذلك، بل آثر أن يستميلهم إلى الإسلام، وأن يتألفهم على الدين؛ لينقذهم من النار.

9- دخول الوادي المتعرج المجهول دون طلائع تستكشف كمائن العدو- سَبَّبَ هَزِيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ؛ وذلك يُعلِّمُنَا الحِيطَةَ وَالحَذَرَ مهما بلغت قُوَّتُنَا.

10- نِدَاءُ العباس للأنصار دَلَّ على أنهم وحدهم مازالوا مسئولين عن رسول الله ﷺ حتى و إن لم يكن في ديارهم؛ لأنهم شِعَارُهُ ودِثَارُهُ، وَسُيُوفُهُ وَرِمَاحُهُ وَسِهَامُهُ، **وقد** جربهم و التحم بهم، وخاض معهم الشدائد؛ فصاروا لحمته وقبيلته وقرابته؛ الدم الدم، والهدم الهدم؛ فرضي الله عنهم وجزاهم عن نبيه خيرا.

11- **نَهْيُ** النَّبِي ﷺ عن قتل المرأة و الطفل و الأجير **دَلِيلٌ** على نهج الإسلام السمح، وخُلُقِ النبي الرفيع.

12- حِكْمَةُ النبي ﷺ و بُعْدُ نظره في استرجاع مالك بن عوف وإكرامه وتوليته على قومه- حَوَّلَهُ من عدو ناقم إلى جندي باسل، وزعيم مخلص شجاع تسبب في مضايقة ثقيف وإذعانها للإسلام.

13- كما ظهرت حكمته ﷺ، ورحمته، و حسن معالجته لنفوس الناس، والخروج من المواقف المحرجة- **حين** توصل إلى إرضاء هوازن برد ذراريهم، وإرضاء جيشه بمنحهم الغنائم، وتأليف زعماء العرب من الطلقاء وغيرهم بالناقة والشاة، وتطييب خواطر الأنصار بالحديث الودي الحميم، و الكلام المنصف المؤثر.

14- شجاعة أبي عامر الأشعري رضي الله عنه تثير الإعجاب و قد كافأه الله بالشهادة.

15- مناشدة هوازن لرسول الله ﷺ برضاعه فيهم حركت فيه مزيدا من العطف والحنان مما يدل على احترام معاني النسب و الجوار و العيش والملح كما يقال؛ ولذلك علمهم كيف يستثيرون مشاعر الناس، و يحركون نخوتهم.

عُمرةُ رسولِ الله ﷺ من الجِعْرَانَةِ (ذي القعدة سنة ثمان)[1]:

قال ابن إسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ من الجِعْرَانَةِ معتمرًا، وأمر ببقايا الفَيْءِ فَحُبِسَ بمَجَنَّةَ بناحية مر الظهران، فلما فَرَغَ من عُمْرَتِهِ انْصَرَفَ راجعًا إلى المدينة، واستخلف عَتَّابَ بنَ أسيد على مكة، وخلف معه معاذ بن جبل يُفَقِّهُ الناس في الدين، ويعلمهم القرآن، وأُتْبِعَ رسولُ الله ﷺ ببقايا الفيء[2]، **وقدم** المدينة في 27 ذي القعدة، **قال ابن إسحاق**: وحَجَّ الناسُ تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه، وحج بالمسلمين تلك السنة عَتَّابُ بنُ أَسِيد، وأَقَامَ أهل الطائف على شِرْكهم إلى رمضان من سنة تسع.

كعب بن زهير[3]:

بعد رجوع النبي ﷺ من الطائف كتبَ بُجَيْرُ بن زهير بن أبي سُلمَى إلى أخيه كعب يخبره أن رسول الله ﷺ قَتَلَ رِجَالًا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأنَّ مَنْ بقي من شعراء قريش مثل ابن الزِّبَعْرَى، وهبيرةَ بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه؛ فإن كانت لك في نفسِك حاجةٌ فَطِرْ إلى رسول الله ﷺ فإنه لا يقتل أَحَدًا جَاءَهُ تَائِبًا، وإن أنت لم تفعل فانجُ إلى نجائك من الأرض، **وكان** كعبٌ قد كتب إلى أخيه أبياتًا[4]:

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّي بُجَيْرًا رِسَالَةً ... فَهَلْ لَكَ فِيمَا قُلْتُ وَيْحَكَ هَلْ لَكَا

---

(1) ابن هشام 4/ 143، والاكتفاء 2/ 265، وسيرة ابن كثير 3/ 692. والجِعرانة عند أهل الحديث يكسرون الجيم والعين و يشددون راءه مفتوحة، وأهل الإتقان والأدب يُخطِّئونهم ويسكنون العين ويخففون الراء، وقد حُكِيَ عن الشافعي قوله: المحدثون يخطئون في تشديد الجعرانة وتخفيف الحديبية. معجم البلدان 2/ 142.

(2) قال ابن هشام4/ 143: وبلغني عن زيد بن أسلم أنه قال: لما استعمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهمًا، فقام فخطب الناس. فقال: أيها الناس، أجاع الله كبد من جاع على درهم، فقد رزقني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم درهمًا كل يوم فليست بي حاجة إلى أحد.

(3) ابن هشام 4/ 144. والاكتفاء 2/ 265، وعيون الأثر 2/ 280، وسيرة ابن كثير 3/ 699.

(4) سيرة ابن هشام 4/ 144، وعيون الأثر 2/ 280.

فَبَـيِّنْ لَنَـا إِنْ كُنْـتَ لَـسْتَ بِفَاعِـلٍ عَـلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ غَـيْرِ ذَلِـكَ دَلَّكَـا
عَـلَىٰ خُلُـقٍ لَمْ أُلْـفِ يَوْمًـا أَبًـا لَـهُ عَلَيْـهِ وَمَـا تُلْفِـي عليـه أبًـا لكـا
فَـإِنْ أَنْـتَ لَمْ تَفْعَـلْ فَلَـسْتُ بِآسِـفٍ وَلَا قَائِـلٍ إِمَّـا عَثَـرْتَ لَعًـا لَكَـا[1]
سَـقَاكَ بِهَـا الْـمَأْمُونُ كَأْسًـا رَوِيَّـةً فَأَنْهَلَـكَ الْـمَأْمُونُ مِنْهَـا وَعَلَّكَـا[2]

قال: وبعث بها إلىٰ بُجَيْرٍ، فكره أن يكتمها رَسُولَ الله ﷺ فأنشده إياها؛ **فقال** لما سمع «سقاك بها المأمون»: «صدق وإنه لكذوب، أنا المأمون»، ولما سمع:

عـلىٰ خُلُـقٍ لم أُلْـفِ يومًـا أبًـا لـه عليـه ومـا تُلْفِـي عليـه أبًـا لَكَـا

فقال: أجل لم يُلْفِ عليه أباه ولا أمه، **فلما** بلغ كعبًا كتابُ أخيه ضاقت بـه الأرض وأشفق علىٰ نفسه، وأرجف به من كان حاضرًا من عدوه؛ **فقالوا:** هو مقتول، فلـما لم يجد من شيء بُدًّا قال قصيدته التـي يمـدح فيهـا رسـول الله ﷺ وذكـر فيهـا خوفـه وإرجاف الوشاة به، فقدم المدينـة وجلـس إلىٰ رسـول الله ﷺ فوضـع يـده في يـده، ورسولُ الله ﷺ لا يعرفه، **فقال:** يا رسول الله: إن كعب بن زهير قـد جـاء ليستأمن منك تائبًا مسلمًا، فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتك به؟ **فقال:** «نَعَمْ»، **قال:** أنا كعبُ بن زهير، فوثب رجل من الأنصار **فقال:** يا رسول الله دَعْنِي وَعَـدُوَّ اللهِ أَضْرِبْ عُنُقَـهُ، **فقال:** «دَعْهُ عَنْكَ؛ فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ تَائِبًا نَازِعًـا عَمَّـا كَـانَ عَلَيْـهِ»؛ فغـضب كعـب عـلىٰ الأنصار لِـمَا صنع به صَاحِبُهُمْ، ولم يتكلم فيه رجلٌ من المهاجرين إلا بخير، فأنـشد قصيدته المشهورة[3] في المسجد بعد صلاة الصبح:

---

(1) **بآسف:** بنادم، وقوله: «لعًا لك» كلمة تقال للعاثر، يُدْعَىٰ لَهُ بِهَا، ومعناها: قُمْ وَانْتَعِشْ.
(2) **أنهلك:** سقاك النَّهَلَ، وهو الشرب الأول، **وَعَلَّكَ:** سقاك العَلَلَ، **والعَلَلُ:** الشُّربُ الثاني .
(3) عيون الأثر 2/ 281، ومحمد رسول الله ص 316.

١- بانَـتْ سُـعَادُ فقَلْبـي الْيَـوْمَ مَتْبُـولُ   مُتَـيَّمٌ إِثْرَهَـا لم يُفْـدَ مَكْبُـولُ[1]

٢- وَمَـا سُـعَادُ غَـدَاةَ البَـيْنِ إذ رَحَلُـوا   إلاَّ أَغَـنُّ غَـضِيضُ الطَّـرْفِ مَكْحُـولُ[2]

٣- هَيْفَـاءُ مُقْبِلَـةً عَجْـزَاءُ مُـدْبِرةً   لا يُـشْتكَى قِـصَرٌ مِنْهَـا وَلَا طُـولُ[3]

٤- تَجْلـوُ عَـوارِضَ ذِي ظَلْـم إِذَا ابْتَـسَمَتْ   كأنَّـهُ مَنهَـلٌ بِـالرَّاح مَعْلُـولُ[4]

٥- شُـجَّتْ بِـذِي شَـبَمٍ مِـنْ مَـاءِ مَحْنِيَـةٍ   صَافٍ بِأَبْطَحَ أَضْـحَى وهْـوَ مَـشْمُولُ[5]

٦- تَنْفِـي الرِّيَـاحُ القَـذَى عَنْـهُ وَأَفْرَطَـهُ   مِـنْ صَـوْبِ غَادِيَـةٍ بِـيضٌ يَعَالِيـلُ[6]

٧- فيَالَـهَا خُلَّـةً لَـوْ أَنَّهَـا صَـدَقَتْ   مَوْعُودَهَـا أَوْ لَـوَ انَّ النُّـصْحَ مقبُـولُ[7]

٨- لَكِنَّهَـا خُلَّـةٌ قَـدْ سِـيطَ مِـنْ دَمِهَـا   فَجْـعٌ وَوَلْـعٌ وَإِخْـلافٌ وتَبْـدِيلُ[8]

٩- فَمَـا تَـدُومُ عَـلَى حَـالٍ تكُـونُ بِهَـا   كَمَـا تَلَـوَّنُ فِي أَثْوَابِهَـا الغُـولُ[9]

---

(1) **بانت**: فارقت فراقًا بعيدًا، **وسعاد**: اسم امرأة، **متبول**: أسقمه الحب وأضناه، **ومتيم**: ذليل مستعبد، **مكبول**: مقيد.

(2) **الأغن**: الظبي الصغير الذي في صوته غُنَّةٌ.

(3) **هيفاء**: صفة مشبهة من الهَيَفِ: وهو ضمور البطن، ودقة الخاصرة. **وعجزاء**: كبيرة العَجُزِ.

(4) **تجلو**: تَصْقُلُ وتكشف. **والعوارض**: الأسنان. **ذي ظَلْم**: ماء الأسنان وبَرِيقُهَا، **وقيل**: رِقَّتُهَا وَشِدَّةُ بياضها. **والمَنْهَلُ**: المَسْقِيُّ وهو الشرب الأول. **وبالراح**: الخمر. **وَمَعْلُولٌ**: الشرب الثاني.

(5) **شُجَّتْ**: مُزِجَتْ حتى انكسرت سَوْرَتُها. **وَذُو شَبَمٍ**: ماء شديد البرد. **والمَحْنِيَّةُ**: منعطف الوادي. **والأبطح**: المسيل وفيه دقاق الحصى. **والمشمول**: الذي ضربته ريح الشمال، **ويقال**: غدير مشمول، **ومنه** قيل للخمر: مشمولة إذا كانت باردة الطعم.

(6) **القذى**: ما يقع في الماء من تبن أو عود أو غيره. **وَأَفْرَطَهُ**: سبق إليه وملأه. **والصَّوْبُ**: المطر. **وَالغَادِيَةُ**: السحابة تُمْطِرُ غُدْوةً، **وَيُرْوَى** (سَارِيَةٍ) وهي السحابة تأتي لَيْلًا. **وَاليَعَالِيلُ**: الحُبَابُ الذي يعلو وجه الماء.

(7) **الخُلَّةُ (بالضم)**: الصديقة، يوصف به المذكر والمؤنث والمفرد وغيره.

(8) **سِيْطَ**: أي خُلِطَ بِلَحْمِهَا وَدَمِهَا هَذِهُ الصِّفَاتُ المَذْكُورَةُ في البيت؛ **ولذلك** قيل للآلة التي يضرب بها: سوط؛ لأنه يسوط اللحم بالدم أي يخلطه، **ويروى** شِيطَ وهو بمعناه. **وَالفَجْعُ**: الإصابة بالمكروه كَالْهَجْرِ ونحوه. **والوَلْعُ** وَالوَلَعَانُ: الكذب. **والإِخْلَافُ**: خُلْفُ الوَعْدِ؛ **يريد** أن محبوبته متصفة بهذه الأخلاق، حتى صارت كأنها مختلطة بدمها، وهم يحمدون في النساء هذه الصفات.

(9) **الغول**: ساحرة الجن في زعمهم؛ يزعمون أن الغول تُرَى في الفلاة بألوان شتى، فتأخذ جانبًا عن الطريق، فيتبعها من يراها، فيضل عن الطريق فيهلك.

10- ولا تَمَسَّكُ بالعَهْـدِ الَّـذِي زَعَمَـتْ   إلَّا كَمَـا يُمْـسِكُ الْـمَاءَ الغَرَابِيـلُ

11- فَـلاَ يَغُرَّنْـكَ مَـا مَنَّـتْ وَمَـا وَعَـدَتْ   إِنَّ الأَمَـانِيَّ وَالأَحْـلاَمَ تَـضْلِيلُ

12- كَانَـتْ مَوَاعِيـدُ عُرْقُـوبٍ لَهَـا مَـثَلًا   فَمَـا مَوَاعِيـدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيـلُ[1]

13- أَرْجُـو وَآمُـلُ أَنْ تَـدْنُو مَوَدَّتُهَـا   ومَـا إِخَـالُ لـدينا مِنْـكِ تَنْوِيـلُ[2]

14- أَمْـسَتْ سُـعَادُ بِـأَرْضٍ لا يُبَلِّغُهَـا   إِلاَّ الْعِتَـاقُ النَّجِيبَـاتُ الْمَرَاسِـيلُ[3]

15- ولَـنْ يُبَلِّغَهَـا إِلَّا عُـذَافِرَةٌ   لَهَـا عَـلَى الأَيْـنِ إِرْقَـالٌ وتَبْغِيـلُ[4]

16- مِنْ كُـلِّ نَـضَّاحَةِ الـذِّفْرَى إِذَا عَرِقَـتْ   عُرْضَـتُها طَـامِسُ الأَعْـلاَمِ مَجْهُـولُ[5]

17- تَرْمِـي الْغُيُـوبَ بِعَيْنَـيْ مُفْـرَدٍ لَهِـقٍ   إِذَا تَوَقَّـدَتِ الحِـزَّانُ وَالْمِيـلُ[6]

18- ضَـخْمٌ مُقَلَّـدُهَا فَعْـمٌ مُقَيَّـدُهَا   فِي خَلْقِهَا عَـنْ بَنَاتِ الفَحْلِ تَفْضِيلُ[7]

---

(1) **عرقوب**: رجل اشتهر عند العرب بإخلاف الوعد؛ فَضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ فِي الخُلْفِ.

(2) **التَّنْوِيلُ**: العطاء، والمراد به: الوصل، **يريد** إني مع جفائها وَإِخْلافِ الوعد- لا أقطع الرجاء في مودتها.

(3) **العِتَاقُ**: الكرام؛ **الواحد**: عتيق. **والنَّجِيبَاتُ**: جمع نجيبة، وهي القوية الخفيفة. **والمراسيل**: جمع مِرْسَالٍ وهي السريعة.

(4) **العُذَافِرَةُ**: النَّاقَةُ الصَّلْبَةُ العظيمة. **وَالأَيْنُ**: الإعياء والتعب. **وَالإِرْقَالُ وَالتَّبْغِيلُ**: ضربان من السير السريع، **يقول**: لَا يُبَلِّغُ تِلْكَ الأَرْضَ إِلَّا نَاقَةٌ، صَلْبَةٌ، عَظِيمَةٌ، قَوِيَّةٌ عَلَى السَّيْرِ.

(5) **النَّضَّاحَةُ**: الكَثِيرَةُ رَشْحِ العَرَقِ. **والذِّفْرَى**: عَظْمٌ خَلْفَ الأُذُنِ عنده نُقْرَةٌ، هي أول ما يعرق منها. **وعُرْضَتُها**: هِمَّتُها. **طَامِسُ الأَعْلَامِ**: الدارس من العلامات أي إن الناقة عارفة للطريق المجهولة لكثرة أسفارها.

(6) **الغيوب**: آثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون. **والمفرد**: الثور الوحشي الذي تفرد في مكان؛ **وَشَبَّهَ** عينيها بعينيه لأنه أَلِفَ البراري وخَبَرَها. **والحُزَّانُ**: بكسر الحاء وضمها: المنهبط من الأرض، **وقيل**: الغليظ منها، **ومفرده** حَزِيْزٌ، فهو يجمع أحِزَّةٌ وحُزَّانٌ وحِزَّانٌ. اللسان 5/ 335. **والمِيلُ**: العقدة الضخمة من الرمل، **واللَّهِقُ**: البَعِيرُ الأَعْيَسُ الذي خالطه شُقْرَةٌ، **وَأَبْيَضُ لَهِقٌ**: شَدِيدُ البياض، أو الأبيض ليس بذي بريق، يوصف به الثور والثوب والشيب. قاموس ص 850.

(7) **المُقَلَّدُ**: موضع القِلَادَةِ في العنق. **وَفَعْمٌ**: ممتلئ، ويروى: (عَبْلٌ) وهو الضخم. **وَالْمُقَيَّدُ**: موضع القيد، يريد قوائمها. **وَبَنَاتُ الفَحْلِ**: الإناث من الإبل المنسوبة للفحل المعد للضراب.

19- غَلْبَاءُ وَجْنَاءُ عُلْكُومٌ مُذَكَّرَةٌ في دَفِّهَا سَعَةٌ قُدَّامُهَا مِيلُ[1]

20- وَجِلْدُهَا مِنْ أَطُومٍ مَا يُؤَيِّسُهُ طَلْحٌ بِضَاحِيَةِ الْمَتْنَيْنِ مَهْزُولُ[2]

21- حَرْفٌ أَخُوهَا أَبُوهَا مِنْ مُهَجَّنَةٍ وَعَمُّهَا خَالُهَا قَوْدَاءُ شِمْلِيلُ[3]

22- يَمْشِي الْقُرَادُ عَلَيْهَا ثُمَّ يُزْلِقُهُ مِنْهَا لَبَانٌ وَأَقْرَابٌ زَهَالِيلُ[4]

23- عَيْرَانَةٌ قُذِفَتْ بِالنَّحْضِ عَنْ عُرُضٍ مِرْفَقُهَا عَنْ بَنَاتِ الزَّوْرِ مَفْتُولُ[5]

24- كَأَنَّمَا فَاتَ عَيْنَيْهَا وَمَذْبَحَهَا مِنْ خَطْمِهَا وَمِنَ اللَّحْيَيْنِ بِرْطِيلُ[6]

25- تُمِرُّ مِثْلَ عَسِيبِ النَّخْلِ ذَا خُصَلٍ في غَارِزٍ لَمْ تُخَوِّنْهُ الأَحَالِيلُ[7]

---

(1) **غَلْبَاءُ**: غليظة العنق. **ووَجْنَاءُ**: عظيمة الوجنتين، أو هي من الوَجِينِ، وهو ما صلب من الأرض. **وَعَلْكُومٌ**: شديدة. **ومُذَكَّرَةٌ**: عظيمة الخلقة تشبه الذكران من الأباعر. **في دَفِّهَا سَعَةٌ**: أي هي واسعة الجنبين، **قُدَّامُهَا مِيلُ**: كناية عن طول عنقها، أو سَعَةِ خَطْوِهَا.

(2) **الأَطُومُ**: سلحفاة بحرية غليظة الجلد، **وقيل**: الزرافة. **ويُؤَيِّسُهُ**: يُذَلِّلُهُ ولا يؤثر فيه. **والطَّلْحُ**: القُرَادُ دويبة تلصق بالدابّة. **والْمَتْنَانِ**: ما اكتنف صُلْبَهَا أي ظهرها من عَصَبٍ وَلَحْمٍ عن يمين وشمال. **وضَاحِيَةُ الشَّيْءِ**: ناحيته البارزة للشمس. **مَهْزُولُ**: هزيل من الجوع، صفة للطلح وهو القراد.

(3) **الحَرْفُ**: القطعة الخارجة من الجبل، **شَبَّهَ** الناقة به في القوة والصلابة، **وَأَخُوهَا أَبُوهَا**: يريد أنها متداخلة النسب لم يدخل في نسبها غير أقاربها. **والْمُهَجَّنَةُ**: كريمة الأبوين. **وَالقَوْدَاءُ**: الطَّوِيلَةُ الظَّهْرِ وَالعُنُقِ. **والشِّمْلِيلُ**: السريعة الخفيفة.

(4) **يُزْلِقُهُ**: من الإزلاق، أي يسقطه. **ومنها**: أي عنها. **واللَّبَانُ**: الصَّدْرُ، **وقيل**: وسطه، **وقيل**: ما بين ثدييه، ويكون للإنسان وغيره، **وقيل**: من ذي الحافر خاصة. **والأَقْرَابُ**: الخواصر **والمراد** بها المُثَنَّى. **والزَّهَالِيلُ**: الْمُلْسُ.

(5) **العَيْرَانَةُ**: النَّاقَةُ الْمُشْبِهَةُ عَيْرَ الوحش في سرعته ونشاطه وصلابته، **وهذا** مما يستحسن في أوصاف الإبل. **والنَّحْضُ**: اللحم. **عَنْ عُرُضٍ**: عن كل جانب. **والزور**: الصدر، **وقيل**: وسطه. **وبنات الزور**: ما يتصل به مما حوله من الأضلاع وغيرها. **ومفتول**: الفُتَلُ في الناقة: اندماجٌ في مرفقها.

(6) **الخَطْمُ**: الأنف وما حوله. **واللَّحْيَانِ بفتح اللام** : العظمان اللذان تَنْبُتُ عليهما الأسنان. **والبِرْطِيلُ**: حَجَرٌ مستطيل، يَصِفُ وجهها بالطول.

(7) **عَسِيبُ النَّخْلِ**: جَرِيدُهُ الذي لم ينبت عليه الخُوصُ، فإن نبت سُمِّيَ سَعْفًا. **والخُصَلُ**: جَمْعُ خُصْلَةٍ من الشَّعَرِ. **وفي غَارِزٍ**: أي في ضَرْعٍ. **ولمْ تُخَوِّنْهُ**: لم تُنَقِّصْهُ. **والأَحَالِيلُ**: مخارج اللبن، يعني أنها لا تُحْلَبُ؛ وذلك أقوى لها على السير.

26- قَنْــوَاءُ فِي حَرَّتَيْهَــا لِلْبَــصِيرِ بِهَــا   عِتْــقٌ مُبِــينٌ وفِي الْخَــدَّيْنِ تَــسْهِيلُ[1]
27- تَخْـذِي علـى يَـسَـرَاتٍ وَهْـيَ لاَحِقَـةٌ   ذَوَابِــلٌ مَـــسُّهُنَّ الأَرْضَ تَحْلِيــــلُ[2]
28- سُمْرُ الْعُجَايَاتِ يَتْرُكْنَ الْحَصَـى زِيَمًـا   لم يَقِهِـــنَّ رُؤُوسَ الأُكْـــمِ تَنْعِيـــلُ[3]
29- كَـأَنَّ أَوْبَ ذِرَاعَيْهَــا- وَقَــدْ عَرِقَــتْ   وقَـــدْ تَلَفَّـــعَ بِـــالقُورِ العَـــسَاقِيلُ[4]
30- يَوْمًــا يَظَــلُّ بــه الحِرْبــاءُ مُـصْطَخِدًا   كَـــأَنَّ ضَـــاحِيَهُ بالـــشَّمسِ مَمْلُـــولُ[5]
31- وَقَــالَ لِلْقَــوْمِ حَـادِيهِمْ وَقَـدْ جَعَلَـتْ   وُرْقُ الجَنَادِبِ يَرْكُضْنَ الحَصَـى قِيلُـوا[6]
32- شَـدَّ النَّهَـارِ -ذِراعَـا[7] عَيْطَـلٍ نَـصَفٍ   قَامَـــتْ فَجَاوَبَهَـــا نُكْـــدٌ مَثَاكِيْـــلُ[8]
33- نَوَّاحَـةٌ رِخْـوَةُ الـضَّبْعَيْنِ لَـيْسَ لَهَـا   لَـــمَّا نَعَـى بِكْرَهَـا النَّـاعُون مَعْقُـولُ[9]
34- تَفْــرِي اللَّبَــانَ بِكَفَّيْهَــا ومَــدْرَعُهَا   مُـــشَقَّقٌ عَـــنْ تَرَاقِيهَـــا رَعَابِيـــلُ[10]

---

(1) **القَنْوَاءُ**: الـمُحْدَوْدِبَةُ الأنفِ. **والحَرَّتَانِ**: الأذنان. **والعِتْقُ**: الجَمَالُ. **والمُبِينُ**: الظاهر. **وتَسْهِيلٌ**: سُهُولَةٌ ولِينٌ.

(2) **تَخْذِي**: تُسْرِعُ. **واليَسَرَاتُ**: القوائم الخِفَافُ. **ذَوَابِلُ**: جمع ذابل وهو الرمح الصلب اليابس. **وتَحْلِيلٌ**: قليل لم يُبالَغْ فيه. يصفها بالسرعة، حتى إن قوائمها لا تعتمد على الأرض إلا مَسًّا خفيفًا ثم ترفعها فكأنها طير.

(3) **العُجَايَات**: الأعصاب المتصلة بالحافر. **وزِيَمًا**: متفرقًا. **والأُكْمُ**: الأرض المرتفعة. **والتَنْعِيلُ**: شَدُّ النعل على ظفر الدابة، يريد أن أعصاب هذه الناقة قوية كالرماح السمر؛ فلا تحتاج لنعل يقيها الحصى.

(4) **أَوْبَ**: سرعة التقلب والرجوع. **وتَلَفَّعَ**: اشتمل والتحف. **والقُورُ**: الجبل الصغير، **والعَسَاقِيلُ**: السراب يصف سرعة ناقته وقت الهاجرة وانتشار السراب فوق صغار الجبال. **وخَبَرُ** كأنَّ في البيت الثالث بعد هذا.

(5) **مُصْطَخِدًا**: محترقًا بالشمس. **ومَمْلُولٌ**: موضوع في الرماد الحار، **وتسمى** النار الكامنة بين الرماد مَلَّةً.

(6) **الحَادِي**:السائق للإبل. **والوُرْقُ**: لون يشبه الرماد. **والجَنَادِبُ**: صِغار الجراد. **وقِيلُوا**: من القيلولة.

(7) خبر كَأَنَّ وهو المشبه به أي كأن أوب ذراعيها أَوْبُ ذراعي عيطل على حذف مضاف.

(8) **شَدَّ النَّهَارِ**:وقت ارتفاعه. **العَيْطَلُ**: الطويلة. **نَصَفٌ**: المتوسطة في السن. **النُّكُدُ**: اللاتي لا يعيش لهن ولد.

(9) **رِخْوَةُ الضَّبْعَيْنِ**: مسترخية العضدين. **مَعْقُولٌ**: أي عقل، **يريد** هنـا أن الناقـةَ سريعـةُ نقـل الخُطَـا تَلْطِـمُ بأقدامها الأرض كما تلطم النساءُ النُّكْدُ المثاكيلُ خدودَهن، وكما تلطم النواحةُ التـي مـات بِكْرُهَـا خَـدَّهَا والنساء اللاتي يتجاوبن في البكاء أَنْشَطُ للطم خدودهن .

(10) **تَفْرِي**: تَقْطَعُ. **واللَّبَانُ**: الصدر. **المَدْرَعُ**: القميص. **وتَرَاقِي**: جَمْعُ تَرْقُوةٍ وهي عظام الـصدر التـي تقـع عليهـا القلادة. **رَعَابِيلُ**: قِطَعٌ متفرقة جَمْعُ رُعْبُولٍ، **والمعنى** أنها تضربُ صَدْرَهَا بكفيها مُشَقِّقَةً الدرعَ تَلَهُّفًا على ولدها.

35- يَسْعَى الوُشَاةُ جَنَابَيْهَا وَقَوْلُهُمُ   إِنَّكَ يَا ابْنَ أَبِي سُلْمَى لَمَقْتُولُ
36- وَقَالَ كُلُّ صَدِيقٍ كُنْتُ آمُلُهُ   لَا أُلْهِيَنَّكَ إِنِّي عنك مَشْغُولُ
37- فَقُلْتُ خلُّوا سَبِيلِي لَا أَبَالَكُمُ   فَكُلُّ مَا قَدَّرَ الرَّحْمَنُ مَفْعُولُ
38- كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ   يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ[1]
39- نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ أَوْعَدَنِي   وَالعَفْوُ عِنْدَ رَسُوْلِ اللهِ مَأْمُولُ[2]
40- مَهْلًا هَدَاكَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْـ   ـقُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ[3]
41- لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ   أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الأَقَاوِيلُ
42- لَقَدْ أَقُوْمُ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ   يَرَى وَيَسْمَعُ مَا لَوْ يَسمَعُ الفِيْلُ[4]
43- لَظَلَّ يُرْعَدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ   مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللهِ تَنْوِيْلُ[5]
44- حَتَّى وَضَعْتُ يَمِينِي لا أُنَازِعُهُ   فِي كَفِّ ذِي نَقَمَاتٍ قِيلُهُ القِيلُ[6]
45- لَذَاكَ أَهْيَبُ عِنْدِي إِذْ أُكَلِّمُهُ   وقِيْلَ إِنَّكَ مَنْسُوبٌ وَمَسْؤُولُ[7]
46- مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الأَرْضِ مَخْدَرُهُ   مِنْ بَطْنِ عَثَّرَ غِيْلٌ دُوْنَهُ غِيْلُ[8]

---

(1) **الآلَةُ الحَدْبَاءُ**: نعش الميت.

(2) **نُبِّئْتُ**: أُخْبِرْتُ. **وأَوْعَدَنِي**: تهددني بالقتل. **ومَأْمُولُ**: مَرْجُوٌّ وَمَطْمُوعٌ فيه ؛**وجَمِيعُ** ما تقدم تَوْطِئَةٌ لهذا البيت فإن غرضه من القصيدة التنصل والاستعطاف، **ويروى**: أُنْبِئْتُ.

(3) **هَدَاكَ**: زادك هدى. **والنَافِلَةُ**: الزيادة ؛ **وسُمِّيَ** القرآنُ نافلةً ؛ لأنه **عَطِيَّةٌ** زائدةٌ على النبوة.

(4) **أي** واللهِ لقد أقوم فهو جواب هذا القسم المحذوف، **والمقام** هنا: مجلس النبي ﷺ ، **والمراد** حضوره.

(5) **التَنْوِيْلُ**: العَطِيَّةُ، والمراد بها هنا الأمان، والمعنى لو كان الفيلُ مقامي لاضطرب من الفزع. وخص الفيل لِعِظَمِهِ.

(6) خَصَّ اليمين من اليدين ؛ لأن الأشياء الشريفة تُعْمَلُ بها. **والنَقَمَاتُ**: جَمْعُ نِقْمَةٍ.

(7) **أَهْيَبُ**: أَخْوَفُ. **ومَنْسُوبٌ**: أي إلى أمور صدرت منك، **ومَسْؤُولٌ**: عن سببها أي مسؤول عن نسبك وما نقل عنك.

(8) **الضَيْغَمُ**: الأسد . **وضَرَاءُ الأَرْضِ**: ما واراك من شجر ونحوه. **ومَخْدَرُ الأَسَدِ**: أَجَمَتُهُ وغابته. **عَثَّرُ**: موضع مشهور بالأُسْدِ. **والغِيْلُ**: الأَجَمَةُ، **ويُروى: من خادر من ليوث الأسد مسكنه.**

47- يَغْـدُو فَـيُلْحِمُ ضِرْغَـامَيْنِ عَيْـشُهُمَا ... لَحْـمٌ مِـنَ النَّـاسِ مَعْفُـورٌ خَرَادِيـلُ[1]

48- إِذَا يُـسَاوِرُ قِرْنًـا لا يَحِـلُّ لَـهُ ... أَنْ يَـتْرُكَ القِـرْنَ إِلَّا وَهْـوَ مَفْلُـولُ[2]

49- مِنْـهُ تَظَـلُّ سِـبَاعُ الجَـوِّ ضَـامِزَةً ... وَلَا تَمَـشَّى بِوَادِيـهِ الأَرَاجِيـلُ[3]

50- وَلَا يَـزَالُ بِوَادِيـهِ أَخُـو ثِقَـةٍ ... مُطَـرَّحُ الْبَـزِّ وَالدِّرْسَـانِ مَـأْكُولُ[4]

51- إِنَّ الرَّسُـولَ لَنُـورٌ يُسْتَـضَاءُ بِـهِ ... مُهَنَّـدٌ مِـنْ سُـيُوفِ اللهِ مَـسْلُولُ[5]

52- فِي عُـصْبَةٍ مِـنْ قُـرَيْشٍ قَـالَ قَـائِلُهُمْ ... بِـبَطْنِ مَكَّـةَ لَـمَّا أَسْـلَمُوا: زُولُـوا[6]

53- زَالُـوا فَمَـا زَالَ أَنْكَـاسٌ ولاَ كُـشُفٌ ... عِنْـدَ اللِّقَـاءِ وَلاَ مِيـلٌ مَعَازِيـلُ[7]

54- شُـمُّ العَـرَانِينِ أَبْطَـالٌ لَبُوسُـهُمُ ... مِـنْ نَـسْجِ دَاوُدَ فِي الْهَيْجَـا سَرَابِيـلُ[8]

---

(1) **يُلْحِمُ**: يطعم اللحم. **ومَعْفُورٌ**: ممرغ في العَفَرِ؛ وهو التراب. **وخَرَادِيلُ**: قِطَعٌ.

(2) **يُسَاوِرُ**: يواثب، **والقِرْنُ**: المقاوم. **والمَفْلُولُ**: المهزوم، **ويروى**: مجدول، أي مُلقى.

(3) **الجَوّ**: **أي** أُسُودُ البَرِّ الواسع . **وضَامِزَةٌ**: ساكنة من هيبته. **والأَرَاجِيلُ**: الجماعات من الرجال.

(4) في شرح بانت سعاد289 : **بِوَادِيهِ** خَبَرُ **يَزَالُ** مُقَدَّمٌ، **وأخو ثقة**: اسمها مـؤخر، **ومُطَرَّحُ**: صـفة لـه -وإن كان نكرة-؛ لإن إضافة مُطَرَّحُ ليست محضة فهو نكرة. **والبَزُّ**: يطلق على أمتعة البَزَّازِ، وعلى السلاح، وهو المقصود هنا. **والدِّرْسَانِ**: معطوف على البَزِّ: جَمْعُ دِرْسٍ بكسر الدال: الثوب الخَلِقُ البالي، ومِثْلُهُ في تكسير فِعْلٍ على فِعْلَانٍ صِنْوٌ وَصِنْوَانٍ، وقِنْوٌ وَقِنْوَانٍ. **ومَأْكُولُ**: صفة ثانية **لأخو ثقة**. **ويقع** الدِّرْسَانِ على السيف، والدرع، والمِغْفَرِ. اللسان 6/ 79. **وفي** التاج 8/ 282: **والدِّرْسُ**: الثـوب الخَلِـقُ كالـدَّرِيسِ وَالمَـدْرُوسِ، **والجَمْعُ**: أَدْرَاسٌ وَدِرْسَانٌ. **وفي** سيرة ابن هشام 4/ 155: **مُضَرَّجُ البَزِّ**: أي مخضب بالدماء .

(5) **يروى** أن كعبًا أنشد من سيوف الهند: لأنها مضرب المثل في الجودة. فقال ﷺ: من سيوف الله.

(6) في عصبة، **وَيُرْوَى**: «في فتية». **وزُولُوا**: انْتَقِلُوا من مكان إلى مكان، يَقْصِدُ الهجرة.

(7) **أَنْكَاسٌ**: جمع نِكْسٍ، الرجل الضعيف؛ **سمي** بذلك تشبيهًا بالنكس من السهام، وهو الذي انكسر فُوقُـهُ أي نصله. **والكُشُفُ**: جمع أَكْشَفَ وهو الذي لا تُرْسَ معه في الحرب. **والمِيلُ**: جمع أَمْيَلَ، وهو الذي لا سيف معه، أو هو الذي لا يُحْسِنُ رُكُوبَ الخيل ولا يَسْتَقِرُّ على السَّرْجِ. **والمَعَازِيلُ**: جمع مِعْزَالٍ، الذي لا سلاح معه.

(8) **الشُّمُّ**: جمع أشم، وهو الذي في قصبة أنفه عُلُوٌّ مع استواء أعلاه، وذلك مـن علامـات الـسيادة والكـرم. **والعِرْنِينُ**: الأنف. **والأَبْطَالُ**: جمع بَطَلٍ؛ **وسمي** بذلك لأنه تُبْطَلُ عنده الدماء وتُهْدَرُ، ولا يُنَـالُ منـه ثَـأْرٌ. **وَنَسْجُ** داود أراد به الدروع. **والهَيْجَا**: الحرب، وأصله ممدود فقصره. **وَالسَّرَابِيلُ**: جمع سربال.

55- بِيضٌ سَوابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ كَأَنَّهَا حَلَقُ القَفْعَاءِ مَجْدُولُ[1]
56- لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمُ قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا[2]
57- يَمْشُونَ مَشْيَ الجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ[3]
58- لاَ يَقَعُ الطَّعْنُ إِلاَّ فِي نُحُورِهِمُ ومَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ المَوتِ تَهْلِيلُ[4]

فلما قال كعب: «إذا عَرَّدَ السُّوْدُ التَّنَابِيلُ» - وإنما يريد الأنصارَ؛ لقول صاحبهم، وخص المهاجرين بمدحته- غضبت عليه الأنصار؛ **فقال** له النبي ﷺ: لو ذكرت الأنصار بخير فهم لذلك أهلٌ! فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ويذكر بلاءهم مع رسولِ الله ﷺ وموضعَهم من اليمن[ابن هشام 4/ 157]:

مَنْ سَرَّه كَرَمُ الحياةِ فَلا يَزَلْ في مِقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الأَنْصَارِ[5]
وَرِثُوا الْمكَارِمَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِنَّ الخِيَارَ هُمُ بَنُو الأَخْيَارِ
الْمُكْرِهِينَ السَّمْهَرِيَّ بِأَذْرُعٍ كَسَوَافِلِ الهِنْدِيِّ غَيْرِ قِصَارِ[6]
والنَّاظِرِينَ بِأَعْيُنٍ مُحْمَرَّةٍ كَالجَمْرِ غَيْرِ كَلِيلَةِ الأَبْصَارِ
والْبَائِعِينَ نُفُوسَهُمْ لِنَبِيِّهِمْ لِلْمَوْتِ يَوْمَ تَعَانُقٍ وكِرَارِ
والذَّائِدِينَ النَّاسَ عَنْ أَدْيَانِهِمْ بِالمَشْرَفِيِّ وَبِالقَنَا الخَطَّارِ[7]

---

(1) **السَّابِغُ**: الطويل التام، وهذان وصفان للسرابيل في البيت السابق. **وشُكَّتْ**: نُسِجَتْ، ويروى (سُكَّتْ) بالسين، ومعناه: ضُيِّقَتْ. **والقَفْعَاءُ**: نبات له شوك ينبسط على وجه الأرض يشبه حلق الدروع. **وَمجْدُولُ**: مُحْكَمُ الصَّنْعَةِ.
(2) و في رواية: لا يفرحون إذا نالت رماحهم.
(3) **الزُّهْرُ**: جمع أزهر وهو الأبيض. **وَعَرَّدَ**: نَكَّبَ عن قِرْنِهِ وهرب منه. **والتَّنَابِيلُ**: جمع تِنْبَالٍ، وهو القصير.
(4) وصفهم بأنهم لا يَفِرُّونَ فَيَقَعَ الطَّعْنُ في ظهورهم بل من شأنهم الإِقْدَامُ على أعدائهم فَيَقَعُ الطَّعْنُ في نحورهم وصدورهم. **وَتَهْلِيلٌ**: فِرَارٌ، هَلَّلَ عن قِرنه تهليلًا إذا فَرَّ.
(5) **أَصْلُ المِقْنَبِ**: الجماعة من الخيل، وجمعه المقانب: أراد الفرسان.
(6) **السَّمْهَرِيُّ**: الرمح، **كَسَوَافِلِ الهِنْدِيِّ**: يصف أَذْرُعَهُمْ بحواشي السيوف، وقد يريد به الرماح؛ لأنها قد نسبت إلى الهند. وسافلة الرمح: نِصْفُهُ الذي يلي الزُّجِّ. [القاموس 943]، **وتنسب الرماح أيضًا** إلى الخط، فيقال: خَطِّيٌّ. ديوان كعب ص 26، والسير النبوية للخشني 2/ 421.
(7) **الذَّائِدِينَ**: المانعين الدافعين. **والمَشْرَفِيُّ**: السيف؛ نسبة إلى مَشَارِفَ باليمن. **والخَطَّارُ**: المهتز.

يَتَطَهَّـرُون يَرونَـهُ نُـسْكًا لَهُـمْ ... بِـدِمَاءِ مَـنْ عَلِقُـوا مِـنَ الكُفَّـارِ
دَرِبُـوا كَمَـا دَرِبَـتْ بِـبَطْنِ خَفِيَّـةٍ ... غُلْبُ الرِّقَابِ مِنَ الأُسُودِ ضَوارِي[1]
وَإِذَا حَلَلْـتَ لِيَمْنَعُـوكَ إِلَـيْهِمُ ... أَصْـبَحْتَ عِنْـدَ مَعَاقِـلِ الأَغْفَـارِ[2]
ضَرَبُـوا عَلِيًّـا يَـوْمَ بَـدْرٍ ضَرْبَـةً ... دَانَـتْ لِوَقْعَتِهَـا جَمِيـعُ نِـزَارِ[3]
لَـوْ يَعْلَـمُ الأَقْـوَامُ عِلْمِـي كُلَّـهُ ... فِـيهِمْ لَـصَدَّقَنِي الَّـذِينَ أُمَـارِي
قَـوْمٌ إِذَا خَـوَتِ النُّجُـومُ فَـإِنَّهُمْ ... للطَّـارِقِينَ النَّـازِلِينَ مَقَـارِي[4]
فِي الغُـرِّ مِـنْ غَـسَّانَ مِـنْ جُرْثُومَـةٍ ... أَعْيَـتْ مَحَافِرُهَـا عَـلَى المِنْقَـارِ[5]

ومنح النبي ﷺ كعبًا بردة له، وهي التي كانت عند الخلفاء[أسد الغابة 4/ 451 رقم 4464].

76- سرية قيس بن سعد بن عبادة إلى صُدَاء[6]:

بعثه ﷺ في أربعمائة إلى ناحية اليمن بعد انصرافه من الجِعْرَانةِ لقتال قبيلة صُدَاءَ، فقدم زياد بن الحارث الصدائي، وقال للنبي ﷺ: أنا وافد قومي إليك وكفيل بإسلامهم؛ فَرَدَّ البعث، **وقدم** أصحاب زياد بعد خَمْسَةَ عشرَ يومًا؛ **فقال** رسول الله ﷺ: إِنَّكَ مُطَاعٌ فِي قَوْمِكَ يَا أَخَا صُدَاءَ، **فقال**: بل الله هداهم، ثم قال: ألا تُؤَمِّرُنِي عليهم؟

---

(1) **دَرِبُوا**: تَعَوَّدُوا. **وَخَفِيَّةٌ**: موضع تنسب إليه الأسود. **وغُلْبُ الرِّقَابِ**: غِلاظُهَا. **وَضَوَارٍ**: مُتَعَوِّدَةُ الصَّيْدِ.

(2) **مَعَاقِلُ**: جمع مَعْقِلٍ **وهو** الموضع الذي يمتنع فيه من احتله. **والأَغْفَارُ**: جمع غُفْرٍ كقفل، وبفتح الغين وهو قليل: وهو ولد الأُرْوِيَّةِ، وهي أنثى الوعل، ويجمع أيضًا على: غِفَرَةٍ وغُفُورٍ، يضرب بها المثل في الامتناع؛ فلا تعيش إلا في شواهق الجبال. اللسان 5/ 28، **والمختار** مادة: روى ص 264، وتاج العروس 7/ 315.

(3) **عَلِيًّا**: أراد به عَلِيَّ بن مسعود بن مازن الغساني، **وإليه** تنسب بنو كنانة؛ لأنه كَفَلَ ولد أخيه عبدمناة بن كنانة بعد وفاته؛ فنسبوا إليه، والمضروب يوم بدر قريش وهم يعودون إلى كنانة.

(4) **خَوَتِ النُّجُومُ**: سقطت ولم تُمْطِرْ في نَوْئِهَا. **والطَّارِقُونَ**: الذين يأتون ليلًا. **والمَقَارِيُّ**: جمع مُقْرِي، وهو الكثير الإطعام للضيوف.

(5) **الجُرْثُومَةُ**: أصل الشيء. **والمَحَافِرُ**: مواضع الحَفْرِ. **وَالمِنْقَارُ**: حديدة كالفأس يُنْقَرُ بِهَا.

(6) سبل الهدى 6/ 322، ومحمد رسول الله ص 332، وسيرة ابن كثير 4/ 163، والاكتفاء 2/ 357. **وصداء**: حي من اليمن من قبائل مذحج، بينه وبين صنعاء 42 فرسخًا.

قال: بلى، ولا خير في الإمارة للمؤمن؛ فَتَرَكَهَا، وأمره أن يُؤَذِّنَ في صلاة الفجر، فأذن، فأراد بلال أن يُقِيمَ فقال ﷺ: «إِنَّ أَخَا صُدَاءَ أَذَّنَ، وَمَنْ أَذَّنَ فَهُوَ يُقِيمُ»[1].

77- سرية عيينة بن حصن[2]:

سَبَبُهَا أن بني تميم شهروا السلاح في وجه بِشْرِ بن سفيان، ومنعوه من أخذ الصدقة من جيرانهم بني كعب من خزاعة، **فقال** لهم بنو كعب: نحن أسلمنا ولا بد في ديننا من دفع الزكاة، **فقال** بنو تميم: والله لا نَدَعُ بعيرًا واحدًا يخرج، فَقَدِمَ بِشْرٌ وأخبر النبي ﷺ؛ فبعث عيينة في خمسين فارسًا إليهم، وليس مع عيينة مهاجريٌّ ولا أنصاري، فهجم عليهم وأخذ مواشيَهم، وأسر أحد عشر رجلًا ومِثْلَهم من النساء وثلاثين صَبِيًّا، وَفَرَّ الباقون، فحبس النبي ﷺ السبيَ وكأنه يتوقع قدوم أهلهم فيتألفهم بردهم؛ فجاء عدة من وجوههم: كعُطارِدِ بن حاجب، والزِّبْرِقان بن بدر، وعمرو بن الأهتم، فنادوا: يا محمدُ اخرج إلينا، فقال بلالٌ: رَسُولُ اللهِ يخرج الآن، فخرج، وأقام بلال الصلاة فتعلقوا به يكلمونه قائلين له: أتيناك بخطيبنا وشاعرنا فاسمع منا؛ فتبسم رسول الله ﷺ، وَقَدَّمُوا عُطَارِدًا فخطبَ، فَرَدَّ عليه ثابتُ بنُ قَيْسِ بْنِ الشَّمَّاسِ ثم قام بعده الزبرقان وأنشد:

نَحْنُ المُلُوكُ فَلاَ حَيٌّ يُقَارِبُنَا ... فِينَا المُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ البِيَعُ[3]

وَكَمْ كَسَرْنَا مِنَ الأَحيَاءِ كُلِّهِمِ ... عِنْدَ النِّهَابِ وَفَضْلُ العِزِّ يُتَّبَعُ

وَنَحْنُ يُطعِمُ عِندَ القَحْطِ مُطْعِمُنَا ... مِنَ الشِّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ القَزَعُ[4]

فَنَنحَرُ الكُومَ عَبْطًا فِي أَرُومَتِنَا[5] ... لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أُنزِلُوا شَبِعُوا

---

(1) الترمذي رقم 199، والاعتصام 1/ 315.

(2) ابن هشام 4/ 269-270، والطبقات 2/ 160. والواقدي 3/ 973، والسيرة الحلبية 3/ 200، وسبل الهدى 6/ 324.

(3) **البِيَعُ**: مصلى النصارى، مُفْرَدُهَا بِيْعَةٌ. اللسان 8/ 26، وعمدة الحفاظ للسمين 1/ 284.

(4) **القَزَعُ**: سحاب رقيق يكون في الخريف، مفردها قَزَعَةٌ. اللسان 8/ 271.

(5) **الكُومُ**: الناقة العظيمة السنام، مفردها كَوْمَاءَ. **وَعَبَطًا**: العبيط من الدم الخالص الطري. مختار الصحاح 408. **الأَرُومَةُ**: الأَصْلُ.

فقال رسول الله ﷺ: أجبهم يا حسان، **فقال:**

إِنَّ الـذَّوَائِبَ [1] مِـنْ فِهْـرٍ وَإِخْـوَتِهِمْ	**قَـدْ بَيَّنُـوا سُـنَّةً لِلنَّـاسِ تُتَّبَـعُ**
يَـرضَى بِهَـا كُـلُّ مَـن كَانَـتْ سَرِيْرَتُـهُ	**تَقْـوَى الإِلَـهِ وَبِـالأَمرِ الَّـذي شَرَعُـوا**
قَـومٌ إِذا حَـارَبُوا ضَرُّوا عَـدُوَّهُمُ	**أَوْ حَـاوَلُوا النَّفْـعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُـوا**
سَـجِيَّةٌ تِلْـكَ مِـنهُم غَـيْرُ مُحْدَثَـةٍ	**إِنَّ الخَلائِـقَ فَـاعْلَمْ شَرُّهَـا البِـدَعُ**
لا يَرقَـعُ النَّـاسُ مـا أَوْهَـتْ أَكُفُّهُـمُ	**عِنْـدَ الـدِّفَاعِ وَلا يُوهُـونَ مـا رَقَعُـوا**
وَلا يَـضِنُّونَ عَـنْ مَـوْلًى بِفَـضْلِهِمُ	**وَلا يَنَـالُهُمُ فِي مَطْمَـعٍ طَبَـعُ [2]**
إِنْ كَـانَ فِي النَّـاسِ سَـبَّاقُونَ بَعْـدَهمُ	**فَكُـلُّ سَـبْقٍ لأَدْنَـى سَـبْقِهِمْ تَبَـعُ**
أَكْـرِمْ بِقَـوْمِ رَسُـولُ اللهِ شِـيعَتُهُمْ	**إِذَا تَفَرَّقَـتِ الأَهْـوَاءُ وَالـشِّيَعُ**
أَعِفَّـةٌ ذُكِـرَتْ فِي الـوَحْيِ عِفَّـتُهُمْ	**لا يَطْمَعُـونَ وَلا يُـرْدِيهِمُ طَمَـعُ**
كَـأَنَّهُمْ فِي الـوَغَى وَالْمَـوتُ مُكْتَنِـعٌ	**أُسْـدٌ بِبِيْـشَةَ فِي أَرْسَـاغِهَا [3] فَـدَعُ**
لا يَفْخَـرُونَ إِذَا نَـالُوا عَـدُوَّهُمُ	**وَإِنْ أُصِـيبُوا فَـلا خُـورٌ [4] وَلا جُـزُعُ**
إِذَا نَـصَبْنَا لِحَـيٍّ لَمْ نَـدِبَّ لَهُـمْ	**كَمَـا يَـدِبُّ إِلَى الوَحْـشِيَّةِ الـذَّرَعُ [5]**
نَـسْمُو إِذَا الحَـرْبُ نَالَتْنَـا مَخَالِبُهَـا	**إِذَا الزَّعَـانِفُ مِـنْ أَطْرَافِهَـا خَـشَعُوا [6]**

---

(1) **الذَّوَائِبُ**: الأعالي، وأراد بهم السادة.

(2) **الطَّبَعُ**: الدَّنَسُ .

(3) **والموت مُكْتَنِعٌ**: أي دَانٍ. **وبيشة**: على خمس مراحل من مكة مما يلي اليمن. **والأرساغ**: جمع رُسْغٍ، وهو موضع مَرْبَطِ القيد. **وَفَدَعٌ**: اعْوِجَاجٌ إِلى نَاحِيَةٍ يزيدها قوةوسرعة.

(4) **الخُورُ**: الضعفاء.

(5) أي كما يَدِبُّ الذَّرَعُ وهو ولد البقرة الوحشية إلى أمه، وهي المُذْرِعُ أي ذَاتُ ذَرَعٍ. اللسان 8/ 96، **وَفَرَسٌ مُذَرَّعٌ** إذا كان سابقا، **وَأَصْلُهُ** الفَرَسُ يَلْحَقُ الوَحْشِيَّ وفَارِسُهُ عليه فيَطْعُنُهُ طعنة تفور بالدم فَتُلَطِّخُ ذِرَاعَي الفَرَسِ بِـذَلِكَ الدَّمِ فَيَكُونُ عَلامَةً لِسَبْقِهِ. تهذيب اللغة 2/ 190، وَأَسَدٌ مُذَرَّعٌ : عَلَى ذِرَاعَيْهِ دَمُ فَرَائِسِهِ. اللسان 8/ 94.

(6) **أطراف الناس**:أتباعهم . **خشعوا**: أي تذللوا.

خُـذْ مِـنْهُمُ مَـا أَتَـى عَفْـوًا إِذَا غَـضِبُوا	وَلاَ يَكُـنْ هَمُّـكَ الأَمْـرَ الـذي مَنَعُـوا
فَــإِنَّ فِي حَــرْبِهِمْ فَــاتْرُكْ عَــدَاوَتَهُمْ	سَمًّا غريضًا[1] عَلَيـهِ الـصَّابُ وَالـسَّلَعُ[2]
أَهْــدَى لَهُــمْ مَدْحَــهُ قَلْــبٌ يُــؤَازِرُهُ	فِيمَــا أَحَــبَّ لِـسَانٌ حائِـكٌ صَـنَعُ[3]
وَأَنَّهُــمْ أَفْــضَلُ الأَحْيَــاءِ كُلِّهِــمُ	إِن جَدَّ بِالناسِ جِـدُّ القَـولِ أَو شَـمَعُوا[4]

فخلا الوفد بعضهم إلى بعض، فقال قائل: تَعَلَّمُنَّ والله إِنَّ هذا الرجلَ مؤيدٌ مصنوع لـه؛ لَخطيبُهُ أَخْطَبُ مِنْ خطيبنا، ولشاعِرُه أَشْعَرُ مِنْ شَاعِرِنَا، وَلَهُمْ أَحْلَمُ مِنَّا، فَرَدَّ النبي ﷺ عليهم السبي والأسرى، **فنزل**-في هذا الوَفْدِ لَـمَّا رفعوا أصواتهم ونـادوا رسـولَ الله ﷺ- قَـوْلُ الله تعـالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات:2][5].

إرسال الوليدِ بْنِ عقبةَ إلى بني الْمُصْطَلِقِ[6]:

بعثه ﷺ لجمع صدقات بني المصطلق، **وكانوا** قد أسلموا وبنوا المساجد، **وكان** بينهم وبين الوليد عَدَاوَةٌ في الجاهلية، فتلقاه عشرون منهم بالجَزُورِ والنَّعَمِ فَرَحًا به، وتعظيمًا لله ورسوله ﷺ مُتَجَمِّلِينَ بالسلاح، فظنهم خرجوا لقتاله؛ فَرَجَعَ قبل أن يصل إليهم؛ فأخبرَ النبي ﷺ بِأَنَّهُمْ ارتدوا؛ فَهَمَّ رسولُ الله ﷺ بغزوهم، فأتوه وأخبروه بالحقيقة؛ فنزل قول الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[الحجرات: 6] **ثم**

(1) **غَرِيضًا**: طَرِيًّا غير بائت.
(2) **الصَّابُ والسَّلَعُ**: ضربان من الشجر مُرَّان، أو سَمٌّ، أو ضرب من الصَّبِرِ، أَوْ بَقْلَةٌ خَبِيثَةُ الطَّعْمِ. ق942.
(3) **صَنَعُ**: أي يحسن العمل.
(4) **شَمَعُوا**: أي هَزَلُوا، **وَأَصْلُ الشَّمَعِ**: الطرب واللهو، **ومنه** جارية شموع، إذا كانت كثيرة الطرب.
(5) تفسير الطبري مج13/ 26/ 159، ومجمع البيان 9/ 221، وأسباب النزول 319.
(6) ابـن هـشام 3/ 308، والواقـدي3/ 973، والطـبري 3/ 115، وأسـباب النـزول 322، والكـشاف 4/ 361-362، وطبقات ابن سعد 2/ 161.

قال: مَنْ تُحِبُّونَ أن أبعث إليكم؟ قالوا:عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ، فبعثه إليهم يأخذ صدقات أموالهم، ويعلمهم شرائع الإسلام، ويُقْرِئهُمُ القرآن.

78- سرية قُطْبَةَ بْنِ عامر إلىٰ خَثْعَم: (في صفر سنة 9هـ[1])

بعثه ﷺ في عشرين رجلًا إلىٰ حَيٍّ من خثعم بناحية تَبَالَةَ، فخرجوا فأخذوا رَجُلًا فسألوه فاستعجم عليهم، فجعل يصيح بقومه فقتلوه، ثم انتظروا حتىٰ نام القوم فأغاروا عليهم، فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتىٰ كثرت الجرحىٰ في الفريقين، ونصر الله المسلمين عليهم؛ فَسَبَوْا وَغَنِمُوا.

79- سرية الضحاك بن سفيان[2] إلىٰ بني كِلاب:(في ربيع الأول سنة9هـ[3])

بعثه ﷺ علىٰ رأس جيش **ومعه** الأصيد بن سلمة، فَلَقُوا بَنِي كِلابٍ **فدعوهم** إلىٰ الإسلام فأبوا؛ فقاتلوهم فهزموهم وغنموا أموالهم، فلحق الأصيدُ أباه سلمةَ **وكان** علىٰ فرس له فدعاه إلىٰ الإسلام وأعطاه الأمان؛ فسبه وسب دينه؛ **فضرب** الأصيدُ عرقوبي فرس أبيه، **فلما** وقع الفرس ارتكز الأصيدُ علىٰ رمحه في الماء، ثم استمسك به حتىٰ جاءه واحد من المسلمين فقتله، ولم يقتله ولدُه.

---

(1) الطبقات 2/ 162، وسبل الهدىٰ 6/ 327، والواقدي 3/ 981.

(2) كان يقوم علىٰ رأس رسول الله ﷺ متوشحًا بسيفه، وكان من الشجعان الأبطال، يعد وحده بمائة فارس، أمَّره النبي علىٰ بني سليم في فتح مكة، وكانوا تسعمائة، فقال لهم: هل لكم في رجل يعدل مائة يوفيكم ألفًا؟ فوفاهم بالضحاك، وكان رئيسهم؛ لأنهم جميعًا من قيس عيلان. قال فيه العباس بن مرداس السُّلَمِي:

إِنَّ الَّذِينَ وَفَوْا بِمَا عَاهَدْتَهُمْ ... جَيْشٌ بَعَثْتَ عَلَيْهُمُ الضَّحَاكَا
أَمَّرْتَهُ ذَرِبَ السِّنَانِ كَأَنَّهُ ... لَمَّا تَكَنَّفَهُ العَدُوُّ يَرَاكَا
طَوْرًا يُعَانِقُ بِاليَدَيْنِ وَتَارَةً ... يَفْرِي الجَمَاجِمَ حَازِمًا بَتَّاكَا

أسد الغابة 3/ 47، 48 رقم 2556، والاستيعاب 2/ 295 رقم 1255، **والذَّرِبُ**: الحاد من كل شيء. لسان العرب 1/ 385. **وبتك**: قطعه من أصله، **والسيف الباتك**: القاطع. التاج 13/ 514.

(3) الطبقات 2/ 162، وسبل الهدىٰ 6/ 329، والواقدي 3/ 982.

الدرس والعبرة: يندهش المرء من فعل الولد بأبيه بداية، فإذا عرف معنى الإيمان والارتباط بالله زالت الدهشة، واعْتَبَرَ فِعْلَ هذا الصحابي الكريم عِبَادَةً عادية- وإن كانت كبيرة على غير المؤمن بل والمؤمن- **لكنه** خرج من بين ثنايا قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[المجادلة:22].

80- سرية علقمة بن مُجَزِّزٍ المُدْلِجِي: (في ربيع الآخر سنة9هـ)[1]:

أَبْلَغَ رسولَ الله ﷺ سكانُ السواحل بِجُدَّةَ أن أناسًا من الحبشة في عُـرْضِ البحـر تراياهم أهل جدة، فبعث إليهم علقمة في ثلاثمائة، فخاض البحـر إلى الجزيـرة التـي هم فيها؛ فهربوا.

81 – سرية علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (في ربيع الآخر سنة9هـ)[2]

بعثه ﷺ لهدم الفُلْسِ: صنم تعبده طَـيِّئٌ؛ **فخـرج** في مائـة وخمسين عـلى مائـة بعـير وخمسين فرسًا، فأغاروا مع الفجر على محلة آل حاتم الطـائي، فهـدموا الفُلْـسَ، وسـاقوا السبي والنعمَ والشاءَ، **وكان** في السبي سَفَّانَةُ أُخْتُ عَدِيِّ بْـنِ حـاتم، **وهـرب** عَـدِيٌّ إلى الشام، **وقسم** عَلِيٌّ الفيء، **وعزل** الخُمُسَ، **وعزل** آل حاتم فلم يقسمهم حتـى قـدم بهـم المدينة وأحسن معاملتهم، **وأكرم** النبي ﷺ سَفَّانَةَ بِنْتَ حـاتمٍ؛ فهـو القائـل: «إِذَا أَتَـاكُمْ كَرِيمُ قَومٍ فَأَكْرِمُوهُ»[3]، **وَحَدَّثَتْهُ** عَنْ كَرَمِ أَبِيهَا، **وَأَوْعَزَ** إليها عَلِيٌّ أن تطلب من النبـي ﷺ أن يَمُنَّ عليها ففعلت؛ فأطلق سراحها وأكرمها؛ **فدعت** للنبي ﷺ بهذا الدعاء: شَكَرَتْكَ

(1) سبل الهدى 6/ 331، والطبقات 2/ 163، وابن هشام 4/ 289، والواقدي 3/ 983.
(2)ابن هشام 4/ 290، والطبقات 2/ 164، والواقدي 3/ 984.
(3)سنن البيهقي 8/ 168، وابن ماجة 3712، وتأريخ الخطيب 7/ 94، ومجمع الزوائد 4/ 234.

يَدٌ افْتَقَرَتْ بَعْدَ غِنًى، ولَا مَلَكَتْكَ يَدٌ اسْتَغْنَتْ بعد فَقْرٍ، وَأَصَابَ اللهُ بِمَعْرُوفِكَ مَوَاضِعَهُ، وَلَا جَعَلَ لَكَ إِلَىٰ لَئِيمٍ حَاجَةً، وَلَا سَلَبَ نِعْمَةَ كَرِيمٍ إِلَّا وَجَعَلَكَ سَبَبًا لِرَدِّهَا عَلَيْهِ! **وتحولت** سفَّانَةُ إلىٰ داعية إسلامية؛ **فذهبت** وراء أخيها إلىٰ الشام فأخبرته بتكريم النبي ﷺ وَعَلِيٍّ عليه السلام لأُسْرَةِ حاتم؛ فَعَلِيٌّ لم يقسمها مع الغنائم بل قدم بها مُعَزَّزَةً مُكَرَّمَةً، **فقال** لها أخوها: ماذا تَرَيْنَ؟ **قالت**: أرىٰ أن تلحق به سريعًا: **فإن** يكن نَبِيًّا فللسابق إليه فضل، **وإن** يكن مَلِكًا فلن تَذِلَّ في عِزِّ اليَمَنِ وأنت أنت؛ **فقال**: هذا هو الرأي؛ **فقدم** علىٰ رسول الله ﷺ في مسجده، **فقال**: مَنِ الرَّجُلُ؟ **قال**: عدي بن حاتم، فانطلق به إلىٰ بيته، **قال عدي**: فوالله إنه لذاهب بي إليه، إِذْ لَقِيَتْهُ امرأة ضعيفة كبيرة **فاستوقفته** فوقف لها طويلًا تكلمه في حاجتها؛ **فقلت** في نفسي: والله ما هذا بِمَلِكٍ! **فلما** دخل بي بيته ناولني وسادة، **وقال**: اجْلِسْ عَلَيْهَا، **قلت**: بل أنت فاجلس عليها، **فقال**: بل أنت، فَجَلَسْتُ عليها، وجلس علىٰ الأرض، **فقلت** في نفسي: ما هذا بملك! **ثم قال**: إِيْهٍ يا عدي بن حاتم! أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًّا؟[1]، **قلت**: بلىٰ، **قال**: أو لم تكن تسير في قومك بالمِرْبَاعِ؟[2] **قلت**: بلىٰ، **قال**: فإن ذلك لا يحل لك في دينك، **قلت**: أجل والله، وعرفتُ أنه نبي مرسل يعلم ما يُجْهَلُ! **ثم قال**: لعلك يا عدي إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترىٰ من حاجتهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ المالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهم حتىٰ لا يُوجَدَ مَنْ يَأْخُذُهُ! **ولعلك** إنما يمنعك من دخولٍ فيه ما ترىٰ من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فوالله لَيُوشِكَنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية علىٰ بعيرها حتىٰ تزور هذا البيت لا تخاف إلا الله! **ولعلك** إنما يمنعك من دخولٍ فيه أنك ترىٰ أن المُلْكَ والسلطان في غيرهم، **وايْمُ** الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فُتِحَتْ عليهم! **قال**: فَأَسْلَمْتُ. **وكان** عدي يقول:

---

(1) **الرَّكُوسِيَّةُ**: قوم لهم دين بين النصارىٰ والصابئين. اللسان 6/ 101.

(2) يعني: كان يأخذ رُبُعَ الغَنَائِمِ.

مَضَتِ اثنتان وبقيت الثالثة، والله لتكونَنَّ، لَيَفِيضُ المَالُ حتى لا يوجد من يأخذه[1].
أقول: قد فاض عندما وُجِد الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله؛ إذ أخبره عمال الأقاليم بأنهم لم يجدوا للزكاة مصرفًا؛ لاستغناء الناس، فأمرهم أن يزوجوا من لا زوج له، **رغم** أن سياسة مَنْ قبله من ملوك بني أمية كانت تمنع الراغبين في الإسلام في شرق الدنيا وغربها؛ **متعللين** بأنهم إنما يدخلون الإسلام هَرَبًا من دفع الخراج؛ **فقال:** قبح الله هذه السياسة! **نحن** أمة هادية لا جابية. **وإذا** وُجد اليوم أمثال عمر فسيفيض المال حتى لا يوجد مَنْ يأخذه، أو يتزوج به[2]، فعسى الله أن يأتي بمثله.

82- غزوة تَبُوك[3]: (في رجب 9 هـ - أكتوبر 630م)[4]:

الرُّومُ في شمال الجزيرة ومصر وغيرها لا صِلَةَ لهم بأهل تلك الديار إلا قهر أهلها وبسط نفوذهم، **ولما انتشر** الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وكثرت الفتوحات الإسلامية **أَرْعَبَ** الرومَ ذلك؛ فدفعهم إلى إعداد العُدَّةِ للقضاء على الإسلام؛ خاصة بعد الانتصارات التي حققها الروم ضد الفُرْسِ خُصُومِهِمُ المنافسين لهم، ودفعهم الغرور إلى جمع الجموع بالشام، **وَزَوَّدَهُمْ** هرقل بِمُؤَنٍ تكفي لسنة، **والتحقت** بجيش الروم- البالغ أربعين ألف فارس وراجل- **قَبَائِلُ** لَخْمٍ، وجُذَامَ، وعَامِلَةَ، وغَسَّانَ، وَقَدَّمُوا مُقَدِّمَتَهُمْ إلى البلقاء وهي عمان الأردن؛ فلما بلغ النبي ﷺ الخبر جَهَّزَ جَيْشًا قِوَامُهُ ثلاثون ألفًا[5]، وكان رسول الله

---

(1) البداية والنهاية 5/ 70، وابن هشام 4/ 225، وابن الأثير 2/ 194، وتاريخ الطبري 3/ 113، والاكتفاء 2/ 353.
(2)عمر بن عبدالعزيز. الشرقاوي 139.
(3) **بلغ** رسول الله ﷺ أن قيصر ملك الروم يجمع الجموع من الروم، ومن عرب: لَخْمٍ، وَجُذَامَ، وَغَسَّانَ، وَعَامِلَةَ، وأنه عازم على الزحف إلى المدينة المنورة؛ فجهز الرسول ﷺ جيشه في ظروف صعبة جِدًّا ليضرب جيش الروم **كما** هي خطة الرسول ﷺ في الانقضاض على عدوه قبل أن ينقض عليه. **وتبوك** على بعد (12) مرحلة من المدينة، أي ما يقارب (500كم). معجم البلدان 2/ 15.
(4) ابن هشام 4/ 159، والواقدي 3/ 990، والبداية والنهاية 5/ 5، والاكتفاء 2/ 271،والطبقات 2/ 165.
(5) **وقيل**: سبعون ألفًا، **وقيل**: أربعون ألفًا، **وكان** معهم من الخيل عشرة آلاف، **ومن** الإبل اثنا عشر ألفًا. المغازي

ﷺ لا يغزو غزوة إلا ورَّىٰ بغيرها؛ لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا، إلا غزوة تبوك فأخبرهم بالوجه الذي يريد؛ ليتأهبوا لذلك، وبعث إلىٰ القبائل وإلىٰ مكة يستنفرهم؛ فبعث بريدة بن الحُصَيْبِ وأمره أن يبلغ الفُرُعَ، وبعث أبا رُهْمٍ الغفاري إلىٰ قومه، وأبا واقد الليثي إلىٰ قومه، وأبا جعدة الضمري إلىٰ قومه بالساحل، ورافع بن مَكِيْثٍ إلىٰ جهينة، ونعيم بن مسعود إلىٰ أشجع، وبديل بن ورقاء، وعمرو بن سالم، وبسر بن سفيان إلىٰ بني كعب بن عمرو، والعباس بن مرداس إلىٰ بني سليم، وحَضَّ علىٰ الجهاد ورغَّب في غزو الرُّومِ في زمن عُسْرَةٍ وَشِدَّةٍ من الحَرِّ ، **حين** طابت الثمار، والناس يحبون الْـمُقَامَ في ثمارهم وظلالهم، ويكرهون الشخوص علىٰ الحال من الزمان الذي هم عليه؛ **ومن** أجل ذلك بَيَّنَ وجهته للناس؛ لبعد المسير، وشدة الزمان، وكثرة العدو؛ ليتأهب الناس لذلك، فأمر الناس بالجهاز وأخبرهم بالقصد[الإمتاع 2/ 47]. **وقال** ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجَدِّ بن قيس المنافق: «هَلْ لَكَ فِي جِلاَدِ بني الأَصْفَرِ [الروم]»؟ فقال: يا رسول الله أَوْ تَأْذَنُ لي ولا تَفْتِنِّي؛ فَوَاللهِ لقد عَرَفَ قومي أنه ما من رجل بِأَشَدَّ عُجْبًا بالنساء مني، وإني أخشىٰ إن رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الأصفر أن لا أصبر؛ فأعرض عنه رسول الله ﷺ؛ وقال: «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ»؛ ففيه نزلت الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾[التوبة:49]، والفتنة التي سقط فيها ليست نساء بني الأصفر بل التخلف عن رسول الله ﷺ والرَّغْبَةُ بنفسه عن نفسه؛ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمِنْ ورائه، **وقال** بعض المنافقين لبعض: لا تَنْفِرُوا في الحر؛ زَهَادةً في الجهاد، وشكًّا في الحق، وإرجافًا برسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[التوبة:81-82].

للواقدي 3/ 996، 1002، والطبقات 2/ 166، ودلائل البيهقي 5/ 219، وفتح الباري 7/ 721.

المُثَبِّطُونَ: بلغ رَسُولَ اللهِ ﷺ أن بعض المنافقين يجتمعون في بيت أحد اليهود اسمه «سويلم» ويخططون لتثبيط المسلمين عن رسول الله ﷺ؛ **فأرسل** النبي ﷺ طلحة بن عبيد الله في نفر من الصحابة لردعهم، **وأمره** أن يحرق عليهم بيت «سويلم» ففعل بهم ذلك حتى خرجوا وسط ألسنة اللهب وأعمدة الدخان، وأفلتوا، واقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله.

ثم إن رسول الله ﷺ **جد** في سفره وأمر الناس بالجهاز والإنكماش، **وحَضَّ** أهلَ الغِنى على النفقةِ والحُمْلانِ في سبيل الله، **فحمل** رجال من أهل الغنى واحتسبوا، **وأنفق** عثمان بن عفان ﷺ في ذلك نَفَقَةً عَظِيمَةً، **وقد** اختلف في مقدارها[1].

البكاؤون[2]: جاء سبعةٌ من الأنصار أَهْلُ حَاجَةٍ إلى رسول الله وهم: أبو ليلى عبدالرحمن بن كعب المازني، وسلمة بن صخر الزُّرَقِيُّ، وثعلبة بن غنمة السلمي، وعُلْبَةُ بن زيد الحارثي، والعرباض بن سارية، وهَرَمِيُّ بن عبدالله الواقفي، وسالم بن عمير العوفي، قيل: ومنهم عبدالله بن المغفل، ومعقل بن يسار؛ فاستحملوا رسول الله ﷺ فقال لهم: لا أجد ما أحملكم عليه، فَوَلَّوْا وهم يبكون، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:92]. وقد

(1) روي عن عبد الرحمن بن عوف أن عثمان جاء بسبعمائة أوقية ذهب. الطبراني في الأوسط4/ 306 رقم 4276، وأبو يعلى2/ 161 رقم 852، **وفي** الرواية إبراهيم بن عمر و هو ضعيف، **وروي** عن أنس أن عثمان جاء بدنانير. الطبراني في الأوسط2/ 291 رقم 2013، **وفيه** عمر بن صالح و هو ضعيف، **وروي** عن ابن مسعود أن عثمان وجه إلى النبي بتسع رواحل. رواه الطبراني في الأوسط 7/ 195 رقم 7255، **وفيه** سعيد بن محمد الوراق وهو ضعيف. ينظر: مجمع الزوائد 9/ 58، **وروى** الترمذي برقم 3700، عن عبد الرحمن بن جَنَابٍ أنه قَدَّمَ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها، **وقال**: حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث السكن بن المغيرة،**وروي**: مائة بعير بأحلاسها وأقتابها [الطبراني في الأوسط 6/ 98 رقم 5915]، **وروى** الترمذي برقم 3701 أنه جاء بألف دينار، **وقال**: حسن غريب.

(2) سيرة ابن هشام 4/ 161، والإمتاع 2/ 49، والمغازي 2/ 994.

روي أن يامين بن يامين أو ابنَ عُمَيْرِ بْنِ كَعْبٍ من يهود بني النضير- أسلم، وأحرز ماله[أسد الغابة5/ 434] -لَقِيَ أبا ليلى عبدَالرحمن بن كعب، وعَبْدَاللهِ بْنَ مُغَفَّلٍ، وهما يبكيان فقال: ما يُبْكِيكُمَا؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه، فأعطاهما ناضِحًا[جملًا] فارتحلاه[أي وضعا عليه الرحل]، وَزَوَّدَهُمَا شيئًا من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ.

المتخلفون: جاء المُعَذِّرونَ من الأعراب فاعتذروا إليه فلم يُعْذِرْهُمُ الله تعالى، وقد ذُكِرَ أنهم نفر من بني غِفَارٍ.

وَتَخَلَّفَ كعب بن مالك، ومُرَارَةُ بن الربيع، وهلال بن أمية الواقفي[شهدا بدرا]، وأبو خيثمة، وكانوا نَفَرَ صدق لا يتهمون في إسلامهم. فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنية الوداع-أَكَمَةٍ مُشْرِفَةٍ على المدينة- وَعَسْكَرَ ابنُ أُبَيٍّ معه على حِدَةٍ، ثم تَخَلَّفَ مع من تخلف من المنافقين وأهل الرِّيَبِ.

النهي عن خروج أهل الضعف:

روي أنه ﷺ قال: لا يخرجن معنا إلا مُقْوٍ؛ فخرج رجل على بَكْرٍ صَعْبٍ فصرعه بالسويداء -موضع على ليلتين من المدينة على طريق الشام- فقال الناس: الشهيد الشهيد! فبعث رسول الله ﷺ مناديًا ينادي: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَإِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ، وَلَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَاصٍ»[الإمتاع 2/ 50] كأنه يشير إلى أن هذا الرجل خالف النهي.

عليٌّ كرم الله وجهه والمنافقون:

خَلَّفَ رسولُ الله ﷺ على المدينة عَلِيَّ بنَ أبي طالب عليه السلام، وأمره بالإقامة فيهم، **فأرجف** به المنافقون وقالوا: ما خلفه إلا استثقالًا له وتَخَفُّفًا منه؛ **فأخذ** سلاحَه وَلَحِقَ بالنبي ﷺ وهو نازل بالجُرُفِ[1]، فقال: يا نبي الله، زعم المنافقون أنك إنما

(1) **الجرف:** موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، به كانت أموال لعمر بن الخطاب ولأهل المدينة.

خلفتني أنك استثقلتني وتخففت مني؟ **فقال**: «كَذَبُوا، وَلَكِنِّي خَلَّفْتُكَ لِـمَا تَرَكْـتُ ورَائِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ، أَفَلَا تَرْضَى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُـونَ مِنِّـي بِمَنْزِلَـةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»[1]؛ فرضي ورجع.

نَدَمُ أَبِي خَيْثَمَةَ:

بعد أن سار رسول الله ﷺ أيامًا جاء أبو خَيْثَمَةَ مَالِكُ بْنُ قيس إلى أهلـه في يـوم حـار فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رَشَّتْ كُلُّ واحدة منهما عريشَها وبرَّدَتْ له فيه ماءً، وَهَيَّأَتْ له فيه طعامًا، فنظر إلى امرأَتَيْهِ وما صَـنَعَتَا لـه، **فقـال**: رسـول الله ﷺ في الضِّحِّ [الشمس] والريح والحر، وأبو خيثمة في ظلٍّ بارد، وطعام مهيأ، وامـرأة حـسناء، في ماله مقيم؟! ما هذا بالنَّصَفِ؛ **ثم** قال: والله لا أدخل عريش واحـدة مـنكما حتـى ألحـق برسول الله ﷺ فَهَيِّئَا لي زَادًا، ففعلتا، **ثم** قَدَّمَ ناضحه فارتحله[2]، **ثم** خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، **فلما** رأى خياله من بعيد، قال ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَـةَ». فأخبر رسولَ الله ﷺ خبره مع امرأتيه، فدعا له بخير[ابن هشام 4/ 163].

---

(1) حديث المنزلة من الأحاديث المتواترة. ينظر: الأحكام للهادي 1/ 38، والأمالي الصغرى ص104، وتيسير المطالب ص 50، والبخاري رقم 4154، 3503، ومسلم 2404، وابن ماجة رقم 115، 121، والنسائي في الخصائص 60، والطبراني في الكبير 1/ 146 رقم 148، 2/ 247 رقم 2035، 4/ 20 رقم 220، والطبراني في الأوسط 2728، وأبو يعلى رقم 379، وابن حبان في صحيحه 15/ 369 رقم 6926 رقم 6927، والحاكم في المستدرك 3/ 108- 109، وعبدالرزاق رقم 20390، والحميدي في مسنده رقم 71، والترمذي 3730 – 3731، وأحمد بن حنبل 1/ 379 رقم 154، 1608، 10/ 307 رقم 27149، وسنن ابن ماجة 1/ 45، وأسد الغابة 4/ 100، وابن كثير 5/ 11، وفتح الباري 8/ 91، والاستيعاب 3/ 201، والإصابة 2/ 502، ومجمع الزوائد 9/ 109، و الجامع الكبير للسيوطي 16/ 26 رقم 7887، 2/ 195 رقم 4799، والتاريخ الكبير للبخاري 1/ 115، ومصنف ابن أبي شبة 6/ 366 رقم 32072، 32075، وطبقات ابن سعد 3/ 23-25، والبداية والنهاية 5/ 11، وكفاية الطالب ص 281، وشواهد التنزيل 1/ 150 رقم 204-205، والطبري 3/ 104، والمناقب لابن المغازلي 79-87 رقم 40-56، وتاريخ دمشق 1/ 306-393 في ترجمة الإمام علي، وعيون الأثر 2/ 294، وتاريخ بغداد 4/ 204، والسيرة النبوية لابن كثير 4/ 12-13، والاكتفاء 2/ 273، والسيرة الحلبية 3/ 132، وحلية الأولياء 7/ 196.

(2) **الناضح**: البعير يستقى عليه، **ارتحله**: وضع عليه الرحل.

مشقة وآيات:

واجَهَ جيشُ العُسْرَةِ متاعبَ جَمَّةً، فكان الرجل والثلاثة على بعير واحد يقطعون صحراء قاتلة تجاوز الألف كيلو متر ذهابًا وَإيابًا في حر شديد، ولحقهم عطش شديد، حتى إن الرجل لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ لِيَعْتَصِرَ فَرْثَهُ فيشربه ثم يلقي ما بقي على كبده فَشَكَوْا إلى رسول الله ﷺ فدعا الله سبحانه فأرسل سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء، ونظروا فإذا هي لم تجاوز العسكر، فقال المسلمون لرجل منافق[1] في الجيش: هل بعد هذا من شيء؟ **قال**: سحابة مارة[2]؛ **أقول**: **لا عجبَ**، فالمنافق مريض لا يصدق بشيء؛ **فقد** حدث أن ضَلَّتْ ناقة النبي ﷺ القصواء، **فقال** زيد بن اللُّصيت كان يهوديًّا فأسلم فنافق: يَزْعُمُ محمد أن الوحي يأتيه ولا يدري أين ناقته؟ فأخبرهم النبي ﷺ بمكانها فوجدوها، وبقي النفاق[3]!.

مَرَّ المسلمون بديار ثمود وهي أطلال هَامِدَةٌ، فَذَكَّرَهُمْ النبي ﷺ بعقاب الله النازل بهم، **وقال**: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما أصابهم[4]، **ولَمَّا** مرَّ بالحِجْرِ[5] قال: «لَا تَسْأَلُوا الآيَاتِ- يعني خوارق

---

(1) **هو** أوس بن قَيْظَى. **وقيل**: زيد بن اللُّصَيْت.

(2) ابن هشام 4/ 166، ودلائل النبوة 5/ 232، والواقدي 3/ 1008. أقول: إن الله أيَّد نبيه بالمعجزات، **ولكن** من حق المرء أن يقول: إن النبي ﷺ وهو قدوة البشر في السلم والحرب لا يترك جيشه الضخم للصُّدَفِ، ويقتحم بهم الصحراء جزافًا؛ **فمن** المؤكد أنه قد استطلع أحوال الطريق، وأخذ أهبته، **وقد** عرفنا كيف حث الناس على الإنفاق، وإعداد المؤن، **وأكد** ألَّا يخرج إلا مُقْوٍ؛ **فمن** غير المعقول ألَّا يتنبه للماء؛ والحَاجَةُ إليه أهم من الطعام، فلا بد أن يكون قد أعد الروايا، والسقاة، وحسب حساب كل شيء، **وهذا** واجب ديني، وأخلاقي، وسياسي، وعسكري، **ولا أشك** بعد ذلك أن يهيئ الله لرسوله وللمؤمنين أسباب السماء والأرض.

(3) ابن هشام 4/ 166، والواقدي 3/ 1008، ودلائل النبوة للبيهقي 5/ 232، والدلائل لأبي نعيم 2/ 523، والإمتاع 2/ 56.

(4) البخاري رقم 423 (ر)، ومسلم رقم 2980 باختلاف يسير بينهما.

(5) مساكن ثمود قوم صالح بالأردن شرق خليج العقبة، ومساكنهم منحوتة في الصخر. ينظر: أطلس القرآن ص 37. **وقد** شاهدت قصرًا لعله لملكهم أَعْمِدَتُهُ وَغُرَفُهُ وَسَقْفُهُ كلها من الصخر من عدة طوابق!.

العادات- فَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ؛ فَبَعَثَ اللهُ لَهُمْ نَاقَةً فَكَانَتْ تَرِدُ مِنْ هَذَا الفَجِّ، وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الفَجِّ، وَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا، وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَعَقَرُوهَا؛ فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللهُ بِهَا مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ»[مسند أحمد رقم 14162]، **وروي** أنه قال لأصحابه: «لَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا، وَلَا تَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ لِلصَّلَاةِ، وَمَا كَانَ مِنْ عَجِينٍ عَجَنْتُمُوهُ فَاعْلِفُوهُ الإِبِلَ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْهُ شَيْئًا، وَلَا يَخْرُجَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ اللَّيْلَةَ إِلَّا وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ»[1]؛ ففعل الناس ما أَمَرَهُمْ بِهِ رسولُ الله ﷺ، وتحولوا إلى بئر صالح فاستقوا منها، وغسلوا الأسقية.

قيادة حازمة:

كان النبي ﷺ إذا أُخْبِرَ بتخلف شخص يقول: «دَعُوهُ فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللهُ مِنْهُ»، **حتى** قيل: يا رسولَ الله، تَخَلَّفَ أبو ذر وأبطأ به بَعِيرُهُ! فقال النبي ﷺ ما تقدم، فانتظر أبو ذر بعيره قَلِيلًا، ثم تركه، وأخذ متاعه على ظَهْرِهِ، ولحق بالرسول ﷺ ماشِيًا! **فقال** ناظرٌ من المسلمين: يا رسول الله، هناك رجل يمشي على الطريق وحده، **فقال** رسول الله ﷺ: «كُنْ أَبَا ذَرٍّ» **فلما** تأمله القوم، **قالوا**: هو أبو ذر، **فقال** ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أَبَا ذَرٍّ؛ يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ»[2]؛ **وقد** حَدَثَ ما أخبر به النبي ﷺ، **وهو من دلائل** نبوته؛ **فعن** عبدالله بن مسعود قال: لما نفى عثمانُ أبا ذرٍّ إلى الرَّبَذَةِ- وأصابه بها قَدَرُه- لم يكن معه إلا امْرَأَتُهُ وَغُلَامُهُ، فأوصاهما: أَنْ غَسِّلَانِي وَكَفِّنَانِي، ثُمَّ ضَعَانِي على قارعة الطريق، فَأَوَّلُ رَكْبٍ يمر بكم فقولوا: هذا أبو ذَرٍّ صاحب رسول الله ﷺ

---

(1) المعجم الكبير للطبراني 7/ 116 رقم 6550، والمغازي 3/ 1007، وأخرجه البخاري رقم 3198 ومسلم رقم2981 من حديث حديث ابن عمر

(2)المستدرك 3/ 51، والدلائل للبيهقي 5/ 222، وكنز العمال رقم 33232، وأسد الغابة 6/ 98، والإصابة 4/ 64، والواقدي 3/ 1000، ودلائل النبوة 5/ 221.

فأعينونا على دفنه! فلما مات فَعَلَا ذلك به، **وأقبل** عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق ذاهبين للعمرة، فلم يَرُعْهُمْ إلا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الإبِلُ تَطَؤُهَا! وقام إليهم الغلام **فقال**: هذا أبو ذَرٍّ صاحبُ رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه؛ فَاسْتَهَلَّ عبدالله بن مسعود يبكي، **وقال**: صدق رسول الله ﷺ: «تَمْشِي وَحْدَكَ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ»، ثم نزل هو وأصحابه فَوَارَوْهُ[1].

رسول الله ﷺ في تبوك:

بلغ المسلمون تبوك فأتى رسولَ الله ﷺ يُحَنَّةُ بن رُؤْبَةَ صاحب أَيْلَةَ، فصالحه وأعطاه الجزية. وأتاه أهل جَرْبَاءَ، وأَذْرُحَ، ودُومَةَ الجندل فأعطوه الجزية، فكتب رسول الله ﷺ لهم كتابًا، فهو عندهم، **وكتب** لِيُحَنَّةَ: «بسم الله الرحمن الرحيم، **هذه** أَمَنَةٌ من الله ومحمد النبي رسول الله لِيُحَنَّةَ بن رؤبَةَ وأهلِ أيلةَ، سُفُنِهِمْ وَسَيَّارَاتِهِمْ[2] في البر والبحر، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهل الشام، وأهل اليمنِ، وأهلِ البحر، **فمن** أحدث منهم حدثًا فإنه لا يحول مَالُهُ دون نفسه، **وإنه** طَيِّبٌ لمن أخذه من الناس، **وإنه** لا يحل أن يمنعوا ماءً يَرِدُونَهُ، ولا طريقًا يُرِيدُونَهُ من بر أو بحر»[3]، **وكتب** لأهل جرباء وأذرح: بسم الله الرحمن الرحيم، **هذا** كتاب من محمد النبي رسول الله إلى أهل جرباء وأذرح: **إنهم** آمنون بأمان الله، وأمان محمد، **وإن** عليهم مائة دينار في كل رجب، ومائة أوقية طَيِّبَةٍ [حلال]، **وإن** الله عليهم كفيل بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين[4].

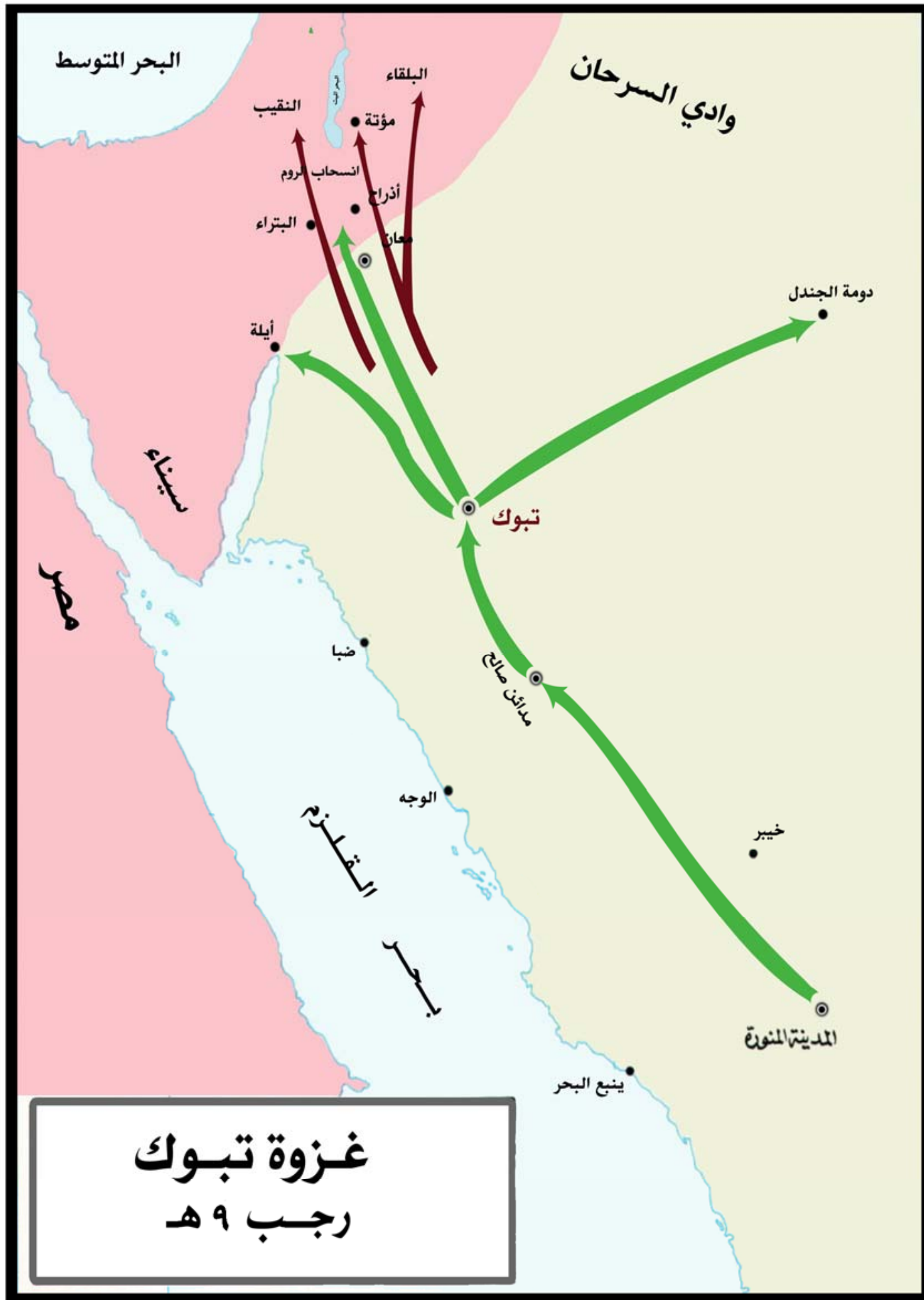
---

(1) الحاكم 3/ 51، **وقال**: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ودلائل النبوة للبيهقي 5/ 222، ومروج الذهب 2/ 339، والطبقات الكبرى 4/ 234، وابن هشام 4/ 167، والاكتفاء 2/ 276.

(2) **السيارة**: القافلة، والقوم يسيرون.

(3) ابن هشام 4/ 169، والاكتفاء 2/ 278، والبداية والنهاية 5/ 21.

(4) البداية والنهاية 5/ 21، والواقدي 3/ 1032، ودلائل البيهقي 5/ 247، **وفيها**: مائة دينار في رجب وافية طيبة.


البحر المتوسط
وادي السرحان
البلقاء
النقيب
مؤتة
انسحاب الروم
أذراح
البتراء
معان
دومة الجندل
أيلة
سيناء
تبوك
مصر
ضبا
مدائن صالح
الوجه
خيبر
بحر القلزم
المدينة المنورة
ينبع البحر
غزوة تبوك
رجب ٩ هـ

83- سرية دُومة الجندل[1]:

أرسل ﷺ خالد بن الوليد في أربعمائة وعشرين فارسًا إلى أُكَيْدِرَ من كندة، **وكان** مَلِكًا على دومة الجندل نَصْرَانِيًّا، **وقال** ﷺ لخالد: «إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ البَقَرَ»، **فخرج** خالد وكان في ليلة مقمرة، فوجده كذلك مع أخ له؛ **فقتلوا** الأخ، **وقدموا** بأكيدر على رسول الله ﷺ، ومعه ثمانمائة من السبي، وألف بعير، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح.

عودة الرسول ﷺ من تبوك:

لم يترك المنافقون وسيلة في إضعاف قوة المسلمين، وكسر شوكتهم إلا ارتكبوها؛ إرجافًا وتشكيكًا وتحذيرًا، **فَلَمَّا** لم تثمر جهودهم في كل محاولاتهم السابقة- **اضطروا** إلى طريقة رأوا فيها الخلاص الأكيد من هذه القوة التي تزحف لاكتساح العالم؛ **فحاولوا** أن يقتلوا رسول الله ﷺ عند عودته من تبوك، **ووضعوا** لذلك خطة ظنوا أنها تغيب عن ذهن صفي الله وخاتم رسله، وَفَاتَهُمْ أن الله يخبره ببعض الغيوب، **وكان** في نيتهم أن يباغتوا رسول الله ﷺ في عَقَبَةٍ على طريق العودة لِيُنَفِّرُوا به ناقته ويطرحوه في الأرض فتندق عنقه حسب تعبيرهم، وكانوا اثني عشر رجلًا مُلَثَّمِينَ، **فلما** وصل الجيش إلى تلك العقبة أرادوا أن يسلكوها مع النبي ﷺ **فقال** للناس: «اسْلُكُوا بَطْنَ الوَادِي فَإِنَّهُ أَسْهَلُ لَكُمْ وَأَوْسَعُ»، ونهاهم عن العقبة، فسلك الناس بطن الوادي، وسلك رسول الله ﷺ العقبة، **وأمر** عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام الناقة يقودها، **وأمر** حذيفة بن اليمان أن يسوقها من خلفه، **فبينما** هم كذلك إذ سمع رسول الله ﷺ حِسَّ القوم قد غشوه واقتربوا منه وهم يتخافتون، **فصاح** بهم

(1) ابن هشام 4/ 169. والاكتفاء 2/ 278. والبداية والنهاية 5/ 21، ودلائل النبوة للبيهقي 5/ 250، ودلائل أبي نعيم 2/ 526.

رسول الله ﷺ صيحة أرعبتهم، **وأمر** حذيفة أن يَضْرِبَ وجوه رواحلهم، وعَرَفُوا بأن رسول الله ﷺ قد علم بمكرهم ومؤامرتهم؛ فأسرعوا هاربين حتى خالطوا الناس فعرفهم حذيفة برواحلهم، وقال لرسول الله ﷺ: أَلَا تَبْعَثُ إِلَيْهِمْ لِتَقْتُلَهُمْ؟ فأجابه ﷺ: «أَكْرَهُ أَنْ يَقُولَ النَّاسُ: إِنَّهُ دَعَا أُنَاسًا مِنْ قَوْمِهِ وَأَصْحَابِهِ إِلَى دِينِهِ فَاسْتَجَابُوا لَهُ، فَقَاتَلَ بِهِمْ حَتَّى ظَهَرَ عَلَى عَدُوِّهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَتَلَهُمْ، وَلَكِنْ دَعْهُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَإِنَّ اللهَ لَهُمْ بِالمِرْصَادِ»(1).

أقام ﷺ بتبوكَ بِضْعَ عَشَرَةَ ليلة، **ولما** وجد الرومان غير راغبين في المواجهة، قد ملأت قُلُوبَهُمْ هَيْبَةُ الدولة الفتية قَفَلَ رَاجِعًا مُؤَيَّدًا مَنْصُورًا، **وبنى** في طريق عودته

---

(1) الواقدي 3/ 1042-1045، ومسلم 4/ 2143رقم 2779، ومسند أحمد 9/ 207رقم 23853، والطبراني في المعجم الأوسط9/ 26رقم3831، وفي الكبير3/ 165 ودلائل النبوة للبيهقي 5/ 256، وزاد المعاد 3/ 8، والدلائل لأبي نعيم ص 528 رقم 456، وسيرة سيد المرسلين 2/ 562، وسيرة ابن كثير 4/ 34، والبداية والنهاية 5/ 24وتاريخ الإسلام (المغازي) ص 648، والإمتاع 2/ 71. وهذه القصة ذكرها المفسرون عند قوله تعالى: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾[التوبة:74] منهم الزمخشري 2/ 277 والبيضاوي 4/ 345، وأبو السعود4/ 84، والقرطبي مج4/ 8/ 132، والرازي8/ 189. والواحدي في أسباب النزول ص 145 عن الضحاك مرسلًا، و ابن كثير في تفسيره 2/ 372. والطبرسي في مجمع البيان 5/ 91. **وقد روي** عن الباقر أنهم ثمانية من قريش، وأربعة **من العرب. روى الزمخشري أنه عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته إلى الوادي إذا تسنم العقبة بالليل، ولم يذكر أسماءهم، وَعَدَّدَ** أَسْمَاءَهُمْ ابن إسحاق فيما نقله عنه البيهقي في الدلائل،وهم: **(1)** عبدالله بن أُبي، واستشكله البيهقي، وظنه عبدالله بن سعد بن أبي السرح؛ لأن ابن إسحاق ذكر أن ابن أُبَيٍّ تخلف عن هذه الغزوة، **(2)** سعد بن أبي سرح، **(3)** أبو حاضر الأعرابي، **(4)** عامر ، **(5)** أبو عامر، **(6)** الجُلاس بن سويد بن الصامت، **وهو القائل**: لا ننتهي حتى نرمي محمدًا من العقبة الليلة، ولئن كان محمد وأصحابه خيرًا منا إنا إذًا لَغَنَمٌ وهو الراعي، ولا عقل لنا وهو العاقل، **(7)** مُجَمِّع بن جارية، **(8)**فليح التيمي، **وهو** الذي سرق طيب الكعبة، وارتد عن الإسلام، **(9)** حصن بن نمير، **(10)** طُعْمَةُ بن أُبَيْرِقٍ، **(11)** عبدالله بن عيينة، **(12)** مرة بن ربيع، **ومات** الاثنا عشر منافقين، محاربين لله تعالى ورسوله. **وقد** استشكل ابن القيم ما يلي: **1**- سعد بن أبي سرح لم يعرف له إسلام، **2**- أبو عامر الفاسق؛ لأنه هرب من النبي إلى مكة، ثم إلى الطائف، ثم إلى الشام ومات بها.

عدة مساجد، منها مسجد تبوك[1]، **ولما** رأى المدينة من بعيد **قال**: «هَذِهِ طَابَةُ، وَهَـذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»[2]، **وخرجت** النساء والصبيان وأهل الأعذار يتقدمهم علي عليه السلام لاستقبال النبي ﷺ وجيش العسرة، **وقد** واسى النبي ﷺ مَنْ تخلفوا مُرْغَمِينَ **فقال**: «إِنَّ فِي المَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»، **قالوا**: يا رسول الله وهم بالمدينة؟ **قال**: «وَهُمْ بالمدينةِ حَبَسَهُمُ العُذْرُ»[3].

المُخَلَّفُونَ: لما دخل ﷺ المدينة بدأ بالمسجد فصلى ركعتين، ثم جلس للناس، فجاء المُخَلَّفُونَ يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلًا فقبل منهم علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله.

المخلفون الثلاثة[4]: **قال** كعب بن مالك: جئت رسول الله ﷺ وسلمت عليه فَتَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الـمُغْضَبِ، وقال لي: ما خَلَّفَكَ؟ ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك؟ فقلت: بلى والله إني لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لخرجت من سخطه بعذر، ولقد أُعْطِيتُ جَدَلًا، ولئن كَذَبْتُ لِتَرْضَى عني لَيُوشِكَنَّ اللهُ أن يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، ولئن صَدَقْتُكَ وَوَجِدْتَ عَلَيَّ فإني لأرجو فيه عَفْوَ اللهِ عني، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك! فقال ﷺ: أَمَّا هذا فقد صدق؛ فَقُمْ حتى يقضي الله فيك؛ فقمت، وقال رجال من قومي بني سلمة: ألا اعتذرت إلى رسول الله ﷺ كما اعتذر غيرك واستغفر لك؟ فوالله ما زالوا بي حتى أردت أن أرجع فَأُكَذِّبَ نفسي، ثم قلت: هل لقي أحد غيري ما لقيت؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل مقالتك، وهما **مرارة** بن الربيع العامري، **وهلال** بن أمية الواقفي، فذكروا رجلين

---

(1) وفاء الوفاء 3/ 1029 عن ابن إسحاق، وأوصلها إلى عشرين مسجدًا.

(2) البخاري رقم 1411، 2736، 3187، ومسلم 2/ 993 رقم 1365.

(3) مسلم 3/ 1518 رقم 1911، والبيهقي 9/ 24 **بلفظ**: «حبسهم المرض».

(4) ابن هشام 4/ 175، وتاريخ الإسلام (المغازي) ص 651، وعيون الأثر 2/ 301.

صالحين فيهما أسوة، **ونهى** رسول الله ﷺ عن كلامنا نحن الثلاثة دون غيرنا؛ فاجْتَنَبَنَا الناسُ وتَغَيَّرُوا لنا حتى تَنَكَّرَتْ لي الأرض، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فقعدا في بيوتهما، وأما أنا فكنت أَشَبَّ القوم، وكنت أصلي مع رسول الله ﷺ وأطوف بالأسواق ولا يكلمني أحد، وأسلم على رسول الله ﷺ وهو في مجلسه فأقول في نفسي: هل حرَّك شفتيه برد السلام عَلَيَّ أم لا؟ ثم أصلي قريبًا منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلتُ على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني، **ولَـمَّا** طالت جفوة المسلمين، تَسَوَّرْتُ حائط أبي قتادة ابن عمي[1] وأحبِّ الناس إليَّ، فسلمت عليه فما رد عليَّ السلام؛ فقلت: أنشدك الله: هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فناشدته ثلاثًا، فقال: الله ورسوله أعلم؛ ففاضت عيناي، ثم غدوت إلى السوق فإذا نَبَطِيٌّ قدم بطعام من الشام يسأل عني فأشاروا إِلَيَّ، فدفع إِلَيَّ كتابًا من مَلِكِ غسَّان ملفوفًا في حرير مكتوبًا فيه: «بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدارِ هوان ولا مضيعة؛ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ»؛ **فقلت**: وهذا من البلاء، وقد بلغ بي ما وقَعْتُ فيه أَنْ طَمِعَ فِيَّ رجلٌ مشرك فأحرقته! **فلما** مضت أربعون ليلة إذا رسولٌ من عند النبي ﷺ يقول: اعتزل امرأتك، فقلت: أُطَلِّقُهَا؟ قال: لا، بل لا تَقْرَبْهَا، وأمر صاحبيَّ بمثل ذلك؛ **فقلتُ** لامرأتي: الحقي بأهلك حتى يقضي الله أمره، **قال**: وجاءت امرأة هلال بن أمية رسولَ الله ﷺ **فقالت**: إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له أَفَتَكْرَهُ أن أخدمه؟ **قال**: لا، ولكن لا يَقْرَبَنَّكِ، **قالت**: ما به من حركة إلي، وما زال يبكي إلى يومه هذا، ولقد تخوفت على بَصَرِهِ! **قال**: فلبثنا بعد ذلك عشر ليال، فَكَمُلَتْ خمسون ليلة من حين نُهِيَ المسلمون عن كلامنا، ولما صليتُ الصبح على ظهر بيتي - وقد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، وضاقت عليَّ نفسي- إذ سمعت صارخًا

(1) يلتقيان عند الجد السادس، وهو غَنْمُ بنُ كَعْبٍ.

يقول: يا كعب بن مالك أبشر، **قال**: فخررتُ ساجدًا وعرفتُ أن قد جاء الفرج، **قال**: وأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بتوبتنا حين صلَّى الفجر؛ فَأَقْبَلَ الناسُ يبشرونني، وبَشَّرُوا صَاحِبَيَّ، ونزعتُ ثَوبِي لرجلين بشراني، ما أملك غيره، واستعرت ثوبين، وانطلقتُ إلى رسول الله ﷺ في المسجد والناس حوله، فقام إلي طلحة وهَنَّأَنِي، ما قام من المهاجرين غيره فما أنساها له، **قال** كعب: فَسَلَّمْتُ على رسول الله ﷺ وَوَجْهُهُ يَبْرُقُ من السرور، **وقال**: أبشِر بخيرِ يوم مَرَّ عليك منذ ولدتك أمك، **قلت**: أَمِنْ عندك يا رسول الله أم من عند الله؟ **قال**: بل من عند الله، **قلت**: يا رسول الله إِنَّ من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، **قال**: أَمْسِكْ عليك بعض مالك فهو خير لك، **قال**: قلت: إني ممسك سهمي بخيبر، **وقلت**: إن الله نجَّاني بالصدق؛ فلا أُحَدِّثُ إلا صدقًا ما حييت، وما أعلم أحدًا من الناس أبلاه الله في الصدق أفضل مما أبلاني، وما تَعَمَّدْتُ من كَذْبَةٍ منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، **وإني** لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي، وأنزل الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[التوبة:117-119].

الدروس والعبر:

1 - أدرك عاهل الروم أنه أمام قوة جديدة يرعاها الله، وستملك ما تحت قدميه، والقتال معها مختلف عن قتال الكر والفر مع دولة فارس العظمى؛ **ولذلك** قرر أَلَّا يُغَالِبَ القَدَرَ، وأَلَّا يواجه الجيش الإسلامي وهو يتحداه في عُقْرِ داره، **وكأنه** بهذا

يُسَلِّمُ لرسول الله ﷺ مفتاح مملكته؛ فسرعان ما اكتسحها جيش محمد ﷺ من بعده بفترة وجيزة، **وهذا** من عجائب الزمان.

2- واجه المسلمون ابتلاء ومحنة حين دُعُوا للجهاد في ضيق وشدة وحر؛ ليقطعوا صحراء شاسعة، شديدة الحر؛ **وبهذا** الابتلاء ميَّز الله الصادقين.

3- ضرب النبي المثل الأعلى في حسن القيادة: صرامة ولين، حزم وتسامح.

4- تخلف المنافقون؛ لأنهم يذهبون للمغنم لا للمغرم، وذهب البعض لغرض.

5- برز دور المجتمع في التربية؛ فحين نهى النبي ﷺ عن كلام الثلاثة أصبح المخلفون الثلاثة كأنهم يعيشون في غير مجتمع المدينة، حتى ضاقت عليهم الأرض، **وهذا** هو المجتمع الصالح، وهو المسؤول الأول عن حراسة الفضيلة.

6- رُبَّ ضَارَّةٍ نَافِعَةٌ؛ فالمنافقون الذين أزعجهم بَقَاءُ عليٍّ كرم الله وجهه خَلِيفَةً لرسول الله ﷺ على المدينة، ونشروا إِشَاعَةَ أَنَّ النبي ﷺ استثقله - تَسَبَّبُوا في إظهار ما للإمام علي من قدر ومنزلة عند الله ورسوله ﷺ؛ **فقد** قلده أعلى وسام: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى»؟ أَلَيْسَ هَارُونُ هو الذي ابتهل من أجله موسى قائلًا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾[طه:25-36]؟ **وهاهو** النبي ﷺ يقول: كُلُّ مَزَايَا هارون لك يا علي ما عدا النبوة! وهل يُعْطَى موسى سُؤْلَهُ ويُمْنَعُ محمد ﷺ؟! وهل قَصَّرَ عَلِيٌّ عليه السلام في خدمة أخيه، وابن عمه، وصهره، ومربيه، ونبيه محمد ﷺ ولم يفعل ما فَعَلَ هارون في خدمة موسى وزيادة ؟ لا حاشاه لم يُقَصِرْ؛ فقد كان أطوعَ لرسول الله من البنان، وأحنى عليه من الجَنَانِ،

وكان يمر في طاعته كالسهم، و يمضي في خدمته كانْقِضَاضِ النَّجْمِ، ولله درُّ الإمام الصنعاني حيث يقول في تحفته:

يَـــا إِمَامًـــا سَـــبَقَ الخَلْـــقَ إِلى ... طَاعَـةِ الْــمُخْتَارِ مُـذْ كَـانَ صَـبِيّا
بَــاذِلًا لِلْــنَّفْسِ فِيْمَــا يَرْتَــضِي ... سَــيِّدُ الرُّسْــلِ صَــبَاحًا وَعَــشِيّا
فَرَقَـــى فِيْ مَكَّـــةَ أَكْتَافَـــهُ ... فَغَـــدَتْ أَصْـــنَامُهُمْ مِنْـــهُ جِثِيَّـــا
كَــادَ أَنْ يَلْمِــسَ أَفْــلاكَ الــسَّمَا ... وَتُلاقِـــي كَفُّـــهُ كَـــفَّ الثُّرَيَّـــا
وَفَــدَاهُ لَيْلَـــةً هَمَّـــتْ بِـــهِ ... فِتْيَـــةٌ تَابَعَـــتِ الــشَّيْخَ الْغَوِيَّـــا
بَـــاتَ فِيْ مَـــضْجِعِهِ حِـــينَ سَرَى ... يَـــا بِرُوحِـــي سَـــارِيًا كَـــانَ سَرِيَّـــا
خَــابَ مَــا رَامُــوا وَهَــبَّ الْمُرْتَــضَى ... وَنَجَــا الْمُخْتَــارُ يَطْــوِي الْبِيْــدَ طَيَّــا
وَالأَمَانَـــــــاتُ إِلَى أَرْبَابِهَـــــــا ... عَنْـــهُ أَدَّاهَـــا وَوَافَـــاهُ بَرِيَّـــا
كَــانَ سَــهْمًا نَافِــذًا حَيْــثُ مَــضَى ... وَعَــلَى الأَعْــدَاءِ سَــيْفًا مَــشْرَفِيّا

ثم إِنَّ عَلِيًّا كشاشة الرادار يكشف أسراب المنافقين؛ «فَلاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُ إِلاَّ مُنَافِقٌ»[1]، وهذا ثابت بالتجربة إلى الآن؛ فهؤلاء أذناب الصهاينة والصليبيين يشنون الغارات هذه الأيام ضد الشيعة، ومع تحفظي على بعض معتقدات الاثني عشرية، إلا أن الحق يُقال، فإنهم وقفوا بإباءٍ أمام الغطرسة الصهيونية، والكبرياء الغربي، وساندوا بقوة مقاومة الأبطال في لبنان و فلسطين، وأفشلوا كثيرًا من مخططات أمريكا و إسرائيل في الشرق الأوسط.

---

(1) مسلم 1/ 76. والمرشد بالله 1/ 135. وابن حجر في الإصابة 2/ 53. والاستيعاب 3/ 503. ومصنف ابن أبي شيبة 6/ 365 رقم 3206. وتذكرة الحفاظ للذهبي 1/ 10. وأحمد ابن حنبل 1/ 183 رقم 642. وفتح الباري 1/ 63. والبداية والنهاية 7/ 391. والنسائي 8/ 116 رقم 5019 . وتأريخ بغداد 8/ 417. والترمذي 5/ 594 رقم 3717.

7- استخلافُ عليٍّ ﷺ -وهو شخصية قوية بحجم شخصية رسـول الله ﷺ مـا عدا النبوة- ضَرُوْرَةٌ يُحَتِّمُهَا بُعْدُ الشُّقَّةِ، وذَهَابُ الرسول ﷺ بالقوة المقاتلـة كلهـا ؛ فيحتاج الرسولُ ﷺ خليفةً في المدينة صاحبَ هيبة، وقوة، وشجاعة، وبراعة توازي الجيش كُلَّهُ، **وقد** فطن المنافقون لهذا فحـاولوا اسـتثارته لِتَخْلُـوَ المدينـةُ لدسائـسهم ومكرهم؛ فأخبره النبيُّ ﷺ بأنه بمثابة نفسه، وأن المدينةَ محتاجةٌ له .

8- أرادَ النبي ﷺ أن تكونَ العَلَاقَةُ بين الإسلام والنصرانية قائمـة عـلى أسـاس يَكْفُلُ الحريةَ للديانتين، ويظهر ذلك من المصالحة التي عقدها النبي ﷺ مع أهل أَيْلَةَ (العقبة)، وجرباءَ، وأذرعَ، وَدُومَةَ الجندل.

9- أبرزتِ الغزوةُ عالميةَ دعوةِ رسولِ اللهِ ﷺ، وأنه بنفـسه لا بغـيره قـاد الجـيش ليفتح الطريقَ لِعَالَمِيَّةِ الإسلامِ فِعْلًا.

10- لم يعتمدْ فقط عـلى الـوحي؛ فهـو مُتَعَبِّـدٌ بالحِيْطَـةِ واليقظـةِ، ولا سِـيَّما إزاء مؤامرات الداخل؛ فاكتشف بسهولة أولئك النفر الذين حاولوا أن يُبَيِّتُـوهُ بالعقبـة، فأوقعهم في فخ الخزي، وحقر إليهم أنفسهم حين مشى باثنين معه، فلما صرخ فـيهم فروا كالثعالب، ثم لقَّنَ الدنيا فَنَّ التغاضي عن السَّفَلَة.

11- تحريقُ بيتِ المثبطين من أحزم التصرفات في مثل هذه الحالة.

12- ما أجملَ تعبيرَ النبي ﷺ عنْ مـشاعرِ الحـبّ للإنـسان والمكـان والحيـوان!: «هَذِهِ طَابَةُ»! «هَذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»! إنه تعبير عن حبـه ﷺ لأنـصاره ومحبيـه الذين فتحوا قلوبهم وبيوتهم وعقولهم وصار الرَّسُولُ عندهم أغلى من مُهَجِهِمْ.

13- بقدر ما يختزنه نبيُّ الله من رحمةٍ عَمَّتِ البشرَ والحيـوانَ والحجـرَ والـشجرَ، **فإنه** بجوار ذلك في غاية الحزم و القوة؛ فعندما كان يتأخر أَحَدُ رجالـه ولـو بحجـم أبي ذر رضوان الله عليه، **يقول** بصرامة: إنْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيَلْحَقُ.

مسجد الضرار[1]:

أتى النبيَّ ﷺ جماعةٌ من المنافقين من أهل قُبَاءَ وهو يتجهز إلى تبوك، فقالوا له: **إنا** قد بنينا مسجدًا لِذِي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية، **وإنا** نحب أن تأتينا فتصليَ لنا فيه، فاعتذر بسفره، ووعَدَهُمْ بالصلاة فيه عند رجوعه، **وكان** المسجد في الحقيقة وَكْرًا للمنافقين، يعيبون فيه رسول الله ﷺ، ويستهزئون بالمسلمين، ويُضَاهُونَ مسجد قباء، **وَلَمَّا** رجع النبيُّ ﷺ وَهَمَّ بالذهاب للصلاة في مسجدهم **نزل** قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة:107-108]؛ **فأرسل** نفرًا من أصحابه وأمرهم بهدمه، وإحراقه، وأن يُتَّخَذَ مَوْضِعُهُ كُنَاسَةً للجيف والقمامة.

الدروس والعبر:

1- عَجَبًا من المنافقين وإتقانهم لفنون الخداع! فهاهم يبنون مسجدًا **ظاهره** للعبادة، والذِّكْرِ، والأذان، **وباطنه** المؤامرة والكيد للإسلام، **وهذا** الأسلوب من أخطر الأسلحة فتكًا، وأَشَدِّهَا إيلامًا، **فلولا** أن الوحي كشفهم لأَمْرَضُوا مجتمع قباء، ومزقوا أوصاله، فكان الوحيُ الذي كشفهم في هذه الواقعة ضرورةً لا بد منها؛ لأن ظاهرهم الذي أُمِرَ النبيُّ ﷺ باحترامه قد أضمر غدرًا ومؤامرة خطرة.

2- على المؤمن الفطن أن يتعظ بهذا فلا يَنْخَدِعَ لكلمة حق إذا أريد بها باطل؛ فالمنافقون يجيدون دسَّ السُّمِّ في العسل، وهم في الوجه مِرْآةٌ، وفي القفا مقص.

---

(1) ابن هشام 4/ 174، وتفسير الطبري 11/ 31، وأسباب النزول 219، ومحمد رسول الله ص340.

3- الإسلام - وإن كان يتعامل بالظاهر، ويَكِلُ إلى الله السرائر - إلا أن النبي ﷺ يقول: «الـمُؤمنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ»(1)، و«لاَ يُلْدَغُ الْمُؤمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ»(2)؛ **وكم** ابْتُلِيَ المسلمون بالمظاهر الخداعة، والأقنعة المزيفة، **قال** ﷺ: «**إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلاَ مُشْرِكًا، أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ الْجَنَانِ، عَالِمِ اللِّسَانِ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ، وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ**»(3).

4- كل مسجد بُنِيَ مُبَاهَاةً أو رِيَاءً أو سُمْعَةً أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب؛ **فهو** لاحق بمسجد الضرار، ذكره الزمخشري [الكشاف 2/ 310]، **ثم** إني أُنَبِّهُ إلى أن أكثر وسائل الخداع فتكًا هي الوسائل الدينية، كالمصحف الذي رفعه معاوية وعمرو بن العاص و أهل الشام في وجه الإمام عليٍّ؛ مستنجدين به من هزيمة ماحقة، داعين لتحكيمه؛ فانخدع به أصحابُ عليٍّ، ولم ينتفعوا **بقول** الإمام مُحَذِّرًا: كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ، **و قد** أعاد الإمام نفسَ الكلمة أمام نداء الخوارج: لا حُكْمَ إلا لله؛ **إنَّهُ** الطلاء الإسلامي المخادع في أي صورة كانت: وراء مصحف، أو تحت سقف مسجد، أو لحية، أو مسواكٍ ، أو دموع ، أو صلاة ، أو كفالة أيتام ، أو جمعية خيرية ... إلخ .

وفد ثَقيف وإسلامها (في رمضان سنة تسع هـ)(4):

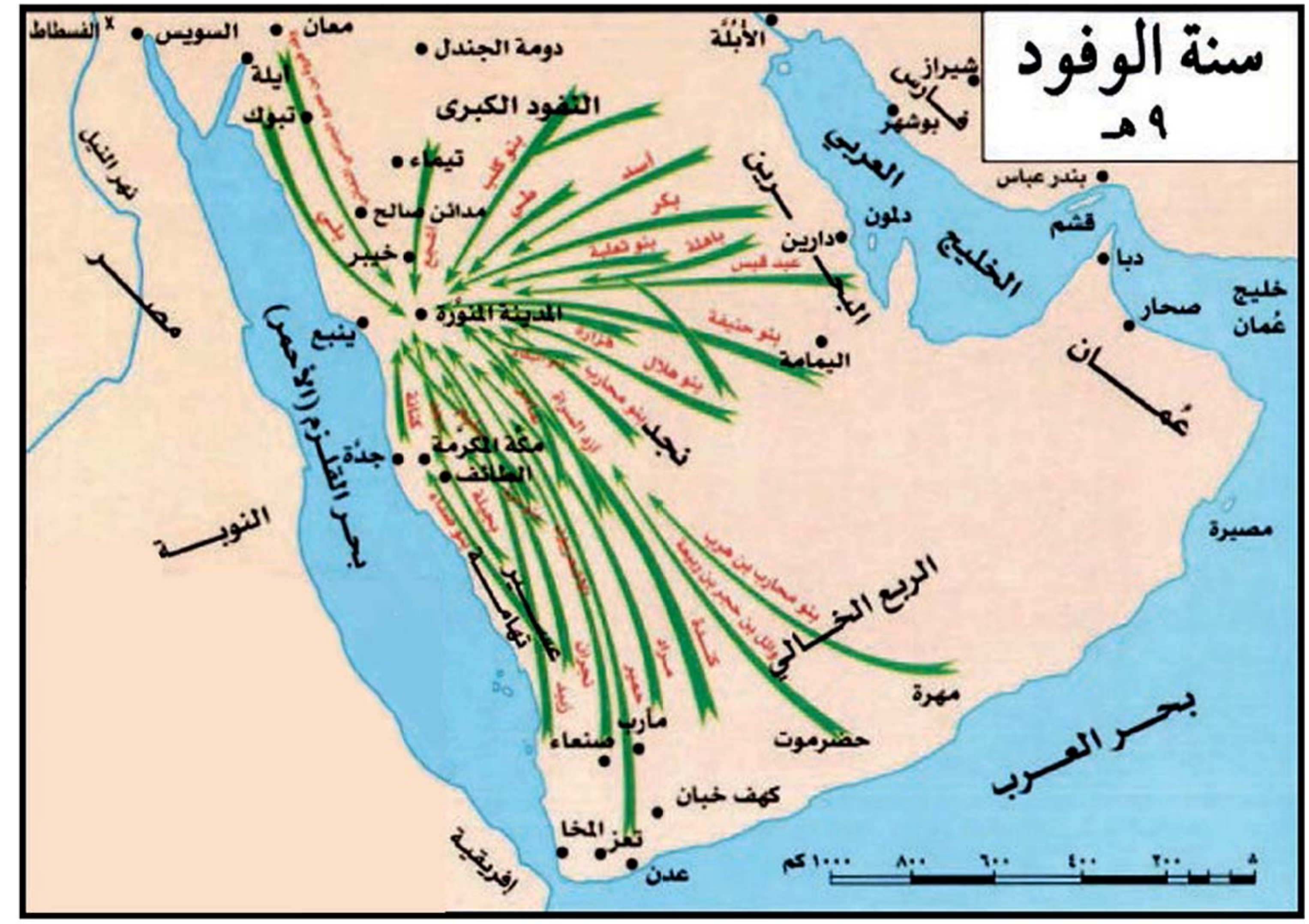
قال ابن إسحاق: قدم على رسول الله ﷺ وَفْدُ ثقيف(5) بعد رجوعه من تبوك، **وكان** من حديثهم أن رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم تبعه عروة بن مسعود الثقفي فأسلم وأحب أن يرجع إلى قومه بالإسلام، **فقال** له ﷺ: «إِنَّهُمْ قَاتِلُوكَ»؛ لأن فيهم

(1) الديلمي في مسند الفردوس 4/ 175 رقم 5544.
(2) البخاري 5/ 2271 رقم 5782، ومسلم 4/ 2295 رقم 2998.
(3) الطبراني في المعجم الأوسط 7/ 128 رقم 8065، ونهج البلاغة 565، ونحوه: كنز العمال 10/ 270 وعزاه إلى العسكري في المواعظ.
(4) الطبري 3/ 96، وعيون الأثر 2/ 306، وتاريخ الإسلام (المغازي) ص 667.
(5) **وذكر** ابن كثير عن ابن عقبة: أن وفد ثقيف كانوا بضعة عشر رجلًا.

نخوة الامتناع، **فقال عروة**: أنا أحب إليهم من أبكارهم[1]، **وكان** فيهم **مُحَبَّبًا** مُطَاعًا؛ **فخرج** إليهم داعيًا للإسلام، راجيًا أَلَّا يخالفوه؛ لمنزلته فيهم، **فلما** دعاهم وأظهر لهم دينه قتلوه، **فقيل** لعروة قبل موته: ما ترى في دمك؟ قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس فِيَّ إلا ما في الشهداء الذين قُتِلُوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم؛ فادفنوني معهم، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال فيه: «إِنَّ مَثَلَهُ فِي قَوْمِهِ كَمَثَلِ صَاحِبِ يس فِي قَوْمِهِ»، **ثم** أقامت ثقيف بعد قتله أشهرًا فرأوا أنه لا طاقة لهم بِحَرْبِ مَنْ حولهم من العرب، **وقد** بايعوا وأسلموا؛ فأرادوا إرسال عَبْدِ يَالِيْلَ بن عمرو، فأبى وخشي أن يُصْنَعَ به ما صُنِعَ بعروة، فقال: لَسْتُ فَاعِلًا حتى تُرْسِلُوا معي رجالًا؛ فبعثوا معه ستة اختارهم هو، **فقدموا** على رسول الله ﷺ فأنزلهم المسجد، **وطلبوا** أن يَدَعَ لهم صنمهم اللَّاتَ ثلاث سنين فأبى، **حتى سألوه** إبقاءها شهرًا كَرَاهَةَ أن يُرَوِّعُوا قومهم بهدمها حتى يَدْخُلَهُمْ الإسلام فأبى، **وسألوه** أن يُعْفِيَهُمْ من الصلاة، وأَلَّا يكسروا أوثانهم بأيديهم فأعفاهم من كسرها، **وأما** الصلاة فقال: «لاَ خَيْرَ فِي دِينٍ لَا رُكُوعَ فِيهِ»[2]؛ فقالوا: يا محمد، فَسَنُؤْتِيكَهَا وإن كانت دَنَاءَةً! فَأَسْلَمُوا، **وأَمَّرَ** عليهم عثمان بن أبي العاص، **وكان** من أحدثهم سِنًّا، **وذلك** أنه كان أَحْرَصَهُمْ على التَّفَقُّهِ في الإسلام وتَعَلُّمِ القرآن[3]، **وبعث** رسول الله ﷺ أبا سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة لهدم اللاتِ صنمِ ثقيف، فهدماه.

---

(1) قال ابن هشام 4/ 182: (ويقال: من أبصارهم).
(2) مسند أحمد 6/ 271 رقم 17934، والطبراني في الكبير 9/ 54 رقم 8389.
(3) ابن هشام 4/ 185، والبداية والنهاية 5/ 35.



سنة الوفود
٩ هـ
الفسطاط
السويس
معان
أيلة
تبوك
دومة الجندل
النفود الكبرى
تيماء
مدائن صالح
خيبر
المدينة المنورة
ينبع
مكة المكرمة
جدة
الطائف
نجد
نهر النيل
مصر
النوبة
بحر القلزم (الأحمر)
تهامة
عسير
الأبلة
شيراز
فارس
بوشهر
الخليج العربي
البحرين
دارين
دلمون
بندر عباس
قشم
دبا
صحار
خليج عُمان
اليمامة
عُمان
مصيرة
الربع الخالي
مهرة
حضرموت
مارب
صنعاء
كهف خبان
المخا
تعز
عدن
بحر العرب
إفريقية
١٠٠٠ كم
٨٠٠
٦٠٠
٤٠٠
٢٠٠
٠

سنة تِسْعٍ وتُسَمَّى بسنة الوفود(1):

قال ابن إسحاق: لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمتْ ثقيف وبايعتْ - **ضَرَبَتْ** إليه وفود العرب من كل وجه؛ **وإنما** كانت العرب تتربصُ بالإسلام أَمْرَ هذا الحَيِّ من قريش؛ لأنهم قادة العرب، وخلاصة ولد إسماعيل، وقد تصدوا لحرب الرسول ﷺ، **فلما** افتتحت مكةُ ودانتْ له قريشٌ ودوَّخها الإسلام وذللها وأخضعها **عَرَفَتِ** العربُ أنه لا طَاقَةَ لهم بحربِ رسولِ الله ﷺ ولا عداوته فدخلوا في دين الله أفواجًا، كما قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾[النصر].

وهذه خلاصة مَنْ جاء من الوفود بعد وفد ثقيف، **فقد** وَفَدَ كُلٌّ مِنْ: تميمٍ، وعَبْسٍ، وفَزارةَ، وَمُرَّةَ، وثَعْلَبَةَ، ومُحارِبٍ، وبني سعدِ بن بكر، و كِلابٍ، ورُؤاسٍ، وعُقَيلٍ، ولَقِيطٍ، وَجَعْدَةَ، وقُشَيرٍ، وبني البَكَّاءِ، وكِنَانَةَ، وعبدِ بن عَدِيٍّ، وباهِلَةَ، وَأشجَعَ، وسُلَيمٍ، وهلالِ بن عامرٍ، **وَوَفَدَ** قَدَدُ بْنُ عمارٍ فأسلم وعاهد النبي على أن يأتي بألف من بني سليم، فخرج معه منهم تسعمائة، **وقيل**: ألف، **وقيل**: سبعمائة، فمات في الطريق، فسألهم النبي عنه فأخبروه أنه مات؛ فأثنى عليه. [الإصابة 3/ 221]، وعامرِ بن صَعْصَعَةَ، وعَبدِ القَيسِ، وبكرِ بن وائلٍ، وتَغلبَ، وحَنِيفةَ، وطَيِّءٍ، وتُجِيبَ، وخَولانَ، وجُعْفِيٍّ، ومُرادٍ، وزُبيدٍ، وكِنْدَةَ، والصَّدِفِ، وخُشَينٍ، وسعدِ هُذَيمٍ، وبَلِيٍّ، وبَهْرَاءَ، وعُذْرَةَ، وسَلَامانَ، وجُهَينَةَ، وكلبٍ، وجَرْمٍ، وبني أسدٍ، وغَسَّانَ، والحارثِ بن كعبٍ، وهَمدانَ، وسعدِ العشيرةِ، وعَنْسٍ، والداريين الرهاويين حي من مذحج، وغَامِدٍ، والنَّخَعِ،

---

(1) ابن هشام 4/ 205، وابن سعد 1/ 291، والسبل 6/ 398، وفتح الباري 7/ 684، ومغلطاي ص 341، وعيون الأثر 2/ 312، وتاريخ اليعقوبي 1/ 400.

وبَجِيلَـةَ، وخَـثْعَمٍ، وحـضرموتَ، وأَزْدِ عُمَـانَ، وَغَـافِقٍ، وَبَـارِقٍ، ودَوْسٍ، وثُمَالَـةَ، والحُدَّانِ، وأَسْلَمَ، وجُذامٍ، ومَهَرَةَ، وحِمْيَرٍ، ونَجْرَانَ، وَجَيْشَانَ. **وسنلتقط** وقائع لبعض الوفود، **وقد** تقدمت قصة بني تميم، وعدي بن حاتم.

وفد بني عامر(1):

قدموا على النبي ﷺ وفيهم عامر بن الطفيل، وأَرْبَدُ بن قيس، وجَبَّارُ بن سلمى، وهم رؤساء القوم وشياطينهم، **فأراد** عامر أن يغدر بالرسول ﷺ، **وقد** قال له قومه: إن الناس قد أسلموا فَأَسْلِمْ، قال: آلَيْتُ أَلَّا أنتهي حتى تتبع العربُ عَقِبي، أفأتبع عَقِبَ هذا الفتى من قريش؟ **ثم** قال لأربد: إذا قدمنا على الرجل فإني سَأَشْغَلُ عنك وَجْهَهُ، فإذا فعلتُ ذلك فَاعْلُهُ بالسيف، **فلما** قدموا قال عامر: يا محمد، خَالِنِي(2) قال: «لاَ واللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللهِ وَحْدَهُ»، قال: يا محمد، خَالِنِي، وجعل يكلمه وهو ينتظر من أربد ما كان أَمَرَهُ به؛ فجعل أَرْبَدُ لا يُحِيرُ شيئًا[أي لا يرد جوابًا]، **فلما** رأى عامر ما يصنع أربد قال: يا محمد خَالِنِي، قال: «لَا وَاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، **فلما** أبى عليه رسول الله ﷺ قال: أما والله لأملأنها عليك خيلًا ورجالًا، **فلما** وَلَّى قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ»(3)، فلما خرجوا قال عامر: ويلك يا أربد، أين ما كنتُ أمرتُك به؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوفُ عندي على نفسي منك، وايْمُ اللهِ لاَ أَخَافُكَ بَعْدَ اليوم أَبَدًا، قال: لا أَبَالَكَ لا تعجل عَلَيَّ، فكلما هممت أن أضربه دَخَلْتَ بيني وبينه أفأضربُكَ

---

(1) ابن هشام 4/ 213، وابن سعد 1/ 310، ودلائل النبوة 5/ 3118، وابن كثير 5/ 69، وتاريخ الإسلام (المغازي) ص 678.

(2) **خَالِنِي**: يروى بكسر اللام مخففة، وبتشديدها مكسورة، **فالأول** معناه: تفرد لي خاليًا حتى أحدثك على انفراد، **والثاني** معناه: اتخذني خليلًا، من المخاللة، وهي الصداقة.

(3) ابن كثير 5/ 69، وانظر في عامر بن الطفيل: دلائل النبوة 5/ 318، وابن سعد 1/ 310.

بالسيف؟ **وفي** الطريق ضرب الله جل وعلا عامرًا بالطاعون في عُنُقِهِ فقتله في بيت امرأة من بني سلول؛ فجعل يقول: يا بني عامر، أَغُدَّةٌ كَغُدَّةِ[1] البَكْرِ في بيت امرأةٍ من بني سلول؟ فَدَسَّهُ أصحابه في التراب وقدموا على قومهم فقالوا: ما وراءك يا أربَدُ؟ قال: لا شيء، والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لَودِدْتُ أنه عندي الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما.

وفد بني حَنيفة ومعهم مُسَيْلِمَةُ الكذاب:

أسلم الوفد وأعطاهم رسول الله ﷺ، **فذكروا** أنهم خَلَّفُوا مُسَيْلِمَةَ في رحالهم؛ فأمرَ له رسولُ الله ﷺ بمثلِ ما أمرَ به للقوم، **وقال**: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا»؛ أي لحفظه ضَيْعَةَ أصحابه، فأخبروا مسيلمة بما قال وأعطوه ما أعطاه، **فلما** انتهوا إلى اليمامة ارتدَّ عدوُّ الله وَتَنَبَّأَ وَتَكَذَّبَ لهم، **وقال**: إني أُشْرِكْتُ في الأمر معه، **وشهد** له الرَّحَّالُ بْنُ عُنْفُوَةَ فافتتن الناس به، **وقال** لوفده الذين كانوا معه: ألم يقل لكم حين ذكرتموني له: «أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِشَرِّكُمْ مَكَانًا؟ مَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا كَانَ يَعْلَمُ أَنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ فِي الأَمْرِ مَعَهُ، **ثم** جَعَلَ يَسْجَعُ لَهُمُ الأَسَاجِيعَ، **ويقول** لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن: لقد أنعم الله على الحُبْلَى، أَخْرَجَ منها نَسَمَةً تَسْعَى، من بين صِفَاقٍ وحَشَى[2]. وأَحَلَّ لهم الخمرَ، والزنى، ووضع عنهم الصلاة، وهو مع ذلك يَشْهَدُ لرسول الله ﷺ واجتمعوا عليه بأنه نبي[3].

---

(1) **الغدة**: داء يصيب البعير في حلقه فيموت منه، وكأنه ورم خبيث، **والبَكْرُ بالفتح**: الفتي من الإبل. **وسَلُولُ**: قوم يصفهم العرب باللؤم والدناءة، **وقال السموءل**:

وَإِنَّا أُنَاسٌ لا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً ... إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ

(2) **الصِّفَاقُ**: ما رَقَّ من البطن. **والحشى**: ظاهر البطن، وهو الحضن. **وقيل**: ما بين آخر الأضلاع إلى رأس الورك. **وقال الجوهري**: ما اضطمت عليه الضلوع. اللسان 14/ 187

(3) تأريخ الطبري 3/ 137، وسيرة ابن هشام 4/ 222، والاكتفاء 2/ 371، وطبقات ابن سعد 1/ 316، وعيون الأثر 2/ 315.

قُدُومُ فَرْوةَ بن مُسيَكٍ المُرَاديِّ[1]:

قدم فَرْوَةُ مُفَارِقًا لملوكِ كِندة ومباعدًا لهم إلى رسول الله ﷺ، **وكان** قُبيل الإسلام بين مُرَادٍ وهَمدانَ وقعةٌ أصابت فيها همدانُ من مرادٍ ما أرادوا حتى أثخنوهم -أي أكثروا فيهم القتل- في يوم يقال له الرَّدْمُ، **فلما** انتهى إلى رسول الله ﷺ **قال له**: يَا فَرْوَةُ هَلْ سَاءَكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَ الرَّدْمِ؟ **قال**: مَنْ ذَا يُصِيبُ قَوْمَه مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرَّدْمِ لَا يَسُوءُهُ ذلك؟ **فقال** ﷺ: «أَمَا إِنَّ ذلك لم يَزِدْ قَوْمَكَ في الإسلام إِلاَّ خَيْرًا»، **واستعمله** على مُرَادَ، وزُبَيْدَ، ومَذْحَجَ كُلِّهَا، **وبعث** معه خَالَدَ بنَ سعيد بن العاصِ على الصَّدَقةِ، فكان معه في بلادهِ حتى توفي رسولُ الله ﷺ .

وفد زبيد وكندة: قدم عمرو بن معدِيكَرِبَ مع وفد زبيد فأسلم، **ثم** ارتد، **ثم** أسلم، **وشهد** صِفِّيْنَ مع معاوية وقُتِلَ فيها. **وقدم** الأشعث بن قيس في ثمانين رجلًا من وفد كندة لابسين الحرير؛ فأمرهم بشقه وأسلموا[2] .

وفد الأَزْدِ[3]: **وَفَدَ** على رسول الله ﷺ صُرَدُ بْنُ عبدالله الأزدي في بضعة عشر رجلًا من قومه فأسلم وحَسُنَ إسلامُه، **فَأَمَّرَهُ** ﷺ على من أسلم من قَوْمِهِ، وأمره أن يجاهد بمن أَسْلَمَ من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن، **فخرج** حتى نزل بِجُرَشَ، مدينة مغلقة، وبها قبائل من اليمن، وانْضَوَتْ إليهم خَثْعَمُ، فدخلوها معهم حين سمعوا بمسير المسلمين إليهم، فحاصروهم فيها قرابة شهر، **ثم** رجع عنهم حتى إذا كان بجبل يقال له: شَكَرُ[4]، ظَنَّ أَهْلُ جُرَشَ أنه إنما ولى عنهم

---

(1) الطبري 3/ 134، وعيون الأثر 2/ 321، وتاريخ الإسلام المغازي ص 689، وابن هشام 4/ 228.

(2) تاريخ الطبري 3/ 132، وطبقات ابن سعد 1/ 228، وسيرة ابن هشام 4/ 230، والاكتفاء 2/ 329، وعيون الأثر 2/ 323.

(3) الطبري3/ 130، وتاريخ الإسلام (المغازي) ص 689، وابن هشام 4/ 233،وطبقات ابن سعد 1/ 337.

(4) جبل باليمن قريب من جرش. **وجرش** مدينة عظيمة كانت قائمة إلى القرن الرابع، توجد آثارها اليوم =

منهزمًا، فخرجوا في طلبه حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلًا ذريعًا، **وقد** كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران، **فبينما** هما عند رسول الله ﷺ عَشِيَّةً بعد صلاة العصر؛ إذ قال رسول الله ﷺ: بِأَيِّ بِلَادِ اللهِ شَكَرُ؟ فقال الجرشيان: ببلادنا جبل يقال له كَشَرَ- **وكذلك** يسميه أهل جُرَش فقال: «إِنَّهُ لَيْسَ بِكَشَرَ وَلِكِنَّهُ شَكَرُ»، **قالا**: فما شأنه؟ قال: إِنَّ بُدُنَ اللهِ لَتُنْحَرُ عِنْدَهُ الآنَ؛ فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان، **فقال** لهما: ويحكما إن رسول الله ﷺ الآن لَيَنْعَى لكما قومكما، فقوما إليه فَاسْأَلَاهُ أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما، فسألاه، **فقال**: «اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنْهُمْ»، فرجعا ووجدا قومهما قد أُصِيبُوا يومَ أصابهم صُرَدُ بن عبدالله في اليوم الذي قال فيه رسول الله ﷺ ما قال، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر، **فقدم** وفد جرش على رسول الله ﷺ، فأسلموا وحَمَى لهم حِمًى حول قريتهم على أعلام معلومة؛ للفَرَسِ، والراحلةِ وهي واحدة الإبل، وللمُثِيْرَةِ وهي بقرة الحرث، **فمن** رعاه من الناس فَمَالُهُ سُحْتٌ[1].

وَافِدُ حمير: في رمضان، وقيل: عند مقدم النبي ﷺ من تبوك:

قدم على رسول الله ﷺ رسول ملوك حمير بكتابهم وبإسلامهم، فكتب إليهم رسول الله ﷺ كتابًا اشتمل على: مقادير الزكاة، والجزية، والواجب عليهم من المغنم، **وأرسل** معاذ بن جبل، وعبدالله بن قيس أبا موسى لجمع الجزية والصدقة[2].

قرب خميس مشيط والجبل، وجرش شرقي أبها إلى الشمال. معالم الجغرافيا الواردة في السيرة النبوية ص 82، ومعجم البلدان 3/ 357.

(1) **السحت**: كل حرام قبيح الذِّكْرِ، وهو الحرام الذي لا يحل كسبه ؛ لأنه يسحت البركة ، أي يُذْهِبُهَا . لسان العرب 2/ 41.

(2) الطبري 3/ 120، وابن هشام 4/ 235، وابن كثير 5/ 88، وابن سعد 1/ 264، وعيون الأثر 2/ 325، وتاريخ الإسلام (المغازي) ص 690.

وصية الرسول ﷺ لمعاذ[1]:

أَوْصَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مُعَاذًا وَأَبَا مُوسَى حين بعثهما إلى اليمن كُلًّا منهما على مخلاف: معاذ على مخلاف الجَنَدِ وَعَدَنَ، **وله** مسجد في الجند قائم إلى اليوم، وأبو موسى على ناحية زبيد وتهامة، **فقال** لهما: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا»[2]، **واستفتى** أبو موسى رسول الله عن نبيذ العسل، والذرة، والشعير، فقال: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»[3]، **وقال** لمعاذ: إنك ستأتي قومًا أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله؛ **فإن** أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، **فإن** أطاعوا لذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وتُرَدُّ في فقراءهم، **فإن** أطاعوا لك بذلك فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ[4]. **وقد** نقل في المشهور أن النبي ﷺ **قال** له: «بِمَ تَقْضِي إِنْ عَرَضَ قَضَاءٌ»؟ **قال**: بكتاب الله، **قال**: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ»؟ **قال**: بسنة رسول الله، **قال**: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ»؟ **قال**: أجتهد رأيي ولا آلو، **فقال**: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ رَسُولِهِ لِمَا يُرْضِي اللهَ وَرَسُولَهُ»[5]. **وقد** مكث معاذ في اليمن حتى توفي رسول الله، **أما** أبو موسى فقدم في حجة الوداع.

العبرة والعظة: 1- زعم بعض المخذولين من اليمنيين في عصرنا أن الأسود العنسي إنما ثار ضد الظلم الاجتماعي الذي لحق باليمنيين من عُمَّالِ رسول الله ﷺ - زاعما أن زكاة اليمنيين تجبى إلى المدينة، **وقد** سَوَّدَ اللهُ وجوههم بأمر الرسول لمعاذ

---

(1) **وقيل**: إن معاذًا لم يكن واليًا بل مرشدًا متنقلًا في أعمال الوُلَاةِ.
(2) البخاري 3/ 1104 رقم 2873، ومسلم 3/ 1359 رقم 1733.
(3) البخاري 6/ 2624 رقم 6751، ومسلم 3/ 1586 رقم 1733.
(4) البخاري رقم 4086، 4088، و4090، وابن هشام 4/ 237.
(5) الطبقات 2/ 347، والسبل 5/ 350، وشفاء الأوام 3/ 283.

ولكل عماله أن يأخذوها من الأغنياء في اليمن، ويردوها في الفقراء في اليمن.

2- حَدِيثُ مُعَاذٍ دليلٌ على ترتيب العمل بالأدلة: القرآن، ثم السنة، **ودل** على أن الاجتهادَ أَمْرٌ لابد منه فيما لا نص فيه؛ لأنَّ الدين الخالد لابد له من هذه القواعد الثابتة لمواجهة ما يستجد من قضايا، **وقد** تَبَلَّدَتِ الأمة حين أغلقت باب الاجتهاد في القرن الثالث الهجري، **ويُحْمَدُ** للمذهب الزيدي فَتْحُ بَابِ الاجتهاد، وإيجابه على القادر عليه.

3- **تأكيدُ** الرسول ﷺ على التيسير والرفق بالناس، والتحذير من الظلم، وبَيَّنَ أن دعوة المظلوم لا تُرَدُّ ولو لم يكن مسلما، **كل** ذلك **بُرْهَانٌ** على أنه ﷺ رحمة للعالمين.

84- سرية خالد بن الوليد ووفد بني الحارث بن كعب[1]

بعثه ﷺ في ربيع الآخر، أو جمادى الأولى سنة عشر إلى بني الحارث بنجران، **وأمره** أن يدعوهم ثلاثًا إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم، **فلما** قدم عليهم بعث الركبان في كل وجه يدعون إلى الإسلام؛ فأسلم الناس، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام؛ فأخبر النبي ﷺ بذلك؛ فأمره بالقدوم فقدم مع وفد بني الحارث.

حوار الرسول مع الوفد: هذا الوفد أهل عز وَمَنَعَةٍ فَهُمْ بنو عبدالمدان الذين يضرب بعزهم المثل، **فلما** قدموا **قال** رسول الله ﷺ: مَنِ القومُ كأنهم رجال الهند؟ **قيل**: هؤلاء رجالُ بني الحارث بن كعب، **قال**: بِمَ كنتم تَغْلِبُونَ من قاتلكم في الجاهلية؟ **قالوا**: كنا نجتمع ولا نفترق، ولاَ نَبْدَأُ أَحَدًا بظلم، **قال**: صدقتم، **وأَمَّرَ** عليهم قَيْسَ بن الحُصَينِ، ومات ﷺ بعد رجوعهم بأربعة أشهر، **وبعث** ﷺ إليهم عَمْرَو بْنَ حزم؛ لِيُفَقِّهَهُم في الدين، **وولاَّه** على صدقاتهم، **وكتب** له كتابه الشهير عهد إليه فيه عهده وأمره فيه بأمره: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا بيانٌ من الله ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾، عَهْدٌ من محمد النبي رسول الله لعمرو بن

(1) ابن هشام 4/ 239، وطبقات ابن سعد 1/ 339، وعيون الأثر 2/ 327، وسبل الهدى 6/ 486.

حزم حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كله، فـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾[النحل:128]، **وأمره** أن يَأْخُذَ بِالْحَقِّ كما أمره الله، وأن يُبَشِّرَ النَّاسَ بالخير، ويَأْمُرَهُمْ به، ويُعَلِّمَ النَّاسَ القرآن، ويفقهَهم فيه، وينهى الناس فلا يمسَّ القرآنَ إنسانٌ إلا وهو طاهر، ويُخْبِرَ الناس بالذي لهم والذي عليهم، وَيَلِينَ للناس في الحق، وَيَشْتَدَّ عليهم في الظلم؛ فإن الله كره الظلم ونهى عنه؛ فقال: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[هود:18]، ويُبَشِّرَ النَّاسَ بالْجَنَّةِ وَبِعَمَلِهَا، ويُنْذِرَ النَّاسَ النَّارَ وَعَمَلَهَا، وَيَسْتَأْلِفَ النَّاسَ حتى يَفْقَهُوا في الدين، ويُعَلِّمَ الناس مَعَالِمَ الْحَجِّ، وَسُنَّتَهُ، وفَرِيضَتَهُ، وما أمر الله به، والحجَّ الأكبرَ، والحجَّ الأصغرَ، **والْحَجُّ الأَصْغَرُ** هو العمرة، **وينهى** النَّاسَ أن يُصَلِّيَ أَحَدٌ في ثوب واحدٍ صغيرٍ إلا أن يكون ثوبًا يَثْنِيْ طرفيه على عَاتِقَيْهِ، **وينهى** الناس أن يَحْتَبِيَ [أي يشتمل] أحد في ثوب واحد يُفْضِي بفرجِه إلى السماء، **وينهى** أن يَعْقِصَ أَحَدٌ شَعَرَ رأسِه في قَفَاهُ، **وينهى** إذا كان بين الناس هَيْجٌ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر؛ **ولْيَكُنْ** دعواهم إلى الله عزوجل وحده لا شريك له، **فمن** لم يَدْعُ إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فَلْيُقْطَفُوا بالسيف حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له، ويَأْمُرَ الناس بإِسْبَاغِ الوُضُوءِ: وجوههم، وأيديهم إلى المرافق، وأرجلهم إلى الكعبين، ويمسحون برؤوسهم كما أَمَرَهُمُ الله، **وأمر** بالصلاة لوقتها، وإتمام الركوع والسُّجُودِ والخُشُوعِ، **ويُغَلِّسَ** بالصبح[1]، ويُهَجِّرَ بالهاجرة[2] حين تَمِيلُ الشَّمْسُ، **وَصَلَاةُ** العَصْرِ والشَّمْسُ في الأرض مُدْبِرَةً، **والمَغْرِبُ** حين يُقبِلُ اللَّيْلُ، لا يُؤَخَّرُ حتى تَبْدُوَ النُّجُومُ في السماء، **وَالعِشَاءُ** أول الليل، **وَأَمَرَ** بالسعي إلى الجمعة إذا نودي لها، والغُسْلِ عند الرَّواح إليها، **وأمره** أن يأخذ من المغانم خُمُسَ الله، وما

---

(1) **التغليس**: أن يصليه في أول الفجر.

(2) **التهجير**: الصلاة في أول وقت الظهر، **والهاجرة** نصف النهار حين نزول الشمس.

كُتِبَ على المؤمنين في الصدقة: من العَقَارِ عُشْرُ ما سَقَتِ العيون وسَقَتِ السماء، وعلى ما سقى الغَرْبُ نِصْفُ العُشْرِ، **وفي** كل عَشْرٍ من الإبل شاتان، **وفي** كل عشرين أربعُ شياهٍ، **وفي** كلِّ أربعين من البقر بقرةٌ، **وفي** كل ثلاثين من البقر تَبِيعٌ جَذَعٌ أو جَذَعَةٌ، **وفي** كل أربعين من الغنم سَائِمَةً وحدها شاةٌ؛ فإنها فريضةُ الله التي افترض على المؤمنين في الصدقة، فمن زاد خيرًا فهو خير له، **وإنه** من أسلم من يهودي أو نصراني إِسْلَامًا خَالِصًا من نفسه ودان بدين الإسلام **فإنه** من المؤمنين: له مِثْلُ ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم، **ومن** كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُرَدُّ عنها، **وعلى** كل حالم: ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى حُرٍّ أَوْ عَبْدٍ **دِينَارٌ** وافٍ ، أو عِوَضُهُ ثِيَابًا، **فمن** أدَّى ذلك فإن له ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ رسوله، **ومن** منع ذلك فإنه عدوٌّ لله ، ولرسولِه ، وللمؤمنين جميعًا، صلواتُ الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته»[1].

وفد نجران[2]**:** وَفَدَ سِتُّونَ رَجُلًا من نصارى نجران، وفيهم ثلاثة نَفَرٍ يتولون أمرهم: **العَاقِبُ**: وهو أميرهم وصاحبُ مشورتهم واسمه عبدالمسيح، **والسَّيِّدُ**: وهو صاحب رحلتهم، واسمه الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة **أُسْقُفُهُمْ** وحِبْرُهُمْ[3] وصاحبُ مَدَارِسِهِمْ، ودخلوا المسجد بثيابهم الْـمُحَبَّرَةِ بأَكْسِيَةِ الحرير، وخواتم الذهب، وجاءوا بِبُسُطٍ فيها تماثيلُ، ومُسُوحٍ هديةً للنبي ﷺ، فَقَبِلَ المُسُوحَ، **ولما** حان وَقْتُ صلاتهم صَلَّوْا في مسجد النبي ﷺ مستقبلين بيت المقدس؛ **فدعاهم** إلى الإسلام فَأَبَوْا وقالوا: كُنَّا مسلمين قبلكم، وظَلُّوا يجادلون النبي ﷺ في الدينِ والمسيحِ؛ فنزلَ قول الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ

(1) سيرة ابن هشام 4/ 241-242، دلائل النبوة 5/ 413-414، البداية و النهاية 5/ 89-90.
(2) سيرة ابن هشام 1/ 222، والطبقات 1/ 357، وتاريخ الإسلام (المغازي) ص 695.
(3) **الأُسْقُفُ** : رئيسهم الديني ، **والحِبْرُ** : بكسر الحاء وفتحها والكسر أفصح ، العالم مسلم أو ذمي .

ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[آل عمران:59-61] فواعدوه الملاعنة من الغد، **وهي** أن يبتهل الفريقانِ إلىٰ الله أن يُصِيْبَ الكَاذِبَ بعذابه ولعنته، **فقال** كبيرهم: إن كان نَبيًّا ثم دعىٰ عليكم لا يُغْضِبُهُ اللهُ فيكم أبدا، **وإن** كان مَلِكًا فظهر عليكم لا يستبقيكم أبدا؛ لا تلاعنوه، **وقيل**: إنه قال لهم: لقد عرفتم أن مُحَمَّدًا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وقد جاءكم بالفصل من خبر عيسىٰ؛ وما لاَعَنَ قومٌ نَبِيًّا إلاَّ هلكوا، **وفي** اليوم الثاني غدا النبيُّ ﷺ بولديه الحسنِ والحسينِ وابنتهِ فاطمةَ وعليٍّ(1)، **فقالوا**: يا أبا القاسمِ قد رأينا أن لا نلاعنك، **وقد** روي أن أسقف نصارىٰ نجران لما رأىٰ النبي وعَلِيًّا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام **قال**: يا معشر النصارىٰ، إني لأرىٰ وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله!؛ فلا تبتهلوا فتَهْلِكُوا ولا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض نصرانيٌّ إلىٰ يوم القيامة[تفسير الثعلبي 3/ 85]؛ **فصالحوه** علىٰ إعطاء الجزية أَلْفَيْ حُلَّةٍ في كل سنة: ألف حلة في صفر، وألف حلة في رجب، مع كل حلة أُوْقِيَّةٌ من ذهب، **وقالوا**: أرسل معنا أَمِينًا، **فأرسل** أبا عبيدةَ عَامِرَ بْنَ الجَرَّاحِ.

نعم: لقد رأوا وجوهًا لو سَأَلَتِ اللهَ أنْ يُزِيلَ جَبَلًا من مكانه لفعل؛ **لذلك** قال النبيُّ ﷺ: «والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنْ كَانَ العَذَابُ لَقَدْ تَدَلَّىٰ عَلَىٰ أَهْلِ نَجْرَانَ، وَلَو فَعَلُوا لاَسْتُئْصِلُوا عَنْ جَدِيدِ الأَرْضِ»[تفسير الطبري مج3/ 3/ 408، 409].

---

(1)**روىٰ** مسلم 4/ 1871 رقم 2404،لما نزلت: ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ﴾ دعا رسول الله عَلِيًّا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: اللهم هؤلاء أهلي، والحاكم 3/ 150، وابن كثير 1/ 3710، والترمذي 5/ 210 رقم 2999، و5/ 596 رقم 3724، ومسند أحمد1/ 391 رقم 1608، والبيهقي في السنن 7/ 67، وتفسير الثعلبي 2/ 97، وتفسير ابن أبي حاتم 2/ 667، وأبو نعيم في الدلائل 1/ 353، وابن مردويه كما في الدر المنثور 2/ 68، وأسباب النزول 58، والقرطبي 4/ 67، والفخر الرازي 4/ 908، ولوامع الأنوار 1/ 83، وتفسير الطبري ج3/ 3/ 407، **قال**: ولم يذكر عليّ في بعض الروايات المرسلة عن الشعبي؛ لسوء رأي بني أمية في عليّ، وفتح الباري 8/ 94، والطبقات 1/ 357.

الدروس والعِبَر [ابن حجر 8/ 95]:

1- دَلَّتِ القصةُ على مباهلةِ المُخَالِفِ إذا أَصَرَّ على عناده بعد ظهور الحُجَّةِ، **وقد** عُرِفَ بالتجربة أن المبطل لا تمضي عليه سنة حتى يُهلكه الله .

2- جواز مصالحة أهل الذمة على ما يراه الإمام من أصناف المال.

3- جواز مجادلة أهل الكتاب، **وقد** تجب إذا تعيَّنتِ المصلحة.

4- إقرار الكافر بالنبوة لا يُدْخِلُهُ الإسلام حتى يَنْطِقَ بالشهادة، ويلتزم بأحكام الاسلام.

5- في قصة المُبَاهَلَةِ دَلِيلٌ لَا شَيْءَ أقوى منه على فضل أصحاب الكساء، فالحسنان أبناؤه، وفاطمة نساؤه، وعَلِيٌّ نفسه، **ولا خلاف** على ذلك بين جميع المفسرين، **وقد** اختارهم النبي ﷺ دون من سواهم ليمثلوا المسلمين قاطبة؛ لأن إيمانهم كإيمانه ﷺ، **وهم** أهل الكساء الذين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، **وقد** مثل نصارى نجران النصارى قاطبة، **وفيها** برهان واضح على صحة نبوة النبي؛ لأنه لم يَرْوِ أحد من موافق ولا مخالف أن النصارى أجابوا إلى المباهلة، كما قال الزمخشري[الكشاف 1/ 370].

ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ: وَفَدَ ضِمَامٌ رَجُلٌ من الباديةِ ثائرُ الرأسِ، يُسْمَعُ دَوِيُّ صوته ولا يُفْقَهُ ما يقولُ، فأناخَ جَمَلَهُ بالمسجدِ، **وقال**: أَيُّكُمْ ابنُ عبدالمطلب؟ فدلوه عليه، **فقال**: إني سائلك ومشدّد عليك فلا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ؟ **قال**: «سَلْ مَا بَدَالَكَ»، **قال**: أَنْشُدُكَ بِاللهِ، آللهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ **قال**: «نعم»، وناشده عن فرائضِ الإسلامِ كلها، والرسول ﷺ **يقول**: «نَعَمْ»، **فقال**: آمَنْتُ وَصَدَّقْتُ، **وَلَمَّا** وَلَّى **قال** ﷺ: فَقُهَ الرجل، **ثم** ذهب ضمام إلى قومه بني سعد بن بكر، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا[1]، **وفي** البخاري[رقم 46(ر)]: فإذا هو يسأل عن الإسلام: الصلاة،

(1) ابن هشام 4/ 219-220، وطبقات ابن سعد 1/ 298، وسبل الهدى 6/ 538، وفتح الباري 1/ 107، =

والصيام، والزكاة...، والرجل يقول: هل عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ ويجيبه: لا، إلا أن تَطَوَّعَ، فأدبرَ وهوَيقولُ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَنْ هَذَا وَلَا أَنْقُصُ، **فقال** ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ».

وفد عبدالقيس:

كان النبيُّ ﷺ بين أصحابه ﷺ فقال: سَيَطْلُعُ عليكم رَكْبٌ هم خير أهل المشرق، لم يُكْرَهُوا على الإسلام، قد أنضوا الركائب[1]، وأَفْنَوُا الزاد، **وكان** فيهم عبدالله بن عوف الأَشَجُّ **وهو** أصغرهم سِنًّا، وكان دميمًا، وكأنه لاحظ أن الرسول ﷺ ينظر إلى دَمَامَتِهِ، **فقال**: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْـمَرْءَ بِأَصْغَرَيْهِ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، **فقال** له: إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ وَرَسُولُهُ: الحِلْمَ، والأَنَاةُ، **وقد** أكرم هذا الوفد؛ لأنهم أتوه من ساحل الخليج، وهي ديار ربيعة، وأمرهم بأركان الإسلام، ونهاهم عن أَنْبِذَةٍ: من الـدُّبَّا، والحَنْـتَم، والنَّقِـيرِ، وَالـمُزَفَّتِ[2]، **وقد** سألوه أن يرخص لهم في شربها؛ لأن أَرْضَـهُمْ وَخِمَـةٌ[3]؛ **فقـال**: إذا رَخَّصْتُ لأحدكم قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف[4].

وَفْدُ طَيِّءٍ: قدم وفد طيّء على رسول الله ﷺ وهم خمسة عشر رجلًا، وكـان رئيسهم زيد الخيل، **فقال** النبي ﷺ: «مَا ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا رَأَيْتُهُ غَيْرَ مَا قِيلَ فِيهِ إِلَّا زَيْدَ الْخَيْلِ»، وسَمَّاهُ «زيد الخير»[5].

وعيون الأثر 2/ 313.

(1) **أنضاه**: أهزله، فصار نِضْوًا قد ذهب لحمه من السير والكلال، وفي الحديث: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُنْضِي شَيْطَانَهُ كَمَا يُنْضِي أَحَدُكُمْ بَعِيرَهُ»أي يهزله ويجعله نضوا، **وَأَنْضَاهُ**: أعطاه نضوا أي بعيرا مهزولا. التاج 18/ 250.

(2) **الدُّبَّا**: القرع. **والحَنْتَمُ**: جرار مدهونة خضر. **والنقير**: أصل النخلة يُنْقَرُ. **والمُزَفَّتُ**: ما طلي بالزفت؛ **وإنما** نهاهم لكثرة شربهم له، وهو مسكر.

(3) **وَخِمَةٌ** : أي لا يَنْجَعُ كَلَؤُهَا ، ولا تُوَافِقُ ساكنيها. التاج 17/ 720 .

(4)الطبري 3/ 136، والطبقات 1/ 314، والاكتفاء 2/ 346، ونور اليقين 261، وعيون الأثر 2/ 314 ، وسيرة ابن هشام 221 .

(5)ابن هشام 4/ 224، والطبقات 1/ 321، وعيون الأثر 2/ 317، وتاريخ الإسلام (المغازي) ص 686.

وَفْدُ بَنِي أَسَدٍ: وَفَدُوا وفيهم ضِرَارُ بن الأَزْوَرِ، وطُلَيْحَةُ بنُ خُوَيْلِدٍ الأَسَدِيُّ الذي ادَّعَى النبوة فيما بعد، وكان من أشجع العرب، فأسلموا وقالوا: يا رسول الله أتيناك في سنة شهباء، نَدَّرِعُ اللَّيْلَ البَهِيمَ، ولم تَبْعَثْ إلينا! فأنزل الله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[الحجرات:17][1]، **وسألوه** عن العِيَافَةِ[2] والكهانة، فنهاهم عن ذلك كله، **وسألوه** عن الخَطِّ[3]، **فقال** ﷺ: «عَلِمَهُ نَبِيٌّ،[4] فَمَنْ صَادَفَ مِثْلَ عِلْمِهِ فَذَاكَ؛ وَإِلَّا فَلَا»[5].

الكَذَّابَان: مُسَيْلِمَةُ، والأَسْوَدُ:

قد كان تَكَلَّمَ في عهد رسول الله ﷺ الكذابان: مُسَيْلِمَةُ بْنُ ثُمَامَةَ بن كثير بن حبيب الحنفي باليمامة في بني حنيفة، والأَسْوَدُ العنسي واسمه عَبْهَلَةُ بْنُ كَعْبٍ بصنعاءَ.

عن أبي سعيد الخدري قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ،إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ لَيْلَةَ القَدْرِ، ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، وَرَأَيْتُ فِي ذِرَاعَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَكَرِهْتُهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا هَذَيْنِ الكَذَّابَيْنِ: صَاحِبَ اليَمَنِ، وصَاحِبَ اليَمَامَةِ»[6].

---

(1) تفسير الطبري 26/ 187، وأسباب النزول 327.

(2) هي زَجْرُ الطَّيْرِ، والتَّفَاؤُلُ بأسمائها وأصواتها ومَمَرِّهَا. اللسان 9/ 260.

(3)في النهاية 2/ 47 **الخط المقصود هو**: ضَرْبُ الرَّمْلِ، **وهو** نوع من الكهانة. **قال ابن الاثير**: الخط المشار إليه هو علم معروف، وللناس فيه تصانيف كثيرة، **وهو** معمول به إلى الآن، ولهم فيه أوضاع واصطلاح وأَسَامٍ، وعَمَلٌ كَثِيرٌ، يستخرجون به الضمير وغيره، وكثيرًا ما يُصِيبُونَ فيه. اهـ.

(4) **قيل**: إنه إدريس ﵇، **وقيل**: دانيال. ينظر عون المعبود 10/ 228.

(5) الطبقات 1/ 293، والاكتفاء 2/ 338، **وروى** أبو داود 4/ 339 رقم 3909 قال: كان نَبِيٌّ يَخُطُّ، فمن وافق خطه فذاك. **قال في عَوْنِ المعبود** 10 / 228: يَخُطُّ بِأَمْرٍ إِلَهِيٍّ، أو عِلْمٍ لَدُنِّيٍّ، فمن وافقَ خَطَّهُ فذاك ، أي مصيبٌ ، وإلا فلا، **وحاصله** أنه في هذا الزمان حرام؛ لأن الموافقة معدومة أو موهومة.

(6)مسند أحمد بن حنبل4/ 171 رقم 11816، ودلائل النبوة 5/ 334.

كتاب مسيلمة إلى رسول الله ﷺ والجواب عنه (آخر سنة عشر هـ):

كتب مسيلمة: مِنْ مُسَيْلِمَةَ رسولِ الله إلى مُحَمَّدٍ رسولِ الله، سلامٌ عليك، **أما** بعد فإني قد أُشْرِكْتُ في الأمر معك، وإنَّ لنا نِصْفَ الأرضِ، ولقريشٍ نِصْفَ الأرضِ، ولكنَّ قريشًا قَوْمٌ يَعْتَدُوْنَ، **وقدم** بالكتابِ رسولانِ، **قال** ابن إسحاق: **فقال** لهما ﷺ حين قرأ كتابَه: «فَمَا تَقُولاَنِ أَنْتُمَا»؟ **قالا**: نقول كما قال؛ **فقال**: «أَمَا وَاللهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا»، ثم كتب إلى مسيلمة: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُوْلِ اللهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الكَذَّابِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى، **أما** بَعْدُ فَإِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مَنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقِيْنَ»[1].

حَجَّةُ أبي بكر رضي الله عنه**:** حَجَّ بالناس أبو بكر، ومعه ثَلَاثُمِائَةِ رجلٍ، وعشرون بَدَنَةً، وبعث النبي ﷺ معه سُورَةَ براءةَ؛ ليبلغها في الحج الأكبر، **ثم أرسل** وراءه عَلِيًّا عليه السلام على ناقته القَصْوَاءِ، **وأمره** أن يأخذ براءةَ من أبي بكر؛ فأدركه ببعض الطريق **فقال**: استعملك رسول الله ﷺ على الحج؟ **قال**: لا، ولكنه **قال**: لَا يُؤَدِّيْ عَنِّيْ إِلَّا أَنَا أَوْ رَجُلٌ مِنِّيْ[2]، **وأمرني** بقراءة براءة على الناس، وأَنْبُذَ إلى كل ذي عهدٍ عَهْدَهُ؛ **فقرأها** عَلِيٌّ على الناسِ يومَ عَرَفَةَ، **وقيل**: عند جمعهم في منى، **وبثَّ** أبو بكر مؤذنين هنا وهناك ينقلون صدى أذان عليّ ببراءةَ، **وكان** عليّ ينادي بأربعٍ: لا يَدْخُلَنَّ الجنةَ إلا نفسٌ مؤمنةٌ، ولا يطوف بالبيتِ عُرْيَانٌ، ولا يجتمع مسلمٌ وكافرٌ في المسجدِ الحرامِ بعد عامه هذا، ومَنْ كان بَيْنَهُ وبَيْنَ النبيِّ ﷺ عَهْدٌ، فَعَهْدُهُ إلى مدته، ومن لم

---

(1) الطبري 3/ 146، وسيرة ابن هشام 4/ 247، والاكتفاء 2/ 414.

(2) مسند أحمد 1/ 18 رقم 4،و 1/ 318 رقم 1296، و 6/ 163 رقم 17518،و رقم 17519،و 17520. والترمذي 5/ 594 رقم 3719،والخصائص 82، وتفسير الطبري مج6/ 10/ 84،والكشاف 2/ 243، والدر المنثور 3/ 378، 379، وابن أبي شيبة 6/ 366، رقم 32071، وذخائر العقبى 69، والمستدرك 3/ 51، و سنن ابن ماجه 1/ 44 رقم 119، وزاد المعاد 2/ 71.

يكنْ له عهدٌ ، فَأَجَلُهُ إلى أربعةِ أشهرٍ[1].

الدروس والعبر:

1- أجهزتْ سورةُ براءةَ على الوثنيةِ وقطعتْ دَابِرَهَا؛ لِتَتَهَيَّأَ الأجواءُ لِحَجَّةِ الإسلام الكبرى في العام القادم بقيادة النبي ﷺ.

2- ذَكَرَ الفَرَّاءُ في معاني القرآن له [1/ 420] أنَّ العربَ قد كانوا أخذوا ينقضونَ عهودًا بينهم وبين النبي ﷺ؛ فنزلت عليه آيات من أول براءة **أُمِرَ** فيها بِرَدِّ عهودهم إليهم، **وأن** يجعلَ الأجلَ بينه وبينهم أربعة أشهر، **فمن** كانت مُدَّتُهُ أكثرَ من أربعة أشهر حطَّه إلى أربعة، **ومن** كانت مدته أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة، وجعل لمن لم يكن له عهدٌ خمسين يومًا أجلًا إلى نهاية المحرم، يَسِيحُونَ آمنين في مدتهم، **وكُلُّ** ذلك يبدأ من يوم النحر، فَإِنْ وُجِدَ أحدٌ بعد ذلك على شِرْكِهِ ،فهو مُبَاحُ الدَّمِ كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[التوبة:5]، **والمراد** بالأشهرِ الحُرُمِ: مُحَرَّمٌ، **وجاز** جمعه لأنه متصل بذي الحِجَّةِ وذي القَعْدَةِ وهما حرام.

3- **لا** يُعْتَبَرْ هذا من بابِ الإكراه في الدين، بل هو كما قال الشيخ الغَزَالِي رحمه الله في سيرته [453]: ليعلمَ مَنْ يشاءُ أَنَّ تَشْرِيعَ قَانُونٍ بِمَحْوِ الوثنيةِ كتشريعِ قانونٍ بمحوِ الأمية - عَمَلٌ إِنْسَانِيٌّ نبيل، وأَنَّ اعتراضًا عليه لا يَصْدُرُ مِنْ رَجُلٍ يُؤْثِرُ الخيرَ للأممِ ويتمنى لها السُّمُوَّ والكرامةَ.

4- سدّ عَلِيٌّ مسدّ النبي ؛ فالموقف يستدعي أحد الرجلين ، وكذلك المبيت على الفراش ، وردِّ الأمانات ؛ وهو يدل على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب.

---

(1) سيرة ابن هشام 4/ 188، وتأريخ الطبري 3/ 123، وتفسيره مج6/ 10/ 84، وطبقات ابن سعد 2/ 168، ومغلطاي 342.

حوادث قبل حِجَّة الوداعِ[1]:

ماتَ عبدالله بن أُبَيٍّ، وصلَّى عليه الرسول ﷺ؛ فنزلَ قولُ الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾، [التوبة: 84][2].

2- آلَىٰ النبيُّ ﷺ من نسائه شهرًا؛ والسبب أنه ذبح ذبيحًا فقسمته عائشة رضي الله عنها بين أزواجه، فَرَدَّتْ زينب بنت جحش رضي الله عنها نصيبها، فقال: زِيدِيها؛ فزادتها ثلاث مرات كل ذلك ترده؛ فحلف أن لا يدخل عليهن شهرًا، ففاء إليهن في تسعٍ وعشرين مِنَ الشهرِ وقال: الشَّهْرُ ثَلَاثُونَ، وَتِسْعٌ وَعِشْرُونَ.

3- باعَ المسلمون أسلحتهم **وقالوا**: انقطع الجهاد؛ **فقال** ﷺ: « لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُجَاهِدُونَ عَلَىٰ الحَقِّ حَتَّىٰ يَخْرُجَ الدَّجَّالُ »[الواقدي 3/ 1057].

4- لاعَنَ ﷺ بين عُوَيْمِرٍ العَجلانِيِّ وامرأتِهِ بعد العصر؛ **لأنها** حَبِلَتْ وزَوْجُهَا بتبوك، **والمُلَاعَنَةُ** نظام خاص بالزوجين، **فإذا** أنكر الزوجُ ولده مُتَّهِمًا أُمَّهُ بالزنىٰ، وليس له شهود ؛ فيحضر مع امرأته عند الحاكم، ويشهد أربعَ شهاداتٍ بالله إنه صادقٌ فيما رماها به من الزنىٰ، والخامسةَ أَنَّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، **فَإِنِ** اعترفتِ المرأةُ أُقِيْمَ عليها الحدُّ، وإلا شهدت أربعَ شهاداتٍ بالله إن زوجها كاذب فيما رماها به، والخامسةَ أَنَّ غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ثم يُفَرِّقُ بينهما الحاكم إلىٰ الأبد، ويلحق الولدُ بأُمِّهِ[3]. قال تعالىٰ : ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ

---

(1) ملغطاي 344، وعيون الأثر 2/ 358، والطبقات الكبرىٰ 5/ 170.

(2) أسباب النزول 216، و تفسير الطبري 10/ 260.

(3) البخاري 5308، ومسلم 1492، والبيهقي 7/ 398، وصحيح ابن حبان 18/ 630 رقم 4359، وعيون الأثر 2/ 358، وأسد الغابة 1/ 14.

إن كَانَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَـٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَـٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٩﴾﴾ [النور].

5- ماتَ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الحبشة رحمه الله، وصلى عليه النبي ﷺ صلاة الغائب.

85- السرية الثانية لعليٍّ عليه السلام إلى اليمن [في رمضان سنة 10هـ] [1]:

بعثه ﷺ في ثلاثمائة رجل، كلهم فُرْسَانٌ، وعَمَّمَهُ بيده، **وكانت** أولَ خيل إسلامية تصل إلى مَذْحِجَ، فدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا بالنبلِ والحجارةِ؛ **فحمل** عليهم عَلِيٌّ كرم الله وجهه فقتل منهم عشرين وانهزموا، ثـم دعـاهم إلى الإسـلام فأسـلموا[2]، **وقد** كان بعث ﷺ قبله خالد بن الوليد، ثم بعث عَلِيًّا مكانه، **وقد** ذكر البخـاري أنَّ عَلِيًّا بعث من اليمن بِذُهَيْبَةٍ إلى النبي ﷺ فَقَسَمَهَا في أربعةِ نفرٍ: بين عيينة بن بدر[هو عيينة بن حصن نسب لجده الأعلى]، وأقرع بن حابس، وزيد الخير، والرابع: **إما** علقمـة[3]، أو عامر بن الطفيل[4]، **فقال** رجل من أصحابه[5]: كنا نحن أحقَّ بهـذا مـن هـؤلاء! **فبلغ** النبي ﷺ قوله؛ **فقال**: أَلَا تَأْمَنُونَنِيْ وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟! **فقام** رجلٌ غَائِرُ العينينِ، مُـشْرِفُ الـوجنتين، نَاشِـزُ الجبهـة، كَـثُّ اللحية، محلوقُ الرأس، مُشَمِّرُ الإزار، **فقال**: يـا رسـول الله اتـق الله، **قـال**: وَيْلَـكَ! أَوَلَسْتُ أحقَّ أَهْلِ الْأَرْض أَنْ يَتَّقِي اللهَ، **قال**: ثم وَلَّى الرجلُ، فقال خالد بن الوليـد:

---

(1) عيون الأثر 2/ 395، والطبقات الكبرى 2/ 169-170، والمغازي 3/ 1079.

(2) الطبري 3/ 121، وعيون الأثر 2/ 358، والواقدي 3/ 1079، والطبقات 2/ 170.

(3) علقمة بن عُلاثة العامري أحد بني كلاب، وهو من أكابر بني عامر، أسلم وحَسُنَ إسلامه ، كـان يتنـازع الرئاسة هو وعامر بن الطفيل . أُسد الغابة 4/ 82.

(4) قال في فتح الباري 7/ 667: ذكر عامر بن الطفيل غلط من عبد الواحد؛ فإنه كان مات قبل ذلك.

(5) **قيل**: هو حرقوص بن زهير، **وقيل**: هو ذو الخويصرة التميمي، **وقيل**: إن ذا الخويـصرة هـو حرقـوص. ينظر: فتح الباري 12/ 292. **وهو** الذي صار فيها بعد من رؤوس الخوارج، وقتل في النهروان.

يا رسول الله ألا أضرب عُنُقَهُ؟ قال: لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي، فقال خالد: وكم من مُصَلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه! قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ قُلُوبَ الناسِ، ولا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»! قال: ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ فقال: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ[1] هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ رَطْبًا، لا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، -وأَظُنُّهُ قال-: «لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ»[2]. **أقول** : **قد** خرجوا على عليٍّ فقتلهم يوم النهروان.

العبرة والدرس:

1- لا يجد المرؤ مثالا للوقاحة أشأم وأوقح من هذا الفظ الغليظ الذي أوحى إليه الشيطان أنه أتقى لله من النبي، فلم يتردد أن قال بتهجم ما قال!.

2- رغم أن خالدا مُحِقٌّ فيما قال، فكم من مُصَلٍّ كالروث المفضفض، والكنيف المبيض، لكنَّ الرسول ﷺ يمثل دينا خاتما يريد لمن دخل فيه أن يعيش آمنا من التعرض لمحاكم تفتيش تجرم على التخمين والظن والتكهن؛ **فليس** لنا إلا الظاهر والله يتولى السرائر! **إن** الباطن مملكة الله لم يأذن لأحد أن يتطفل عليها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل؛ إن الإسلام كالبحر لا تكدره الدلاء.

3- تحققت نبوته، ونجم قرن الخوارج في خلافة الإمام علي عليه السلام؛ كانوا ضمن جيشه في الحرب ضد معاوية بصفين، فلما أحسَّ بالهزيمة رفع المصاحف مناديا بتحكيم القرآن مكرًا وخديعة، فانخدع الذين صاروا خوارج رغم تحذير الإمام لهم بقوله: إنها كلمة حق يراد بها باطل، فلم يسمعوا، وألجأوه لقبول التحكيم، ثم

---

(1) من نسله وعقبه ومن نفس عجينته وطينته.

(2) البخاري رقم 4094، ورقم 6995، 7123، 3166، ومسلم 2/ 741 رقم 1064، والنسائي في السنن 7/ 118 رقم 4101، 2102، وابن حبان في صحيحه 1/ 205 رقم 205، وابن ماجة 1/ 60 رقم 169 وما بعده، والطبراني في المعجم الكبير 2/ 185 رقم 1753، 8/ 121 رقم 7553، 8/ 338 رقم 826، وعبدالرزاق في المصنف 1/ 146 رقم 18646.

ألجأوه للقبول بأبي موسى، **فلما** انتهت مهزلة التحكيم بين عمرو بن العاص وأبي موسى بخلع علي وتثبيت معاوية ضج الخوارج، وحكموا بكفر من حَكَّمَ، وكفَّروا عليًّا، وتمادوا حتى انتهى أمرهم إلى حرب النهروان، فقتلوا ولم يبق منهم سوى تسعة، ولم يقتل من أصحاب علي سوى ثمانية، وكان عددهم 1800، وقيل: 1500، وقيل: 1200 [التنبية والإشراف ص 272].

حجة الوداع (10هـ - 632م)[1]:

تجهز النبي ﷺ للحج وأعلم الناس، فَحَدَثَ بالمدينة جُدَرِيٌّ منع بعضهم من الحج معه، فأعلمهم أن عُمْرَةً في رمضان تعدل حجة، **وخرج** ﷺ **في** 25 **ذي** القعدة[2]، **ولم يحج** من المدينة غَيْرَ هذه الحجة، **وحج** بنسائه كلهن، **وأَهَلَّ** بالعمرة والحج قارنًا بعد صلاة الظهر من ذي الحُلَيْفَةِ، **وخَيَّرَ** الناس بين أنواع الحج الثلاثة: القِرَانِ، والإفراد، والتمتع: **فمن** كان معه هَدْيٌ حَجَّ قارنًا؛ بأن يحرم بالحج والعمرة معًا؛ **لأن** سَوْقَ الهدي وهو بَدَنَةٌ شرط في صحة حج القارن[3]، **ومن لا** هدي معه حَجَّ مُفْرِدًا بأن يحرم بالحج ثم يعتمر بعد أيام التشريق عُمْرَةَ الحج، **ومن** شاء حج متمتعا بأن يحرم بِعُمْرَةٍ متمتعًا بها إلى الحج، ويلزمه أن ينحر كبشا يوم النحر في منى.

أَشْعَرَ النبي ﷺ هَدْيَهُ وقَلَّدَهُ[4]، ومعه مائة بدنة، ومعه جموع لا تحصى، وَلَبَّى، وأمر الناس برفع أصواتهم بالتلبية، **ودخل** على عائشة وهي تبكي؛ وأخبرته أنها

---

(1) الطبري 3/ 148، وابن هشام 4/ 248، وطبقات ابن سعد 1/ 173، وعيون الأثر 2/ 359، والاكتفاء 2/ 415، والواقدي 3/ 1088.

(2) **قال ابن هشام4/ 248:** فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي، ويقال: سباع بن عُرفُطة الغفاري.

(3) **وهو** قول أئمة الزيدية، والمالكية، والحنيفة، والشافعية والحنابلة، **إلا** أن الزيدية ذهبت إلى أنه لا يجزئه إلا بدنة، **وبه** قال الشعبي، **وقال غيرهم**: تجزئه شاة، **وقال داود الظاهري**: لا شيء على القارن. البحر الزخار 3/ 378، وعيون المجالس 3/ 784، ومختصر الطحاوي60، والمحلى بالآثار 5/ 173، والمغني 3/ 479.

(4) **التقليد**: تعليقُ نعلٍ، **والإشعار**: شق جانب سنامها شَقًّا صغيرًا ويسلت الدم ليعرف أنها هدي.

حائض، **وقالت**: وددت أني لم أخرج معكم، **فقال**: لا تقولي ذلك؛ فإنك تقضين ما يقضي الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت، **ولما شاهد** البيت قال: «اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً، وَزِدْ مَنْ عَظَّمَهُ مِمَّنْ حَجَّهُ وَاعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً وَتَعْظِيمًا وَبِرًّا»[1].

قدوم عليٍّ ﵇ مُحْرِمًا من اليمن:

قدم عَلِيٌّ من اليمن ولقي النبي ﷺ بمكة، فدخل على فاطمة الزهراء ﵍ فوجدها قد حَلَّتْ وتهيأتْ **فقال**: ما لك يا ابنة رسول الله؟ **قالت**: أمرنا رسول الله ﷺ أن نُحِلَّ بعمرة، أي إنها حجت متمتعة، فجاء عَلِيٌّ إلى النبي ﷺ **فقال**: يا عليُّ بما أَهْلَلْتَ؟ **فقال** بما أَهَلَّ به النبي ﷺ، **قال**: فَأَمْسِكْ فَإِنَّ معنا هَدْيًا، فَأَشْرَكَهُ في هديه وبقي على إحرامه مع رسول الله ﷺ، ونحر رسول الله ﷺ الهدي عنهما، نحر بيده ثَلَاثًا وستين، ونحر عَلِيٌّ الباقي[2]، **وقد** كان علي كرم الله وجهه سبق جيشه وأناب عليهم رجلًا، ولما دنى الجيش استقبلهم علي، وإذا بهم قد اكتسوا حُلَلًا مما غنموه فنزعها؛ فَشَكَوْهُ إلى رسول الله ﷺ، فخطب فيهم رسول الله ﷺ **وقال**: «أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَشْكُوا عَلِيًّا؛ فَإِنَّهُ لأَخْشَنُ فِي ذَاتِ الله من أن يُشْكَى»[3]، **قال بريدة**: كنت من أصحاب خالد، وكنت أُبْغِضُ عَلِيًّا، فاختص علي بجارية من السبي، فقلت لخالد: ألا ترى لهذا! **فلما** قدمتُ إلى النبي ﷺ ذكرتُ له ذلك، **فقال**: «يَا بُرَيْدَةُ أَتُبْغِضُ عَلِيًّا»؟ **فقلت**: نعم، **قال**: «لاَ تُبْغِضْهُ، فَإِنَّ لَهُ فِي الخُمُسِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»[4].

---

(1) الطبراني في الكبير 3/ 181 رقم 3053، والأوسط 6/ 183 رقم 6132.

(2) ابن هشام 4/ 249، وابن كثير 4/ 228.

(3) الحاكم 3/ 134، **وقال**: صحيح، ووافقه الذهبي على تصحيحه والمسند رقم 11817: «لأخشن في ذات الله أو في سبيل الله»، وابن هشام 4/ 250.

(4)البخاري رقم 4093، والبداية 5/ 120، وسبل الهدى 6/ 359.

خطبة الوداع - يوم عرفة:

عَلَّم النبي ﷺ أمته مناسكهم وسُنَنَ حجهم، **وقال**: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»(1)، **وخطب** الناس خطبته الشهيرةَ الـمُسَمَّاةَ بخطبة الوداع، منتهزًا حضور الجمع العظيم الذي أربى على مائة ألف، وقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْـمَوْقِفِ أَبَدًا! **أَيُّهَا النَّاسُ** إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَقَدْ بَلَّغْتُ! **فَمَنْ** كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، **وَإِنَّ** كُلَّ رِبًى مَوْضُوعٌ، وَلَكِنْ لَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ، قَضَى اللهُ أَنَّهُ لَا رِبًى، **وَأَنَّ** رِبَى عَبَاسِ بْنِ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، **وَإِنَّ** كُلَّ دَمٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، **وَإِنَّ** أَوَّلَ دِمَائِكُمْ أَضَعُ دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ [وكان مسترضعًا في بني ليث فقتلته هُذَيلٌ] **فَهْوَ** أَوَّلُ مَا أَبْدَأُ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ، **أَمَّا بَعْدُ** أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ مِنْ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ هَذِهِ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ إِنْ يُطَعْ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ فَقَدْ رَضِيَ بِهِ مِمَّا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ؛ فَاحْذَرُوهُ عَلَى دِينِكُمْ، **أَيُّهَا النَّاسُ**:﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ﴾[التوبة: 37]، **وَإِنَّ** الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، **وَإِنَّ** عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلَاثَةٌ مُتَوَالِيَةٌ، وَرَجَبُ مُضَرَ(2) الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، **أَيُّهَا النَّاسُ** إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا، لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا

---

(1) أصول الأحكام 1/ 330 رقم 1051، والشفاء 2/ 22، والبيهقي 5/ 130.

(2) إنما أضاف رجبًا إلى مضر؛ لأنها كانت تعظمه، ولم يكن أحد من العرب يفعل ذلك سواها.

يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ[1]، فَإِنِ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْـمَعْرُوفِ، **وَاسْتَوْصُوا** بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ[2] لَا يَمْلَكْنَ لِأَنْفُسِهِنَّ شَيْئًا، **وَإِنَّكُمْ** إِنَّمَا أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَاتِ اللهِ، فَاعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ قَوْلِي؛ فَإِنِّي قَدْ بَلَّغْتُ، **وَقَدْ** تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، أَمْرًا بَيِّنًا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ[3]- **والرواية الشهيرة** التي تناقلتها كتب الحديث كافة أنه ﷺ قال: أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي[4]- نعود إلى سياق الخطبة: **أَيُّهَا النَّاسُ** اسْمَعُوا قَوْلِي وَاعْقِلُوهُ، تَعَلَّمُنَّ أَنَّ كُلَّ

---

(1) **غير مبرح**: أي غير شديد. **برح به الأمر**: إذا اشتد عليه وشق.

(2) **عَوَانٍ**: جمع عانية وهي الأسيرة.

(3) **الحاكم 1/ 93** قال: وذِكْرُ الاعتصام بالسنة في هذه الخطبة غريب ويحتاج إليها، وجامع بيان العلم وفضله 2/ 24.

(4) حديث الثقلين روي بألفاظ كثيرة، وطرق عدة، منها: **ما أخرجه** الإمام زيد بن علي في المسند رقم644، وفي مجموع رسائله 206(كتاب تثبيت الوصية)، **ورواه** الإمام القاسم بن إبراهيم في مجموع رسائله (كتاب إمامة علي بن أبي طالب) 2/ 221، **وذكره** أيضًا في مجموع رسائله (كتاب الرد على الروافض)1/ 544، **وذكره** حفيده الإمام الهادي أيضًا في المجموعة الفاخرة ص86، 138، 145، 525، 549، 584، وأخرجه أيضًا في الأحكام 1/ 40، **وروى** الإمام الرضا بإسناده في صحيفته 62 رقم63، **وأخرجه** الإمام أبو طالب تيسير المطالب 147 رقم115 عَنْ زَيْدِ بنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيٍّ. **وأخرجه مسلم** 4/ 873 رقم2408، وأحمد 7/ 75 رقم19285، والترمذي 5/ 622 رقم3788، والدارمي 2/ 431، 432، والطبراني في الكبير 5/ 182 رقم5026، و5/ 183 رقم5028، ورقم 4969، ورقم 4980، 4981، ورقم 5040، والبيهقي في السنن 2/ 148، و7/ 30، و10/ 113، وابن خزيمة في صحيحه 4/ 62 رقم2357، وعبد بن حميد في مسنده 1/ 114 رقم265، والحاكم في المستدرك 3/ 109، 3/ 148، والنسائي في الخصائص 84، والطحاوي في شرح مشكل الآثار 9/ 88 رقم3463، ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب 2/ 112 رقم604، و2/ 116 رقم606، و2/ 135 رقم620، و2/ 135-136 رقم621 (ر)، والمرشد بالله في الأمالي الخميسية 1/ 149، و1/ 152 **جميعهم عن زيد بن أرقم. وأخرجه** الترمذي 5/ 621 رقم3786، والطبراني في الكبير 3/ 66 رقم2680، وفي الأوسط 5/ 89 رقم4757:**عن جابر بن عبدالله. وأخرجه** أحمد في مسنده 4/ 30 رقم11104، و4/ 36 رقم11131، و4/ 54 =

مُسْلِمٍ أَخٌ لِلْمُسْلِمِ، وَأَنَّ الْـمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ؛ فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ؛ فَلَا تَظْلِمُنَّ أَنْفُسَكُمْ، اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»؟ **فَقَالَ** النَّاسُ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، **فَقَالَ** رَسُولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، **وَكَانَ يَصْرُخُ** بِكَلَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَبِيعَةُ بنُ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، قَالَ: يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: قُلْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: الشَّهْرُ الْحَرَامُ، فَيَقُولُ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، ثُمَّ يَقُولُ: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قَالَ: فَيَصْرُخُ بِهِ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: الْبَلَدُ الْحَرَامُ؛ قَالَ: فَيَقُولُ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ بَلَدِكُمْ هَذَا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: قُلْ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَالَ: فَيَقُولُهُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ، قَالَ: فَيَقُولُ: قُلْ لَهُمْ: إِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ إِلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا[1].

رقم11211، و4/ 118 رقم11561، وفي فضائل الصحابة 1/ 210 رقم170، و2/ 978 رقم1382، والطبراني في الكبير 3/ 65 رقم2678، ورقم2679، والأوسط 3/ 374 رقم3439، و4/ 33 رقم3542، والصغير 1/ 150 رقم355، 1/ 153 رقم368، وأبو يعلى 2/ 297 رقم1021، و2/ 376 رقم1140، وابن الجعد في مسنده 2/ 972 رقم2711، والمناقب 2/ 98 رقم 584، و2/ 105 رقم593، و2/ 114 رقم605 (ر)، والأمالي الخميسية 1/ 154-155 **جميعهم عن أبي سعيد الخدري. وأخرجه** أحمد 8/ 138 رقم21634، و8/ 153 رقم21711، والمعجم الكبير للطبراني 5/ 153 رقم4921، ورقم4922، و5/ 154 رقم4923، وابن أبي شيبة في مصنفه 6/ 309 رقم31679، وفي مسنده 1/ 108 رقم135، وعبد بن حميد في مسنده 1/ 107 رقم2740، وابن أبي عاصم في السنة ص643 رقم1554 **عن زيد بن ثابت. وأخرجه** ابن أبي عاصم في كتابه السنة ص627 رقم1468 **عن جبير بن مطعم. وأخرجه البزار** في مختصر زوائده 2/ 332 رقم1963 **عن أبي هريرة. وأخرج** البزار في مختصر زوائده 2/ 333 رقم1964 **عن علي** عليه السلام. **وأخرجه** ابن عساكر في تاريخ دمشق 42/ 219، والمناقب 2/ 150 رقم 626 **عن حذيفة بن أسيد**، وغيرهم. ولمزيد من ذلك ينظر كتيب حديث الثقلين مطبوع بمكتبة بدر.

(1) ابن هشام 250/4، والواقدي 1113/3، وعيون الأثر 363/2، وسيرة ابن كثير 387/4.

العبرة والدرس:

1- ها هو إمام الأنبياء وخاتم الرسل وسيد بني آدم يعلم التاريخ استثمار المناسبات الكبرى أحسن استثمار؛ فها هو يصرح في الحج الأكبر، والجمع الحاشد، في جبل الرحمة، أقدس بقاع الأرض، راسمًا للبشرية أهم الملامح التي تحفظ عليهم حياتهم، ويسعدون بها في دنياهم وآخرتهم، ماثلة في تحريم سفك الدماء، وتحريم أكل أموال الناس بغير حق، وتحريم الأعراض، وشدد في تحريمها، وغَلَّظَ الجُرْمَ على مرتكبيها، وَصَبَغَهَا بحرمة الإسلام، وحرمة شعيرة الحج، وحرمة الزمان والمكان؛ **فَهَلْ يَعْقِلُ** النَّاسُ مدى الشقاء الذي وقعوا فيه بإعراضهم عن كتاب ربهم وهدي نبيهم؟!

2- لا يحل لمسلم أن يتهاون في معرفة الواجبات: أَرْكَانِهَا، وَأَذْكَارِهَا، وَشُرُوطِهَا؛ كما علمها رسول الله ﷺ: «خُذُوا عَنِّي مِنَاسِكَكُمْ»؛ إني ألحظ كثيرا من السواد الأعظم يؤدون الصلاة لكنهم لم يكلفوا أنفسهم الجلوس ساعة من نهار أمام عالم تقي متقن أو مجرد عارف يفقههم كيفية أدائها؛ **فقد** يصلي المرؤ طوال عمره صلاة مختلة، **والكثير** يحجون ويتحملون نفقات الحج ولا يكلفون أنفسهم التعرف على مناسك الحج قبل الذهاب؛ إنه لعجز ما بعده عجز، وغفلة ليس وراءها غفلة؛ وقد كان النبي ﷺ يقول عندما يأتيه معتنق للإسلام: «فَقِّهُوا أَخَاكُمْ»؛ لقد سعى أحد الجهال بأمه العجوز أربعة عشر شوطًا بين الصفا والمروة ظنا منه أن الشوط لا يكتمل إلا بالذهاب من الصفا إلى المروة ثم الرجوع إلى الصفا، وأصبح الكثير من النساء يغطين وجوههن وهن محرمات بحج مفرد؛ اتباعا لبعض الجهال المتزمتين، **ومن** الناس من يرتكب إساءة ويتلقى فتوى من أي درويش بإخراج كف من بُرٍّ لِحَمَامِ مكة، وكم من عجائب! **ومن** الناس من يزعق في الطواف وراء بعض المجسمة بقوله: ربنا أرنا وجهك، وما شابه ذلك؛ **فما** أحرى بالناس أن يتفقهوا،

وما عُصِيَ الله تبارك وتعالى بمثل الجهل!

3- كنت ذات يوم في مسجد منى، وبدأ متحدث عبر الميكرفون؛ فقلت: لعله ينتهز فرصة حضور الألوف المؤلفة؛ ليذكر الناس بحقوقهم المهدرة، وكراماتهم المنتهكة، ويستثير حميتهم الإسلامية؛ لتحرير الأقصى الشريف وما شابه ذلك، وإذا به يتحدث عن القبور، وأن زيارتها شرك، وأن الأمةالإسلامية مشركة، وظل يردد الأفكار التي أتى بها مؤسس الوهابية؛ فتمنيت لو أن عفريتا خطفه وألقاه في البحر، وحزنت جدًّا لضياع هذه الأمة، وكيف صارت مقاليدها بأيدي الجهلاء!.

خطبته ﷺ بغديرِ خُمٍّ:

روى أهل الصحاح وأهل السير وغيرهم خطبة غدير خُمٍّ من طرق كثيرة؛ **فالنسائي** عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خم، أَمَرَ بدوحات فَقُمِمْنَ، ثم قال: «كَأَنِّي قَدْ دُعِيتُ فَأَجَبْتُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِي فِيهِمَا؟ فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ، اللهُ مَوْلَايَ وَأَنَا وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ، **ثُمَّ** أَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ وَقَالَ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيُّهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وعَادِ مَنْ عَادَاهُ»، قَالَ: قُلْتُ لزيد: سَمِعْتَهُ من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وإنه ما كان في الدوحة رجل إلَّا رآه بعينه، وسمعه بأذنه، **فقال** له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هَنِيئًا لك، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة! **وفي بعض** الروايات: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ...»[1].

---

(1) حديث الغدير روي بألفاظ كثيرة وهو متواتر، **وقد** ذكره السيوطي في الأحاديث المتواترة 37/ 100، **وقال الذهبي** في سير أعلام النبلاء415/5: الحديث ثابت بلا ريب، **وقال** في 8/ 334: متنه متواتر، **وقال الذهبي** في تذكرة الحفاظ713/2 في ترجمة محمد بن جرير الطبري: ولما بلغ ابن جرير أن ابن أبي داود تكلم في حديث غدير خم عمل كتاب الفضائل، وتكلم على تصحيح الحديث، **قال الذهبيُّ**: رأيتُ مجلدًا من طرق الحديث لابن جرير فاندهشت له ولكثرة تلك الطرق، **قال السيد الهادي بن إبراهيم الوزير في** =

نهاية التنويه ص 92: هذا الخبر قد بلغ حد التواتر، وليس لخبر من الأخبار ما له من كثرة الطرق، وطرقه مائة وخمس طرق، **وفي** هذا زيادة على الحد المعتبر في التواتر، **قال** محمد بن جرير الطبري: خبر الغدير طرقه من خمسين وسبعين طريقًا، وله كتاب سماه الولاية، **وقال ابن عقدة**: خبر الغدير له مائة وخمس طرق **وقد** أفرد له كتابا أيضًا، **قال المقبلي في الأبحاث المسددة** ص 244 بعد ذكر رواته: وهو متواتر، **فإن** كان مثل هذا معلومًا ، وإلا فما في الدنيا معلوم! **قال ابن حجر** في فتح الباري 7/ 74: وهو كثير الطرق جدًا، **وقد** استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان. **وقد** روي من عدة طرق منها:

الأُولَى: عن علي عليه السلام، وبعضها من حديث المناشدة فقام- في بعض الروايات- اثنا عشر فشهدوا أنه قال ذلك: أحمد بن حنبل 182 رقم6410، ص252 رقم951، وص321 رقم1310، وص250 رقم950، 951، وص253 رقم 961/ 964، وفضائل الصحابة 2/ 741 رقم 1022،1021، وص 849 رقم 1167، وص877 رقم 1206، والنسائي في الخصائص ص 89-91 رقم 82-85، والطبراني في الكبير 3/ 179 رقم 3049، والأوسط 2/ 275 رقم 1966/ 324 رقم 2110،2109، وص369رقم 2254، و7/ 70 رقم 6882، و8/ 213 رقم 8434، والحاكم 3/ 371، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص607 رقم 1360، 1363، 1370،1364، 1368، 1367، ومختصر الزوائد 2/ 302 رقم 1901، 1602، وابن أبي شيبة 6/ 368.

الثَّانِيَةُ: عن زيد بن أرقم: أحمد بن حنبل 1/ 250 رقم 952، 9/ 51رقم 23204، وفضائل الصحابة 2/ 703 رقم 959، وص 759 رقم 1048، والترمذي 5/ 591 رقم 3713، وكتاب السنة لابن أبي عاصم 607 رقم 1363، 1364، والخصائص ص84 رقم 71، 88 رقم 81، والطبراني في الكبير 5/ 166 رقم 4969-4971، 170رقم 4981، 171رقم4985، 4986/ 175رقم 4996، 192/ رقم 5059، 193 رقم 5066، 195رقم 5068- 5071، وص 203 رقم 5092،5096، 5079، ص212 رقم 5128، والأوسط 2/ 275 رقم 1966، والحاكم 3/ 533، 109، 110، **وقال**: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، **وسكت** عنه الذهبي، ومسند البزار 10 / 211 رقم 4298 و 4299.

الثَّالِثَةُ: عن أبي أيوب الأنصاري: كتاب السنة لابن أبي عاصم ص606 رقم 1354، والطبراني في الكبير 4/ 137رقم 4052، وص174رقم 4053 عنه وجماعة من الأنصار، أحمد بن حنبل9/ 143رقم 23662.

الرَّابِعَةُ: عن سعد بن أبي وقاص، ابن ماجة1/ 44رقم121،والخصائص ص88 رقم80، والسنة لابن أبي عاصم ص 606 رقم 1358.

الخَامِسَةُ: عن البراء بن عازب: كتاب الخصائص ص91رقم85، والسنة لابن أبي عاصم ص 607 رقم 1362، وابن أبي شيبة6/ 373.

السَّادِسَةُ: عن أنس بن مالك: الطبراني في الأوسط2/ 369رقم 2254، والصغير1/ 89.

السَّابِعَةُ: عن حذيفة بن أسيد: الترمذي 5/ 591 رقم 3713، والطبراني في الكبير3/ 180رقم 3052.

الثَّامِنَةُ: عن أبي سعيد الخدري، السنة لابن أبي عاصم ص 607رقم 1365، والطبراني في الأوسط 8/ 213 رقم 8434، 2/ 369 رقم 2254، والطبراني في الصغير 1/ 89.

=

العبرة والدرس:

1 - إن عَلِيًّا ﷺ جَدِيرٌ بهذا التكريم العظيم، وحَرِيٌّ بذلك الوسام الرفيع؛ فلم يترك شيئا يُرْضِي الله ورسوله يستطيع أن يفعله إلا فعله؛ فهو رجل قوي، جَلْدٌ، صبور، صاحب همة بعيدة، ونفس أبية، ولم يكن ليسمح لأي مَكْرُمَةٍ تتفلت من يديه، ولا سيما وقد اختار الله له العيش في كنف رسول الله ﷺ منذ طفولته.

2- برغم الضجيج حول عَلِيٍّ بين مُحِبٍّ غَالٍ، وَمُبْغِضٍ قَالٍ، إلا أنه ينبغي التنبه إلى أن عَلِيًّا ثَرْوَةٌ هائلة للبشرية جمعاء، وكنز نفيس لا يخص الشيعة وحدهم.

3- أجاد الكتاب المسيحيون في كتاباتهم عن علي، وأبدعوا أيما إبداع؛ فَاقُوا الكثير ممن كتب عن علي من المسلمين؛ لأنهم أبرزوا الجانب الشخصي الإنساني، ونقلوا صورة الإنسان المستبسل في الدفاع عن الفقراء، الواقف في وجه الطغاة والمستكبرين، وأبناء الدنيا الطامحين، المطبق للنزاهة والعفة على نفسه وأولاده

التَّاسِعَةُ: عن أبي هريرة: الطبراني في الأوسط 2/ 24 رقم 1111، ص 369 رقم 2254، ومختصر زوائد البزار 2/ 303 رقم 1903، 1904، وابن أبي شيبة 6/ 369، والطبراني في الصغير 1/ 89.

العَاشِرَةُ: عن ابن عباس، والحاكم3/ **134وقال:** صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وفضائل الصحابة 2/ 703.

الحَادِيَةَ عَشَرَ: عن سعد بن مالك: المستدرك 3/ 116.

الثَّانِيَةَ عَشَرَ: عن طلحة: المستدرك3/ 371، والسنة لابن أبي عاصم ص 606رقم 1356، ومختصر زوائد البزار 2/ 304رقم 1905.

الثَّالِثَةَ عَشَرَ: عن عبد الله بن عمر: كتاب السنة لابن أبي عاصم ص606رقم 1356.

الرَّابِعَةَ عَشَرَ: عن مالك بن الحويرث: الطبراني 19/ 291رقم646.

الخَامِسَةَ عَشَرَ: عن عمر بن الخطاب: أحمد بن حنبل6/ 401رقم 18506 **وقال له:** هنيئًا يابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة، والمناقب لابن المغازلي ص31.

السَّادِسَةَ عَشَرَ: عن جابر بن عبد الله، كتاب السنة لابن أبي عاصم 606 رقم 1355، والذهبي في سير أعلام النبلاء 8/ 334، **وقال:** حديث حسن عالٍ جدًا.

السَّابِعَةَ عَشَرَ: عن عمارة: مختصر زوائد البزار2/ 305 رقم 1907.

بصرامة لا تعرف الونى، ولا تماشيها الهوينا؛ إنه شديد القسوة في تطبيق الحق، ألم يشهد له رسول الله بأنه مُخْشَوْشِنٌ في ذات الله؟ وهل يكون إماما للمتقين، ونبراسا للمؤمنين إلا إذا كان مع الحق والعدل؟ بل الحديث الشريف قال: «علي مع الحق والحق مع علي»[1] متشبث به لا يتنازل عنه قيد أنملة، **ومن** أراد الاطلاع على شيء من ذلك فعليه بنهج البلاغة، وشروحه: لشيخ الأزهر الإمام محمد عبده، والعلامة النحرير عبدالحميد بن أبي الحديد، والإمام يحيى بن حمزة.

موت إبراهيم بن رسول الله ﷺ سنة 10هـ:

مرض إبراهيم بن رسول الله ﷺ ونُقِلَ إلى مَشْرُبَةٍ بجوار أمه مارية وأختها سيرين تُمَرِّضَانِهِ، **فجاءه** النبي ﷺ وهو يُحْتَضَرُ، **وقال**: إِنَّا يَا إِبْرَاهِيمُ لَا نُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا، وَفَاضَتْ رُوحُ الطِّفْلِ؛ **وحزن** النبي ﷺ ودمعت عيناه، **وقال**: لَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي الرَّبَّ، وَإِنَّا لِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ! **وصادف** موت إبراهيم كسوف الشمس؛ **فقال** الناس: إنها انكسفت لموته، **فقال** ﷺ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَا تَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَصَلُّوا وَادْعُوا»[2].

العبرة والدرس: 1- دلت هذه الحادثة على عَظَمَةِ الرسول ﷺ، وشدة اتصاله بالله، وتمسكه بمبادئه في أحلك المواقف وأشدها إيلامًا، **ومن** قرأ كتابات

---

(1) تيسير المطالب93 رقم 50 الباب الثالث، والمناقب لمحمد بن سليمان الكوفي1/ 91، والترمذي 5/ 592 رقم 3714 بلفظ «اللَّهُمَّ أَدِرِ الحَقَّ مَعَ عَلِيٍّ حَيْثُ دَارَ» وَقَالَ: صَحِيْحٌ، وَ الحاكِمُ فِي المستدرك 3/ 124، بلفظ: «رحم الله عليًّا، اللهم أدر الحق معه حيث دار»، وقال: صحيح على شرط مسلم، وروى أيضا 3/ 124: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض. وَقَالَ: صَحِيْحُ الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذَّهَبِيُّ، ومسند أبي يعلى 2/ 318 رقم 1052،بلفظ: «ألا أخبركم بخياركم»؟ قالوا: بلى، قال: «خياركم الموفون المطيبون إن الله يحب الخفي التقي، قال: ومر علي بن أبي طالب فقال: «الحق مع ذا، الحق مع ذا». وَ ابن عساكر في ترجمة الإِمَام عَلي 3/ 153 رقم 1172. وَ الخطيب فِي تاريخه14/ 321.

(2) البخاري رقم 1011، 997. وصلاة الكسوف ركعتان: في كل ركعة خمس ركوعات، ويكبر موضع التسميع إلا في الركوع الأخير. ولها كيفيات أخرى.

المستشرقين وجدهم في هذا الموضع واقفين إجلالًا وإعظامًا وإكبارًا لمحمد، معترفين بصدق الرجل الذي لا يرضى في أصعب المواقف إلا الصدق والحق، **فلو** كان غير النبي ﷺ لَمَا فَوَّتَ هذه الفرصة الذهبية؛ **فقد** جاءت دعاية سانحة؛ إذ كَسَفَتِ الشمس يوم موت ابنه، **وقال الناس**: إنها انكسفت لموته، **لكنه** رفضها؛ لأنه نبي كريم بدونها صلى الله عليه وآله دواما.

2- عواطف الرقة والرحمة طبيعة بشرية، ولا مانع من دمع العين، وحزن القلب؛ فمن لا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ ما دام ذلك موزونًا بميزان الشرع، لا نقول إلا ما يرضي ربنا؛ ولذلك فلا يجوز الصراخ، والتسخط، واللطم، وشق الثياب، وما شابه ذلك؛ فإنه محبط للأجر، واللائق بالمؤمن أن يصبر، ولا سيما عند الصدمة الأولى؛ لأن جزعه لا يَرُدُّ فائتا، ولا يحفظ أجرًا.

3- شاء الله أن يموت أولاده الذكور، وقد عوضه الله خيرا منهم زَكَاةً وأَقْرَبَ رُحْمًا؛ إنها بَضْعَتُهُ، وقُرَّةُ عَيْنِهِ، وأُمُّ أَبِيهَا: الزَّهْرَاءُ، الطَّاهِرَةُ، البَتُولُ، سَيِّدَةُ نساء العالمين؛ فكانت الذُّرِّيَّةُ النَّبَوِيَّةُ الشريفةُ محفوظةً لرسول الله ﷺ من نسلها، ولم يعرف التاريخ أُمًّا بعد مريم ابنة عمران شَرَّفَتْ ذُرِّيَتَهَا، ورَفَعَتْ مِنْ قَدْرِ أَبْنَائِهَا كسيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله ﷺ، **وقد** اختار الله لها زَوْجًا من طينة أبيها؛ سبق الناس بالمزايا والفضائل:

فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ ... وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا

وما أحسن قول من قال:

وَكَمْ خَطَبَ الأَشْرَافُ بَضْعَةَ أَحْمَدِ ... فَلَمْ يَلْتَفِتْ لِلْجَاهِ وَالْمَالِ وَالتِّبْرِ

وَلَمَّا أَتَاهُ الْمُرْتَضَى الطُّهْرُ خَاطِبًا ... تَلَقَّاهُ طه بِالبَشَاشَةِ وَالبِشْرِ

وَقَالَ لَهُ: أَبْشِرْ فَرَبُّكَ بِالسَّمَا ... مُزَوِّجُكَ الزَّهْرَاءَ وَالأَرْضُ لَا تَدْرِي

وَقَـدْ جَـاءَ فِي وَحْـيِ الإِلَـهِ وَأَمْـرِهِ بِهَـذَا فَأَنْـتَ الْمُرْتَـضَى دُونَهُـمْ صِـهْرِي
فَلَـوْلَاهُ لَمْ يُوجَـدْ لِبِنْـتِ مُحَمَّـدٍ قَـرِينٌ وَلَا كَانَـتْ تُـزَفُّ لِـذِي مَهْـرِي

ولله در الأمير الصنعاني ووالده حين تناشدا التحفة العلوية **ومنها** :

واخْتِـصَاصُ اللهِ بِـالزَّهْرَا لَـهُ لِـسِوَاهُ مِثْلُـهُ لَمْ يَتَهَيَّـا
فَغَـدَتْ عِتْرَتُـهُ مِـنْ أَجْلِهَـا عِـتْرَةَ الْمُخْتَـارِ نَـصًّا أَحْمَـدِيًّا
وَغَـدَا الـسِّبْطَانِ وَالآلُ إِذَا نَـسَبُوهُمْ نَبَوِيًّـا عَلَوِيًّـا

أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

تزوج ﷺ ثلاث عشرة امرأة، ودخل بإحدى عشرة، وتوفي عن تسع وهن: **سودةُ، وزينبُ ، وعائشةُ، وحفصةُ، وأم حبيبةَ، وأم سَلَمَةَ، وميمونةُ، وجويريةُ، وصفيةُ، وهاهي** أسماؤهن حسب ترتيب الزواج بهن[1]:

1- **خديجةُ** بنت خُوَيْلِدٍ بن أسد بن عبد العزى بن قصي (قرشية) **وهي** أول نسائه، وأول مَنْ آمن به، **أَصْدَقَهَا** عشرين بَكرَةً[أي فتية من الإبل]، **ولدتْ** له جميع أولاده ما عدا إبراهيم، **عقد** بها عمها، **وتوفيت** قبل الهجرة بخمس سنوات، **وقيل**: بأربع، **وقيل**: بثلاث.

2- **سَودَةُ** بنتُ زَمَعَةَ بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حِسْلٍ بن عامر بن لؤي (قرشية): **زوجه** إياها سَلِيطُ بن عمرو بن عبد شمس، **ويقال**: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس[2]، **وقيل**: أبوها، وهو يومئذ شيخ، **وأصدقَها** رسول الله ﷺ أربعمائة درهم، **وكانت** قبله عند السكرانِ بن عمروٍ،

(1) ابن هشام 4/ 293، والاستيعاب 4/ 379 رقم 3347، وسيرة ابن كثير 4/ 579، والمواهب اللدنية 1/ 401، وزاد المعاد 1/ 26، وتاريخ الطبري3/ 160، وتاريخ الإسلام السيرة النبوية ص 592، والسيرة النبوية للشرفي ص 276- 277.

(2) ذكر ابن إسحاق أن سليطًا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت. ابن هشام 4/ 294.

ويقال: إن عَقْدَ عائشة قبلها، **توفيت** سنة 23هـ، **وقيل**: في خلافة عثمان، ولها نحو من ثمانين سنة[1].

3- **عائشةُ** بنتُ أبي بكر عبد الله بن عثمان أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي(قرشية): **عقد** عليها وهي بنت سبعِ سنين، **وبنى** بها بالمدينة وهي بنتُ تسعِ سنين أو عَشر، **وفي** تحديد سنِّها مناقشة ليس هنا موضع ذكرها ، **ولم** يتزوج رسولُ الله ﷺ بكرًا غيرَها، **زَوَّجَهُ** إياها أبوها، **وأصدقها** أربعمائة درهم، **وقُبِضَ** ﷺ وهي ابنة ثماني عشرة سنة على ما روي في السير، **وتوفيت** سنة 58هـ، **وقيل**: سنة 57هـ **في عهد معاوية**، وعمرها 66 أو 65 سنة[2].

4- **حفصة** بنت عمر بن الخطاب بن نُفَيْلٍ بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قُرْطٍ بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي (قرشية)، ولدت قبل البعثة بخمس سنين: **زَوَّجَهُ** إياها أبوها. **أصدقها** أربعمائة درهم، **وكانت** قبله عند خُنيس بن حُذافة السهمي، **توفيت** سنة 41هـ، **وقيل**: 45هـ، **وقيل** غير ذلك[3].

5- **زينب** بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية العامرية: أم المساكين؛ **سميت** بذلك لرحمتها إياهم، ورقتها عليهم، **زوَّجه** إياها قَبِيْصَةُ بن عمرو الهلالي سنة ثلاث هـ. **أصدقها** أربعمائة درهم، **وكانت** قبله عند عُبيدةَ بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، **وكانت** قَبْلَ عُبَيْدَةَ عند جهم بن عمرو بن الحارث **وهو** ابن عمها، **وقيل**: كانت تحت عبدالله بن جحش، فقُتل عنها يوم أحد فتزوجها الرسول ﷺ، ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة، **ثم ماتت** رحمة الله عليها.

---

(1) الاستيعاب 4/ 421، وأسد الغابة 7/ 157 رقم 7035، والإمتاع 3/ 34.
(2) الاستيعاب 4/ 435 – 438 رقم 3463، وأسعد الغابة 6/ 186 رقم 7093.
(3) الاستيعاب 4/ 372 رقم 3333، وأسد الغابة 6/ 67 رقم 6852.

6- **أمُّ سَلمةَ** هند بنت أبي أميةَ بن المغيرةِ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بـن يَقَظَـةَ بـن مُرَّةَ بن كعب بن لؤي المخزومية (قرشية)[1]، و كان أبوها يُدْعَى زاد الركب، **زوجه** إياها ابنُها سَلَمَةُ بنُ أبي سلمةَ. **صِدَاقُهَا** فِرَاشٌ حَشْوُهُ لِيفٌ ، وقَدَحٌ، وصَحفةٌ، ومِجشَّةٌ [رحى]، **وكانت** قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد، **واسمه** عبدالله، فولدت لـه: سـلمة، وعمـر، وزينب، ورقية، **توفيت** سنة 59هـ، **وقيل**: سنة 61هـ [أسد الغابة 7/ 329 رقم 7472].

7- **زينبُ** بنتُ جحش بن رِئَاب بن يَعْمُرَ بن صَبْرَةَ بن مُرَّةَ بـن كبـير بـن غَـنْمَ بـن دُوْدَانَ بن أسد بن خزيمة بن مُدْرِكَةَ بن إلياس بن مُضَرَ بن نزار بـن مَعَـدِّ بـن عـدنان، التقت مع النبي ﷺ في خزيمة؛ فهي غير قرشية؛ لأن الجد الجامع لقريش : إما فِهْرُ بن مالك بن النضر ، أو جده النضر بن كنانة ، وهناك أقوال أخرى، وقد سبق الكـلام في نسب النبيﷺ. **أمها** أُمَيْمَةُ بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، **زوَّجه** إياهـا أخوهـا أبـو أحمدَ بن جحش. **أصدقها** أربعمائة درهم، **وكانت** قبله عند زيد بن حارثةَ مولاه ، **وفيها** أنـزل الله تعـالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾[الأحزاب:37][تفسير الطبري 12/ 17] ، **وكانت** أول نساء النبي ﷺ لحوقًا به سنة 20هـ[2].

8- **جُوَيْرِيَةُ** بِنْتُ الحارث بن أبي ضِرارٍ الخُزاعية: **كانت** في سبايا بنـي المُـصْطَلِقِ من خُزَاعَةَ، فَوَقَعَتْ في سَهْمِ ثابتِ بنِ قيسِ بـنِ شَـمَّاسٍ الأنـصاري، فكاتبهـا عـلى نفسها، فدفع النبي ﷺ عنها مَالَ الكِتَابَةِ وتزوجها، **توفيت** سنة 56هـ.

9- **أُمُّ حَبِيبَةَ**، رَمْلَةُ بنت أبي سفيان صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّـةَ بْـنِ عَبْـدِ شَـمْسِ بْـنِ عَبْدِمَنَافٍ (قرشية): **زَوَّجَهُ** إياها خالدُ بْنُ سَعِيدِ بْـنِ العَـاصِ، وهـما بـأرض الحبـشة، **وخطبها** الملك النجاشي رضي الله عنه **وأصدقها** عنه أَرْبَعَمائةِ دينار، **وكانت** قبله عند عبيدالله بن

(1) **وقيل**: اسمها رملة واسم أبيها حذيفة، **وقيل**: سهيل، **وقيل**: هُشَيْمُ. ينظر الروض النضير 2/ 197.
(2) أسد الغابة 7/ 126 رقم 6955، والاستيعاب 4/ 606 رقم 3389.

جحش الأسدي، تَنَصَّرَ في الحبشة، **توفيت** سنة 44هـ.

10- **صفية** بنت **حُيَي بْنِ أَخْطَبَ**: **من** بني النضير من سِبْطِ النبي هارون عليه السلام، **من** سبايا خيبر، **اصطفاها** النبي ﷺ لنفسه، **ثم** أعتقها وتزوجها، **وأَوْلَمَ** بها وليمة ما فيها شحم ولا لحم، وإنما السويق والتمر، **وكانت** قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيقِ، **توفيت** سنة 50هـ.

11- **ميمونةُ** بنت الحارث بْن حزن الهلالية، وينتهي نسبها إلى صعصعة بن عامر من ذرية مضر، **زَوَّجَهُ** إياها العباس بن عبدالمطلب، زوج أختها لُبَابَةَ الكبرى، و لبابة أسلمتْ بعد خديجة، وكان النبي يزورها و يقيل عندها[أسد الغابة 7/ 246]. **أصدقها** العباس أربعمائة درهم، **وكانت** قبله عند أبي رُهْمٍ العامري القرشي، وهي آخر من تزوج بها النبي ﷺ، **ويقال**: إنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ، وذلك أن خطبة النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها، فقالت: البعير وما عليه لله ولرسوله، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾[الأحزاب:50]، **ويقال**: إن التي وهبت نفسها للنبي ﷺ زينبُ بنت خزيمة(1)، **ويقال**: أم شريك، **ويقال**: خولة بنت حكيم بن أمية، **ويقال**: إنه لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها(2)، **توفيت** سنة 51هـ، **وقيل**: 66هـ، **وقيل**: 63هـ.

فهؤلاء الإحدى عشرة اللاتي بَنَى بهن رسول الله ﷺ، **فمات** قبلَه منهن اثنتان: خديجةُ، وزينب بنت خُزَيمة، **وتوفي** عن تسع كما ذكرنا، **واثنتان لم يدخل بهما**: **أسماء** بنت النعمان الكندية، تزوجها فوجد بها بياضًا [برصًا]، فمتَّعها وردها ردا جميلا إلى أهلها، **وعَمْرَةُ** بنت يزيدَ الكِلابية، وكانت فائقة الجمال والبسطة، **فلما** قدمت على

---

(1) في كل المصادر أنها زينب بنت خزيمة، و تفرد ابن هشام في سيرته 4/ 296 أنها زينب بنت جحش.

(2) ابن هشام 4/ 296، وتفسير الطبري 12/ 22/ 29، ومجمع البيان 8/ 170، والبحر المحيط 7/ 321، والثمرات اليانعة 5/ 80، وأسد الغابة 7/ 94، وعيون الأثر 2/ 393، والإمتاع 3/ 13 وما بعدها.

رسول الله ﷺ **قالت** لها عائشة: قولي لكي تَحْظَيْ عنده: أعوذ بالله منك؛ ففعلتْ، فقال: «مَنِيعٌ عَائِذُ الله»، فردها إلى أهلها، **ويقال**: إن التي استعاذت امرأة كندية، بنت عم لأسماء بنتِ النعمان، **ويقال**: إن رسول الله ﷺ دعاها **فقالت**: إنا قوم نُؤتَى ولا نأتي؛ فردها إلى أهلها، **ولو صح** أن عائشة خدعتها **فهو** مشكل؛ لأنه ظلم عظيم لامرأة بريئة؛ إذ يترتب على ذلك حِرْمَانُهَا من رسول الله ﷺ وحرمانه من متعة أحلها الله له، **ثم** إن النبي ﷺ أعلى البشر ذكاء، ورحمة، و لطفا، ومعرفة بحقوق الغير، فلا أظن أن تنطلي عليه مثل هذه الحِيَلِ الباردة؛ ولا يُظْلَمُ في ساحته الشريفة أبرياء دون تدخل الوحي، **لكنا** نقلنا ما قيل والعِلْمُ عند الله وهو الحاكم بين عباده.

أعمامه وعماته:

1- أبو طالب عبدمناف. 2- الزُّبَيْرُ. 3- عبدالكعبة، لم يدرك الإسلام، ولم يُعْقِبْ. 4- أم حكيم البيضاء توأم عبدالله، يُقال لها: (**الحَصَانُ**)أي العفيفة، تزوجت كُرَيْزَ بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس. 5- **عَاتِكَةُ**، تزوجت أبا أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، له صحبة. 6- بَرَّةُ، تزوجت أَبَا رُهْمٍ بن عبدالعزى بن أبي قيس بن عبد وُدٍّ، له صحبة، **ثم** تزوجت عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، فولدت له: أبا سلمة عبدالله زوج أم سلمة، **وقيل**: تزوجت أبا رهم بعده. 7- أروى، تزوجت عمير بن وهب بن عبدالدار، فولدت له طُلَيْبَ بْنَ عمير، كان بدريًّا، ولا عقب له، **ثم** تزوجت كَلَدَةَ بن هاشم. 8- أُمَيْمَةُ، تزوجت جحش بن رئاب بن يعمر، **وهؤلاء** أشقاء والد النبي ﷺ، **أمهم** فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم. 9- حمزة. 10- الْمُقَوَّمُ ويُكْنَى أبا بكر. 11- حَجْلٌ، **واسمه** المغيرة، **وقيل**: جَحْلٌ، ليس له عقب. 12- صَفِيَّةُ. 13- العوام على رأي البعض، **أمهم** هالة بنت وُهَيْبٍ بن عبد مناف بن

زهرة بنت عم آمنة بنت وهب أُم رسول الله. 14- العباس. 15- ضِرَارٌ، مات أول الوحي، ولم يسلم، وليس له عقب، وكان من أجمل فتيان قريش، **أمهما** نُتَيْلَةُ على الأشهر، **أو** نُبَيْلَةُ، **أو** ظُعَيْنَةُ، **أو** بَتِينَةُ، **أو** بَسِيلَةُ بنت جَنَابِ بن كُلَيْبٍ، **وهي** أول عربية كست البيت الحرير والديباج. 16- الحارث وهو أكبر ولد عبدالمطلب، **وبه** كان يُكْنَى. 17- قُثَمٌ هلك صغيرًا، **وأمهما** صفية بنت جُنْدَبٍ بن حُجَيْرٍ بن رِئَابٍ بن حبيب بن سُواة. 18- أبو لهب، واسمه عبدالعُزَّى، **أمه** لُبنى بنت هاجر من خزاعة[(1)]. 19- الغيداق، واسمه مصعب، أو نوفل، وكان جوادًا، **أمه** مُمَنَّعَةُ بنت عمرو بن مالك، من خزاعة؛ **فأعمامه** اثنا عشر، **وقيل**: عشرة بإسقاط عبدالكعبة **وهو** المقوم كما قيل، والغيداق وهو حجل، **وقيل**: تسعة بإسقاط قثم أيضًا، **وأما** عماته فست بلا خلاف أمهن فاطمة المخزومية إلا صفية فأمها هالة الزهرية. أسلم منهم أبو طالب، والحمزة، والعباس، وصفية، وعاتكة على خلاف المشهور.

أولاد أعمامه:

1- **أولاد أبي طالب**: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي، وأم هاني واسمها فاختة، **وقيل**: هند، وجمانة، **وأمهم** جميعًا فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف، أول هاشمية ولدت لهاشمي؛ أسلموا ماعدا طالبا.

2- **أولاد الزبير**: الطاهر، وحجل، وقرّة، وعبدالله،له صحبة، قُتِلَ يوم أجنادين.

3- **أولادالحارث**: نوفل، وأبو سفيان الشاعر، واسمه المغيرة، وربيعة، وعبدشمس، وعبد المطلب، وأمية، وأروى، **وأمهم** عدية بنت قيس بن طريف.

4- **أولادُ حمزةَ**: عُمارة، ويعلى، وعامر، وأُمَامَةُ تزوجها سلمة بن أبي سلمة، وانقطع نسل حمزة . 5- **أولادُ المُقَوَّمِ** : بكر، وعبدالله، ثم انقطع نسله.

(1) عيون الأثر 2/ 383، أنساب الأشراف 1/ 100، شرح المواهب اللدنية 3/ 274، ونسب قريش ص17.

6-**أولادُ أبي لهب** : عُتْبَةُ ، وَمُعَتِّبٌ لهما صُحبة ، وعُتَيْبَةُ أكله الأسد كافرًا، ودِرَّة.

7-**أولادُ العباسِ**: الفضل، وبه كان يُكْنَى، وعبدالله، وعبيدالله، وقُثَمٌ ليس له عَقِبٌ، ومَعْبَدٌ، وأَمُّ حبيب، **وأمهم** لبابة بنت الحارث . والحارثُ **وأمه** من هذيل . وكثير، وتمَّام كان من أشد الناس بطشاً، وكلاهما لا عَقِب لهما، **وأمهما** أم ولد. وآمنة، وصفية **وأمهما** أم ولد ، وجميعهم أسلموا [نسب قريش 27] .

ذِكْرُ كُتَّابِهِ ﷺ[1]:

1- علي. 2- أبو بكر. 3- عمر. 4- عثمان. 5- عامر بن فهيرة. 6- خالد بن سعيد بن العاص. 7- حنظلة بن الربيع. 8- زيد بن ثابت. 9- أُبَيُّ بن كعب. 10-ثابت بن قيس بن الشمّاس. 11- عبدالله بن الأرقم الزهري. 12- شرحبيل بن حسنة. 13- عبدالله بن أبي السرح، **وهو** أول من كتب له من قريش ثم ارتدّ. 14- معاوية بن أبي سفيان وغيرهم.

قال ابن أبي الحديد[1/ 461]: والذي عليه المحققون من أهل السِّيَرِ أن الوحي كان يكتبه: علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وزيد بن أرقم، **وأن** حنظلة بن الربيع ومعاوية كانا يكتبان له إلى الملوك ورؤساء القبائل، ويكتبان حوائجه بين يديه، ويكتبان ما يجيء من أموال الصدقات، **وقد** روي أن النبي ﷺ **قال** لابن عباس «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ»، **قال**: فجئت **فقلت**: هو يأكل، **قال**: ثم قال لي: «اذْهَبْ وَادْعُ لِي مُعَاوِيَةَ»، **قال**: فجئت، **فقلت**: هو يأكل، **فقال**: «لاَ أَشْبَعَ اللهُ بَطْنَهُ»[2].

(1) تاريخ اليعقوبي 1/ 402، والسيرة النبوية للشرفي ص 254.

(2) مسلم 4/ 2010برقم 2604 والنسائي 1/ 5 في مقدمة السنن عندما قيل له: ألا تخرج فضائل معاوية كما أخرجت فضائل عليّ؟ فقال: أي شيء أُخرِجُ؟ «اللهم لا تُشْبِعْ بَطْنَهُ»، فجعلوا يضربونه حتى أخرجوه من المسجد ومات بسبب ذلك، وذكر الذهبي: أن معاوية كان كاتبا فيما بين النبيﷺ ، وبين العرب. سير أعلام النبلاء 2/ 123.

نبذة من معجزاته ﷺ:

ظهر على يديه ﷺ معجزاتٌ كثيرةٌ، عَدَّهَا بعضهم بألف معجزة، نذكر منها: 1- القرآن الكريم المعجزة الخالدة. 2- الإسراء إلى بيت المقدس. 3- تظليل الغمام له. 4- خبر الصحيفة وما أكلته الأَرَضَةُ. 5- مسير الشجرة إليه وكلامها له. 6- حنين الجذع إليه. 7- نَبْعُ الماء بين أصابعه. 8-وصفه لبيت المقدس ولم يَرَهُ. 9- قصة أم معبد وشاتها. 10- حادثة سراقة بن مالك. 11- نسج العنكبوت على الغار. 12- خروجه ليلة الهجرة ولم يره المتربصون بقتله. 13- تسبيح الحصى في كفه . 14 – رد عين قتادة بن النعمان. 15- شفاء عين عليٍّ بريقه في خيبر. 16- إخباره بالمغيبات **مثل: قوله** لعمار «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ»[1]، **وقوله** لعائشة «سَتَنْبَحُكِ كِلابُ الحَوْأَبِ»[2]، **وقوله** للزبير: «إِنَّكَ تُقَاتِلُ عَلِيًّا وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ»[3]، **وقوله** لعليٍّ: «سَتُقَاتِلُ النَّاكِثِينَ وَالقَاسِطِينَ وَالْمَارِقِينَ»[4]، **وأيضا قوله**: «أَشْقَى الأَوَّلِينَ عَاقِرُ النَّاقَةِ، وَأَشْقَى الأَخِرِينَ قَاتِلُكَ يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذَا»[5]، **وقوله** لعلي يوم الحديبية

---

(1) البخاري رقم 436، ومسلم برقم 2916، والترمذي رقم 6499، وابن حبان رقم 6736، والاستيعاب 1/ 133، وأسد الغابة 1/ 18، والإصابة 1/ 234.

(2) مسند أحمد رقم 80342، ورقم 24708، وابن أبي شيبة 7/ 536 رقم 37771، والمستدرك 3/ 120، ودلائل النبوة للبيقهي 6/ 410، ومسند أبي يعلى 8/ 282 رقم 4868، وابن حبان 15/ 126 رقم 6732، والطبراني في الأوسط 6/ 234 رقم 6277، ومجمع الزوائد 7/ 234، وسبل الهدى 10/ 145، والروض الأنف 1/ 197، والكامل لابن الأثير 2/ 30، وأبي الفداء 1/ 119، واليعقوبي 1/ 179، والبداية والنهاية 6/ 236.

(3) الاستيعاب 1/ 153، والإصابة 2/ 557، البداية والنهاية 6/ 237 .

(4) أسد الغابة 4/ 108، والمستدرك 3/ 139، والطبراني في الكبير 10/ 92 رقم 10054، والأوسط 8/ 213 رقم 8432، والدر المنثور 5/ 725، وتاريخ بغداد 8/ 304.

(5) المناقب لأحمد 2/ 698 رقم 953، والخصائص 13رقم 149، والطبراني في الكبير 1/ 173، ودلائل النبوة للبيهقي 3/ 11، والحاكم 3/ 141، ومعرفة الصحابة 1/ 295 رقم 318، والاستيعاب 3/ 220، وتاريخ بغداد 1/ 135، والبداية والنهاية 7/ 325.

عندما امتنع عن محو «محمد رسول الله»: «إنك سَتُسَامُ بِمِثْلِهَا»، **وقوله** لسراقة: «كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ لَبِسْتَ سُوَارَيْ كِسْرَى»[1] **وقوله** لعمر في شأن سهيل بن عمرو: «سَيَقُومُ مقاما تَحْمَدُهُ يَا عُمَرُ»[2] ، **ومنها** نعيه النجاشي، وجعفر، وأصحابه وهم بعيدون، **وقوله** لأبي ذر الغفاري: «تَمْشِي وَحَدْكَ، وَتَمُوتُ وَحْدَكَ، وَتُبْعَثُ وَحْدَكَ»، وغيرها كثير لا يمكن حصرها هنا. **وقد** تحقق جميع ما ذُكِرَ. 17- انشقاق القمر، **وقد** تكفلت المطولات باستيعابها، والله أعلم بصحة بعضها، **وكفى** بالقرآن معجزة[3] .

قصة الأسود العنسي:

اسمه عَيْهَلَةُ، أو عَبْهَلَةُ بن كعب، من عنس: بطن من مذحج، **بلغه** مرض النبي ﷺ لما عاد من حجة الوداع غير مرض الموت، **وكان** مُشَعْوِذًا؛ فادَّعى النبوة؛ فاتبعته مذحج، **وكانت** رِدَّةُ الأَسْوَدِ أَوَّلَ ردة في الإسلام في عهد رسول الله ﷺ، واستطار أمره كالحريق، وغلب على البلاد من حضرموت إلى الطائف، ومن عدن إلى البحرين والأحساء، وهرب منه عُمَّالُ رسول الله ﷺ، فهرب معاذ إلى أبي موسى بمأرب فلحقا بحضرموت، **وَقَاتَلَهُ** شهر بن باذان عامل رسول الله ﷺ على اليمن، فقُتِلَ شهرٌ وتزوج الأسود بامرأته المرزبانة، **وكان** خليفته على مذحج عَمْرًا بن معدي كرب، **ولبث** الأسود ثلاثة أشهر أو قريبًا من أربعة **فَقُتِلَ غِيلَةً**بمساعدة امرأة شهر قبل موت رسول الله ﷺ بخمسة أيام، على يد قيس بن هبيرة، **وقيل**: فيروز الديلمي، **وورد** خبره إلى أبي بكر بعدما استخلف بعشر ليال، **وقيل**: صباح موت

---

(1) الاستيعاب 1/ 174، وأسد الغابة 1/ 422، والإصابة 3/ 41، وسنن البيهقي 6/ 357.
(2) أسد الغابة 2/ 585، والاستيعاب 2/ 230.
(3)عيون الأثر 2/ 375، وتُنظر الكتب التالية: 1-كتاب إثبات نبوة النبي للإمام المؤيدبالله ، 2- الشفاء للقاضي عياض. 3-دلائل النبوة للبيهقي.**وقد** ذكر الأستاذ عبد الله الحبشي في كتابه معجم الموضوعات المطروقة 1274 قرابة 35 كتاباً في معجزات النبي ﷺ. 4- إثبات النبوة لقاضي القضاة المعتزلي.

رسول الله ﷺ، **وذُكِرَ** أن قيسَ بن مكشوح أحد من قتل الأسود **ارْتَدَّ** وتابعه جماعة من أصحاب الأسود، وخافه أهل صنعاء، وأتى إلى فيروز الديلمي وداذويه، **وقد** اشتركا في قتل الأسود معه؛ فخادعهما فقتل داذويه، **وفطن** فيروز فهرب إلى خولان، ومَلَكَ قيسٌ صنعاء، فكتب فيروز إلى أبي بكر فأمدَّه بجيش فهزم قيسًا، وأرسله إلى أبي بكر بعد وفاة النبي ﷺ فوبَّخه فأنكر الردة فعفا عنه[1].

مرض النبي ﷺ ووفاته: يوم الإثنين 12 ربيع أول 11هـ– 7 يونيو 632م[2]:

ابْتَدَأَهُ الـمَرَضُ في أواخر صفر، **فاستمر** المرض 13 يومًا، **وقيل**: 7 أيام بعد أن خرجَ إلى بَقيع الغَرقَدِ[3] من جوف الليل ومعه أبو مُوَيْهِبَةَ مولاه، **فقال**: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ المَقَابِرِ، لِيَهْنِئْ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ مِمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ فِيهِ؛ أَقْبَلَتِ الفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْـمُظْلِمِ يَتْبَعُ آخِرُهَا أَوَّلَـهَا، الآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الأُولَى! يَا أَبَا مُوَيهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، **فَخُيِّرْتُ** بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ»، فَقُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَالْخُلْدَ فِيهَا ثُمَّ الْجَنَّةَ، **قال**: «لَا، وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيهِبَةَ لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ»[4]، **ثُمَّ** اسْتَغْفَرَ لأَهْلِ البقيع، **ثم** انصرفَ، **فَبَدَأَهُ** صُدَاعٌ شَدِيدٌ في بيتِ ميمونةَ، **وخرج** في أثناء مرضه فصعد المنبر فحمد الله، **ثُمَّ قال**: «يَا مَعْشَرَ الْـمُهَاجِرِينَ اسْتَوْصُوا بِالأَنْصَارِ خَيْرًا؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَزِيدُونَ، وَإِنَّ الأَنْصَارَ عَلَى هَيْئَتِهَا لَا تَزِيدُ، وَإِنَّهُمْ كَانُوا عَيْبَتِي[5] الَّتِي

---

(1) البخاري 4/ 1591، وتاريخ الطبري 3/ 227، وفتوح البلدان ص 1646، والكامل 2/ 227، والذهبي عهد الخلفاء ص14، 30، والبداية والنهاية 6/ 307.

(2) ابن هشام 4/ 298، وعيون الأثر 2/ 445، والاكتفاء 2/ 421، والمصابيح لأبي العباس ص 246، والسيرة الحلبية 3/ 343، ودلائل البيهقي 7/ 233.

(3) **بقيع الغرقد**: مقبرة أهل المدينة، **وهي** داخل المدينة.

(4) الحاكم 3/ 56، وأسد الغابة 6/ 302، ومجمع الزوائد 3/ 59، وأحمد رقم 15997.

(5) **عيبة الرجل**: خاصته وموضع سره.

أَوَيْتُ إِلَيْهَا فَأَحْسِنُوا إِلَىٰ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسْيِئِهِمْ»، **قالت** عائشة: لَـمَّا اشتد به وَجَعُهُ استأذن أزواجه أن يُمَرَّضَ في بيتي فَأَذِنَّ له، **فخرج** بين الفضل بن العباس وبين رجل آخَرَ! تَخُطُّ رِجْلَاهُ في الأرضِ، **قال** عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود: فَأَخْبَرْتُ عبدالله بن عباس بالذي قالت عائشة، **فقال** لي: هل تدري مَنِ الرَّجُلُ الآخَرُ الذي لم تُسَمِّ عَائِشَةُ؟ **قال**: قلت: لا، **قال** ابن عباس: هو علي بن أبي طالب[1]! **قال الطبري**[3/ 189]: وكانت لا تقدر أن تذكره بخير وهي تستطيع! **وَرَوَتْ عَائِشَةُ** -وهي أكثر مَنْ روى تفاصيل مرضه ﷺ- **أنه قال** لها: «مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، **وَهَذَا** أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذَلِكَ السَّمِّ»[البخاري 4165]، **وقد** سبقت الملحوظة على هذه الرواية، **وقالت**: لما دخل بيتي واشتد به وجعه **قال**: «هَرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ، لَعَلِّيَ أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ»؛ فأجلسناه في مِخْضَبٍ لحفصة، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القِرَبِ حتى طَفِقَ يُشِيرُ إلينا بيده: «أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ»، **قالت**: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم[البخاري 4178]، **قلتُ**: ومما قال في هذه الخطبة كما رواه الطبراني في **الأوسط**[3/ 104 رقم (2629)]: «مَنْ كُنْتُ جَلَدْتُ لَهُ ظَهْرًا فَهَذَا ظَهْرِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، وَمَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَهُ عِرْضًا فَهَذَا عِرْضِي فَلْيَسْتَقِدْ مِنْهُ، وَلاَ يَمْتَنِعَنَّ أَحَدُكُمْ فَإِنَّ الشَّحْنَاءَ لَيْسَتْ مِنْ طَبْعِي»! **فصلى** الظهر ثم أعاد مقالته، **فقال** رجل: إِنَّ لي عندك ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ، **فقال**: «أَعْطِهِ يَا فَضْلُ»، **ثم قال**:«أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيُؤَدِّهِ وَلَا يَقُلْ: فُضُوحُ الدُّنْيَا؛ فَإِنَّ فُضُوحَ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ»، **فقال** رجل: عندي ثَلَاثَةُ دراهمَ غَلَلْتُهَا؛ **فقال**: خُذْهَا مِنْهُ يَا فَضْلُ، **وقال آخر**: إِنِّي كَذَّابٌ فَاحِشٌ نَؤُومٌ فدعا له بصلاح حاله.

---

(1)البخاري رقم 4178 بلفظه، وفتح الباري 8/ 141.

صلاة أبي بكر بالناس:

أخرج البخاري [رقم 655]، ومسلم [رقم 418]:عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ، عَنْ عُبَيْدِاللهِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: أَلَا تُحَدِّثِينِي عَنْ مَرَضِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ **قَالَتْ**: بَلَى، ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ **فَقَالَ**: أَصَلَّى النَّاسُ؟ قُلْنَا: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ، **قَالَ**: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ، **قَالَتْ**: فَفَعَلْنَا، فَاغْتَسَلَ فَذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ **فَقَالَ**ﷺ: أَصَلَّى النَّاسُ؟ **قُلْنَا**: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، **قَالَ**: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ، **قَالَتْ**: فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ **فَقَالَ**: أَصَلَّى النَّاسُ؟ **قُلْنَا**: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، **فَقَالَ**: ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ، فَقَعَدَ فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ ذَهَبَ لِيَنُوءَ فَأُغْمِيَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَفَاقَ، **فَقَالَ**: أَصَلَّى النَّاسُ؟ **فَقُلْنَا**: لَا، هُمْ يَنْتَظِرُونَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَالنَّاسُ عُكُوفٌ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُونَ النَّبِيَّ ﷺ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِأَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَأَتَاهُ الرَّسُولُ **فَقَالَ**: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، **فَقَالَ** أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا: يَا عُمَرُ صَلِّ بِالنَّاسِ، **فَقَالَ** لَهُ عُمَرُ: أَنْتَ أَحَقُّ بِذَلِكَ، فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ تِلْكَ الْأَيَّامَ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً فَخَرَجَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا الْعَبَّاسُ لِصَلَاةِ الظُّهْرِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ لِيَتَأَخَّرَ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنْ لَا يَتَأَخَّرَ، قَالَ: أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ، فَأَجْلَسَاهُ إِلَى جَنْبِ أَبِي بَكْرٍ، **قَالَ**: فَجَعَلَ أَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي وَهُوَ يَأْتَمُّ بِصَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّاسُ بِصَلَاةِ أَبِي بَكْرٍ وَالنَّبِيُّ ﷺ قَاعِدٌ، **قَالَ** عُبَيْدُ اللهِ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ **فَقُلْتُ** لَهُ: أَلَا أَعْرِضُ عَلَيْكَ مَا حَدَّثَتْنِي عَائِشَةُ عَنْ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ؟ **قَالَ**: هَاتِ، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا، فَمَا أَنْكَرَ مِنْهُ شَيْئًا غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ: أَسَمَّتْ لَكَ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ مَعَ الْعَبَّاسِ؟ **قُلْتُ**: لَا، **قَالَ**: هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه**!** واللفظ للبخاري.**وهناك** روايات أخرى لهذا الحديث تركناها؛ كراهة التطويل، وهي لا تخلو من التعارض، والتناقض، والإشكال.

الإشكالات الواردة على الرواية[1]:

1- كيف يصلي أبو بكر بالناس وهو من ضمن جيش أسامة مع كبار المهاجرين والأنصار مُعَسْكِرِينَ بالجُرُفِ[2]؟!.

2- الأحاديث الواردة في الصلاة تكاد تُجْمِعُ على وجود عمر في المسجد، وهذا ينافي كونه أحد أفراد جيش أسامة المتواجد في الجُرُفِ، بل إن بعض الأخبار تدل على حضور عمر وغياب أبي بكر! مع أن المؤرخين لم يختلفوا في كَوْنِ عُمَرَ ضِمْنَ جيش أسامة، وأنه قدم مع أسامة وأبي عبيدة من الجرف[3] عندما بلغهم خبر وفاة رسول الله ﷺ قبل انطلاق الجيش نحو وجهته التي وجهها رسول الله ﷺ، **وَأَمَّا** أبو بكر فقد اتفق المحدثون والمؤرخون[4] أنه قدم من بيته بالسُّنْحِ[5] عندما علم بخبر الوفاة.

3- في رواية أنس في الصحيحين [البخاري 4183، ومسلم 419] أن النبي كشف ستر

---

(1) الشافي للإمام عبدالله بن حمزة 4/ 454-457، وفتح الباري 2/ 151-156، 2/ 174-175، والرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة (الرسالة الرابعة)، والمصابيح لأبي العباس الحسني ص 251، وطبقات ابن سعد 2/ 178-179.

(2) الطبقات الكبرى 2/ 189-190، ومصنف ابن أبي شيبة 6/ 392 رقم 32305، وتاريخ اليعقوبي 1/ 443، وتاريخ دمشق 8/ 65 ، وعيون الأثر 2/ 369، والكامل لابن الأثير 2/ 215، والمنتظم لابن الجوزي 4/ 16، وتاريخ الإسلام (المغازي) ص 714، وتهذيب الكمال ترجمة أسامة بن زيد 2/ 340 رقم 316، والوافي بالوفيات 8/ 374 رقم 3810، وابن حجر في تهذيب التهذيب 1/ 189 رقم 349 ترجمة أسامة بن زيد، وفتح الباري 8/ 152، والإمتاع 10/ 517. ونفى ابن كثير وابن تيمية أن يكون أبو بكر في جيش أسامة. انظر: سيرة ابن كثير 4/ 441، وفتح الباري 8/ 152. **وتبعد** الجرف عن المدينة ثلاثة أميال نحو الشام. معجم البلدان 2/ 128.

(3) تاريخ دمشق 2/ 56، ومغازي الواقدي 3/ 1120، ودلائل النبوة 7/ 200.

(4) البخاري 1/ 418 رقم 1184، والنسائي 4/ 11 رقم 1841، وابن حبان 14/ 587 رقم 6620، والبداية والنهاية 5/ 262-268، وتاريخ الإسلام عهد الخلفاء ص 5، وفتح الباري 7/ 29، والطبري 3/ 202، ودلائل النبوة 7/ 216، وطبقات ابن سعد 2/ 265، **وفي البداية والنهاية**: ذهب سالم بن عبيد وراء الصديق إلى السنح ليعلمه بموت رسول الله ﷺ.

(5) إحدى محالِّ المدينة، بينها وبين منزل النبي ﷺ ميل. معجم البلدان 3/ 265.

الحجرة ينظر إلى المصلين وهو قائم كأن وجهه مصحف، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، فأشار النبي ﷺ: أَنْ أَتِمُّوا صلاتكم، وأرخى الستر، فتوفي من يومه! **وهذه** الرواية تعارض ما روي أن النبي ﷺ خرج عليهم يوم الاثنين إلى المسجد، وصلى معهم، ثم خطبهم، وبعد أن أتم خطبته استأذنه أبو بكر في أن يذهب إلى بيته بالسنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة[1].

4- في رواية ابن ماجة [رقم 1234]: أن النبي ﷺ **قال**: «مُرُوا بِلَالًا فَلْيُؤَذِّنْ، وَمُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»! **والمعلومُ** أن بلالا لا يحتاج إلى أمْرٍ بالأذان في وَقْتِ كُلِّ صلاةٍ؛ فقد كان أذانه مؤقتا بوقت الصلاة.

5- وفي رواية ابن ماجة أيضًا أن النبي شعر بخفة فخرج بين بريرة ورجل آخر، **وهذا** يناقض رواية البخاري: أنه خرج بين العباس ورجل آخر، وتفسير ابن عباس أن الرجل الآخر هو علي، **ثم** إن بَرِيرَةَ في تلك الحال كانت حُرَّةً ورسولُ الله ﷺ يجتنب المحارم، فكيف يعتمد عليها؟! وقد أصبحت أجنبية.

6- في حديث عبدالله بن زَمْعَةَ أن النبي ﷺ قال: «مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ»[2]، **وفي** حديث البخاري أنه قال: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» **وهذا** تناقض، **وفي** حديث ابن زمعة أن أبا بكر كان غائبا فوقع اختيار ابن زمعة على عمر فأمره فصلى بالناس، فلما سمع النبي صوت عمر قال: «يَأْبَى اللهُ ذَلِكَ وَالْمُؤْمِنُونَ»؛ فبعث إلى أبي بكر فصلى بالناس بعد أن صلى بهم عمر، **وهذا** غير معقول؛ إذ كيف يطلق أولا بقوله ﷺ: «مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ» ثم إذا علم أنه صلى بهم عمر يشترط أبا بكر؟! بل ويشير إلى أن في صلاة عمر مخالفة يأباها الله والمسلمون، رغم أن أبا بكر لم يكن موجودا، والمؤمنون قد صلوا خلف عمر ولم يأبوا ولم يعترضوا عليه؛ فهو عارف بأحكامها.

---

(1) سيرة ابن هشام 4/ 304، ودلائل النبوة 7/ 201.

(2) سيرة ابن هشام 4/ 303، وسنن أبي داود5/ 47 رقم 4660.

7- في الصحيحين أن النبي ﷺ عندما خرج إلى المسجد صلى إماما، وفي مسند أحمد أن النبي ﷺ صلى مأموما بأبي بكر، **وهذا** اختلاف شديد بين الروايات حسب كلام ابن حجر [فتح الباري 2/ 120]، لا يمكن دفعه بتعدد الحوادث وتعدد الصلاة؛ لأن في ذلك احتمال تعدد الأمر منه ﷺ لأبي بكر أن يصلي بالناس وذلك كتحصيل الحاصل، ولا يصح.

8- في حديث ابن زمعة أنه هو الذي أمر عمر بالصلاة، **وفي** رواية البخاري المذكورة سابقا أن أبا بكر طلب من عمر أن يصلي بالناس، فقال عمر: أنت أحق بذلك، **وفي** رواية أخرى له [رقم647] : أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ : إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء، فَمُرْ عمر فليصل للناس، ثم طلبت من حفصة أن تعيد ذلك لرسول الله ، ففعلت، فقال رسول الله ﷺ: «مه إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر»، قالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيرا. **ولا محمل** لهذا التعارض إلا تعدد الحوادث، وقد علمت أنه لا يصح.

9- اعتذار عائشة عن مراجعة النبي ﷺ بقولها: إن أبا بكر رجل أسيف، إن يقم مقامك يَبْكِ؛ فلا يقدر على القراءة، مع تصريحها فيما بعد بأن مرادها أن لا يتشاءم الناس بأبي بكر، **وقد قالت**: ما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدًا، ولا كنتُ أرى أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله عن أبي بكر.[البخاري 4/ 1615 رقم 4180، ومسلم رقم 418] **وهذا** فيه دليل على أنها اعتذرت بغير ما أَخْفَتْهُ عن النبي ﷺ في نفسها! **وذلك** لا يليق بأم المؤمنين.

10- قد روي عن النبي ﷺ أنه اشتكى فدخل عليه ناس من أصحابه يعودونه فصلى رسول الله ﷺ جالسا فصلوا بصلاته(1): ولم يُرْوَ أنه استخلف أَحَدًا للصلاة

---

(1) البخاري رقم 772، ومسلم رقم 411، وذكر في فتح الباري أنها في صلاة الفرض بلا خلاف 2/ 584.

بالناس في المسجد، فما هي خصوصية مرض موته؟! ومَنِ الذي صلى بهم في المسجد عندما صلى النبيﷺ بهم في بيته؟! ولماذا لم يأتِ بعضُ الصحابة إلى بيت النبي ﷺ للصلاة خلفه في مرض الموت كما فعلوا في غير مرض الموت؟!

11- **كُلُّ** مَا يُمْكِنُ أن تدل عليه الرواياتُ الواردةُ في صلاة أبي بكر بالناس في مرض رسول الله ﷺ رغم تعارضها واختلافها -هُوَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يخرج للصلاة معهم إلا مَرَّةً واحدة، **وقد** صرح بذلك الشافعي ، ولا نستطيع أن نجزم بأن النبي ﷺ هو الذي أمر أبا بكر بالصلاة أو غيره، إلا أنه عندما أَحَسَّ النَّبِيُّ ﷺ بخفةٍ خرج يتهادى بين رجلين حتى جلس إلى جانب أبي بكر فصلى بالناس جميعا إماما، **وكان** أبو بكر يُسْمِعُ الناسَ صوته[1].

12- **في** رواية عائشة المتقدمة أن الصلاة التي خرج لها رسول الله ﷺ هي الظهر، وهي صلاة سرية، **وفي** رواية ابن عباس عند أحمد [رقم 3355] أن رسول الله ﷺ ابتدأ القراءة من حيث انتهى أبو بكر، ما يعني أن الصلاة كانت جهرية!.

وكُلُّ الإشكالاتِ الواردةِ على الروايات -وإن كان لها تأويلاتٌ للجمع بين الأخبار إلا أنها لا تكفي في إسقاطِ التعارضِ والتناقضِ الحاصل بينها! **ومع** هذا فليس لنا هَوًى في تضعيف الحديث أو تصحيحه إِلَّا من أَجْلِ مَعْرِفَةِ مُلَابَسَاتِ الحادثَةِ التي اسْتُغِلَّتْ فيما بَعْدُ لمآربَ سياسيةٍ، وإثباتِ الإمامةِ العظمى من خلال إثباتِ الإمامةِ الصغرى في الصلاة؛ من حيث إِنَّ مَنْ قَدَّمَهُ رسول الله ورضيه للصلاة بالناس فقد رضيه لاستخلافه عليهم؛ **فإن** مَنْ تَقَدَّمَ على المسلمين في صلاتهم هو أقرؤهم، وأعلمهم، وأفقههم، **وهذه** هي صفاتُ الإمام الأعظم، رغم أن الذين يقولون بهذا يُثْبِتُونَ أَيْضًا أن النبي ﷺ صلى أثناء مرضه خلف أبي بكر مؤتما، **ولم يقل** أحد منهم بأن

---

(1) فتح الباري 2/ 175 ، وانظر: الأم 2/ 326، وهو لفظ حديث البخاري رقم (680).

في ذلك دليلا على أن أبا بكر كان أقرأ أو أعلم أو أفقه من النبي ﷺ!! وحتى عمر الذي روي عنه أنه استدل بصلاة أبي بكر على إمامته يوم السقيفة قد **قال**: إِنْ أَسْتَخْلِفْ فقد استخلفَ مَنْ هو خير مني، وإِنْ أَتْرُكْ فقد ترك مَنْ هو خير مني[1]؛ **في** إشارة إلى أبي بكر في استخلافه عمر، **وإلى** النبي ﷺ في عدم استخلافه أحدا، **وهذا يعني** أن عمر لم يَعْتَبِرِ الاستخلافَ على الصلاة لوصح استخلافا على الأمة؛ لمعرفته أن الأهلية لإمامة الصلاة أمر ميسور، أما أهلية الإمامة الكبرى فدونها خرط القتاد، **وكذلك** أبو بكر لم يستدل بالاستخلاف في الصلاة على إمامته؛ فقال: بايعوا أحد هذين الرجلين: عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح. **قال الأمير الحسين** [ينابيع النصيحة 389]: لو سلَّمنا لهم تسليم جدل أن أبا بكر صلى برسول الله ﷺ وبالمسلمين – لما كان ذلك دليلا على الإمامة؛ لأن إمامة الصلاة ليست من الإمامة العامَّةِ في شيء، ولا صلاةَ النبي ﷺ خَلْفَ أبي بكر تدل على الإمامة العامة أيضا؛ لأن رسول الله ﷺ صلى في صحته خلف عبدالرحمن بن عوف ركعةً من الصبح[2]؛ ولم يكن في ذلك حجةٌ على إمامته، مع أن رسول الله ﷺ لم يَعْزِلْهُ عن الصلاة، **وقد** عزل أبا بكر عن الصلاة. **وبَعْدُ** فقد ولَّى النبي ﷺ على الصلاة بالناس مَنْ لا تَصِحُّ إمامتُه العامة عندنا وعندهم؛ فإنَّه استعمل ابنَ أمِّ مكتوم على المدينة ليصليَ بالناس وهو أعمى[3]. انتهى بتصرف.

أَحْدَاثٌ أُخْرَى أَثْنَاءَ مَرَضِهِ ﷺ

عن ابن عباس قال: يَوْمُ الخميسِ، وَمَا يَوْمُ الخَميسِ؟ اشتد برسول الله ﷺ

(1) البخاري رقم 6792، ومسلم رقم 1823.

(2) سنن أبي داوود 1/ 398 رقم595، ومصنف ابن أبي شيبة 2/ 119 رقم 7170، ومسند أحمد 6/ 335 رقم 18199، وصحيح ابن خزيمة 3/ 9 رقم 1515، والمعجم الكبير للطبراني 20/ 426 رقم 1031.

(3) طبقات ابن سعد 4/ 205، وابن حبان 5/ 506، وأبو يعلى 7/ 434 رقم 44556، والطبراني في الأوسط 1/ 6 رقم 5، والبداية والنهاية 3/ 318.

وَجَعُهُ، فقال: «ائْتُونِيْ أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا»، فتنازعوا -ولا ينبغي عند نبي تنازع- فقالوا: ما شأنه؟ أَهَجَرَ[1]؟ اسْتَفْهِمُوهُ؟ فذهبوا يَرُدُّونَ عَلَيْهِ! فقال: «دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيْهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ»، وأوصاهم بثلاث: قال: «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِيْنَ مِنْ جَزِيْرَةِ العَرَبِ، وَأَجِيزُوا الوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ»، وسكت عن الثالثة، أو قال: فَنَسِيتُهَا[2]! وعنه قال: لما حُضِرَ[3] رسول الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبي ﷺ: «هَلُمُّوا أَكْتُبْ لَكُمْ كتابًا لا تَضِلُّونَ بَعْدَهُ»، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله! فاختلف أهل البيت واختصموا: فمنهم مَنْ يقول: قَرِّبُوا يَكْتُبْ لكم كتابًا لا تضلون بعده، ومنهم مَنْ يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللَّغْوَ والاختلاف قال ﷺ: «قُومُوا»؛ فكان ابن عباس يقول: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ ما حَالَ بين رسول الله ﷺ ، وبين أن يُكْتَبَ له ذلك الكتاب، لاختلافهم ولَغَطِهِمْ[4]. ثم دعا بحبيبته وقرة عينه فاطمة عليها السلام وسَارَّهَا بشيء فبكت، ثم دعاها وسَارَّها بشيء فضحكت، فأخبَرَتْ بعد موته أنه أخبرها بوفاته فبكت، ثم أخبرها أنها أولُ أهل بيته لُحُوقًا به فضحكت[5]. ومما روى ابن حجر الهيتمي في صواعقه [127] أنه ﷺ قال في مرض موته: «أَيُّهَا النَّاسُ، يُوشِكُ أَنْ أُقْبَضَ قَبْضًا سَرِيعًا

---

(1) البخاري 2888 و2997 و4168 و4169 و5345 و6932: يعني اختلف كلامه بسبب المرض، على سبيل الاستفهام، أي هل تغير كلامه و اختلط لأجل مابه من المرض؟ و**أَهْجَرَ** في مَنْطِقِهِ إِهْجَارًا وهُجْرًا أي استهزأ وتكلم بالمَهَاجِرِ أي الهُجْرِ، قاموس 460. و **هذا** أحسن ما يقال فيه، ولا يُجْعَلُ إخبارا فيكون إِمَّا من الفُحش، أو الهذيان، **والقائل** كان عمر، ولا يُظَنُّ به ذلك. النهاية في غريب الحديث والأثر 5/ 246، لكن رواية البخاري 2888: هَجَرَ بدون استفهام، و فتح الباري 7/ 738/ ط دار الريان للتراث – القاهرة: **أقول**: لا أجد كبير فرق بين الإخبار والاستفهام، **وكان الأَوْلَى أن يقال**: لكل جواد كبوة! **ولَعَلَّ** عمر تَوَجَّسَ خيفة أن يعهد بالخلافة لِعَلِيٍّ؛ فقال ما قال.

(2) البخاري 4168، وفتح الباري 8/ 132 رقم 4431.

(3) أي حضره الموت. فتح الباري6/ 522.

(4) البخاري 4169، وفتح الباري 8/ 132 رقم 4432، والطبراني في الكبير 11/ 1226، ومسند ابن حنبل 4/ 437، وكنز العمال 11/ 554.

(5) البخاري 4170، وفتح الباري 8/ 135 رقم 4433، والمصابيح ص 245 .

فَيُنْطَلَقَ بِي، وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمُ القَوْلَ مَعْذِرَةً إِلَيْكُمْ، أَلَا إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمْ كِتَابَ رَبِّي عَزَّ وَجَل، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي»، ثم أخذ بيد عَلِيٍّ فقال: «هَذَا مَعَ القُرْآنِ وَالقُرْآنُ مَعَ عَلِيّ، لَا يَفْتَرِقَانِ حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ، فَأَسْأَلَـهُمَا مَا خُلِّفْتُ فِيهِمَا»(1).

لَدُّ رَسُولِ الله ﷺ(2):

اجتمع إليه بَعْضٌ من نسائه: أم سلمة، وميمونة، وبعض من نساء المسلمين، مِنْهُنَّ أسماءُ بنتُ عُمَيسٍ، وعنده العباسُ عمُّه فأجمعوا على أن يَلُدُّوهُ، **وقال** العباس: لَأَلُدَّنَّهُ، فَلَدُّوهُ، **فلما** أفاق رسول الله ﷺ **قال**: مَنْ صَنَعَ هَذَا بِي؟ **قالوا**: يا رسول الله عَمُّكَ قال: هَذَا دَوَاءٌ أَتَى بِهِ نِسْوَةٌ من الحبشة، قال: ولِمَ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ؟ فقال العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذاتُ الجَنْبِ، فقال: «إِنَّ ذَلِكَ لَدَاءٌ مَا كَانَ اللهُ لِيَقْذِفَنِي بِهِ، لَا يَبْقَى فِي البَيْتِ أَحَدٌ إِلَّا لُدَّ إِلَّا عَمِّي»، **فلقد** لُدَّتْ مَيْمُونَةُ وإنها لصائمة لِقَسَمِ رسول الله ﷺ عقوبةً لهم بما صنعوا به، **ورواية** البخاري عن عائشة، **قالت**: لَدَدْنَاهُ في مرضه، فجعل يشير إلينا: أن لا تلدوني، **فقلنا**: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أن تَلُدُّونِي»، **قلنا**: كراهية المريض للدواء، فقال: «لَا يَبْقَى أَحَدٌ فِي البَيْتِ إِلَّا لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَّا الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُم»[البخاري 4189] **أقول**: **لعله** ترك العباس؛ لأنه بمنزلة الأب.

86- جيش أسامة (سرية)(3):

دعا رسول الله ﷺ في مرضه أسامة بن زيد، فقال: سِرْ إلى مقتل أبيك فَأَوْطِئْهُمْ الخيلَ فقد وَلَّيْتُكَ على هذا الجيش، فإن أظفرك الله بالعدو، فَأَقْلِلِ اللُّبْثَ، وبُثَّ العيونَ، وقَدِّمِ الطلائعَ، **فلم** يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار إلا كان في

---

(1) الطبراني في الأوسط 5/ 135 رقم 4880، والصغير 1/ 266 رقم 707، والحاكم في المستدرك 3/ 124.
(2) ابن هشام 4/ 300، وابن سعد 2/ 235. **واللَّدُّ**: وضع الدواء في جانب الفم بغير اختيار المريض.
(3) عيون الأثر 2/ 369، وابن هشام 4/ 291، 299، وتاريخ الإسلام (المغازي) ص 713، وأسد الغابة 1/ 194، والاستيعاب 1/ 170.

ذلك الجيش: **منهم** أبو بكر وعمر؛ فتكلم قوم **وقالوا**: يستعمل هذا الغلام على جِلَّةِ المهاجرين والأنصار؟ فغضب رسول الله ﷺ لَـمَّا سمع ذلك، وخرج عَاصِبًا رأسه، فصعد المنبر وعليه قطيفة، **فقال**: «أَيُّهَا النَّاسُ، مَا مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْ بَعْضِكُمْ فِي تَأْمِيرِي أُسَامَةَ؟ لَئِنْ طَعَنْتُم فِي تَأْمِيرِي أُسَامَةَ فَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي تَأْمِيرِي أَبَاهُ مِنْ قَبْلِهِ! وَايْمُ اللهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمَارَةِ، وَابْنُهُ مِنْ بَعْدِهِ لَخَلِيقٌ بِهَا، وَإِنَّهُمَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُ مِنْ خِيَارِكُمْ»[1]، **ثم** نزل ودخل بيته، وجاء المسلمون يودعون رسول الله ﷺ ويمضون إلى عسكر أسامة بالجُرُفِ، **وثقل** رسول الله ﷺ، واشتد ما يجده، **فأرسل** بعضُ نسائِه إلى أسامةَ وبعضٍ من كان معه يُعْلِمُونَهُمْ ذلك؛ فدخل أسامة من معسكره -والنبي ﷺ مغمور، **وهو** اليوم الذي لَدُّوهُ فيه- فتطأطأ أسامة عليه فَقَبَّلَهُ -ورسولُ اللهِ ﷺ قد أُسْكِتَ فهو لا يتكلم- فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعهما على أسامة كالداعي له، ثم أشار إليه بالرجوع إلى عسكره، والتوجه لما بعثه فيه، فرجع أسامة إلى عسكره، **ثم** أرسل نِسَاءُ رسولِ اللهِ ﷺ إلى أسامة يأمرنه بالدخول ويقلن: إن رسول الله ﷺ قد أصبح بَارِئًا، فدخل أسامة من معسكره يوم الاثنين 12 شهر ربيع الأول فَوَجَدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُفِيقًا، فأمره بالخروج وتعجيل النفوذ، **وقال**: «اغْدُ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ»، وجعل يقول: «أَنْفِذُوا بَعْثَ أُسَامَةَ»، ويكرر ذلك؛ فودع رسول الله ﷺ وخرج إلى معسكره بالجرف، وصاح بأصحابه باللحوق بالعسكر، **فلما** انتهى إلى المعسكر وأمر الناس بالرحيل جَاءَهُ رَسُولُ أُمِّ أيمنَ، **فقال**: إنَّ رسول الله ﷺ يموت؛ فأقبل ومعه عمر وأبو عبيدة[2]، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ حين زالتِ الشمسُ من هذا اليوم وهو يومُ الاثنين، وقد

(1) البخاري رقم 4199، وفتح الباري 8/ 152، وابن سعد 2/ 248، والطبري 3/ 186.
(2) تاريخ دمشق 2/ 56، ومغازي الواقدي 3/ 1120، ودلائل النبوة 7/ 200.

مات، واللِّوَاءُ مع بُرَيْدَةَ بْنِ الحُصَيْبِ، فدخل باللواء فركزه عند باب رسول الله ﷺ وهو مغلق، وعَلِيٌّ كرم الله وجهه وبَعْضُ بني هاشم مشتغلون بجهازه وغسله، **فقال** العباس لعلي وهما في الدار: **امْدُدْ يدك أُبَايِعْكَ**؛ فيقولَ الناس: عَمُّ رسول الله بَايَعَ ابْنَ عَمِّ رسولِ اللهِ فلا يختلف عليك اثنان، **فقال** له: أَوَ يَطْمَعُ يا عم فيها طامِعٌ غيري؟ **قال**: ستعلم! فلم يلبثا أن جاءتها الأخبار بأن الأنصار أقعدتْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ لِتبَايِعَهُ، وَأَنَّ عُمَرَ جاء بأبي بكر فبايعه، **وسبق** الأنصارَ بالبيعة؛ **فلما** سمع العباس بن عبدالمطلب بما جرى في السقيفة أنشد قول دريد بن الصمة:

أَمَرْتُهُمُ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى فَلَمْ يَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلاَّ ضُحَى الغَدِ[1]

وفاة الرسول ﷺ[2]:

توفي رسول الله ﷺ وعمره 63 سنة، **وقيل**: 60، **وقيل**: 65، **وقيل**: 62[3].

لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ وَتَغَشَّاهُ الموتُ قالت فاطمةُ سلام الله عليها: وَاكَرْبَ أباه. **قال**: «لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»! **ومما** روته عائشة رضي الله عنها أثناء مرضه: أن عبد الرحمن بن أبي بكر دخل وفي يده سواك أخضر، فنظر إليه رسول الله ﷺ، قالت: فعرفتُ أنه يريده، فأخذته من عبدالرحمن وقَضِمْتُهُ، ثم مَضَغْتُهُ فأعطيته رسول الله ﷺ فاسْتَنَّ به[البخاري 4185] ، **وكان** عليه السلام **يُدْخِلُ** يديه في الماء فَيَمْسَحُ بهما وجهه، **ويقول**: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ، ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ، فَجَعَلَ **يقول**: اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيْقِ الأَعْلَى حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ[البخاري 4184-4186] **وكانت** عائشة تقول: تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ بين سَحْرِي وَنَحْرِي في بيتي، وفي يومي، لم أظلم فيه أحدا؛ فمن سفاهة رأيي وحداثة

---

(1) ابن أبي الحديد 1/ 140، 141.

(2) سيرة ابن هشام 4/ 302، والبداية والنهاية 5/ 275، ومروج الذهب 2/ 219، وتأريخ الطبري 3/ 199، وتاريخ الخميس ص 166.

(3) البداية 5/ 257، وتأريخ خليفة 96، والطبري 3/ 217.

سني أن رسول الله ﷺ مات في حجري، فأخذت وسادة فوسدتها رأسه ووضعته من حجري، ثم قُمْتُ مع النساءِ أبكي وألتدم[1]. **وروي** عن ابن عباس أنه قال: والله لتوفي رسول الله ﷺ وإنه لمستند إلى صَدْرِ عَلِيٍّ[2]. وقُبِضَ رسول الله ﷺ ولَحِقَ بربه مُوَدِّعًا الدنيا الفانية بعد أن بَلَّغَ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق الجهاد؛ فجزاه الله خير ماجزى نبيا عن أمته، وصلوات الله وسلامه تغشى روحه الطاهرة وآله الأخيار عدد ذرات الكون.

مواقف الصحابة من موت النبي ﷺ:

وقف الناس حيارى لا يدرون ما يصنعون حتى إن عُمَرَ لم يُصَدِّقْ بموته، **وقال**: إن رجالًا من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ مات، **ولكنه** ذهب إلى ربه كما ذهب موسى، **فقد** غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجعَ إليهم، ووالله ليرجعنَّ فَلَيُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَ رجالٍ زعموا أنه مات، **وأقبل** أبو بكر حين بلغه الخبر وعُمَرُ يُكَلِّمُ الناسَ فدخل بيت رسول الله ﷺ، وكشف عن وجهه وقَبَّلَهُ، وقال: بأبي أنت وأمي، أَمَّا الْـمَوْتَةُ التي كتب الله عليك فقد ذُقْتَهَا، ثم لن تُصيبَك بعدها مَوْتَـةٌ أبدًا، **ثم** خرج وعمر يكلم الناس، **فقال**: على رِسْلِكَ يا عمر أَنْصِتْ، فأبى إلا أن يتكلم، فلما رآه لا يُنْصِتُ أقبل على الناس، **فلما** سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه، **ثم** قال: أيها الناس، إنه مَنْ كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، **ثم** تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[آل عمران:144]، **فكأن** الناس لم يسمعوها إلا يومئذ، **قال**

---

(1) سيرة ابن هشام 4/ 305، ودلائل النبوة للبيهقي 7/ 213، وهي تشير إلى إنكار وصية النبي ﷺ لعلي .
(2) طبقات ابن سعد 2/ 263، ومصنف ابن أبي شيبة 6/ 365 رقم 29066.

عمر: فلما سمعتها وقعت ما تحملني رجلاي[1]. **وأما** فاطمة عليها السلام **فقالت** تَنْدُبُهُ: يا أبتاه، أَجَابَ رَبًّا دعاه، يا أبتاه، مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ مأواه، يا أبتاه، إلى جبريلَ نَنْعَاهُ، **فلما** دُفِنَ قَالَتْ لِأَنَسٍ: أطابت أنفسكم أن تَحْثُوا على رسول الله ﷺ التراب[2]؟!.

وصية رسول الله ﷺ

في البخاري[رقم 4190]: ذُكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى عليٍّ، **فقالت**: مَنْ قَالَهُ؟ لقد رأيتُ النبي ﷺ وإني لَمُسْنِدَتُهُ إلى صدري، فدعا بالطست فانخنث[3] فمات، فما شعرت، فكيف أوصى إلى عليٍّ؟!. **قال الشوكاني**: اعْلَمْ أن جماعة من المبغضين للشيعة عَدُّوا قولهم: إن عَلِيًّا عليه السلام وَصِيٌّ لرسول الله ﷺ من خرافاتهم، **وهذا** إفراط وتعنت يأباه الإنصاف! **وكيف** يكون الأمر كذلك وقد قال بذلك جماعة من الصحابة؟ **كما** ثبت في الصحيحين[4] أَنَّ جَمَاعَةً ذَكَرُوا عند عائشة أن عَلِيًّا وَصِيٌّ، **وكما** في غيرهما، **واشتهر** الخلاف بينهم في المسألة، وسارت به الركبان، **ولعلهم** تَلَقَّنُوا قول عائشة في أول الطلب، وَكَبُرَ في صدورهم حتى ظنوه مكتوبًا في اللوح المحفوظ! وسدوا آذانهم عن سماع ما عداه، وجعلوه كالدليل القاطع! **وهكذا** فليكن الاعتساف، والتنكب عن مسالك الإنصاف! **وليس** هذا بغريب بين أرباب المذاهب؛ **فإن** كل طائفة في الغالب لا تُقِيمُ لصاحبتها وَزْنًا، ولا تفتح لدليلها -وإن كان في أعلى رتبة الصحة- أُذُنًا، إلا من عصم الله، وقليل ما هم[5]!انتهى بلفظه.

أقول: وكلام الشوكاني صحيح؛ فَإِنَّ المَرِيضَ الذي تتحدث عنه عائشة هو نبي الأمة

---

(1) البخاري برقم 4187، وفتح الباري 8/ 145.

(2) البخاري برقم 4193، وفتح الباري 8/ 149.

(3) انثنى وانكسر؛ لاسترخاء أعضائه عند الموت. النهاية في غريب الحديث 2/ 158، واللسان 2/ 145.

(4) البخاري 3/ 1006 رقم 2590، ومسلم 3/ 1257 رقم 1636.

(5) **وقد** شدد الشوكاني في كتابه على إثبات الوصية في كتاب بخط يده موجود عندي **وهو** مطبوع أيضًا.

وخاتم الرسل، ولا يعقل أن يظل مَعْزُولًا مُسْنَدًا إلى صدرها؛ لأَنَّ زُوَّارَهُ كل المؤمنين والمؤمنات القريبين منه والوافدين؛ **فالمدينةُ** عن بَكْرَةِ أبيها حتمًا ستزوره ليل نهار، **كما** لا يليق بآلِ هَاشِمٍ الكرام أَنْ يَتَخَلَّوْا عَنْ دُرَّتِهِمْ، وسوادِ عُيُونِهِمْ؛ فلا يُحِيطُونَ به كما هي عادتهم إِحَاطَةَ السِّوَارِ بِالمِعْصَمِ، يخدمونه، ويَسْتَقْبِلُونَ عُوَّادَهُ! **وعلى رأسهم** فاطمةُ الزَّهْرَاءُ عليها السلام حَبِيبَةُ أبيها، والباقيةُ الوحيدةُ من أولاده، والحسنُ والحسينُ عليهما السلام قُرَّةُ عَيْنِ جَدِّهِمَا، وأبوهما عَلِيٌّ عليه السلام الذي هو بمثابة ابْنٍ لرسول الله، وابن عمه، وصهره، ومعه عَمُّهُ العباسُ، وَابْنُهُ الفَضْلُ، وعَبْدُاللهِ وغَيْرُهُمْ من أقارب الرسول الذين لا يَكَادُونَ يخرجون حتى للصلاة في المسجد، وما يَفْصِلُهُمْ عن المسجد سوى الباب؛ خَوْفًا منهم على رسول الله ﷺ، وتَفَانِيًا في خدمته، وَرِعَايَةً لِحَقِّهِ، وكذلك نِسَاؤُهُ، **وَلْنَفْتَرِضْ أَنَّ** لعائشة مكانَتَهَا، وارتياحَ النبي ﷺ لها، وطَلَبَهُ التَّمْرِيضَ في بيتها- **لكن** ذلك لا يعني أنها مُتَفَرِّدَةٌ بِهِ، لا يَقْتَرِبُ منه سِوَاهَا حَتَّى تَقُولَ: فَمَتَى أَوْصَى؟ **فقد** روى ابن سعد عن علي كرم الله وجهه أنه مَاتَ فِي حِجْرِهِ مُسْنَدًا إِلَى صَدْرِهِ، **وهو** ما أكده ابن عباس [الطبقات 2/ 262]، **وروى** ابن أبي شيبة في المصنف [6/ 365 رقم 29066] عن أم سلمة **قالت**: والذي أَحْلِفُ به إِنْ كان عَلِيٌّ لأَقْرَبَ النَّاسِ عَهْدًا برسول ﷺ، **قالت**: عُدْنَا رَسُولَ اللهِ يَوْمَ قُبِضَ في بيتِ عائشةَ فجعل رسولُ اللهِ ﷺ غَدَاةً بَعْدَ غَدَاةٍ[1] **يقول**: أَجَاءَ عَلِيٌّ؟ مِرَارًا **قالت**: وأظنه كان بعثه في حاجة، **قالت**: فجاء بعد، فظننا أَنَّ له إليه حَاجَةً، فخرجنا من البيت فقعدنا بالباب فكنتُ مِنْ أدناهم مِنَ الباب، **قالت**: فَأَكَبَّ عَلَيْهِ عَلِيٌّ فجعل يُسَارُّهُ وَيُنَاجِيهِ، **ثُمَّ** قُبِضَ من يومه ذلك؛ فكان أَقْرَبَ النَّاسِ بِهِ عَهْدًا[2].

أَقُولُ: وهذا هو الحق والواقع، **والإسلام** في هذه اللحظات الحرجة- والنَّبِيُّ

---

(1) ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس من يوم بعينه، لسان العرب 15/ 116، يعني لحظة بعد لحظة.

(2) مسند أبي يعلى 12/ 364 رقم 6934، والنسائي في السنن الكبرى 4/ 261 رقم 7178، 5/ 154 رقم 8540، وأحمد 10/ 190 رقم 26627، ومصنف ابن أبي شية ص 365 رقم 32066.

العظيمُ يُوَدِّعُ الدنيا- **مُحْتَاجٌ لِصَدْرِ عَلِيٍّ**.

تكفينه ﷺ:

روى الإمام زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام **أنه قال: كفنت رسول الله** ﷺ في ثلاثة أثواب: ثوبين يمانيين أحدهما سَحْقٌ [بالي]، وقميص كان يتجمل به[1].

وروى الترمذي عن عائشة قالت: كفن النبي ﷺ في ثلاثة أثواب بيض يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة. **قال الترمذي**: وقد روي في كفن النبي ﷺ روايات مختلفة، وحديث عائشة أصح الأحاديث التي رويت في كفن النبي ﷺ[2].

خبر السقيفة[3]:

اجتمعتِ الأنصارُ في سقيفة بني ساعدة يوم توفي رسول الله ﷺ، **فَأَجْلَسَتْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ الْخَزْرَجِيَّ** لتبايعه، **وبلغ** الخبرُ أبا بكر وعمر ومن مَعَهُمَا فَأَتَوا مسرعين، ونَحَّوُا النَّاسَ عن سعد، **فقال** أبو بكر: يا مَعَاشِرَ الأنصار: مِنَّا رَسُولُ اللهِ؛ فنحنُ أَحَقُّ بمقامه، **وقال** حُبَابُ بْنُ المنذر: منا أمير ومنكم أمير: **فَإِنْ عَمِلَ الْمُهَاجِرِيُّ فِي الأَنْصَارِيِّ شَيْئًا رَدَّ عليه، وإن عَمِلَ الأَنْصَارِيُّ فِي الْمُهَاجِرِيِّ شَيْئًا رَدَّ عليه، وإن** لم تفعلوا فَأَنَا جُذَيْلُهَا الْمُحَكَّكُ، وعُذَيقُهَا الْمُرَجَّبُ[4]، لَنُعِيدَنَّهَا جَذَعَةً، **قال** عمر:

---

(1) مجموع الإمام زيد رقم 193، وأمالي أحمد بن عيسى 1/ 145، والأحكام للإمام الهادي 1/ 151، وينظر نحوه في الطبقات الكبرى 2/ 284.

(2) سنن الترمذي 3/ 321 رقم 996، وينظر مسلم 2/ 651 رقم 941، والبخاري 3/ 135 رقم 1264، وابن حبان 14/ 598 رقم 6629، وتلخيص الحبير 2/ 108.

(3) ابن هشام 4/ 306، والطبري 3/ 203، والمصابيح لأبي العباس ص 255، والبداية 5/ 265. وهيكل 505، واليعقوبي 2/ 7، والعقد الفريد4/ 257، والكامل لابن الأثير 2/ 220، والفتوح 1/ 6، ومآثر الإنافة 1/ 38، وتاريخ اليعقوبي 2/ 7، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء) ص 5، وتاريخ الخلفاء ص 62.

(4) **الجُذَيْلُ الْمُحَكَّكُ**: عود يُنْصَبُ في مبارك الإبل تتمرس فيه الإبل الجرباء، اللسان 11/ 107. **وَالعُذَيْقُ**: تصغير عَذْقٍ: وهو النخلة.اللسان 10/ 238، **وَالْمُرَجَّبُ**: الذي جُعِلَ له رَجَبَةٌ، أي دعامة تبنى حولها من الحجارة، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطالت تخوفوا عليها أن تنقعر من الرياح العواصف. اللسان 1/ 412.

وكُنْتُ زَوَّقْتُ فِي نفسي كلامًا، **فقال** أبو بكر: على رسلك يا عمر، فما ترك كلمة زوقتها في نفسي إلا تكلم بها، **فقال** أبو بكر: نحن المهاجرون أَوَّلُ النَاسِ إِسْلامًا، وأكرمهم أَحْسَابًا، وأوسطهم دارًا، وأحسنهم وجوهًا، وأمسهم برسول الله رحمًا، وأنتم إخوان لنا في الإسلام، وشركاؤنا في الدين، نصرتم وواسيتم، فجزاكم الله خيرًا، **فنحن** الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش؛ فلا تَنْفُسُوا على إخوانكم المهاجرين ما فَضَّلَهُمُ الله به، **وقد** رضيت لكم أَحَدَ هذين الرجلين يعني عمر أو أبا عبيدة، **فقالا**: ما كنا لنتقدمك وأنت صاحب رسول الله ﷺ وَثَانِيْ اثنين، فضرب عمر على يده وثنَّى أبو عبيدة، **وقيل**: العكس، **وقيل**: سبقهما بشير بن سعد، فناداه الحباب، عَقَقْتَ عَقَاقِ، أَنَفَسْتَ على ابن عمك الإمارة؟ **قال**: لا، ولكن كرهت أن أنازع قومًا حقًّا جعله الله لهم، **ولَـمَّا** رأتِ الأَوْسُ ما صنع بَشِيرٌ، وما تدعو إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد- **قال** بعضهم لبعض وفيهم أُسَيْدٌ: لئن وَلِيَتْهَا الخزرج مرة لم يجعلوا لكم معهم نصيبًا أبدًا؛ فقوموا فبايِعُوا، فازدحَمُوا على أبي بكر يبايعونه، فانكسر على سَعْدٍ والخزرجِ ما أجمعوا عليه، **ثم** بايع الحاضرون من قريش، **ونادى** أبو عبيدة: يا معشر الأنصار، كنتم أول من نصر، فلا تكونوا أول من غيَّر وبدَّل. **وقام** المنذر بن أرقم **فقال**: لو أن عليًّا طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد، **وكان** الناس عند البيعة يَطَؤُونَ وسادة سعد بن عبادة حتى وَطِئُوا سَعْدًا نفسه، **وقال عمر**: اقتلوا سعدًا، قتل الله سعدًا فإنه صاحب فتنة[1]! **وقال** عمر: فوالله ما وجدنا فيما حضرنا أمرًا أَوْفَقَ من مبايعة أبي بكر؛ خشينا إن نحن فارقنا القوم ولم تكن بيعةٌ أن يُحْدِثُوا بعدنا بيعة، **فإمَّا** بايعناهم على ما لا

---

(1) تاريخ الإسلام للذهبي -عهد الخلفاء- ص 8، وابن هشام 4/ 311 وما بعدها، وابن حبان 2/ 151 رقم 413، و 2/ 414 بلفظ: قتل الله سعدًا فإنه كان صاحب فتنة، وتاريخ الطبري 3/ 220، وفي البخاري 3/ 1341 رقم 3467 قال قائل: قتلتم سعدًا، فقال عمر: قتله الله.

نرضى، **وإمَّا** خالفناهم فيكون فساد[عهد الخلفاء للذهبي ص8]، **وجاء** البراء بن عازب فضرب الباب على بني هاشم، **وقال**: يا معشر بني هاشم بويع أبو بكر، **فقال** بعضهم: ما كان المسلمون يُحْدِثُونَ حدثًا نغيب عنه ونحن أولى بمحمد، **فقال** العباس: فعلوها ورب الكعبة(1)! **وكان** المهاجرون والأنصار لا يَشُكُّونَ فِي عَلِيٍّ، **فلما** خرجوا من الدار قام الفضل بن العباس وكان لسانَ قريش **فقال**: يا معشر قريش إنه ما حقت لكم الخلافة بالتمويه، ونحن أهلها دونكم، وصاحبنا أولى بها منكم[تاريخ اليعقوبي 2/ 8]، **وقام** عتبة بن أبي لهب فقال:

ما كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الأَمْرَ مُنْصَرِفٌ ... عن هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهَا عن أبي الحَسَنِ

عنْ أَوَّلِ النَّاسِ إِيمَانًا وَسَابِقَةً ... وأَعْلَمِ النَّاسِ بِالقُرْآنِ وَالسُّنَنِ

وآخِرِ النَّاسِ عَهْدًا بِالنَّبِي ومَنْ ... جِبْرِيلُ عَوْنٌ له في الغَسْلِ وَالكَفَنِ

مَنْ فيه مَا فِيهِمُ لا يَمْتَرُون بِهِ ... وَلَيْسَ فِي القَوْمِ مَا فِيهِ مِنْ الحَسَنِ(2)

فبعث إليه عَلِيٌّ عليه السلام فنهاه. **وتخلف** عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام، **منهم**: العباس، وابنه الفضل، والزبير بن العوام، وخالد بن سعيد بن العاص، والمقداد بن عمرو المعروف بالأَسْوَدِ الكِنْدِيُّ، وسلمان الفارسي، وأبو ذر الغِفَارِيُّ، وعمار بن ياسر، والبراء بن عازب، وأُبَيُّ بن كعب، **وممن** تخلف أبو سفيان، **وقال**: أرضيتم يا بني عبدمناف أن يَلِيَ هَذَا الأَمْرَ غَيْرُكُمْ؟ **وقال لِعَلِيٍّ**: امْدُدْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ، وَأَنْشَدَ:

---

(1) شرح نهج البلاغة 1/ 182، وتاريخ اليعقوبي 2/ 8.

(2) تاريخ اليعقوبي 2/ 8، وتاريخ أبي الفداء 1/ 219. الاستيعاب 3/ 224، وأسد الغابة 4/ 117 ، **ونسب** الرافعي هذه الأبيات في تاريخ قزوين لسلمان الفارسي، **وقال**: ليس لسلمان غير هذه الأبيات، **ونسب** ابن أبي الحديد هذه الأبيات مرة لأبي سفيان 4/ 228، ومرة لبعض ولد أبي لهب 2/ 273.

بنـي هَاشِـمٍ لَا يَطْمَـعِ النَّـاسُ فِـيكُمُ وَلَا سِـيَّمَا تَـيْمُ ابْـنُ مُـرَّةَ أو عَـدِيْ
فَمَـا الأَمْـرُ إِلاَّ فِـيكُمُ وَإِلَـيْكُمُ وَلَـيْسَ لَهَـا إِلاَّ أَبُـو حَـسَنٍ عَـلِيْ[1]

وكان خالد بن سعيد غائبًا، فقدم فأتى عليًّا فقال: هلم أبايعك، فو الله ما في الناس أحد أولى بمقام محمد منك. [تاريخ اليعقوبي 2/ 11].

فقال علي عليه السلام لما طلب العباس وأبو سفيان مبايعته: أَيُّهَا النَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ الفِتَنِ بِسُفُنِ النَّجَاةِ، وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ الْمُنَافَرَةِ، وَضَعُوا تِيجَانَ الْمُفَاخَرَةِ، أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ، أَوِ اسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ، هَذَا مَاءٌ آجِنٌ [مُنْتِنٌ]، وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا، وَمُجْتَنِي الثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ، فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا: حَرَصَ عَلَى الْمُلْكِ، وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا: جَزِعَ مِنَ الْمَوْتِ، هَيْهَاتَ بَعْدَ اللَّتَيَّا والَّتِي[2]! وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ، بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ، لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمْ اضْطِرَابَ الأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ[3] البَعِيدَةِ[4].

مشاورة أبي بكر لمقربيه:

أرسل أبو بكر إلى عمر وأبي عبيدة والمغيرة بن شعبة ليستشيرهم في شأن علي وَمَنْ مَعَهُ، **فأشاروا** بالتفاوض مع العباس وَتَوْلِيَتِهِ شيئًا من الأمر له ولِعَقِبِهِ؛ لِيُقْطَعَ عن علي، **فَرَدَّ** العباس عليهم بأن أسرة الرسول صلى الله عليه وآله أولى بالأمر من غيرهم! **أما** أبو سفيان فقد **قيل**: لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر، أقبل وهو يقول: إني لأرى عَجَاجَةً لا يُطْفِئُهَا إلا دم، يا آل عبدمناف، فيم أبو بكر من أموركم؟ أين

(1) تاريخ اليعقوبي 2/ 10.

(2) مَثَلٌ قاله رجل تزوج بطويلة سيئة الخلق؛ فطلقها وتزوج قصيرة فكانت أسوأ من الأولى، فطلقها **وقال**: لا أتزوج بعد اللتيا والتي؛ فصارت مَثَلًا يُقال في الشدائد الصغيرة والكبيرة.

(3) **الأَرْشِيَةُ**: حِبَالُ الدِّلَاءِ، **وَالطَّوِيُّ مُذَكَّرٌ** : البِئْرُ، وَأُنِّثَ على المعنى، **وَالبَعِيدَةُ**: العَمِيقَةُ.اللسان15/ 19.

(4) النهج ص111، وابن أبي الحديد 1/ 184، واليعقوبي 2/ 10.

المستضعفان؟ أين الأَذَلَّانِ علي والعباس؟ ما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش؟ **ثم قال لعلي**: ابسط يدك أُبَايِعْكَ فوالله لئن شئت لأملأنها خيلًا وَرَجْـلًا، **فـأبى عَـلِيٌّ** كرم الله وجهه عليه، فتمثّل أبو سفيان بشعر الـمُتَلَمِّس:

ولَـنْ يُقِـيمَ عَـلَى خَـسْفٍ يُـرَادُ بِـهِ   إِلَّا الأَذَلَّانِ عَـيْرُ الحَـيِّ وَالوَتِـدُ
هـذا عـلى الخَـسْفِ مَرْبُـوطٌ بِرُمَّتِـهِ[1]   وذا يُـشَجُّ فـما يَرْثِـي لـه أَحَـدُ[2]

فزجره عليٌّ عليه السلام **وقال**: ما أَرَدْتَ بهذا إلا الفتنة! وطالما بَغَيْتَ للإسلام شَرًّا، لا حاجة لنا في نصيحتك! **نَعَمْ** إن أبا سفيان ليس صاحب مبادئ، **فقد قيل**: إن عمر نصح أبا بكر أن يترك له مالًا جاء به من خراج بعض البلاد؛ فما لبث أن جاء مبايعًا[3]! **وأما عَلِيٌّ** فقد اختلفتْ رواياتُ التعاملِ معه: **فقيل**: إنه امتنع حتى ماتت فاطمة عليها السلام، وسكتوا عنه طوال هذه المدة **ثم** بايع طائعًا، **وقيل**: بايع مُكْرَهًا، **وقيل**: إن عمر ومجموعته ذهبوا إلى بيت فاطمة وكسروا الباب وأرادوا إحراق البيت، وقادوا عَلِيًّا بالقوة، **وبعضها** يقول: إن فاطمة كانت حاملًا فأسقطت، إلى غير ذلك[4]، **لكنّي** أجزم برد بعض المبالغات، **مثل**: رواية ضَرْبِ خالد بن الوليد لفاطمة عليها السلام بالسوط حتى أثر في جنبها، **ودَفْعِ** عُمَرَ للباب حتى تسبب في إسقاط جنينها؛ **فلا يليق** بأشجع الرجال أن تضرب حليلته وهو واقف ينظر؛ إنه دون أن يعطي ذلك لخالد أو غيره ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهام وتطيح السواعد والأقدام. **أما واقعة** الهجوم، والتَهَجُّم عَلَى بَيْتِ بَضْعَةِ المصطفى فَاطِمَةَ **فهو** ثابت من مصادر غير متهمة على أبي بكر وعمر وفريقهما؛ **فقد روى** الإمام الذهبي عن أبي

---

(1) قطعة من الحبل بالية، وجمعها رُمَمٌ ورِمَامٌ. المختار ص 257.
(2) ينظر ديوان المتلمس الضبيعي 72- دار صادر بيروت- طبعة أولى 1998 م
(3) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد 1/ 83 و 184، واليعقوبي 2/ 10.
(4) انظر اختلاف الروايات في ذلك: الطبري 3/ 208، والمصابيح لأبي العباس ص 258.

بكر في سياق وصيته بالخلافة لعمر؛ **إذ قال**: فاخترتُ لكم خَيْرَكُمْ فِي نَفْسِي فَكُلُّكُمْ وَرِمَ لذلك أَنْفُهُ رَجَاءَ أن يكون الأَمْرُ لَهُ، **ثم قال**: أَمَا إِنِّي لَا آسَى عَلَى شَيْءٍ إِلاَّ عَلَى **ثَلاثٍ** فَعَلْتُهُنَّ، **وَثَلاثٍ** لَمْ أَفْعَلْهُنَّ، **وَثَلاثٍ** وَدِدْتُ أَنِّي سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْهُنَّ: **وَدِدْتُ** أَنِّي لَمْ أَكُنْ كَشَفْتُ بَيْتَ فَاطِمَةَ وَتَرَكْتُهُ وَإِنْ أُغْلِقَ عَلَى الحَرْبِ، **وَوَدِدْتُ** أَنِّي يَومَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ كُنْتُ قَذَفْتُ الأَمْرَ فِي عُنُقِ عُمَرَ أَوْ أَبِي عُبَيْدَةَ، **وَوَدِدْتُ** أَنِّي كُنْتُ وَجَّهْتُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيْدِ إِلَى أَهْلِ الرِّدَّةِ، وَأَقَمْتُ بِذِي القَصَّةِ، فَإِنْ ظَفِرَ المُسْلِمُونَ وَإِلَّا كُنْتُ لَهُمْ مَدَدًا وَرِدْءًا، **وَوَدِدْتُ** أَنِّي يَوْمَ أُتِيتُ بِالأَشْعَثِ أَسِيرًا ضَرَبْتُ عُنُقَهُ؛ فَإِنَّهُ يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا يَكُونُ شَرٌّ إِلَا طَارَ إِلَيْهِ، **وَوَدِدْتُ** أَنِّي يَوْمَ أُتِيتُ بِالفُجَاءَةِ السُّلَمِيِّ لَمْ أَكُنْ حَرَّقْتُهُ، وَقَتَلْتُهُ، أَوْ أَطْلَقْتُهُ نَجِيحًا، **وَوَدِدْتُ** أَنِّي حَيْثُ وَجَّهْتُ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدِ إِلَى الشَّامِ وَجَّهْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ إِلَى العِرَاقِ؛ فَأَكُونَ قَدْ بَسَطْتُّ يَمِينِي وَشِمَالِي فِي سَبِيلِ اللهِ، **وَوَدِدْتُ** أَنِّي سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي مَنْ هَذَا الْأَمْرِ فَلَا يُنَازَعَهُ أَهْلُهُ، **وَأَنِّي** سَأَلْتُهُ هَلْ لِلْأَنْصَارِ فِي هَذَا الْأَمْرِ شِيْء؟ **وَأَنِّي** سَأَلْتُهُ عَنِ الْعَمَّةِ وَبِنْتِ الأَخِ؛ **فَإِنَّ** فِي نَفْسِي مِنْهَا حَاجَةً[1].

وجهة نظر: الطريقة التي تمت بها البيعة محل نظر عند بعض النُّقَّادِ؛ **إذ** بَيْعَةُ أبي بكر رضي الله عنه كانت فلتة كما وصفها عمر رضي الله عنه[2]، **وكان** المفترض في أمرٍ جليلٍ، وشأن خطير كالخلافةِ أنْ يوضعَ لها أساس متين، وقاعدة راسخة، **ويا ليت** أصحاب محمد

---

(1) تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء 117 و118، ومروج الذهب 2/ 301، والإمامة والسياسة لابن قتيبة 1/ 36، والطبراني في الكبير 1/ 62رقم 43، ومجمع الزوائد 5/ 202، والطبري 3/ 430، وتاريخ اليعقوبي 2/ 25، وتاريخ دمشق 30/ 418، 420، 422، والعقد الفريد 4/ 268، ولسان الميزان 4/ 189 رقم 502، وميزان الاعتدال 2/ 215 رقم 1658 في ترجمة (علوان بن داود البجلي).

(2) إشارة إلى حديث عمر حيث قال: «إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها». البخاري رقم 6442. ومسند أحمد 1/ 123 رقم 391، وتاريخ الإسلام عهد الخلفاء ص 8، والبداية والنهاية 5/ 245، والبغوي 2/ 123، وتاريخ الخلفاء ص 67، وأنساب الأشراف 1/ 583.

من مهاجرين وأنصار تمهّلوا حتى يُدْفَنَ النبيُّ الكريمُ، ويتم تقديم العزاء لأهل بيته خاصة، ويتلقون العزاء معهم من سائر الناس، **ثم** يجمتعون وفيهم عليٌّ وبنو هاشم، ويتشاورن في الأصلح؛ لتولي أمورهم، فإن وصلوا إلى نتيجة وإلا انتخبوا الخليفة عن طريق التصويت بعد أن يحددوا أهم الملامح للمرشح، وليضعوا ما يشاؤون فقد يُدْلِي أبو بكر ومناصروه بمزاياه: من السبق، و صحبة النبي في الغار، وتقدمه في السن، وأنه قرشي ... إلخ، **ويدلي** عليّ ومناصروه بأنه: ابن عم محمد، والأعلم، والأشجع، والأقوى، والأسبق الى الإسلام، بل لم يسجد لصنم قط ... إلخ، **ويدلي** مرشح الأنصار: بأنهم درع الإسلام، وحصنه الحصين، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾[الأنفال:74]،﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[الحشر:7]؛ فمن تم اختياره فهو الخليفة، ويوضع أساس لعزله إن فرط؛ وفق ضوابط دقيقة تمنع الاستبداد، والاستئثار، والتفرد.

أما الطريقة التي نُقِلَتْ بها الخلافة إلى عمر وهي الوصية، **فقد** فَتَحَتِ المَجَالَ للتوريث والوصاية، وحتى وإن لم يكن عمر قريبًا لأبي بكر؛ فهو صديقه، وخاصته، **وقد** اخْتُصِرَتِ الأُمَّةُ في واحد، بِغَضِّ النَّظَرِ عن مكانة الشيخين، وزهد عُمر، وصرامته لكنّها حالة فردية لا يُبْنَى عليها نِظَامُ أُمَّةٍ! **فالأُمَّةُ** هي التي تختار حاكمها وليس الحاكم هو الذي يختار لها وَصِيًّا، **وأما الطريقة** التي وَصَلَتْ بها الخلافة إلى عثمان فَأَشَدُّ غَرَابَةً؛ **إذ** رشّح عمر للخلافة ستة: عَلِيًّا، وعثمان، والزبير، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، **وخلاصة** القصة أن عمر لما طعنه أبو لؤلؤة رَشَّحَ للخلافة الستة المذكورين، **وقال**: إنَّ رَسُولَ اللهِﷺ مات وهو عنهم راضٍ، رغم قوله مخاطبًا إياهم

واحدًا واحدًا: **أَمَّا** أنت يا زُبَيْرُ فَوَعِقٌ لَقِسٌ[1]، مُؤْمِنُ الرِّضا، كَافِرُ الغَضَبِ: يَوْمًا إنسانٌ وَيَوْمًا شيطانٌ، ولعلَّها لَو أفضتْ إليك ظَلْتَ يومك تلاطم بالبطحاء على مُدٍّ من شعير! **أفرأيتَ** إن أَفْضَتْ إليك، فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ يَكُونُ لِلنَّاسِ يَوْمَ تَكُونُ شَيْطَانًا، وَمَنْ يَكُونُ يَوْمَ تَغْضَبُ؟! وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة وأنت على هذه الصفة! **ثم أقبل** على طلحة – وكان له مبغضًا منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر؛ إذ **قال**: وَلَّيْتَ علينا فظًّا غليظًا – **فقال** له: أقول أم أسكت؟ **قال**: قُلْ؛ فإنك لا تقول من الخير شيئًا! **قال**: أما إني أعرفك منذ أُصِيبَتْ إِصْبَعُكَ يَوْمَ أُحُدٍ وَائِبًا[2] بالذي حدث لك، **ولقد** مات رسول الله ﷺ ساخطًا بالكلمة التي قُلْتَهَا يوم أُنْزِلَتْ آيةُ الحجاب؛ إذ روي أنه **قال**: مَا الذي يُغْنِيهِ حِجَابُهُنَّ اليوم وسيموت غدًا فننكحهن -**قال الجاحظ**: لو قال قائل لعمر: أنت قُلْتَ: إنَّ رسول الله مات وهو راض عن الستة، فكيف تقول الآن لطلحة: إنه مات عليه السلام ساخطًا عليك للكلمة التي قلتها؟! لكان قد رماه بِمَشَاقِصِهِ[3]، **ولكن** مَنِ الَّذِي كان يَجْسُرُ على عمر أن يقول له مادون هذا، فكيف هذا؟! **قال: ثم أقبل** على سعد، **فقال**: إنما أنت صاحب مِقْنَبٍ من هذه المقانب[جماعة الخيل]، تقاتل به، وصَاحِبُ قَنَصٍ وقوس وأسهم، وَمَا زُهْرَةُ [قبيلة سعد] والخِلَافَةَ وَأُمُورَ النَّاسِ؟! **ثم أقبل** على عبد الرحمن **فقال** له: وأما أنت يا عبد الرحمن فلو وُزِنَ نِصْفُ إِيْمَانِ المسلمين بإيمانك لَرَجَحَ إِيمَانُكَ بِهِ، **وَلكن** ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضَعْفٌ كَضَعْفِكَ، **وَمَا** زُهْرَةُ و هذا الأمر! **ثم أقبل** على علي عليه السلام **فقال**: لله أنت لولا دُعابةٌ فيك! أَمَا وَاللهِ لَئِنْ وَلِيتَهَمْ لَتَحْمِلَنَّهُمْ على الحق الواضح، والمحجة البيضاء، **ثم أقبل** على عثمان فقال: هِيْهًا إليك! كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لِحُبِّهَا إياك فَحَمَلْتَ بني أمية وبني أبي مُعَيْطٍ على

---

(1) **الوعق**: الضجر المتبرم، و **اللقس**: من لا يستقيم على وجه.
(2) **الوأب**: الانقباض والاستحياء، **ووأب** يئب:أنف، **ووئب**: غضب. اللسان 1/ 791.
(3) **المشاقص**: جمع مِشْقَصٍ؛ و هو نصل السهم إذا كان طويلًا.

رقاب الناس وَآثَرْتَهُمْ بالفيء؛ فسارت إليك عصابة من ذُؤْبَانِ العرب فذبحوك على فراشك ذبحًا، والله لئن فَعَلُوا لَتَفْعَلَنَّ، ولئن فَعَلْتَ لَيَفْعَلُنَّ، ثم أخذ بناصيته، **فقال**: فإذا كان ذلك فَاذْكُرْ قولي؛ فإنه كائن! **ثم قال**: ادعوا إلي أبا طلحة الأنصاري فَدَعَوْهُ له، **فقال**: انظر يا أبا طلحة، إذا عدتم من حفرتي فَكُنْ في خمسين رجلًا من الأنصار بَابَ البَيْتِ ليتشاوروا ويختاروا واحدا منهم، **فَإِنِ** اتَّفَقَ خَمْسَةٌ وَأَبَى وَاحِدٌ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ، **وَإِنِ** اتَّفَقَ أَرْبَعَةٌ وَأَبَى اثْنَانِ فَاضْرِبْ أَعنَاقَهُمَا، **وَإِنِ** اتَّفَقَ ثَلَاثَةٌ وَاخْتَلَفَ ثَلَاثَةٌ فَانْظُرِ الثَلَاثَةَ الّتِي فِيهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَارْجِعْ إِلَى ما قَدِ اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ، **فَإِنْ** أَصَرَّتِ الثَّلَاثَةُ الأُخْرَى عَلَى خِلَافِهَا فَاضْرِبْ أَعنَاقَهَا، **وَإِنْ** مَضَتْ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَلَمْ يَتَّفِقُوا على أَمْرٍ فَاضْرِبْ أَعنَاقَ السِّتَّةِ، وَدَعِ المسلمينَ يَخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ[(1)]!.

إن هذا الأسلوب الذي اتخذه الفاروق فتح للمستبدين ثغرة تسللوا من خلالها إلى كرسي الخلافة، **ثم إن هناك** تساؤلات: **أولها قوله** في الستة : **إن** رسول الله مات وهو عنهم راضٍ ، **وهذا** لا يختص بهم ، **ثم** إنه ناقض قوله في نقده لبعضهم. **ثانيها**: أنه زرع في رأس كل واحد أنه مؤهل للخلافة، وربما كان ذلك من أسباب تمرد طلحة والزبير على عَلِيٍّ ، **وثالثها**: أَمْرُهُ بضرب الأعناق وذلك لا يجوز. **ورابعها**: اتهام علي بالدُّعَابَةِ، واعتبارها عيبًا، وهي ليست دعابة، وإنما دماثة خلق، ولين جانب، وهي من مزاياه التي جمع بها بين الأضداد؛ إذ كان يتوقع أن يكون تَيَّاهًا مُدِلًّا بقربه من النبيﷺ ، وشجاعته الخارقة، وعلمه، وغير ذلك، لكن لأنه من طينة النبي صدق عليه قول الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾[آل عمران:159]، **لَكِنَّ** عمر ينظر بعين نفسه؛ فَقَدَّرَ أنه لا يصلح للناس إلا من

(1) شرح النهج لابن أبي الحديد 1/ 159 – 161.

حمل طباعه: من الغلظة، والشدة، والجفوة؛ فعاب عَلِيًّا بما ليس بعيب بل هو فضل ونبل. **وخامسها:** أنه أراد الخلافة لعثمان بطريقة غير مباشرة؛ ردًّا لجميله؛ إذ كان يكتب وصية أبي بكر، فلما قال: خَلَّفت فيكم أغمي عليه؛ فكتب اسم عمر، واستحسنها أبو بكر، وحفظها عمر[1]، **كما** قد صرح عمر لابن عباس: بأن بني هاشم لو نالوا النبوة والخلافة لتباهوا على العرب بَجْحًا بَجْحًا[2]، **وهو** يعلم أن ليس مع عَلِيٍّ بين الستة إلا الزبير، **ويعلم** أن عبدالرحمن سيميل إلى عثمان؛ لأنه صهره، **ويعلم** أن طلحة معرض عن عَلِيٍّ؛ حَمِيَّةً لما جرى بين عَلِيٍّ وأبي بكر؛ لأن طلحة من بني تيم أسرة أبي بكر، **وقد حدث** وقت المداولة بين الستة **أن تنازل** طلحة لعثمان، **ولَـمَّا** أحس الزبير بضعف جانب عَلِيٍّ تنازل له، **وتنازل** سعد لابن عمّه عبدالرحمن، **فقال** عبدالرحمن لعلي وعثمان : أيكما يخلع نفسه ليختار؟ فصمتا، فخلع نفسه، **وقال** لعليّ: أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وسيرة الشيخين؟! **فقال** عَلِيٌّ: بل على كتاب الله، وسنة رسوله، واجتهادِ رأيي، **فعرض** على عثمان فوافق فبايعه[3]، **وهكذا** صار قرار أمر الأمة في يد واحد!!.

أما البعض فجعل من كُلِّ طريقةٍ دليلًا على عقد الخلافة؛ **فقالوا:** تثبت بمبايعة واحد، وبالوصية...إلخ، **وَدُسَّتْ** هذه الطرق ضِمْنَ العقائد؛ لِيُرْمَى من خالفها بما شاؤوا من البوائق، ورتبوا الأفضلية حسب تسلسل الخلافة، وَتَشَدَّدُوا في شأن عَلِيٍّ خاصة؛ **فمن** قدمه على أبي بكر فهو رافضي، ولو على عثمان، **ومن** أحبه فهو شيعي، ومن طالع علم الجرح والتعديل وجد من ذلك العجب العجاب، ولله في خلقه شؤون.

---

(1) تاريخ الطبري 3/ 429، وطبقات ابن سعد 3/ 200، وتاريخ الإسلام (عهد الخلفاء)ص 117، وشرح نهج البلاغة 1/ 144.

(2) تاريخ الطبري 3/ 222، والكامل لابن الأثير 3/ 34، وشرح نهج البلاغة 1/ 162.

(3) تاريخ اليعقوبي2/ 11، وتاريخ الإسلام(عهد الخلفاء) 304، وأسد الغابة 4/ 107،وتاريخ دمشق39/ 202.

دفنه ﷺ في المكان الذي توفي فيه[1]:

لما فُرِغَ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وُضِعَ على سريره في بيته، **وقد** كان المسلمون اختلفوا في دفنه[2]، **فقائل**: نَدْفِنُهُ في مسجده، **وقائل**: مع أصحابه، **وقائل**: في مكة، **وقائل**: في بيت المقدس محل الأنبياء، **فقال** أبو بكر: إني سمعته ﷺ يقول: «ما قُبِضَ نَبِيٌّ إلا دُفِنَ حَيْثُ قُبِضَ»[3]؛ **فَحُفِرَ** له تحت فراشه، **ثم** دخل النَّاسُ يُصلُّون عليه أَرْسَالًا: الرجال، ثم النساء، ثم الصبيان، ولم يؤمَّ الناسَ على رسول الله ﷺ أحدٌ، **ثم دفنه** عليٌّ ﵇ ومعاونوه من وسط ليلة الأربعاء، **قالت** عائشة: ما علمنا بِدَفْنِ رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جَوْفِ الليل، **قال** ابن إسحاق: وكان الَّذِينَ نَزَلُوا في قبر رسول الله ﷺ عَلِيُّ بن أبي طالب، والفَضْلُ بن عباس، وقُثَمُ بن عباس، وشُقْرَانُ مولى رسول الله ﷺ[4].

وعند وفاة الرسول الأعظم ﷺ **أَتَوَقَّفُ** حيث توقف الوحي، وانقطع خبر

---

(1) سيرة ابن هشام 4/ 314، وتأريخ الطبري 3/ 213، والاكتفاء 2/ 480، والمواهب اللدنية 3/ 399، وسيرة ابن كثير 14/ 529.

(2) **قال ابن أبي الحديد** في شرح النهج 4/ 90: **قلت**: كيف يختلفون في موضع دفنه وقد قال لهم: «فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري». **هذا** تصريح بأنه يدفن في البيت الذي جمعهم فيه، وهو بيت عائشة، **فإما** أن يكون الخبر غير صحيح، **أو** يكون الحديث الذي تضمن أنهم اختلفوا في موضع دفنه غير صحيح؛ لأن الجمع بين هذين الخبرين لا يمكن. اهـ. **نقول**: الحديث الذي أشار إليه ابن أبي الحديد أخرجه الحاكم في المستدرك 3/ 60، وابن سعد في الطبقات 2/ 257، والطبري في تاريخه 2/ 274، **وليس** عند ابن كثير « في بيتي» ، **ثم قال ابن كثير**: روى هذا الحديث بهذا السياق بطوله الحافظ أبو بكر البزار ... **ثم قال البزار**: وقد روي هذا عن مرة من غير وجه بأسانيد متقاربة. اهـ.

(3) فتح الباري 1/ 529. **قال ابن حجر**: في إسناده حسين بن عبدالله الهاشمي، وهو ضعيف ، وله طريق أخرى مرسلة ذكرها البيهقي في الدلائل، **وروى** الترمذي في الشمائل، والنسائي في السنن الكبرى من طريق سالم بن عبيد الأشجعي الصحابي، عن أبي بكر الصديق، أنه قيل له: فأين يدفن رسول الله ﷺ ؟ فقال: في المكان الذي قبض الله فيه روحه؛ فإنه لم يقبض روحه إلا في مكان طيب. وإسناده صحيح، لكنه موقوف. اهـ.

(4) كنز العمال 18763. ودلائل البيهقي 7/ 256 وما بعدها. والمنتظم 3/ 49. والطبقات 2/ 301.

السماء، **وعلى** شفير أَشْرَفِ قَبْرٍ أُوْدِعَ فيه أطهرُ جَسَدٍ، على أمل أن ألقاك يا رسول الله على الحوض؛ لتسقيني شربة لا أظمأ بعدها أبدًا.

إنْ لَمْ تَكُـنْ فِي مَعَـادِي آخِـذًا بيَـدِي فَـضْلًا وَإلاَّ فَقُـلْ يَـا زَلَّـةَ القَـدَمِ

حَاشَـاهُ أَنْ يُحْـرِمَ الرَّاجِـي مَكَارِمَـهُ أَو يَرْجِـعَ الجَـارُ مِنْـهُ غَـيْرَ مُحْـتَرَمِ

وإني لأعتذر من تَطَفُّلِي على حياة رسول الله ﷺ المقدسة ولستُ لذلك بأهل، **إلا** أنَّ عِلْمِي بأنه ﷺ على خلق عظيم شجَّعني على أنْ أُدْلِي بدلوي مع تقصيري، يدفعني لذلك الحبُّ، ويَحْدُونِي الشوقُ، **وحسبي** أني بذلتُ جهدي، وسلكتُ طَرِيقَ الاعتدال، واستفدتُ من شتى المصادر والمراجع؛ **فَجَاءَتِ**السيرةُ العَطِرَةُ صَغِيْرَةَ الحَجْمِ، كَبِيرَةَ الفَوَائِدِ، نفع الله بها وتقبلها، ووَفَّقَنَا لما يحب ويرضى، وجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، ومقربة إلى جنات النعيم **آمين، آمين.**

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين،،

* * *

أهم الأحداث في السيرة

-محرم 7هـ:	غزوة خيبر.	(أغسطس 628م).
- صفر 4هـ:	بعث الرجيع.	(مايو 625م).
-صفر 11هـ:	تجهيز جيش أسامة.	(مايو 632م).
-12 ربيع أول:	مولد النبي ﷺ.	(أغسطس 570م).
-ربيع أول:	الهجرة إلى المدينة.	(يونيو 622م).
-ربيع أول 4هـ:	إجلاء ب ني النضير.	(يونيو 625م).
-12 ربيع أول 11هـ:	وفاة رسول الله ﷺ.	(7 يونيو 632م).
-14 ربيع أول 3هـ:	مقتل كعب الأشرف.	(فبراير 624م).
-جمادى الأولى 8هـ:	غزوة مؤتة .	(سبتمبر 629م).
-رجب: 5 من النبوة:	الهجرة الأولى إلى الحبشة.	(615م).
-رجب 8هـ:	غزوة تبوك.	(أكتوبر 630م).
-27 رجب:ق هـ بسنة:	الإسراء والمعراج.	(621م).
-2 شعبان 5هـ:	غزوة بني المصطلق.	(626م).
-17 رمضان 2هـ:	غزوة بدر.	(يناير 624م).
-رمضان 8هـ:	فتح مكة المكرمة.	(يناير 630م).
-15 شوال 2هـ:	غزوة بني قينقاع.	(فبراير 624م).
-7 شوال 3هـ:	غزوة أحد.	(يناير 625م).
-16 شوال 3هـ:	غزوة حمراء الأسد.	(625م).
-شوال 5هـ:	غزوة الخندق.	(فبراير 627م).
-10 شوال 8هـ:	غزوة حنين.	(فبراير 630م).
-شوال 8هـ:	غزوة الطائف.	(فبراير 630م).
-ذي القعدة 5هـ:	غزوة بني قريظة.	(إبريل 627م).
-ذي القعدة 6هـ:	صلح الحديبية.	(فبراير 628م)
-ذي القعدة 7هـ:	عمرة القضاء.	(فبراير 629م).
-ذي الحجة 10هـ:	حجة الوداع.	(مارس 632م).
-18ذي الحجة:	خطبة الغدير.	(632م).

المصادر والمراجع

1- ابتسام البرق في شرح القصص الحق في سيرة سيد الخلق - محمد بن يحي بهران - منشورات مكتبة الحياة - بيروت .

2- أبجد العلوم- صديق حسن القنوجي- دار الكتب العلمية- دمشق 1978م.

3- أحكام الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين- مكتبة التراث- صعدة- ط1.

4- أسباب النزول - الواحدي - دار ابن كثير - دمشق - ط 1 .

5- الاستيعاب -أبي عمر يوسف بن عبدالله بن عبد البر القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت- ط 1415-1995م.

6- أسد الغابة - ابن الأثير - دار الكتب العلمية .

7- الإشارة إلى سيرة المصطفى - مغلطاي بن قليج - دارالقلم دمشق دارالشامية بيروت -ط1.

8- الاعتصام بحبل الله المتين- الإمام القاسم بن محمد- مطابع الجمعية الملكية.

9- الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين -بيروت -ط 6 .

10- أعيان الشيعة - محسن الأميني - دارالتعارف - بيروت - 1406هـ .

11- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء- أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي-عالم الكتب- ط 1.

12- أمالي المرشد بالله - عالم الكتب - بيروت - ط 3.

13- الإمامة والسياسة -ابن قتيبة - دارالأضواء-ط1 .

14- البحر الزخار- الإمام المهدي أحمدبن يحيى المرتضى-دار الحكمة اليمانية- ط 1.

15- البرهان في أصول الفقه - الجويني - ط 1 .

16- البيان والتبيين - الجاحظ - مكتبة الخانجي - القاهرة -ط 5 .

17- تاج العروس- محمد مرتضى الزبيدي- دار الفكر-1994م- 1414هـ.

18- تأريخ الإسلام - الحافظ الذهبي - دار الكتاب العربي -ط 1

19- تأريخ الخلفاء - الحافظ السيوطي - دار الفكر .

20- تأريخ الطبري -دار التراث -تحقيق محمد أبو الفضل .

21- التأريخ الكبير - البخاري - دار الكتب العلمية - بيروت .

22- تأريخ اليعقوبي -مؤسسة الأعلمي -ط 1 .

23- تأريخ بغداد- الخطيب - دار الفكر -.

24- تأريخ خليفة بن خياط - دار طيبة الرياض-ط 2 .

25- التحف شرح الزلف- السيد مجد الدين المؤيدي- مكتبة مركز بدر العلمي.

26- تراثنا- نشرة فصيلة تصدرها مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث العربي.

27- تفسير أهل البيت (عليهم السلام) - عبدالله بن أحمد الشرفي - مكتبة التراث الإسلامي - صعدة - ط 1 .
28- تفسير الطبري - ابن جرير الطبري -دار الفكر - ط 1 .
29- التنبيه والأشراف - المسعودي - دار ومكتبة الهلال .
30-تيسير المطالب في آمالي أبي طالب-الإمام أبو طالب-مؤسسة الأعلمي، بيروت.وطبعة مؤسسة الإمام زيد.
31- جلاء الأبصار، للحاكم الجشمي- مخطوط.
32- الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير- عدنان زرزور- مؤسسة الرسالة.
33- حلية الأولياء - دار الكتب العلمية- بيروت - ط 1 .
34- حياة محمد رسول الله (ص)- محمد حسين هيكل-مكتبة النهضة المصرية.
35- خصائص أمير المؤمنين- النسائي- دار الكتاب العربي- ط 2 .
36- دلائل النبوة- البيهقي- دار الريان، الكتب العلمية-ط 1 .
37- ديوان البويصري .
38- الرسالة المحمدية - عبد العزيز الثعالبي- دار ابن كثير-ط 1 .
39- الروض الأنف- السهيلي- دار الفكر .
40- الروضة الندية، تأليف محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني- مركز بدر- الطبعة الأولى.
41- روضة الناظر- عبدالله بن قدامة- المكتبة الملكية-مؤسسة الريان .
42- زاد المعاد - ابن القيم الجوزية - دار إحياء التراث - القاهرة - 1992-1413هـ-.
43- سبل الهدى والرشاد- الإمام محمد بن يوسف الصالحي- لجنة إحياء التراث- القاهرة- 1992-1413.
44- سنن ابن ماجة- دار الكتب العلمية- تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.
45- سنن أبي داود- دار الكتب العلمية-ط 1 .
46- سنن البيهقي - أبي بكر البيهقي- دار المعرفه-ط 1 .
47 - سنن الترمذي- محمد بن عيسى الترمذي- دار الكتب العلمية-.
48- سنن الدارمي- دار الكتب العلمية-بيروت .
49- سنن النسائي- أبي عبد الرحمن النسائي-مكتبة المطبوعات الإسلامية-ط1.
50- سير أعلام النبلاء- الذهبي- مؤسسة الرسالة-بيروت .
51- سيرة المصطفى- هاشم معروف الحسني- دار الشريف الرضي- ط 2.
52- السيرة النبوية - ابن كثير - دار إحياء التراث.
53- السيرة النبوية - ابن هشام - الحلبي -ط 2 .

54- سيرة سيد المرسلين - جعفر سبحاني - دار الأضواء - ط 2 .
55- الشافي - الإمام عبدالله بن حمزة - مكتبة اليمن الكبرى -ط1 .
56- شرح المواهب اللدنية- الزرقاني- المطبعة الأزهرية- القاهرة- ط 1.
57- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - مكتبة الحياة .
58- الشعر والشعراء - ابن قتيبة - دار الحديث - ط 2
59- الشفا - القاضي عياض - مؤسسة علوم القرآن - ط 2 .
60- شفاء الأوام- الأمير الحسين بن بدر الدين- جمعية علماء اليمن- ط 1.
61- صحيح ابن حبان -ابن بلبان - دار الكتب العلمية -ط 1 .
62- صحيح البخاري - دار ابن كثير -ط 3 .
63- صحيح مسلم - دار إحياء التراث - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.
64- الصحيح من سيرة النبي ص -جعفر العاملي - دار الهادي -ط 4 .
65- الطبقات الكبرى - ابن سعد - صادر بيروت .
66- العقد الفريد - الأندلسي- دار الكتاب العربي- بيروت- 1406هـ.
67- عيون الأثر - ابن سيد الناس - مكتبة دار التراث -ط 1 .
68- الغدير - الأميني - دار الكتب الإسلامية .
69- الغطمطم الزخار - الشهيد السماوي .
70- فتح الباري - ابن حجر العسقلاني -دار الفكر -المكتبة السلفية .
71- فقه السيرة - محمد الغزالي - دار الكتب الحديثه .
72- القاموس المحيط - الفيروز آبادي - مؤسسة الرسالة -ط 2 .
73- الكامل في التاريخ - ابن الأثير - دار الكتاب العربي - ط 4 .
74- الكامل في ضعفاء الرجال - ابن عدي الجرجاني - دار الفكر.
75- كنز العمال - المتقي الهندي- مؤسسة الرسالة- 1409هـ-1989م.
76- كنز الفوائد - الكراجكي- دار الأضواء -بيروت - ط 5 .
77- الألي المضيئة - الشرفي - مخطوط .
78- اللزوميات - أبوالعلاء المعري - دار صادر- بيروت .
79- لسان العرب - ابن منظور - دار صادر - بيروت -ط 1 .

80- لوامع الأنوار- السيد مجدالدين المؤيدي- مكتبة التراث الإسلامي-ط 1.
81- مجمع البيان - الطبرسي - مؤسسة الأعلمي - ط 1 .
82- مجمع الزوائد - دار الكتاب العربي - الهيثمي -ط 3 .
83- محمد رسول الله (ص)-محمد رضا -دار الكتب العلمية -ط 1 .
84- مختار الصحاح - أبو بكر الرازي - دارالفكر - بيروت - 1404هـ .
85- مروج الذهب - المسعودي - دار الأندلس -ط 5 .
86- مسند الإمام أحمد بن حنبل - المكتبة التجارية -ط 2 .
87- مسند الإمام زيد بن علي - دار مكتبة الحياة - بيروت - 1966م .
88- المصابيح - لأبي العباس الحسني- مخطوط .
89- مصنف - عبد الرزاق الصنعاني - المكتب الإسلامي -ط 2 .
90- مصنف - ابن أبي شيبة - دار التاج .
91- المعارف - ابن قتيبة - دار الشريف الرضي- ط 1 .
92- المعتمد في أصول الفقه- البصري - دار الكتب العلمية- ط 1 .
93- المعجم الأوسط - الطبراني - دار الحرمين -القاهرة .
94- المعجم الكبير - الطبراني -مكتبة العلوم والحكم .
95- معجم ما استعجم- عبدالله البكري- عالم الكتب- بيروت - ط3.
96- المغازي - الواقدي - مؤسسة الأعلمي .
97- المنتظم - ابن الجوزي - دار الكتب العلمية - ط 1 .
98- منهاج السنة - ابن تيمية - دار الكتب العلمية - بيروت .
99- منهاج الوصول إلى معيار العقول- الإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى- دار الحكمة اليمانية - ط1.
100- المواهب اللدنية - ابن حجر القسطلاني -دار الكتب العلمية -ط 1 .
101- نهج البلاغة- بشرح محمد عبده- مؤسسة المعارف-ط 1 .
102- نور اليقين - محمد الخضري - دار الفكر.
103- نيل الأوطار - الشوكاني - دار الكتب العلميه - ط 1 .
104- هداية العقول إلى غاية السؤل- الحسين بن القاسم- المكتبة الإسلامية .
105- وفاء الوفاء - علي بن أحمد السمهودي - دار التراث العربي -ط 4 .
106- ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة - الأمير الحسين بن بدر الدين - مكتبة بدر - صنعاء - ط 1 .

الفهرس